منبر الإسلام

العدد الخامس – السنة ٢٣
جمادى الأولى ١٣٨٥ – ٢٨ أغسطس ١٩٦٥

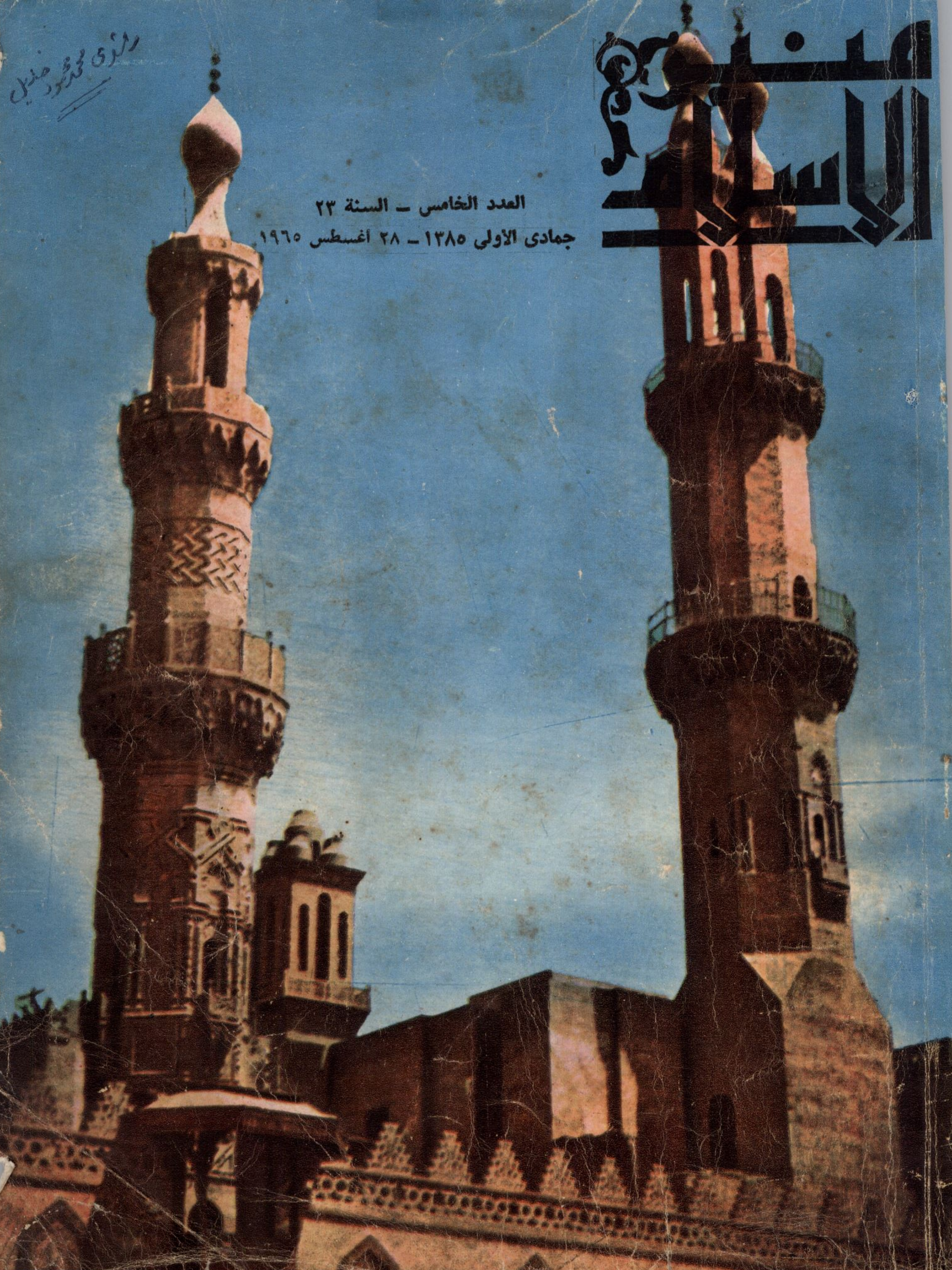

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية
يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
في غرة كل شهر عربي

رشدي محمد محمود خليل

رئيس التحرير
محمد توفيق عويضة

العدد الخامس - السنة ٢٣
جمادى الأولى ١٣٨٥ - ٢٨ أغسطس ١٩٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

* خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى الاسكندرية (٢٦ يوليو ١٩٦٥)
* زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
* حديث عن الاخلاص .. للسيد الأستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية
* لقاء مع أول سفير لجمهورية موريتانيا الاسلامية بالقاهرة
* مجالات النشاط الدينى فى المدرسة – الأستاذ محمد على حافظ
* الخطة الراشدة التى رسمها الله ، لسيد الدعاة – فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
* خبر – للأستاذ محمود كمال
* رسول الله ادريس ، على محمد وعليه الصلاة والسلام – فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
* منازل التأويل – الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل
* خواطر مستشار – المستشار على على منصور
* الصوفية فى الهامهم – الأستاذ حسن كامل الملطاوى
* ماذا تعرف عن العالم الاسلامى دوله وشعوبه – الدكتورة عنايات الطحاوى
* ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين – فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
* مقارنة الأديان – الدكتور أحمد شلبى
* الشجر الأخضر والنار – الدكتور عبد الحليم كامل
* موقف الاسلام من وسائل كسب المال – الدكتور على عبد الواحد وافى
* اخضرت الأشجار (قصة) بقلم محمد عبد الحليم عبد الله
* يا أيها الملعون – للشاعر عبد الله شمس الدين
* القومية فى شعر المرأة – للأستاذة روحية القلينى
* باب الرياضة – باب العلم – ندوة الشهر – باب الفن – باب المرأة المسلمة – المفتى – لماذا أسلمت – مع القراء – بريد التعارف

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة فى البلاد الاخرى

•

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الأمير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

معالم الطريق

نص خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر

الاسكندرية (٢٦ يوليو ١٩٦٥)

ألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا سياسيا جامعا فى احتفال الاسكندرية بالعيد الثالث عشر للثورة . وفيما يلى نص الخطاب

أيها المواطنون :

باسم شعب الاسكندرية ، أحيى الأخ طاهر يحيى رئيس وزراء العراق ، وأحيى جميع الوفود التى تشترك معنا فى الاحتفال بعيد الثورة .

من سنتين ما تقابلناش واحنا متعودين نلتقى مع أبناء الاسكندرية يوم ٢٦ يوليو كل سنة .. السنة اللى فاتت لم تسمح الظروف كان هناك المؤتمر الافريقى ينعقد فى القاهرة ، وكان فيه عدد كبير من رؤساء الدول حضروا معانا احتفالات ٢٣ يوليو ، وقعدوا فى القاهرة لغاية ٢٦ يوليو ، وبعد ٢٦ يوليو نتج عن كده اننا وصلنا هنا فى يوم ٢٦ يوليو بالليل ولم نتمكن من أن نلتقى كما نلتقى اليوم .

ماذا قال الاعداء

يعنى بنتقابل دلوقتى هنا بالاسكندريه . لاول مرة بعد سنتين لكن ليه بقول هذا الكلام ، أنا بقول لما مجتش السنة اللى فاتت أعداؤنا أخذوا يعبروا عن دخائل نفوسهم ، ابتدت الصحف فى انجلترا والصحف فى بريطانيا تتكلم ، ليه جمال عبد الناصر ما حضرش احتفالات الاسكندرية ، ليه اتلغت احتفالات الاسكندرية ، وقالوا ، ويمكن بعضكم سمع هذا الكلام فى الاذاعات السنة اللى فاتت ، ان احنا اكتشفنا مؤامرة لنسف المنصة وقالوا أن فيه ضباط كثير اعتقلوا وقالت جريدة (الاكسبريس البريطانية) ان ستة ضباط اعدموا بعد اكتشاف هذه المؤامرة .

أكاذيب مكشوفة

طبعا احنا ما بيهمناش هذا الكلام ، لانه كلام أعدائنا ، وبنبص لكلامهم ده على أنه أمانيهم بالنسبة لينا ، ومن حقهم التعبير عن هذه الأمانى ، حتى دون أى قشرة صغيرة يخفوا وراها الكذبة . الكذبة الكبيرة اللى حاولوا انهم بيها يسيئوا الى هذه الثورة ويسيئوا الى قواتنا المسلحة التى هى الدرع الواقى للشعب والدرع الواقى للثورة .. أنا ليه بأقول لكم الحكاية دى .. السنة دى احنا بنجتمع النهاردة فى ٢٦ يوليو ، ومع كده نفس الشىء اللى عملوه السنة اللى فاتت عملوه السنة دى ، من ثلاثة أيام بعض الصحف فى بيروت نشرت أن هناك مؤامرة أحبطت وكان الغرض منها نسف بيت عبد الناصر وان فيه قائد سرب اسمه محمد عصام نصر راح مطار الدخيلة وحمل طيارة اليوشن بالقنابل علشان يروح يضرب بيت جمال عبد الناصر فى المعمورة ، ولكن طلعت وراه طيارات الميج ضربته ووقعته فى وادى النطرون وبعد كده اعتقلنا عشرات ومئات من الضباط . طبعا الجماعة اللى كذبوا السنة اللى فاتت اللى هم أعدائنا .. وأعدائنا بيتمثلوا فى الاستعمار والصهيونية والرجعية ، اللى كذبوا السنة اللى فاتت فى أعياد الثورة ، بيكذبوا السنة دى برضه السنة دى من غير ما ينكسفوا فى أعياد الثورة .

وأذاعت هذا الخبر اللى انتشر فى جرايد أو بعض جرايد بيروت ، وكالات الأنباء وبعدين أذاعته بعد كده محطات اذاعة .. ثلاث محطات اذاعة .. سارعت اذاعات طهران ودمشق واسرائيل باذاعة هذا الخبر ، طبعا طهران كلنا نعرف شعورها بالنسبة للعرب أما بتذيع خبر بهذا الشكل .. وطبعا اسرائيل كلنا نعرف اللى بتضمره لينا وايه اللى بتضمره للعرب ، وأنا بأقول أن الجرايد اللى نشرت هذا الكلام نشرته كاعلان قبضت عليه ، والاذاعات نشرت هذا الكلام ، سارت فى طريق الصهيونية والاستعمار ، اذاعة اسرائيل طبعا هى اذاعة الصهيونية .. اذاعة طهران هى اذاعة الاستعمار .. واذاعة دمشق حطت نفسها بين الصهونية والاستعمار .

لم يقبض على أى ضابط

اللى بدى أقوله ان احنا ما عندناش ضابط بالاسم ده . قائد السرب محمد عصام نصر ، اللى بيقولوا عليه ما عندناش ضابط فى السلاح فى القوات الجوية اسمه محمد عصام نصر .. يعنى الكذبة مفضوحة والكذبة مكشوفة ، واللى

عايز أقوله تانى .. ان احنا طائراتنا باستمرار على أهبة الاستعداد بمعنى أن عندنا دائمـا قاذفات قنابل شايلة قنابل .. عندنا دائما طائرات مقاتلة قاعدين فيها الطيارين ليل نهار بحيث أن الطيارة تقدر تطلع بعد دقيقة واحدة من اعطاء الانذار .. معنى هذا ان احنا مش مجردين طياراتنا من الأسلحة ولا مجردين جيشنا من الاسلحة .. اللى بدى أقوله أيضا أن احنا ما قبضناش ولا على ضابط ، زى كل سنة فى أعياد الثورة يقولوا علينا الاستعماريين والصهيونيين والرجعيين واعداء الثـورة العربية .. يقولوا ان احنا احبطنا مؤامـرة واحبطنا محاولة انقلاب فى الجيش وقبضـنا على ضباط وقتلنا ضباط .

ده طبعا أن كان يعبر عن شىء ، بيعبر عن أمانيهم وأمالهم التى لن تتحقق أبدا ، بعـون الله ، لأن الله سار مع هذه الثورة ، لأنهـا سارت فى الطريق الصحيح والشعب أيضـا آمن بهذه الثورة لانها ثورة الشعب .

لماذا .. فى الاعياد

احنا ما بنزعلش أبدا من هذا الكلام ولكن بنحس وبنلاحظ انهم بيفتكرونا كل عيد .. كل عيد من أعياد الثورة يتكرر هذا الكلام ، فى السنة اللى فاتت والسنة اللى قبل اللى فاتت ، والسنة دى .. ليه ما بيفكروش الا فى العيد ، ليه ما بيفكروش الا فى عيد الثورة .. طبعا التحليل الوحيد أن أعـــدائنا .. الاستعمار والصهيونية والرجعية فى عيـد الثورة بيشعروا بالغيظ لانهم بيشـعروا ايه اللى عملتـه الثورة .. ايه عملتـه بالنسبة للاستعمار وايه اللى عملته بالنسبة للرجعية ، وايه اللى عملتـــه بالنسبة للصهيونيـــة .. لأنهم يشعروا ان هــذه الثـورة النهاردة واحنا بنبدأ السنة الـ ١٤ ليهــا ما زالت خلاقة .. شابة .. قوية .. طبعا هذا يضايقهم .. طبعا الأعياد دايما فرصة للذكريات والامانى وهم يذكرونا ويعبروا عن أمانيهم بالنسبة ليهم هى أمانى عيد ، وكـل واحد طبعا وأمانيه .. وكل واحد وأصله . سواء الرجعية .. أو اللى بيروجوا هــذا الكلام .. أصلهم من الاستعمار وأصلهم من الصهيونية ، وطبعا نحن لا نتوقع أن تـكون أمانيهم لينا أحسن من الكلام اللى بيقولوه ،بل احنا نعتقد أنه شرف لينا ان الاســتعمار والصهيونية والرجعية فى العالم كله بيحاربونا

على كل حال أعداءنا ، فى كل هذه الامور، فى كل هذه القصص ، وفى كل هذه الحكايات اللى بينشروها ، علشان يشوشوا على الثورة الثورة المصرية ، والثورة العربية ، والاذاعات اللى بيذيعوها نسيوا حاجتين .

ثورة وليست انقلابا

الحاجة الاولى ان احنا هنـــا فى ثورة ، وليست انقلاب .. ليه النظام ده قدر يعقد للسنة الاربعتاشر .. الموضوع مش مسألة ناس وصلوا الحكم وخدوا السلطة ، ده لايكفى أبدا للبقاء ، فيه فرق كبير بين الثورة وبين الانقلاب ، الانقلاب مغامرة ولا يعتبر ثورة ، والانقلاب قد يقف عند الحصول على السلطة والاستيلاء على السلطة فى حد ذاتها يــكون هدف من أهداف الانقلاب ، أما الثورة فهى الحصول على السلطة من اجل التغيير الواسع تغيير المجتمع من الواقع الذى يثور عليه ، الى المستقبل الذى يطالب به ، قد تبدأ الثورة بالقلة وان كانت أهدافها تعبر عن أهـداف الكثرة ، لكن الثورة بالعمل وبالممارسة مـن أجل تحقيق أهدافها تصل الى حد التعبير عن الكثرة وتصل الى الاستناد الى الكثرة .

عمل الثورة يتسع ويكبر وتزداد المشاركة كل يوم وكل ساعة وكل سنة .. ده معنى الثورة .. ايه اللى بيحصل فى الانقلاب ،وايه اللى بيحصل فى الثورة .. الانقلاب جماعة من الناس تتآمر ، بالمؤامرة أو بالمغامرة يصـلوا الى السلطة ، والسلطة هدفهم ، وبهذا يخشوا الناس ويتصوروا أن المشاركة تأخذ السلطة من أيديهم ، نأخذ نماذج للانقلابات ، فيــه عندنا نماذج كثير ، ولكن اذا أخذنا النموذج الواضح أمامنا ، نأخذ حـزب البعثيين فى سوريا .. حزب البعثيين فى سوريا بقـالـه عشرين سنة بيشتغل .. عشرين سنة يعمل فى السياسة .. ماذا انجـز .. قالوا انهم

حزب اشتراكى . وقالوا انهم حزب قومى . وقالوا انهم حزب وحدوى ، ولـكن هل استطاعوا أن يثبتوا هذا بالعمل .. أبدا .. الشعارات ، وليست المسألة مسألة ألفاظ لم يستطيعوا أن يثبتوا شىء .. الواقع عكس الشعارات ، وليست المسألة مسألة الفاظ وشعارات وانما المسألة حساب ، أى قوة حققها البعث .. أى انجاز حققه البعث .. أى معركة خاضها البعث .. الا معاركه المسلحة بين أطرافه المختلفة كما حصل فى العراق .

كانوا ينقلبون على أنفسهم

استولى البعث على السلطة فى العراق ، ثم سار فى طريق حمامات الدم ، لقتل القوميين والوطنيين ، وكل الناس ، ثم انقلبوا على أنفسهم بعد أن وضعوا العدد الكبير فى السجون ، وحاربوا بعضهم البعض ، وقامت معارك مسلحة بينهم وبين بعضهم فى سوريا نفس الشىء .. نفس الشىء ، البعثيين أيضا هناك .. معارك مسلحة بينهم وبين بعض .. ايه اللى عملوه البعثيين فى العشرين سنة اللى فاتت ، البعثيين شاركوا فى الانقلابات وكانوا ينظروا للانقلابات اللى حصلت فى سوريا ، طوال هذه المدة ، على أنها سبيل يمكنهم من السلطة ، وكانوا يتفقوا مع كل انقلاب ... ويتبينوا أهداف كل انقلاب ، ثم ينقلبوا على الانقلابات ، ثم ينقلبوا على أنفسهم ، ويتخانقوا مع نفسهم ، ويتنازعوا حينما لا يجدون أى شىء ينقلبوا عليه .

لم يحققوا سوى الجعجعة

طبعا ايه اللى عمله البعثيين .. ايه الانجاز اللى عملوه . ايه القوة اللى حققوها ، مفيش حاجة غير الجعجعة والانشاء والكلام ، هل هناك معركة واحدة مع الاستعمار ، أو هل هناك معركة مع اسرائيل ، هل هناك عمل واحد عمله البعثيين علشان يبقى على مر السنين ، هل هناك مشروع واحد يرمز الى طاقات العمل ، هل هناك أعمال ايجابية ، كل عملهم أعمال سلبية ، وحزب البعثيين يمثل المثل الواقع والمثل الحقيقى للانقلاب أعمال سلبية مثل حصار المدن زى ماحصل فى حماة حصار المدن اللى حصل فى حماة لا يمكن أن نعتبره عمل ايجابى ، ضرب المدن فى حماة أيضا لا يمكن أن نعتبره عمل ايجابى ، بل عمل سلبى .. حمامات الدم زى ما حصل فى دمشق ليست عمل ايجابى ، واين الحماسة التى تلقى فى المؤتمرات الصحفية أو فى المنصات ليست عمل ايجابى ، لانه كلام طبعا ، وزى ما بقول انه كلام جعجعة ولا ينفذ منه أى شىء البرقيات اللى بيبعتوها .. زى مثلا ساندوا اليمن بايه .. بيتكلموا عن اليمن وثورة اليمن وينتقدوا موقف الجمهورية العربية المتحدة فى اليمن .

ثورة اليمن اللى هى قامت ضد الرجعية وضد الاستعمار وللقضاء على حكم العصور الوسطى فى اليمن ، واللى تصدت ليها الرجعية ثم ساعدناها احنا ، وبعتنا أولادنا هناك علشان يموتوا من أجل ثورة اليمن ، ودفعنا أموالنا .. هذه الثورة البعثيين بينتقدوها .. بينتقدوها ليه .. طب عملوا ايه هم ، كل اللى عملوه انهم بعثوا تلغراف ، وقالوا انهم بيأيدوا بالقوة المعنوية ، والقوة المادية ، طب فين هى القوة المادية .. هل هم مستعدين يبعتوا قوات ، اذا كانوا مستعدين يبعتوا قوات ، احنا مستعدين نساعدهم فى نقل هذه القوات ، هل هم مستعدين يبعتوا أسلحة ، اذا كانوا مستعدين يبعتوا أسلحة احنا مستعدين نساعدهم فى نقل هذه الاسلحة .. هل هم مستعدين يساعدوا مساعدة مادية احنا ساعدنا اليمن مساعدة مادية ، وقواتنا قامت بالدفاع عن اليمن ، اذا كانوا مستعدين طبعا احنا نرحب أو نشكرهم اذا كانوا يساعدوا مساعدة مادية .

ولكن هم المساعدة اللى بيعملوها لا تتكلف أكثر من ليرة واحدة هى ثمن التلغراف اللى يحطوا فيه كلام الجعجعة والكلام الفارغ اللى بيبعتوه طبعا هذا هو الكلام السلبى .. عمل لا يخيف عدو ولا يشجع صديق ليست هكذا الثورة .. وانما اللى موجود انقلاب ، وانا ما بتكلمش عن البعث كبعث ، ولكن باتكلم عن البعث كنموذج .. ربما مثلا كنت اختار كنموذج حكم ونظام عبد الكريم قاسم

كنموذج للانقلاب ولكن عبد الكريم قاسم النهاردة بين يدى الله ، وعشان كده فضلت متكلمشعنه أتحدث عن البعث كنموذج بصرف النظر عن قيمته نموذج للانقلاب .

هذه هى الثورة

الثورة تختلف عن الانقلاب .. الثورة تغيير أساسى فى نظام المجتمع ، تبدأ بها قلة تعبر عن الكثرة ، ويتسع نطاقها تعبيرا ومشاركة بحيث يتيسر عن هذا الطريق وحده انجاز التغيير المطلوب ، الميثاق تكلم عن الثورة وقال ان الثورة بالطبيعة عمل شعبى وتقدمى ، انها حركة شعب باسره مش حركة حزب واحد محدود ، حركة شعب باسره

يستجمع قواه ليقوم باقتحام عنيد لكل العوائق والموانع التى تعترض طريق حياته ، كما يتصورها ، وكما يريدها ، كما أنها قفزة عبر مسافة التخلف الاقتصادى والاجتماعى تعويضا لما فات ، ووصولا الى الآمال الكبرى التى تبدو خلال المثل الأعلى لما يريده للأجيال القادمة ، وفى هذا فان العمل الثورى الصادق لا يمكن أن يكمل بغير سمتين أساسيتين أولاهما شعبية .. ثانيتهما تقدمية .

ان الثورة ليست عمل فرد ، والا كانت انفعالا شخصيا يائسا ضد مجتمع بأكمله ، والثورة ليست عمل فئة واحدة ، .. فئة واحدة يعنى حزب أو عصابة ، والا كانت تصادما مع الأغلبية ، وانما قيمة الثورة الحقيقية بمدى شعبيتها وبمدى ما تعبر به عن الجماهير الواسعة هذا ما جاء فى الميثاق عن الثورة .

فى مصر مثلا أن اللى حدث قامت طليعة ، ولكن قيمة هذه الطليعة فى تعبيرها عن ارادة وأمانى المجموعة ، عمل طويل سنة بعد سنة ، وشهر بعد شهر ، ويوم بعد يوم ، الانجازات والعمل والمعارك والانتصارات والتجارب ملء الدنيا وأنا ما باقولش هذا الكلام لنفتخر ، ولكن أنا بأقول هذا الكلام لأعطى للشعب ماهو حق للشعب ، اول شىء تحقق الثقة بالنفس ، المقدرة على الحركة ، والقدرة على التغيير .. الثورة كسرت القيود وحطمت الأغلال ، وتخطت المخطورات ، الثورة اللى احنا النهاردة بدأنا السنة الـ ١٤ اليها استطاعت من أول يوم أنها .. الطليعة القائدة تعمل فى القوات المسلحة . والشعب بأجمعه يساندها ، لأنها عبرت عن ارادته مش عبرت عن ارادة قلة حزبية ، أو عبرت من ارادة عصابة مغامرة ، الثورة عبرت عن ارادة الشعب ، اذن الشعب سار مع الثورة ، وبهذا استطعنا من أول يوم أن نحقق كل هذه المنجزات .

من أول يوم استطعنا أن نتخلص من الملكية من يوم ٢٦ بعد الثورة بأربع أيام ، وبعد كده بدأنا فى القضاء على الاقطاع وتخلصنا من الاقطاع وحددنا الملكية ، .. وغيرنا وجه المجتمع فى الريف ، والفلاح بعد ما كان عبدا للأرض أصبح سيدا للأرض ، ثم حاربنا مع الاستعمار كان عندنا ٨٠ الف عسكرى انجليزى فى بلدنا حاربناهم ، وطلعوا ، طلع الشعب ..طلعوا فدائيين الى منطقة القنال وراحوا حاربوا هناك ، الانجليز ماطلعوش بالمفاوضات بس اللى احنا عملناها ، لا . الانجليز طلعوا بالكفاح وبالقتال وبالنضال اللى قام به هذا الشعب .. بعد كده استطعنا أن نحقق الجلاء .. بعدين ، وأعلنا الجمهورية ، وسرنا فى كسر احتكار السلاح ، واستطعنا أن نقضى على احتكار السلاح ، بعد كده استطعنا ان نسترد حقوقنا فى قنال السويس ، أممنا القنال ، وبعدين بنينا السد العالى ، وبعدين بدأنا فى هذا ، بعدين تعرضنا للعدوان الثلاثى عدوان انجلترا وفرنسا واسرائيل ، استطعنا أن ننتصر ، وبعدين تعرضنا للحصار الاقتصادى فى سنة وماكنش عندنا أى احتياطى من العملة الأجنبية ، واستطعنا أن ننتصر ونتغلب على الحصار الاقتصادى ، بل بدأنا التصنيع تحت الحصار الاقتصادى ثم تصدينا لحلف بغداد واستطعنا ان نسقط حلف بغداد ، ثم سرنا فى طريق الوحدة وطريق القومية العربية ، واقمنا وحدة

مع سوريا ، ٠٠ لم نتردد لأننا كنا نشعر أن هذا هو أمل العرب ، وأن هذه هى أمانى الأمة العربية ٠٠ وكان هذا عمل وانجاز تاريخى ٠٠

ثم أممنا المال ، أممنا الصناعة ٠٠ أممنا التجارة الخارجية ثم قوانين يوليو سنة ٦١ سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ثم رغم هذا كله صمدنا لمؤامرة الانفصال ، ٠٠ وكلنا نعرف فى وقت الانفصال كان هناك تآمر علينا من الاستعمار والصهيونية والرجعية ، كانوا بيعرفوا ان الانفصال معناه انهيار ثورة ٢٣ يوليو ٠٠

شعبنا حافظ على وحدته

ولكن هذا الشعب ٠٠ هذا الشعب الواعى استطاع ببصيرته النافذة، أن يحافظ على وحدته ٠٠ وبهذا استطعنا ان نصمد لمؤامرة الانفصال ثم بعد هذا حددنا برنامج محدد للعمل فى جميع مجالاته ٠٠ هذا البرنامج ممثلا فى الميثاق الذى أقره المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ، ثم سرنا فى تصفية الامتيازات الطبقية وبناء القوة الذاتية الاقتصادية ، واقامة حياة ديمقراطية سليمة ثم عملنا على بناء الصواريخ وبناء الطيارات ، وبناء القوة العسكرية الرادعة الفعالة ، ضد عدوان اسرائيل ،واحتمال عدوانها ، ومواجهة كل مؤامرات اسرائيل كل هذا من منجزات الثورة ٠٠ ثم ساندت ٠٠ ساندت هذه الثورة العربية فى اليمن ٠ الى الجزائر الى العراق ٠٠ الى كل مكان يتحرر فيه شعب ثائر يسعى الى تحقيق أمله ٠٠

علاقاتنا مع العراق قوية

احنا النهارده معرضين أيضا لحملة دعاية من أعدائنا ، على أساس أن هناك سوء تفاهم بين العراق وبين مصر ، وان هناك فتور بين العراق وبين مصر ، طبعا بنقول ان هذه الحملات لن تؤثر فينا ، ان علاقتنا قوية ٠٠ علاقة مصر ببغداد علاقة قوية ، كما كانت قوية ، وستبقى قوية باذن الله لأننا نسير فى هدف واحد ، ومن أجل صالح الأمة العربية كلها ، لا نسير على أساس سياسات مرحلية أو سياسات تكتيكية ، ٠٠ اتفقنا على الوحدة ، ولكن الوحدة تحتاج الى عمل كبير ، وتحتاج الى جهد واخواننا فى العراق أمامهم معركة كبيرة ضد الاستعمار ، وضد الصهيونية ، وضد الرجعيين ، والقوميين فى العراق محتاجين الى الوحدة الوطنية ، ونحن نؤيد الرئيس عبد السلام عارف ، ونضع يدنا فى يده من أجل مصلحة الأمة العربية ، من أجل الأهداف العربية ، وتحقيق الأهداف العربية، وسنتعاون جميعا على رد أكاذيب الصهيونية وأكاذيب الاستعمار وأكاذيب الرجعية ، ٠٠ وبهذا تسير الثورات العربية فى طريقها ..تسير فى طريقها قوية فعالة ، واحنا ساندنا ثورة العراق ، ونساند ثورة العراق ضد كل المؤامرات، وضد العدوان الذى يحيط بها ٠٠ أعداء التحرير العربى ، وأعداء الوحدة العربية ، وأعداء الأمة العربية ٠٠

أيها الاخوة ٠٠

أن هذه بعض المنجزات ، ولكن فى السياسة الدولية سرنا فى عمل نشيط دولى ٠٠ تجلت ذروته خلال العام الماضى ٠٠ فى عقد مؤتمر القمة الافريقى ٠٠ ومؤتمر دول عدم الانحياز ٠٠ أنا باقول هذا الكلام باختصار ، وانتم كلكم عارفينه ، وسمعتم عنه كثير ، ومابقلش وماتكلمتش عنه كتير ٠٠ ومابقلش عن التصنيع صرفنا فى الخمس سنين اللى فاتت الفين مليون للتنمية وللتصنيع ، ومابتكلمش على المنجزات الأخرى لأن مش مناسبة الكلام عن هذه المنجزات ، ولكن باقول ان فيه ثورة هنا غيرت وجه المجتمع ٠٠ ثورة استطاعت أن تعمل على تحقيق آمال الجماهير ٠٠

الشعب المصرى ٠٠ مشكلة العدو

ولكن زى ما قلت لكم أعداءنا فى أمانيهم لنا ، التى يعدون عنها فى كل عيد ، بينسوا حاجتين ٠٠ الحاجة الأولى ان هذه ثورة وليست انقلاب ٠ وانا اتكلمت عن هذا الكلام ٠٠ وشىء ثانى اللى عايز اتكلم عنه ، ان المسألة مش مسألة شخص أو فرد تتركز أمانيهم فى

الخلاص منه ٠٠٠ ده تبسيط للمشكلة ٠٠ مشكلتهم الحقيقية فى مصر هى معاكم أنتم ، مشكلتهم شعب مصر ، مش مع جمال عبد الناصر كفرد ،

هم متصورين انهم اذا تخلصوا من جمال عبد الناصر أو اذا استطاعوا ان يؤثروا تبقى خلصت

مشكلتهم ، بقول لهم أبدا ٠٠ أى فرد ماذا يستطيع أن يفعل ٠٠؟

الشعب هو الذى حمل السلاح

فى يوم الثورة مثلا ٠ يوم ٢٣ يوليو سنة ٥٢ مين اللى حقق النجاح ٠٠ هل هو جمال عبد الناصر أو مجموعة الضباط الأحرار ،ابدا

مجموعة الضباط الأحرار كانت حركة الطليعة، وكان يمكن القضاء عليها بسهولة ، مهما كانت

بسالتها ، لو لم تعززها الاستجابة الفورية للشعب ، لجموع الشعب ، فى مباحثات الجلاء ٠ أنا كنت قاعد على مائدة المفاوضات ، لكن القوى الضخمة كانت فين ، القوة الضخمة

لما وصلنا اليه تحققت بالمناضلين ، الناس اللى حملوا السلاح واللى راحوا قنال السويس وماتوا واستشهدوا هناك ، أنا فى المفاوضات شايل سلاح ، ماكنتش بأقاتل فى قناة

السويس ، لكن الشعب كان بيحمل السلاح ، والشعب كان يقاتل فى قنال السويس ، أنا شاركت فى قرار تأميم قنال السويس ، ولكن قرار التأميم ماكانش يساوى حاجة أبدا اذا لم

يستطع شباب مصر القوى القادر أن يدير قنال السويس بنجاح ، فى سنة ٥٦ لما تعرضنا

للعدوان ووجه الى انذار من بريطانيا وفرنسا ان احنا نسلمهم بورسعيد والاسماعيلية والسويس فى ظرف ١٢ ساعة والا بيعلنوا

الحرب علينا أنا رفضت هذا الانذار فى الحال ، رفضت هذا الانذار وماشلتش سلاح ، ومين اللى حمل السلاح ٠٠ حمل السلاح شباب مصر ورجال مصر ونساء مصر هم اللى طلعوا قاتلوا

٠٠ دى الحاجات اللى هم ناسينها ٠ دى الحاجات اللى هم نسينها ، السد العالى دخلنا

معركة علشان السد العالى ٠٠ مين اللى بيبنى السد العالى ٠ المهندسين والموظفين والعمال اللى هم بيبنوا السد العالى ٠

٢٠٠٠ مليون جنيه دفعها الشعب

ناديت بالتصنيع ٠٠ لكن مين اللى عمل ٠٠ مئات الألوف من المهندسين هم اللى عملوا مصانع ٠٠ والعمال والمديرين صنعوا بعملهم الواسع الضخم أكبر قاعدة صناعية هنا فى الشرق الأوسط ، صرفنا فى الخمس سنين اللى فاتت أكثر من ٢٠٠٠ مليون جنيه على التنمية والتصنيع ٠٠ أنا معنديش هذه الفلوس ٠٠ مين اللى دفع الفلوس دى ٠٠ انتوا اللى دفعتوا هذه الفلوس ٠٠ دفعها الشعب ٠٠ وضحى الشعب علشان نصنع وعشان ينمى بلده وعشان يبنى القاعدة الاقتصادية القوية ٠

الثورة بأقول لهم ليست فرد ٠٠ اذا كانوا يتخلصوا منه بتتحل مشاكلهم ، ولا عدة أفراد اذا كانوا بيتخلصوا منهم بتتحل مشاكلهم ، والثورة فى بلدنا تختلف عن الانقلاب ، الثورة شعب ، الثورة هى تغيير مستمر بالشعب وبآمال هذا الشعب ، أما الانقلاب فهو عبارة عن عصابة أو اغتصاب للسلطة ،احنا معندناش هنا انقلاب عندنا ثورة شعبية تجمع كل قوى الشعب العاملة المتحالفة على تنفيذ الميثاق ، وعلى تنفيذ الاشتراكية والديمقراطية السليمة

الشعب مصدر القوة

لنفرض أيها الأخوة ان شىء حدث لجمال عبد الناصر ، أو لأى فرد من قيادة هذه الثورة ، هل هذا سيمكن الأعداء من هذا الوطن ، أو سيمكن لهم الأمان ، أبدا لن يمكن لهم الأمان ٠٠ ان المسألة فى الحقيقة ان مصدر القوة العظيمة للثورة هنا ، ان الشعب قد تحرر ، وسوف يقدم الرجال واحدا بعد واحد ، يصنع المعجزات معجزة بعد معجزة ، فى ثبات وفى عزم وفى دوام ، والله يوفقكم والسلام عليكم ورحمة الله ٠

زعماء العالم الاسلامى

وفود الدول العربية تشارك القاهرة في أعياد الثورة

وصلت الى القاهرة وفود الدول العربية الشقيقة للتهنئة والمشاركة فى احتفالات الذكرى الثالثة عشرة لثورة يوليو المجيدة .. وهذه الوفود هى :

وفد العراق برياسة الفريق طاهر يحيى رئيس الوزراء ، والوفد العسكرى العراقى برياسة اللواء عبد الرحمن عارف وكيل رئيس أركان حرب الجيش .

ووفد عسكرى جزائرى برياسة القومندان محمد صالح يحياوى عضو مجلس الثورة .

ووفد عسكرى يمنى برياسة العقيد حسين السكرى نائب رئيس أركان حرب الجيش .

ووفد عسكرى من المغرب برياسة الجنرال حمو ام حزون .

ووفد من السودان برياسة العميد على حسين شوقى

ووفد من الكويت برياسة المقدم فريد عبد الرحمن الصانع .

ووفد من الاردن برياسة أمين اللواء الركن محمد اسحق .

***

وفى المؤتمر الشعبى الكبير الذى أقامه الاتحاد الاشتراكى العربى يوم ٢٢ يوليو ، ألقى الفريق طاهر يحيى رئيس وزراء العراق كلمة قال فيها :

.. يشرفنى ويسعدنى أن أحمل اليكم تحيات رئيس الجمهورية العراقية المشير الركن **عبد السلام محمد عارف** وتحيات الشعب العراقى وحكومته الوطنية .. وأنا أبارك باسمهم هذا اليوم الأغر .

أن هذا اليوم الذى تحتفلون به وتشاركم الأمة العربية بأفراحه ومباهجه لهو يوم الأمة العربية جمعاء فى تاريخها الحديث وبداية انطلاقتها الثورية الى التحرر والبناء .. تحرر الأمة العربية من التبعية واستقلالها بالسيادة وبناء مجتمعها العربى الوحدوى الاشتراكى ، مجتمع الكفاية والعدل .

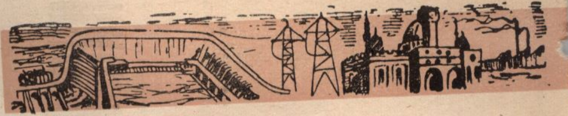

فى القاهرة

السيد الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل الوفد العراقى برئاسة الفريق طاهر يحيى رئيس وزراء العراق

سيدى الرئيس .. ان ثورة الثالث والعشرين من يوليو بمضمونها التحررى التقدمى هزت الكيان العربى من المحيط الى الخليج هذا ونفحت به روحا ثوريا تقدميا ظهرت آثاره فى ثورات عربية متعاقبة أدت فيما أدت الى استقلال أقطار عربية كانت يومها خاضعة للاستعمار ومحرومة من نعمة الاستقلال . والى تحرر أقطار عربية أخرى كانت يومها تابعة للاستعمار أو ضالعة فى ركابه أو مشدودة الى أنظمته الاستعمارية الاحتكارية الرجعية .

ان ثورة الثالث والعشرين من يوليو أمدت ولا تزال تمد الشعب العربى بطاقات تتفجر هنا وهناك انتفاضا على التبعية وقضـــاء على الاستغلال وأهلا بأساليب الاشتراكية العربية ونزوعا للوحدة اشاملة واستشعارا بأن مصير أمتهم واحد وهدفهم واحد وأنه لاسبيل الى تحقيق الأهداف وبلوغ المصير الا بالسير على هدى من ثورة الثالث والعشرين

ان ثورة ١٤ تموز التىاحتفلنا بها قبلأيام كانت امتدادا وامدادا لثورتكم ٠وان ثورة ١٤ رمضان وثورة ١٨ تشرين كانت تصحيحا للانحراف وتوجيها ووضـــعا لها على طريق ثورتكم ٠

وان العراق وقد وضع يده فى يدكم ووصل ثورته بثورتكم ووحد أهدافه وأهدافكم ليعاهدكم الله على السير قدما فى سبيل بلوغ الاهداف العليا فى الحرية والاشتراكية والوحدة ٠ وانه يعتبر هذا اليوم من أيام العروبة الخالدات ٠ ومنطلقا مشـــتركا الى أمانى الامة العربيـــة جمعاء ٠

ان ثورة ٢٣ يوليو بقيادتكم ياسيدى الرئيس وثورة ١٤ من تموز بقيادة أخيكم الرئيس عبد الســلام محمد عارف وضعت بأيديكما قيادة شعب الجمهورية العربية وشعب العراق المتمثل فى القيادة السياسية الموحدة فسيرا يدا بيـد لتحقيق الوحدة ونحن من ورائكما جنودا مخلصين لكما ولأهداف أمتنا العربيـة السامية ٠

حيا الله شعب الجمهورية العربية المتحدة ٠ ورئيسه وحكومته وعاشت ثورة ٢٣ يوليـــو ولتعش الأمة العربية ٠٠ والله أكبر والعـــزة للعرب ٠ »

***

وقبل أن يغادر الفريق طاهر يحيى القاهرة عائدا الى العراق على رأس الوفد الذى رافقه، فى حضور احتفالات عيد الثـورة أعرب عن شكره للرئيس جمـــال عبـد الناصر وعن اعجابه لما حققته ثورة ٢٣ يوليو من مكاسب وقال اننا نعود الى بلدنا الثانى بعد أجرينـــا اتصالات قوية مع القائد الرائد **الرئيس جمال عبد الناصر** ٠

واننا نحمل تحيات الرئيس عبـــد الناصر وشعب الجمهورية العربية الى الرئيس عارف وشعب العراق ٠

الوفد الجزائرى يجرى محادثات هامة فى القاهرة :

وقد صرح القومندان محمد صالح يحياوى عضو مجلس الثورة الجزائرى أن العـــلاقات بين الجزائر والجمهورية العربيـــة المتحدة علاقات طبيعية قوية لم يطرأ عليها أى تغيير — وقد مكث سـيادته بالقاهرة أربعة أيام أجرى خلالها محادثات مع المسئولين فى الجمهورية العربية المتحدة لتدعيم العـــلاقات الجزائرية العربية ٠٠

وصرح قبـــل مغادرته القـــاهرة عائدا الى الجزائر بأنه ابلغ الرئيس **جمال عبد الناصر** رسالة شفوية من العقيد **هوارى بومدين** ٠٠ وقال أنه يحمل رسالة شـفوية من الرئيس عبد الناصر الى بومدين ٠٠كما يحمل تحيات الرئيس الى الشعب الجزائرى ومجلس الثورة

وقال أنه بحث مع المسئولين فى الجمهورية العربية خلال هذه الزيارة تنســيق جهـــود البلدين فى المؤتمرات القادمة وهى مؤتمر القمة العربى الذى سـيعقد فى ســـبتمبر بالدار البيضاء بالمغرب ومؤتمر القمة الافريقى الذى سيعقد بأكرا فى شـــهر أكتوبر ٠ والمؤتمر الاوفرو أسيوى الذى سيعقد فى الجزائر خلال شهر نوفمبر ٠

وكذب صـــالح يحياوى مزاعم الاذاعات والصحف الاســـتعمارية عن وجود أزمة فى العلاقات العربية الجزائرية وقال انها شائعات كاذبة لا أساس لها من الصحة وقال أيضا عن علاقات الأخوة بين البلدين لاتشوبها شائبة »

أحمد سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا :

بناء على دعوة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة قـــام الرئيس احمد سيكوتورى رئيس جمهـورية

أحمد سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا فى القاهرة

غينيا بزيارة رسمية للجمهورية العربية المتحدة فى الفترة من ٤ الى ١٦ اغسطس ١٩٦٥

وقد دارت بين الرئيسين فى هذه الزيارة محادثات ودية واخوية اتسمت بطابع الصداقة والتفاهم . ثم صدر البيان المشترك وفيه اعرب الرئيسان جمال عبد الناصر واحمد سيكوتورى عن قلقهما البالغ لتدهور الموقف فى فيتنام .. وطالبا بضرورة وقف الغارات الجوية على جمهورية فيتنام الديموقراطية . وبذل كافة الجهود لاقرار السلم وتحقيق أمانى شعب فيتنام .

كما أكد الرئيسان العربى والغينى فى بيانهما المشترك أهمية الدور الذى تقوم به الدول غير المنحازة من أجل السلام ووقف التدهور فى الموقف الدولى . وعبر الرئيسان عن عزمهما على مواصلة الجهود لانجاح المؤتمر الافريقى الاسيوى الذى سينعقد بالجزائر فى ٥ نوفمبر القادم .

واتفق الرئيسان على ضرورة مواصلة العمل من اجل تحقيق نزع السلاح الشامل ومنع انتشار الاسلحة النووية

واعلنا تأكيدهما للقرارات التى اتخذها مؤتمر القاهرة للدول غير المنحازة بهذا الصدد .

واستنكرا التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا والسياسة الاستعمارية الصهيونية فى فلسطين . كما بحث الرئيسان الوضع فى الكونغو ..

ونددا بالسياسة العدوانية للقوى الاستعمارية فى جنوب شبه الجزيرة العربية كما أيدا كفاح شعب عمان ضد الاستعمار والتدخل الاجنبى .

وقد استعرض الرئيسان العلاقات الوثيقة التى تربط بين بلديهما وسجلا باغتباط تطور هذه العلاقات الودية واكدا تصميمهما على زيادة دعمها فى كل الميادين .

واتفق الرئيسان على استمرار التشاور وتبادل وجهات النظر فيما بينهما ومواصلة العمل المشترك مع الدول غير المنحازة وكافة الدول التقدمية من أجل دعم حركة الحرية والكفاح ضد الاستعمار واقرار السلام العالمى .

وقد جدد الرئيس سيكوتورى دعوته للرئيس جمال عبد الناصر لزيارة جمهورية غينيا وقد قبل الرئيس الدعوة شاكرا

حديث عن الإخلاص ...

من بلد الزعيم القائد ...

في مؤتمر الاتحاد الاشتراكي العربي بأسيوط ١٩٦٤/٦/١٦

السيد حسين الشافعي

نائب رئيس الجمهورية

بسم الله الرحمن الرحيم .. والحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على سيد المرسلين .

ان خير مايرتفع من الأرض الى السماء هو الاخلاص .. وخير مايهبط من السماء الى الأرض هو التوفيق ، وما كان لله دام واتصل . وما كان لغير الله انقطع وانفصل .

نحن الآن فى مجال حديث من القلب الى القلب ، نحاول به أن نستوضح الأمر فيما بيننا وبين انفسنا حتى نستشعر أننا بحق فى مرحلة الانطلاق العظيم لتنظيمنا السياسى .. وهذه المرحلة تتطلب منا جميعا ان نقف وقفة جادة نتحدث فيها بكل احترام لآراء الآخرين .

لقد بدأت الحديث بكلمة عن الاخلاص لأنه لايوجد مجال أقرب الى النفس من ان نبدأ الحديث به فى أسيوط التى كانت منبتا للأخ البطل جمال عبد الناصر .

فاذا كنا نعيش هذه الايام التوفيق كل التوفيق فى المجال المصرى والمجال العربى والمجال الدولى بفضل هذه القيادة الرائدة الراشدة ، فانما لأن هذا التوفيق يقابله اخلاص لاحدود له . فنحن لم نسمع أن من بين رؤساء الدول كلها من يعمل فى اليوم كما يعمل رئيسنا جمال عبد الناصر .. وهو حين يعمل انما تقف أمامه صورة لاتبارح ذهنه على الاطلاق .. تلك الصورة هى لمن نعمل ؟ هل نعمل لفئة متميزة ؟ هل نعمل لاشخاصنا ؟ هل يعمل لذاته ؟ .. كلا والله .. انه وهو يعمل انما يتمثل العامل فى مصنعه ، ويتمثل الفلاح الذى لايقيم ظهره طول اليوم من أجل لقمة العيش .. انه يستشعر المسئولية الكبرى التى وجه الله اليها رسوله فى قوله« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا »

أيها الأخوة : ان قيادة هذا شأنها .. وشعبا هذا معدنه لهو صاحب الفضل الأول على القيادة التى أخرجها .. هذا الشعب هو الشعب المعلم .. فان كان جمال عبد الناصر موضع تقدير الدنيا بأسرها فلأن هذا الشعب هو الذى انشأه فهو الأصل وهو الأساس بطاقاته الواسعة وقيمه ومثله التى نراها مجسدة مجسمة فى شخص رئيسنا جمال عبد الناصر .

نحن نجتمع اليوم لنجعل فى محاولتنا من اقامة الاتحاد الاشتراكى العربى تمثيلا لهذا الشعب يتصدى للقيادة لأن الشعب هو الابقى ، وهو الذى سيواصل الكفاح على مر الزمن . اذن نحن احوج ما نكون لان نعطى كل شىء لهذا البناء ضمانا لاستمرار الروح الثورية التى آلت على نفسها أن تغير ما كنا عليه قبل الثورة تحقيقا لقول الله تعالى

« ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

من هنا نستطيع أن نقدر مدى مسئولية الاتحاد الاشتراكى العربى ..

نحن لا يمكن أن نقصر هذه المسئولية على اجتماع يقوم ثم ينفض ،أوالبحث عن مقر للاتحاد ، ان الاتحاد الاشتراكى العربى روح ثورية شاملة يتمثلها كل فرد لأنه أمين أولا وأخيرا على ثورته التى يشعر بأنه يجب أن يندفع بها الى مجالها الطبيعى وآفاقها التى لاتحد .

وفى هذا المجال لابد لنا من الحديث عن الاشتراكية لا على أنها لفظ يتردد دون أن نعيه وعيا كاملا .. ان الاشتراكية هى أن نشترك جميعا فى بناء أمتنا ، وان ننال جميعا شرف البناء فى هذه المرحلة التاريخية الكبرى حتى يأتى كل فرد فيفخر بانه عاش زمان جمال عبد الناصر وساهم بجهده فوضع لبنة فى بناء الاشتراكية . لتقوم حضارة مصر كأمة عربية كان لها الحضارة والصدارة فى ماضيها ، فتصل الماضى بالحاضر وتندفع نحو مستقبل لا حدود له .

وليست الاشتراكية هى المشاركة فى الجهد فقط ، ولكنها أيضا المشاركة فى خير هذه الأمة ومن ثروتها .. فاذا كنا نقول ان اشتراكيتنا كفاية وعدل تزيد الانتاج وتعدل فى التوزيع فتؤمن الفرد على يومه ومستقبله ومستقبل أولاده من بعده فيشعر بعزته فى وطنه ، كريم فى بلده ، حر يشعر بالحرية الكاملة .. لاحساسه بعدالة اجتماعية لا حدود لها . هنا فقط ينفتح الباب على مصراعيه للديموقراطية الحقة وتباشر على أساس واقعى سليم .

فاذا كنا نقول ان الاتحاد الاشتراكى العربى هو قاعدة الديموقراطية السليمة فذلك لاننا قد انتهينا من كل ما كان أمامنا من عقبات .. فأصبح لا استعمار ، ولا اقطاع ، ولا سيطرة رأس المال ، وأخيرا اتخذت خطوات واسعة وجبارة فى سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية بما يشعر كل فرد أن له نصيبا فى ثروة بلده

اذن لقد بدىء بالديمقراطية السليمة من يوم قيام الاتحاد الاشتراكى العربى ، الذى لم يبدأ من فراغ وانما سبقته هيئة التحرير والاتحاد القومى حيث كان لكل دوره كتنظيم سياسى كانت الظروف المحيطة به تحتم وجوده .

والمعركة الاجتماعية تختلف عن المعركة السياسية ففى المعركة السياسية كان كل الناس يحسون بأن البلد بلدهم . والذين كانوا أكثر احساسا بأن هذه البلد هى بلدهم هم الفئات العاملة .. ولوقت قريب لازلنا نذكر أن دخول الجندية فى الماضى كان وقفا على الذين لا يستطيعون دفع البدل ، وكان فى ذلك مذلة ما بعدها مذلة ، وكان فى ذلك شىء من التعالى الطبقى للفئات القادرة على دفع البدل ليفلتوا به من حمل السلاح فى سلك الجندية . غير أن الجندية قد اصبحت اليوم شرفا كما أصبح العمل كذلك شرفا وحقا كما جاء فى الميثاق بعد ان كان العامل فى الماضى ينظر اليه على أنه على هامش الحياة واليوم أصبح من يعمل بيديه هو الجدير بأن يكون له حق الحياة وحق الرعاية الكاملة لا على أساس طبقى ولكن على أساس . من اذابة الفوارق وبذلك نعود الى طبيعة الجنس الجنس البشرى « كلكم لآدم وآدم من تراب »

ونعود للحديث عن الاشتراكية فنقول : انها معركة من نوع آخر .. معركة مع الذين لا تتمشى مصالحهم مع العدالة فيجب تنحيتهم عن طريقها ، لأنهم يرون أنهم أطراف معتدى عليهم لعدم فهمهم للاشتراكية الحقيقية . أما اذا كانت روحهم اشتراكية تستهدف العدل الحقيقى فينبغى عليهم أن يكونوا أول من يتحمسون له ويحبونه كما قال الحديث الشريف ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه))

لقد جاء مؤتمر قوى الشعب فاتخذ قرارات محددة من بينها تفويض الرئيس جمال عبد الناصر باقامة لجنة تنفيذية تتخذ الخطوات اللازمة لقيام الاتحاد الاشتراكى .. وفى تقرير المؤتمر كان تحديد لصفة الفلاح والعامل ، وكان هذا .. التحديد لحماية الاشتراكية وحماية التنظيم حتى لا يتسلل أناس بذاتهم الى هذا التنظيم محافظة عليه وليس عداء لهؤلاء الناس .

فاذا جئنا نقول ان الاتحاد الاشتراكى هو تحالف قوى الشعب العاملة فلاننا نريد بذلك أن نحمى الاشتراكية ، ونحمى الذين ظلموا قبل الثورة حتى يأخذوا مكانهم الطبيعى فى مجتمع الكفاية والعدل .

بهذا المفهوم .. نجتمع اليوم مع امناء السر وامناء المراكز بوحدات محافظة اسيوط وعلى رأسهم أعضاء مجلس الأمة الذين يسرنا انضمامهم الينا ، مما سيجعلهم يتفاهمون مع قاعدتهم الأولى فى المحافظة على كل مايعرضونه فى مجلس الأمة فيتم الترابط الحقيقى بين هذه المنظمة التشريعية الكبرى وبين القاعدة الشعبية الكبيرة للاتحاد الاشتراكى العربى .

أيها الاخوة المواطنون

قصدت من هذا الحديث أن نجتمع معا على وحدة فكرية فى الاساسيات وحدة فكر أولا .. ثم أناس يؤمنون بهذا الفكر .. ثم ترابط وتعاطف فى هذا الفكر بحيث يمكن الاندفاع فى مجال العمل والبناء بروح موحدة وقلب واحد .

لدينا سبعة آلاف وحدة فى كل الجمهورية .. منهم ٣ آلاف فى القرى ، والباقى موزع بين المصانع والاحياء والمستشفيات والمدارس والمصالح والمؤسسات .. والجامعات فتجمعت بذلك كل فئات الشعب وتجمعاته الواعية ، وأصبح لا ينقص هذه القاعدة المتجمعة سوى الاسلاك الموصلة وهى عبارة عن الروابط والعلاقات بين هذه الوحدات التى تنتظم أكثر من خمسة ملايين مواطن . ولجان الاتحاد الاشتراكى هى المجال الحيوى لاحساس الناس بما يحيط بها من كل المشاكل ، وهى التى توجه فى كل مشكلة حينما تحس بها سواء عن طريق الاجتماع أو الزيارة أو المؤتمرات أو عن طريق التوصية او القرار بحيث تكون نبضات الجماهير محسوسة من أعلى المستويات .

لقاء مع اول سفير لجمهورية موريتانيا الإسلامية بالقاهرة

السيد الحضرامى بن خطرى

في ١٩ يوليو ١٩٦٥ ـ احتفل فى قصر الجمهورية بتقديم أوراق اعتماد السيد الحضرامى بن خطرى سفيرا فوق العادة ومفوضا لجمهورية موريتانيا الاسلامية بالقاهرة

وقد ألقى سيادته كلمة قال فيها :

ـ انه لمن دواعى سرورى أن حظيت باختيار رئيس الجمهورية الاسلامية لموريتانيا السيد المختار بن داده لأكون أول سفير لبلادى لدى سيادتكم • وان أحمل اليكم شخصيا والى شعب الجمهورية العربية المتحدة أطيب التمنيات ••

وان بلادى لتفخر بموقعها الجغرافى وتكوينها العنصرى مما يجعلها صلة الوصل الطبيعية المتينة التى تربط مختلف التراثات الافريقية المختلفة • وان استمرار نجاح بلادى وسرعة تقدمها الاجتماعى والاقتصادى لمن النتائج الطيبة لسياستها الخالدة سياسة الحياد وعدم الانحياز والتعاون مع كل الشعوب على أساس تبادل احترام السيادة ••

ومضى فقال : اننى أود القول بأنكم الزعيم العربى الافريقى الذى شهدناه يحطم أساطير قديمة طالما أملت على نفسية الافريقى وأدخلت فى روعه وجوب الاستكانة والمذلة والرضا بالخضوع • وان شعبنا ليتتبع باهتمام واعجاب بالغين تلك الأعمال الجليلة التى قد تم بها هذا الشعب الكريم من نصر الى نصر ومن مفخرة الى أخرى • وان ثورتكم ـ ثورة شعب الجمهورية العربية المتحدة ـ قد أصبحت حديث العصر بأمجادها الخالدة ونتائجها الجبارة وفى مقدمتها السد العالى أعجوبة القرن العشرين •

ثم قال : ان وحدة التاريخ والمصير والهدف لها أكبر العوامل التى تحتم بعث وتمتين تلك العلاقات التقليدية التى ستزداد يوما بعد يوم بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية الاسلامية الموريتانية وتعاونهما البناء فى كل الميادين • وفى القاهرة الآن ما يزيد على الثمانين من طلاب العلم الموريتانيين يتلقون العلوم فى الجامعات والمعاهد المختلفة ، وعندنا أطباء ومدرسون عرب • كما أننا نشعر بأن اقوى

هذه الروابط وأكثرها استمرارا هى رابطة الدين الاسلامى الحنيف » .

رد الرئيس جمال عبد الناصر
ورد الرئيس بالكلمة التالية :

« يسعدنى أن أستقبلكم كأول سفير لجمهوريه موريتانيا الاسلامية الشقيقة . وأشكركم على عبارات التحيه والأخوه . واننا نتتبع بالتقدير البالغ كل نواحى النهضه وعوامل التقدم التى تحققونها فى جمهورية موريتانيا بعد أن نالت استقلالها، وكذلك فاننا نتتبع باهتمام جهود جمهورية موريتانيا الاسلامية لتأكيد الحرية والاستقلال لهاولغيرها من الدول . اننا نعتبر موريتانيا شقيقة ، سوف نبذل كل ما وسعنا الجهد لتدعيم أواصر الأخوة والصداقة بين شعبينا وتحقيق التعاون المشترك فى جميع الميادين بين بلدينا حتى تزداد علاقات الأخوة على مر الأيام .

وأرجو فى هذه المناسبة أن تبلغ الرئيس المختار بن داده كل تحياتى وتحيات شعب الجمهورية العربية المتحدة وحكومته ، وتمنياتنا له بالسعادة والنجاح .. كما أرجو أن تحمل الى شعب موريتانيا الصديق كل تمنياتنا له بتحقيق آماله فى التقدم والرخاء .

والسيد الحضرامى بن خطرى

ولد عام ١٩٢٧ فى قرية (تجنيجانت) وهى قرية تاريخية فى وسط موريتانيا . تلقى دراسته الابتدائية فى المدرسة العربية الفرنسية بكيفا بموريتانيا ومدرسة بوتيليمت . وتخرج عام ١٩٤٤ وكان الأول من ٥٠ طالبا فى الصف.

ثم التحق بالمدرسة الثانوية فى (روسو) وتخرج منها عام ١٩٤٧ ، حاصلا على الدبلوم العربى الفرنسى . وبعد ذلك عين بالمجلس الاستشارى الاقليمى حيث شغل منصب الأمين العام المساعد حتى عام ١٩٤٩ ، ثم عين أمينا عاما فى الادارة فى منطقة الحوض بموريتانيا . وفى عام ١٩٥٠ كان من بين مؤسسى أول حزب سياسى موريتانى وهو (حزب الوفاق الموريتانى) . ومن سنة ١٩٥٢ الى سنة ١٩٥٦ شغل منصب ترجمان فى دائرة (نوافيبو) وكان رئيس المركز الثقافى بهذه القرية .

ومن سنة ١٩٥٦ الى سنة ١٩٦٠ كان رئيسا للمؤسسة التعاونية والارشاد فى منطقة الحوض ، وأمينا فى الدائرة العامة ، وأمينا عاما لفرع حزب التجمع الموريتانى ..

وفى يوليو ١٩٦٠ ترأس حزب الاتحاد الوطنى الموريتانى وكان هذا الحزب يكون فرقة من حزب المنظمة الفيدرالية الافريقية .F.A. وكان بصفته رئيس حزب الاتحاد الوطنى عضوا فى اللجنة التنفيذية لحزب المنظمة الفيدرالية الافريقية ..

وفى نوفمبر ١٩٦١ – شارك فى أعمال المائدة المستديرة للأحزاب الموريتانية التى تمخضت عن حزب الشعب الموريتانى .. وبعد ذلك عين أمينا عاما لشئون الخارجية بحكومة موريتانيا من يوليو ١٩٦١ الى سبتمبر ١٩٦١، .. ثم شغل منصب وزير العدل والتشريع للحكومة الموريتانية من سبتمبر ١٩٦١ الى أكتوبر ١٩٦٢ وعين عضوا فى المكتب السياسى لحزب الشعب الموريتانى . ومن اكتوبر ١٩٦٢ الى يناير ١٩٦٥ شغل منصب وزير التربية والتعليم والشباب . وقد زار الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦٣ بصفته وزيرا للتربية والتعليم وكان على رأس أول وفد للود والصداقة الذى زار القاهرة كما شارك فى كثير من المؤتمرات .. وفى فبراير ١٩٦٥ عين سفيرا لجمهورية موريتانيا الاسلامية بالقاهرة ..

وفى السفارة الجديدة لجمهورية موريتانيا الاسلامية بالقاهرة . قابلت السفير وقدمت له تهنئة المجلة بمنصبه الجديد .. وكانت معى عدة أسئلة شاملة عن تاريخ موريتانيا الاسلامى والسياسى والتعليمى .. وفى خلال ساعة أجاب السفير على أسئلتى اجابة وافية مكتملة مقنعة ..

العلاقات بين موريتانيا والقاهرة على مر التاريخ

كانت العلاقات بين موريتانيا القديمة التي يطلق عليها اسم (شنقيط) علاقات تقليدية متينة كونتها بين البلدين اللذين تجمعهما أواصر دينية وجنسية اتصالات ومرور رجالات الدين والعلم من موريتانيا الى القاهرة • وكان للأزهر دورا هاما فى هذه الاتصالات بحيث أن بعض الموريتانيين اللامعين بعد أن تخرجوا من الأزهر ألفوا كتبا عديدة فى شتى العلوم •

وفى عهدنا الحاضر تأثرت موريتانيا وكل الشعوب العربية والافريقية بأحداث الثورة المصرية • ونشأت من جديد علاقات ثقافية وسياسية واقتصادية بين البلدين عن طريق تبادل البعثات • وأخيرا عن طريق تبادل التمثيل الدبلوماسى حيث أصبح لكل من الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية موريتانيا الاسلامية سفير مفوض فى كل من القاهرة ونواقشوط العاصمة •

تاريخ الكفاح السياسى فى موريتانيا

كانت موريتانيا خاضعة للاستعمار الفرنسى سنة ١٩١٢ وأصبحت من دول افريقيا الغربية الفرنسية التى كانت تدار من قبل الفرنسيين بالسنغال • وفى عام ١٩٥٨ وعندما قررت فرنسا اعطاء الحكم الذاتى الى دول مجموعة افريقيا الغربيه كانت موريتانيا من بين الدول التى قبلت البقاء ضمن المجموعة ، مما اعطاها حق الحكم الذاتى لتتقدم نحو الاستقلال الكامل • وقبل تلك الفترة وفى أثنائها كانت بالبلاد حركات تحررية تطالب باستقلال البلاد •

ويتحدث السيد السفير عن هذه الحركات السياسيه فيقول انها بدأت عام ١٩٤٦ حيث أجرى فى موريتانيا لأول مرة اقتراع على تعيين ممثل وطنى لها فى البرلمان الفرنسى (لأنها كانت آنذاك مستعمرة فرنسيه) فنشأ حزبان هما حزب الوفاق وحزب التقدم الموريتانى ، وكان الحزبان متعارضان ثم توحدا عام ١٩٥٨ ونشأ حزب التجمع الموريتانى فى مؤتمر ايلاج لكن هذا التكتل الحزبى لم ينجح ونتج عن ذلك أن تكونت أحزاب أخرى ، حزب النهضة الوطنية ، حزب الاتحاد الوطنى والحزب الاشتراكى الاسلامى • وطالبت كلها بالتعجيل بالاستقلال ثم وفق بينها وبين الحزب الحاكم (حزب التجمع الموريتانى) وقامت مفاوضات فى نطاق المائدة المستديرة نتج عنها توحيد الأهداف وتشكيل حزب موحد حقق الاستقلال للبلاد وهو حزب (الشعبى الموريتانى) •

وفى ٢٨ نوفمبر ١٩٦٠ أعلن استقلال موريتانيا جمهورية اسلامية فى الشمال الغربى من القارة الافريقية لتكون همزة الوصل بين العالم الاسلامى الممتد من الباكستان الى شواطىء المحيط الأطلسى فى مواجهة شمال أمريكا •

وفى ٢٠ أغسطس ١٩٦١ أنتخب الشعب الموريتانى بواسطة التصويت العام المباشر السيد المختار بن داده كأول رئيس للجمهورية

دخول الاسلام فى موريتانيا

دخل الاسلام موريتانيا عن طريق المرابطين (وهم طائفة دينية تأسست فى الاقليم الموريتانى من سنة ١٠٥٥ - ١١٤٧ وكان لها نفوذ فى موريتانيا والمغرب واسبانيا وكان يرأسها الزعيم الدينى عبد الله بن يس) •• وقد تأسست فى الاقليم الموريتانى دولة (لمتونة) التى طال حكمها والتى لعبت دورا هاما فى نشر الثقافة الاسلامية ••

وظلت حركة الفكر الاسلامى تربو وتتفاعل مع البيئات التقليدية الشعبية الى أن عم الاسلام كل الاقليم الذى أصبح متمسكا بالدين الاسلامى ولم يستطع الاحتلال الأجنبى الذى استمر ٦٠ عاما أن يؤثر على الشعب الموريتانى من الناحية الدينية ، فالشعب الموريتانى شعب مسلم مائة فى المائة •

نظم التعليم ومراحله

التعليم الابتدائي في موريتانيا : يوجد ما يزيد عن ٥٠٠ مدرسة ابتدائية تضم ٢٦ ألف طالب حسب الاحصائية الأخيرة خلال السنة الدراسية ٦٤ - ١٩٦٥ - من بينها ٤٥٠ مدرسة يدوية وعدد المدرسين في المرحلة الابتدائية ٥٢٠ مدرسا من معلمي الفرنسية والباقي من معلمي العربية ٠

والمدارس الابتدائية اليدوية تنقل مع مخيمات البدو الرحل وهي احدى الوسائل التي تتبعها الحكومة في توطين وتثقيف أبناء البادية ٠

وتوجد في موريتانيا مدارس ثانوية تضم حوالى ٣٠٠٠ طالب ٠٠ لكن لا توجد جامعات ، لذلك يتوجه الطلبة الحاصلين على الدراسة الثانوية الى فرنسا ودكار والقاهرة لمتابعة دراستهم الجامعية ٠٠ ويوجد في موريتانيا معهد خاص يسمى (معهد الدراسات العليا الاسلامية) في قرية بوتيليميت التاريخية وكان هذا المعهد تحت اشراف فضيلة المرحوم الشيخ سيديا - ثم أممته الحكومة الموريتانية سنة ١٩٦٢ وأشرفت عليه واستوردت له أساتذة من الخارج ٠

وفي نظم الدراسة الحالية يخصص ثلثا الوقت للفرنسية والثلث للعربية مع ملاحظة أن المواد الحسابية والعلمية ما زالت تدرس باللغة الفرنسية في المرحلتين الابتدائية والثانوية ٠

واللغة الرسمية هي اللغة الفرنسية واللغة العربية هي اللغة الوطنية وقد تقرر هذا بموجب الدستور الموريتاني ٠٠ ولم تكن اللغة العربية في العهد الماضي لغة اجبارية وقد أصبحت خلال هذه السنة بموجب قرار حكومي صدر من وزارة التربية والتعليم وصادق عليه البرلمان تعليما اجباريا في الابتدائية والثانوية .

ويناقش منذ أشهر قرار يقضي بتصميم شامل للتعليم وبتطوير أجهزته الادارية ٠ ومن المحتمل ان تراجع برامجه لأن وضعها الحالي يلاقي نقصا حادا من طرف بعض المسئولين ولاسيما أسرة التعليم العربي التي طالبت بمنح التعليم العربي وقتا أكثر واعطائه بعض الحصص كالرياضيات والحساب والجغرافية والتاريخ ٠٠٠ الخ ٠

مع ملاحظة ان كل الاطارات العربية لم تكن تخرج عن طريق المدارس النظامية أي الحكومية لأن كل هذه المدارس كانت مدارس فرنسية محضة ولم يكن ما يسمى بالثقافة المزدوجة سوى حبر على ورق ٠ ومنذ الاستقلال والحكومة تعاني مشكلة أساسية بشأن تكوين الاطارات العربية مهنيا لتصبح قادرة على القيام بمسئوليتها لذلك افتتحت في السنة الماضية أول مدرسة للمعلمين في نواقشوط) ونشر في هذه المدرسة على تدريب واخراج فوج من معلمي العربية والفرنسية سويا ٠ ولهذا الشأن أيضا ، ومن أجل توفير وسائل التعليم العربي بعثت الحكومة بالمعلمين الى الخارج (القاهرة - تونس) ليقوموا بالتدريبات المهنية اللازمة في خلال السنوات المقبلة حتى يصبح من الممكن اسناد الوظائف الادارية الى هذه النخبة فتحل محل مديري المدارس الذين هم كلهم من السلك الفرنسي ٠

الجمعيات والمنظمات الاسلامية

تأسست منذ ثلاث سنوات جمعية للرابطة الاسلامية بموريتانيا وتأسست لها فروع في كثير من المناطق الموريتانية ويوجد مقرها الدائم في العاصمة نواقشوط ٠

وتعقد كل سنتين مؤتمرا عاما يحضره ممثلوا الفروع ورجالات الدين وممثلون عن المنظمات الوطنية الأخرى ٠ وقد أسست ادارة الجمعية مدرسة أهلية أطلقت عليها اسم (مدرسة بني عامر) - (بني عامر زعيم اسلامي عظيم توفي حوالى عام ١٢٠٠ م وهو مؤسس دولة لمتونة الشهيرة ودفن في منطقة تجيجانت وهي مسقط رأسي ٠٠٠) وتقوم هذه المدرسة بنشاط عظيم من أجل نشر الثقافة الاسلامية ولها هي

أيضا فروع فى كل المناطق الموريتانية وتزاول نشاطها الخيرى بفضل التبرعات التى تتلقاها من الشخصيات والمنظمات والحكومة أيضا .. وتقوم المدرسة بنشاط رسمى أشبه بالمنظمات الحيوية للمحافظة على التراث الدينى ...

وبجانب هذا ومنذ عهد بعيد يوجد فى موريتانيا ما نسميه (المحاظر) جمع محظر . هذه المحاظر كانت وما زالت تقوم بنشر الدين وتعليم العلوم الاسلامية والفقه وكان أكثرها تابعا للقبائل الرحل فكان الطالب يأتى الى المعلم ويسكن معه عدة سنوات يتعلم فيها القرآن الكريم بما فى ذلك الحفظ والتفسير والتجويد والمنطق والأصول والتوحيد وعلم الجدول والحساب .

الا أن هذه المحاظر كانت تختلف باختلاف مشايخها فكانت لها عناوين وأسماء عائلية لأن مؤسس المحظرة يبقى اسمه عنوانا عليها خلال القرون التالية . فمثلا توجد (محظرة محمد سالم) فى شمال موريتانيا وقد أسسها منذ ما يقرب من مائة عام العالم الشهير محمد بن محمد سالم وأحفاده اليوم ما زالوا يمارسون تعليم الشباب الذى يفد اليهم .

(ومحظرة أهل آيات) فى وتيجيجانت ومؤسسها هو ابات - أحد تلاميذ العلامة سيدى عبد الله بن الحاج ابراهيم (وهو جدى الرابع) وقد تعلم فى الأزهر الشريف بالقاهرة وله مؤلفات كثيرة . وكثير من معلمى موريتانيا تتلمذوا عليه ... وما زلت أحتفظ بمؤلفاته عندى حتى الآن .

(ومحظرة يحظيات بن عبد الودود) المتوفى سنة ١٩٢٦ م فى بوتيليميت ..

وفى بعض المدن التاريخية مثل شنقيط ، ولانه ، وتيجيجانت ، بوتيليميت - كان العلماء يقومون بالتعليم ونشر الثقافة الاسلامية . وكان يوجد داخل هذه القرى التاريخية من الامكانيات ما لم يكن موجودا فى غيرها من المدن الأخرى لكثرة ارتباطها دون غيرها بالشمال الافريقى ومصر والحجاز لأن كثيرا من الحجاج الشناقطة كانوا يهاجرون من موريتانيا ويعودون اليها حاملين معلومات وافرة من الثقافة الاسلامية وكان الاشتغال بتعليم الدين الاسلامى ومعرفة العلوم أكثر فى هذه القرى التاريخية عن باقى البلاد الموريتانية .

وبعد ...

ان التراث واللغة العربية بموريتانيا ما زالا باقيين رغم الاستعمار الذى احتل البلاد ستون عاما .. والسبب هو المحافظة على الدين الاسلامى وبقى الفقه الاسلامى يدرس بتعمق على مر العصور حتى يومنا هذا ..

وفى نهاية الحديث لا يسعنا الا أن نشكر السيد سفير موريتانيا على هذا الحديث القيم الوافى الذى ألقى به الضوء على جمهورية موريتانيا الاسلامية تاريخيا وسياسيا ودينيا وتعليميا ومجلة منبر الاسلام تتمنى لشعب موريتانيا الشقيق التقدم والرخاء والرفاهية .

مجالات النشاط الدينى فى المدرسة

الأستاذ محمد على حافظ

تناولنا فى مقال سابق عن التربية الروحية مفهوم هذه التربية ، وأهدافنا منها ، كما تناولنا أيضا ميادين تلك التربية ووسائلها ، ثم تكلمنا بعد ذلك عن الأسس التى ينبغى أن يقوم عليها النشاط الدينى فى المدرسة .

واليوم نتناول فى مقالنا مجالات النشاط الدينى التى يمكن أن نعدها للطلبة ، فى المدرسة ، حتى يمكن تحقيق أهدافنا كاملة من تربية الناشئين تربية روحية سليمة .

ومن حسن الحظ حقا أن مجالات النشاط الدينى وفيرة متعددة . منها ما يتصل باصول الدين ومقوماته وشعائره مباشرة ، ومننها ما يلتقى بانواع النشاط الأخرى، حتى تتعاون كلها فى تربية الطلاب ، وتكوين شخصياتهم : كالتمثيل والصحافة والخطابة والمناظرة ، فانها تكون فى النشاط الدينى كما تكون فى النشاط اللغوى أو الاجتماعى .

وفيما يلى عرض لما يمكن أن تقوم به الجماعات الدينية من نشاط فى بعض المجالات :

١ ـ جماعة المسجد

تتطلب هذه الجماعة أن يكون بالمدرسة مصلى به مكتبة دينية ، ينظم الطلاب أنفسهم للاستعارة منها ، تحت اشراف المدرس ، وأهم اغراض جماعة المسجد ما يأتى :

١ ـ تعويد الطلاب أن يؤدوا الصلاة فى أوقاتها .

٢ ـ تمرينهم على الأذان والاقامة والامامة، وينبغى أن يؤذن المدرس أول الأمر ، ثم يختار من ذوى الأصوات الندية من الطلاب من الطلاب من يؤذنون ويقيمون ، ويؤم الطلاب من يختار من بينهم للامامة على أساس دينى: هو حسن قراءة القرآن وفهم الدين .

٣ ـ تعويد الطلاب الصلاة فى جماعة ، وافهامهم حرص الاسلام عليها ، لما فيها من فضائل .

٤ ـ اقامة الجمعة بمسجد المدرسة اذا كان كبيرا ؛ أو يصحب المدرس تلاميذه لصلاة الجمعة بمسجد الحى، حتى يعتادوها، ويرتادوه ، وليعرفوا أحكامها بالممارسة .

ويحسن أن ينبه المعلم التلاميذ الى أركان الخطبة ؛ ويجوز أن يناقشهم بعد الخطبة فيما احتوته من مبادىء وأصول ، كذلك يحسن به أن يشجع تلاميذه على الخطابة ، وان وجد منهم ذا بيان جراه على أن يخطب فى المسجد للصلاة ، ودله على المراجع التى يعد منها موضوع الخطبة ، ويصحح له ما أعد ، ويمرنه على الالقاء فى المدرسة ، ثم يخطب فى المسجد . فاذا نجح المعلم فى تعويد عدد من تلاميذه أن يخطبوا ، فانه بذلك يعد روادا صالحين للمجتمع .

وموضوعات الخطبة يحسن أن يراعى فيها المناسبات ، وحاجة البيئة : ففى الريف تدور موضوعات الخطبة حول معالجة العادات السيئة الشائعة : كالأخذ بالثأر ، والقتل ظلما ، والسطو على المنازل ، واقتلاع الزرع ، وسم البهائم ، وكذلك الخرافات ؛ كالنذر لغير الله وحرمان البنت من الميراث ، والاحجام عن تعليمها ومحاربة تناول المخدرات . وهناك من المناسبات الدينية والقومية والاجتماعية ما يصح أن يكون مدرسة متكاملة فيما تهدف له وتنادى به .

أما فى المدن فتدور الموضوعات حول آداب الطريق ، احترام الملكية العامة ، التعاون ، الادخار ، شرور المجتمع ، واجب الشباب نحو النهوض بمستوى بيئته . والواجب أن

تستند الخطب فى هذه المجالات بآيات الذكر الحكيم وبالأحاديث النبوية الشريفة .

٢ - جماعة البر والاحسان

المقصود من هذه الجماعة نشر روح الدين الاسلامى فى ميادين البر والاحسان . فى محيط المدرسة : فكثيرا ما يكون هناك طلبة فقراء أصيبوا بكوارث عائلية ، أو لايستطيعون شراء الكتب والأدوات المطلوبة ، فيمكن لهذه الجماعة بما لها من قدرة مادية أن تمدهم بما يخفف عنهم هذه الكوارث ، أو بشراء الكتب والادوات اللازمة لهم ويجب أن تكون هذه المساعدة على جانب من السرية حتى لا تخدش كرامتهم . « ومن وجوه البر والاحسان داخل محيط المدرسة أيضا اسعاف الطلبة المصابين فى الحوادث ، والعمل على تهيئة المساكن للغرباء ، واعداد مطاعم خاصة لهم بالمدرسة يتناولون فيها طعامهم بثمن زهيد ويمكن أن تمول هذه الجماعة عن طريق جمع التبرعات من الطلبة والمدرسين وأهل البر . ويصح أن يخصص جزء من نقود النشاط الدينى لهذا الغرض ، على أن يعهد بجمع التبرعات وتدبير الحساب الى هيئة مختارة يوثق بها ، وتكون هذه الجماعة من الطلبة المحبين للخير ، المستعدين للبذل والسخاء ، وتعمل باشراف المدرس وتوجيهه وتشجيعه .

٣ - جماعة الثقافة الاسلامية والارشاد الدينى

وتتكون هذه الجماعة من الطلبة الذين تتوفر فيهم الرغبة فى الاطلاع والبحث والاستعداد الطبيعى للعمل فى سبيل نشر الوعى الدينى ، والانصاف بالأخلاق الحميدة والسلوك الطيب .

❋ نشر الثقافة الدينية فى المدرسة وفى المجتمع الذى يحيط بها ، وذلك بالقاء المحاضرات وعقد الندوات فى مختلف النواحى التى لها اتصال بالدين .

❋ المعاونة فى تحفيظ القرآن الكريم بكل الوسائل التى تحقق هذا الغرض على أن يكون ذلك خارج الخطة والمنهج .

❋ العمل على ارشاد الطلاب فى كل ما يسألون عنه من أمور دينهم ، وذلك بوضع صناديق توضع فيها الاسئلة ، أو بتلقى الأسئلة مباشرة من الطلاب وعرضها على الأستاذ المشرف لدراستها ، واعداد الاجابة عنها ، ونشر هذه الاجابة فى صحيفة المدرسة ان كانت صالحة للنشر ، أو تسليمها لأصحابها مباشرة ان كانت مما لا يصح اعلانه .

ولا باس من ان يدرب المشرف بعض الطلاب الذين يأنس فيهم الكفاية على البحث فى المراجع عن بعض أجوبة الأسئلة التى تناسب مستواهم ، ليمكنهم تطبيق ذلك فى حياتهم العملية على أن يكون تحت اشرافه .

❋ العمل على اقامة الشعائر الدينية : كاخراج الزكاة ، واداء فريضة الحج ، وشهود الجماعة فى المساجد ونحو ذلك . ففى اواخر شهر رمضان - مثلا - ينشط الطلبة الى دعوة الناس الى زكاة الفطر ، ويبينون لهم مقاديرها ، ويدعونهم الى اخراجها ، حتى يحموا الفقراء من ذل السؤال فى العيد ويمكنوهم من قضائه فى سعة ويسر .

وفى موسم الحصاد يبينون للناس حق الفقراء فيما أخرجته الأرض ، ويدعونهم الى اخراج الزكاة مع بيان أثرها فى بركة المال وطهارة النفس ومحبة الفقراء للأغنياء وابتغاء رضوان الله .

وعند موسم الحج يخطبون فى الناس مبينين لهم ما يفيده الحاج لدينه ودنياه بهذه الرحلة المباركة ، ومذكرين بأن الحج مؤتمر اسلامى عام ينبغى الحرص على اقامته

كما تقوم هذه الجماعة بالحث على صلاة الجماعة وبيان أثرها فى توثيق الروابط بين الناس وتيسير التعاون بينهم ، مع مالها من الأجر المضاعف .

❋ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

وذلك بالعمل على اصلاح المجتمع وتطهيره فى المدرسة والبيئة ، من كل شائبة لا تتفق ومبادىء الدين الحنيف ، ويمكن أن تتخذ الجماعة لذلك كل الوسائل التى تحقق

هذا الغرض ، وأن تستعين فى ذلك بكل ما يمكن الاستعانة به من ارباب الجاه وأصحاب السلطة ، وذوى القدرة على البيان بالكتابة أو الخطابة أو النصح والارشاد . وبذلك تكون عاملا مهما فى صلاح المجتمع وصيانته من كل ما يعوقه عن النهوض .

كما يمكن أن تقوم هذه الجماعة بالصلح بين المتخاصمين ، والعمل على فض كل نزاع يقوم بين الطلاب فى المدرسة أو بين اهل الحى بعضهم وبعض . بالوسائل التى تحل مشكلاتهم ، وتديم المودة والصفاء فيما بينهم

٤ ـ جماعة الرحلات الدينية

ومما يخدم مادة التربية الدينية نشاط الرحلات الدينى . ويكون غالبا الى المساجد الأثرية ، والاماكن المقدسة فى الأقطار الاسلامية وغيرها ، والمكتبات العامة ، وزيارة الجامعة الأزهرية ومعرفة شىء عن رسالتها . ويمكن لطلبة جماعة الرحلات أن يسهموا بنصيب فى الدعوة الدينية فى اثناء اشتراكهم فى اقامة المعسكرات والمخيمات التى تقام فى المصايف وبلاد الريف . وهناك تؤدى الجماعة خدمات جليلة فى توجيه الطلاب الى التزام الاخلاق الدينية فى الرحلات والمواظبة على الصلاة ، وأن يسهموا ايضا فى نشر الأخلاق الكريمة والآداب الاسلامية فى البيئة الريفية المحيطة بهذه المخيمات ، وأن يعملوا على محاربة ما يشيع فى هذه البيئة من البدع والخرافات والأباطيل . كما يقوم أعضاء الجماعة بزيارة بعض الشخصيات المشهورة بالبحث والاطلاع فى تراثنا الدينى ، للتزود بآرائهم والانتفاع بعلمهم .

٥ ـ جماعة التمثيل

التمثيل وسيلة من أهم وسائل النشاط ، التى تعين على تصوير المعانى الدينية . وعرض المثل العليا من الأفكار والأشخاص . كما انه قد يدفع الطلاب ، الى التمرس بالنقد البناء والى تأليف روايات دينية تحارب البدع والخرافات ، وتجلو جهاد سلفنا الصالح ، لنشر الدعوة الاسلامية وثبات الصادقين فى ايمانهم أمثال بلال وياسر وأسرته .

وهذه التمثيليات تدعو الى الأخلاق الفاضلة ، والى التمسك بأهداب الدين .

وهناك كتب كثيرة بها مسرحيات تحقق أهداف المنهج يمكن الاقتباس منها والتصرف فيها بما يناسب الطلاب .

٦ ـ جماعة الاذاعة المدرسية

فى الاذاعة المدرسية مجال واسع للنشاط الدينى ، وميدان يكسب فيه الطلاب مهارات وقدرات مختلفة : فيها يمرنون على المواقف الثابتة والأداء السليم الواضح ، فيما يتلون من القرآن الكريم والحديث الشريف ، أو فيما يلقون من كلمات تعالج جوانب الحياة ومشكلاتها من وجهة النظر الدينية .

كما أنها تنمى الذوق الفنى وترهف المشاعر باذاعة الأناشية الدينية مصحوبة بالموسيقا التصويرية ، أو باذاعة الاغانى التى توجه الى الفضائل والمبادىء كنهج البردة والهمزية النبوية ونحوهما .

وتساعد على نجاح التمثيليات الدينية ،لأن جهارة الصوت تسترعى الانتباه وتساعد على تتبع الرواية وما فيها من حوار .

وعلاج بعض موضوعات المناهج الدينية فى الاذاعة ، يساعد الطلبة على فهم الموضوعات ، واعداد الدروس ، وعرضها ، ويحقق تعاون مدرسى الفصول على اختلاف مواهبهم فى تيسير مادة التربية الدينية ، وجعلها شائقة جذابة ، تستهوى نفوس الطلبة ، وتسهل عليهم هضمها .

وما يذيعه الطلبة والمدرسون من كلمات أو تمثيليات يثير نشاط الطلبة واهتمامهم داخل الفصل وخارجه ، ويدفعهم الى التساؤل والمناقشة والبحث ، وبذلك تتحقق التربية المثمرة عن طريق النشاط .

والاذاعة تعين على احياء المناسبات الدينية بالاشتراك مع أهل الحى ، وفى ذلك تحقيق

للتعاون بين المدرسة ، وتقوية للروابط بين الأسرة المدرسية وأسر الطلبة .

والاذاعة تمكن المدارس من أن تكون مراكز اشعاع في بيئاتها : بأن تسهم في نشر الوعي الديني بما تذيع من أحاديث تعالج الآداب العامة ، وتبين حكم الشرع في المعاملات والعبادات والعادات الشائعة .

ولكي تحقق الاذاعة الاهداف التربوية التي نرجوها منها ، ولتعم فائدتها ، ينبغي أن يراعى ما يأتي :

(١) أن يفتح مجالها للطلاب جميعا ، لتتيح لهم الفرص للتدرب على التمثيل وتحضير الكلمات والقاء الأحاديث والخطب ، وتشجيع ما يبذلون من جهد ، وما يعدون من أحاديث أو تمثيليات ، وتتخذ من ذلك فرصة لتوجيههم الى المراجع التي يستمدون منها . على أن تصلح خطأهم ، وتكمل لهم ما في عملهم من نقص ، وتدربهم على الالقاء السليم قبل أن يقفوا أمام المذياع ، وينبغي الا يقتصر على الممتازين من الطلاب ، لأن جهد المدرسين في تقويمهم وتدريبهم أقل . وقد يكون غيرهم أولى بالعناية .

(٢) أن يكون لمديري دور المعلمين والنظار والمدرسين نصيب في الاذاعة ، لتكون كلماتهم نماذج للطلبة يحتذونها ، ولذلك ينبغي الاهتمام باعداد هذه الكلمات وعدم ارتجالها حتى تكون مثلا تحتذى .

(٣) العمل على تجدد برامج الاذاعة وتنوعها ، واختيار أنسب الاوقات لها ، وتجنب الطول بها ، دفعا للملل ورغبة في استيعاب الفائدة ، فحديث الصباح مثلا ينبغي الا يتجاوز خمس دقائق ، كما ينبغي أن يتناول شتى الموضوعات : فحديث عن أدب السلوك الواجب مع المدرسين ، وسلوك الطلبة بعضهم مع بعض أو مع سائر الناس ، وحديث عن نقد العيوب التي يقع فيها بعض الناس ، ووسائل علاجها واثر ذلك في صلاح الفرد والجماعة وحديث عن بطل من أبطال المسلمين وعن اثر جهاده أو مواطن القدوة في حياته ونحو ذلك .

(٤) الانتفاع بالاذاعات الخارجية ، وذلك بتنظيم الاستماع الى الأحاديث الدينية التي تنظمها الوزارة ، أو بتسجيل الاحاديث الدينية التي تنظمها الاذاعة العامة ، والحلقات المفيدة التي تعرض في التليفزيون .

(٥) وأن تختار أشرطة واسطوانات لأئمة القراء ، ومشاهير المغنين ، ليذاع منها في الاوقات الملائمة ما تيسر من القرآن الكريم ومن الاناشيد والاغاني الدينية .

برنامج الاذاعة :

لا ينبغي أن نرسم هنا برنامجا معينا لدور المعلمين والمعاهد والمدارس ، ففي ذلك تجميد للاذاعة ولكنا ننبه الى مواد ينبغي أن تشتمل عليها الاذاعة المدرسية ، وللمشرفين عليها أن يتصرفوا في وضع البرامج بحسب ما يرونه ملائما لبيئتهم وطلبتهم ، وامكانياتهم والمناسبات المختلفة التي تتطلب ألوانا خاصة من الاذاعة .

فالمواد التي ينبغي أن يستمد منها أي برنامج هي :

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الأحاديث النبوية الشريفة .

٣ ـ أخبار عن العالم الاسلامي والعربي .

٤ ـ الاغراء بفضائل معينة ، والتنفير من رذائل فاشية .

٥ ـ جوانب من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة سلفنا الصالح ، لبيان مواطن القدوة فيها .

٦ ـ الاعتزاز بالوحدة العربية والاسلامية

٧ ـ مشكلة فلسطين وخطر اليهود على الاسلام قديما وحديثا .

٨ ـ الجهاد في سبيل الله وفي سبيل الوطن .

٩ ـ الاحتفال باحياء المواسم الدينية والأعياد القومية .

فهذه موضوعات جوهرية يضيف اليها المشرفون ما يشاءون ، مما يرونه محققا للتربية الدينية الصالحة عن طريق الاذاعة .

٧ ـ جماعة المناظرات والمحاضرات

هذه الجماعة تدفع الطلاب الى البحث والقراءة والاتصال بالانتاج الفكري والالمام بما

فى كثير من المؤلفات والمراجع ، مما يساعد على تنمية معارفهم ، وتوسيع آفاقهم الثقافية وتقوية ميولهم الى الاطلاع والاستزادة من الوان المعرفة ».

وهى الى ذلك تقوم بخدمة البيئة والمجتمع الخارجى ، وتربط بينه وبين المدرسة عن طريق ما تقوم به الجماعة من محاضرات ومناظرات ، وندوات تدعو اهل البيئة للاشتراك فيها .

ولا بأس من ان يلقى بعض اساتذة المدرسة من مدرسى التربية الدينية أو المهتمين بأمرها من الخارج محاضرات على الطلبة لأغراض دينية ، منها : توضيح المنهج وتفصيل ما فيه من ايجاز واجمال ، واستكمال ما لم يتسع له من الموضوعات الهامة فى الثقافة الدينية ، وهذه المحاضرات تكون بالمدرسة أو بمكان آخر خارجها ، على ان يختار المحاضرون من المتمكنين فى هذه المادة الملمين باصول التربية والتعليم .

ويجب ان يراعى فى المحاضرة مستوى الطلبة التحصيلى ، ومستوى أعمارهم ، حتى تكون مفيدة ومؤدية للغرض منها ، ويحسن أن يمرن الطلبة على التقاط بعض نقط المحاضرة فى أثناء القائها ، مع مطالبتهم بالقائها على زملائهم ليمرنوا على طريق الاختصار ، ولتكون تمهيدا لتعويدهم مواقف المحاضر ، كما يحسن أن يمرن ذوو الكفاية من الطلبة على القاء محاضرات مناسبة لمستواهم العلمى .

أما المناظرات فينبغى أن يكون الموضوع بحيث يكون لكل منهم راى خاص فيه ، وهذه امثلة لموضوعات تصلح للمناظرات : راى الاسلام فى تعليم البنت ، تولى المراة الوظائف العامة ، السفور والحجاب فى الدين الاسلامى ، اختلاط الجنسين فى مراحل التعليم ، احجام الشباب عن الزواج الزواج بالأجنبيات غير المسلمات .

ويراعى ان تكون الموضوعات ملائمة للمستوى التحصيلى والسن بالنسبة للطلاب ، وان تنظم بحيث يكون هناك مشرف على هذه المناظرات ، ويترك لكل فرد متناظر الحرية فى أن يقول ما يشاء دون معارضة ، ثم يؤخذ الراى على المناظرة فى النهاية ، ويعلن الحكم الذى يجب ان يكون محل احترام من جميع المتناظرين ، ويختار لهذه المناظرات الطلبة الممتازون بسلامة التعبير وقوة الحجة والجراة على هذه المواقف ، والمحبون للبحث والأطلاع ، ويحسن مع ذلك أن يمرن غيرهم على المناظرة مع تمكينهم من الوسائل التى تعينهم على زيادة معلوماتهم وتكوين آراء خاصة لهم ، وتمرينهم على المحاورة المنطقية ، لتجد دائما عددا من الطلاب لهذه الجماعة .

وتؤلف جماعة المحاضرات والمناظرات من الطلبة القادرين على حسن الالقاء والأداء وتملك المواقف ، وحضور البديهة وحب البحث والاطلاع ، ومن السهل اختيار امثال هؤلاء من بين الطلبة المبرزين على أن يشترك فيها غيرهم ممن يحتاجون الى تدريب ليلحقوا بهم ..

٨ – الصحافة المدرسية بانواعها

(١) المراد بهذا اللون من النشاط تمرين الطلاب على بعض أعمال الصحافة كتحرير المقالات وغيرها ، ويلاحظ أن الطلبة يزاولون هذا الفن بهذه المرحلة بعد ان زاولوا شيئا منه بالمرحلة الاعدادية ، فيجب مراعاة المستوى التحصيلى والبيئة والسن فى هذه المرحلة حتى تكون الفائدة أعم . ومن الصحافة الصحف المعلقة اذ يدون الطلبة فيها كثيرا من الطرائف الدينية المناسبة ، وبعض الاخبار المحلية ذات الصلة بالناحية الدينية واخبار العالم الاسلامى .

وهذه تكون معلقة فى الفصول ان كانت خاصة بالفصل ، وفى الردهات وفناء المدرسة ان كانت عامة ، ومنها لوحة الاخبار التى توضع على حامل فى مكان بارز بالمدرسة وفيها تدون الاخبار اليومية والقومية وبعض الحكم الدينية الاجتماعية .

(٢) تحرير المقالات :

يجب ان يمرن الطلبة على التحرير بانشاء مقالات دينية فى موضوعات عامة تخدم المنهج أو تعين على محاربة الخرافات

والاباطيل الشائعة فى البيئة ، ويصح أن يترك مجال الاختيار للطالب ليكتسب ما يراه مناسبا له وللحالة الحاضرة . وهذا لا يمنع أن تكلفه مع ذلك اعداد مقالات فى موضوعات تعين له ، ليألف التحرير فى النوعين ، مع مراعاة السن والمستوى التحصيلى للطلاب ، وخير ما يشجع به أعضاء جماعة الصحافة أن تتلى مقالاتهم على زملائهم الطلبة فى صفوف (طابور) الصباح مثلا ، أو فى الفسح ، أو عقب المحاضرات أو الاجتماعات الدورية ، وتدون فى مجلة المدرسية ، ويمكن اثارة الرغبة فى فى القراءة والاطلاع بتوجيه الطلاب الى الكتب الصالحة التى تناولت الموضوعات التى يريدون التحرير فيها .

(٣) المجلات :

تصدر عن دور المعلمين والمعلمات فى العادة مجلات جامعة تطرق شتى المواد ، ولهذا يجب ان يخصص لنشاط التربية الدينية قسم منها ، يدون فيه ما أبدعته قرائح اعضاء الجماعة من بحوث دينية ، أو قصص شائقة أو شرح بعض الأحاديث الجامعة ، أو الآيات القرآنية ، أو سيرة الرسول والأنبياء والصالحين، مما يخدم المنهج أو يعين على تحقيق أهداف التربية الدينية داخل المدرسة وخارجها ، وتوزع المجلة على الطلبة وافراد البيئة ولا تنسى ان المجلات كذلك تبعث على القراءة الحرة والاطلاع .

(٤) الكتيبات :

يتسع النشاط فى التربية الدينية الى أصدار كتيبات صغيرة ، تشتمل على قصة بطل من أبطال المسلمين : كخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وسعد بن أبى وقاص ، وبلال أو رسالة صغيرة فى موضوع من الموضوعات الدينية : كالصوم ، والصلاة ، والزكاة ، والحج ومحاربة رذيلة من الرذائل أو نشر فضيلة من الفضائل ، وتطبع هذه الكتيبات وتوزع فى المدرسة والبيئة ، وهذه الكتيبات تتطلب القراءة الحرة والبحث والاطلاع .

(٥) النشرات :

هناك اخبار دينية هامة ، وبعض الوصايا والنصائح الدينية العامة ، يمكن أن تصدر بها نشرات توزع على الطلبة ، وكل من يهمهم الأمر من أفراد البيئة .

٩ – المكتبة

القراءة أوسع أبواب المعرفة ، وأكثرها ثمرة ، فاذا وجد الكتاب الصالح والنفس الراغبة فى القراءة ، الباحثة عن الحقيقة ، وجدت المعرفة طريقها الى العقل فغذته ، واشرقت به على آفاق جديدة فى الحياة ، وخلقت فيه وعيا صحيحا وادراكا سليما لواقع الأمور وتقديرا دقيقا لنتائجها .

لذلك يجب أن يوضع فى المكتبة انواع مختلفة من الكتب الدينية منها كتب الثقافة الدينية العامة ، ومنها التراجم والسير ، والعبقريات ، ومنها المراجع وكتب التفسير ، ومنها كتب الاحاديث والفقه والتشريع الاسلامى . كما تزود بعدد من المصاحف المختلفة الأحجام ، والكتب الدينية التى تصدر فى اوقات متفرقة فى شتى الموضوعات

والطلاب فى هذه المرحلة من أعمارهم يشعرون بنمو شخصياتهم ، ويقومون بكل ما به تحقيق لذواتهم ، وتزداد رغبتهم فى الالمام بما يجرى حولهم من الأحداث والتعرف على اسرار الكون وعالم الطبيعة كما يشغفون بالنواحى الفكاهية أو الخيالية والعاطفية وتظهر فى بعضهم الميول الدينية بشكل واضح ، وهذه نواح يجب أن يتجه اليها اختيار الكتب فى المكتبة ..

فالكتب والقصص التى تتناول البطولات والمغامرات والمثل العليا ، والتى تناقش المذاهب الدينية والسياسية والاجتماعية ، والقيم الخلقية .. والقصص الفكاهية والتاريخية والاجتماعية والكتب التى تتناول مظاهر الطبيعة فتتحدث عن عجائب الكون وعن حياة الحيوان والنبات وعن الشعوب والحضارات ، وابتكار العلماء والمخترعين والتى تتناول الموضوعات العلمية بصورة مبسطة ...

هذه الكتب ونحوها تساير ميول الطلاب وتشبع حاجاتهم النفسية ، تثير اهتمامهم بالقراءة ، وتساير التنوع فى ميولهم وهواياتهم فى القراءة ، كما تساير الفروق الفردية بينهم فى المستوى ودرجة النضج العقلى واللغوى والدينى .

ويجب أن يوضع فى الاعتبار تزويد المكتبة بالكتب المتصلة بموضوعات المناهج المقررة للتوسع فى دراستها ، والاستزادة من المعلومات عنها ..

وكما يعنى بتزويد المكتبة العامة بمختلف الكتب من هذه الأنواع ، ينبغى أن يعنى كذلك بتزويد مكتبات الفصول بنماذج من هذه الكتب ، ويعدد من المجلات والصحف التى تتصل بالنواحى الدينية .

ويلزم تكوين جماعة من الطلبة يسمون (أصدقاء المكتبة) ، توزع عليهم أعمالها المختلفة بحسب استعدادهم ، فمنهم من يشرف على الدعاية المكتبية ، ومنهم من يشرف على الصحف الدينية وتلخيص الأخبار منها ،لتذاع صباح كل يوم ، ومنهم من يعنى بلوحات العرض التى تعلن عن الكتب وتشوق للقراءة ، ومنهم من يشرف على مكتبات الفصول لتنظيم الاتصال بينها وبين المكتبة العامة ، وهذه الجماعة تعقد اجتماعات منتظمة برياسة أمين المكتبة للمناقشة فى الوسائل التى تنهض بها ، كما تصدر الجماعة مجلة حائط للدعاية للمكتبة ، ولنشر الثقافة بصفة عامة والثقافة الدينية بصفة خاصة ..

كما تعنى بعقد ندوات ثقافية ودينية يدعى اليها بعض مشهورى الكتاب والمؤلفين والعلماء ، ويجب أن ينظم المشرف على المكتبة جلسات حرة لقراءة الطلاب وتدوين ما يجمعونه فى أثناء هذه القراءة ، على ان تعد كراسة خاصة للاستعارات الخارجية ، مع حض الطلبة على الاكثار من هذه الاستعارات ، ويجعل لهذا النشاط درجة خاصة من درجات أعمال السنة للتربية الدينية ، وتمنح مكافآت للمقبلين على القراء الذين ينتفعون بها ، ويفيدون أخوانهم بتنمية قراءتهم .

وفى المكتبة مجال واسع لتشجيع القراءة الخارجية ، كان تعمل مسابقات حرة بين الطلبة فى استخراج الآيات والأحاديث التى يمكن ان يستشهد بها على موضوعات المنهج المدروسة ، وأن يدرب الطلبة على الرجوع الى بعض مراجع التفسير والحديث بأنفسهم للوصول الى المعانى المطلوبة .

ومكتبة المسجد مكملة لأغراض المكتبة العامة ومكتبات الفصول .

وينبغى ان يوكل تنظيم المكتبات والاستعارة منها والتعريف بما فيها من كتب الى الطلبة أنفسهم تحت اشراف أحد المدرسين .

ويجب ان يشترك الطلاب فى تنمية المكتبات باختيار ما يشوقهم من الكتب الصالحة وكذلك ينبغى ان يصحبهم مدرسهم الى المكتبات العامة الخارجية ليشاهدوا ما بها من كتب ، وليطلعوا على بعضها ، لتكون هذه الزيارات سببا فى حبهم للقراءة ومعرفتهم بالكتب واختيار الصالح منها لمعهدهم ..

وينبغى ان تفتح مكتبات المدرسة لأهل الحى يقرءون فيها ويستعيرون منها ، ويدعون الى اقتراح ما يرونه ملائما لأبنائهم الطلبة من الكتب ، ويعملون على نمو المكتبة المدرسية بأن يهدوا اليها شيئا من الكتب أو يتبرعوا لها بما تطيب به نفوسهم من عون مادى هذا ما عن لى ان أقوله فى شأن التربية الروحيه أهدافها ومجالاتها ووسائلها ولعلى قد وفقت فى ذلك فعلى الدولة والمجتمع والأسرة العناية بالتربية الروحية للنشء ، حتى تستطيع أن نخلق جيلا له ضمير اجتماعى انسانى حى ، يسير مستهديا بقيم وتعاليم الدين ، ويتصرف بأمانة واخلاص وولاء .

يعرف واجبه نحو ربه سبحانه وتعالى ، ويؤمن برسالته نحو مجتمعه وأمته ، ويعمل لصالح وطنه ومواطنيه .

والله ولى التوفيق ..

الخطة الراشدة التى رسمها الله لسيد الدعاة

فضيلة الشيخ
محمد محمد المدنى

عشر جمل فى آية واحدة من كتاب الله عزوجل ، وردت فى سورة ((الشورى)) ترسم المنهج الراشد الذى يجب على كل داع الى الخير ، والاصلاح أن ينتهجه ، بها خاطب الله رسوله الكريم يوم كانت دعوته ناشئة يناهضها الشرك المستأصل فى قبائل العرب والحسد الكامن فى طوائف الذين أوتوا الكتاب فكانت الصراط السوى للسالكين ، والاسوة الحسنة للمقتدين ، تلك هى قوله تعالى :

« فلذلك فادع •
واستقم كما أمرت •
ولا تتبع أهواءهم •
وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب •
وأمرت لأعدل بينكم •
الله ربنا وربكم •
لنا أعمالنا ولكم أعمالكم •
لاحجة بيننا وبينكم •
الله يجمع بيننا •
واليه المصير » •

فقوله تعالى « فلذلك فادع » الاشارة فيه للدين الواحد الذى أنزله الله على انبيائه ، منذ عهد الرسول الأول نوح ، الى عهد خاتم النبيين والمرسلين محمد ، صلوات اللهوسلامه عليهم أجمعين •

وبعث به رسله ، فى حقب التاريخ المختلفة :

ذلك الدين الواحد هو الاسلام ، وما كان لله دين قط سوى الاسلام « ان الدين عند الله الاسلام » « ومن يبتغ غير الاسلام دينافلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين » وما كانت التوراة الا تفصيلا لبعض أحكام الله يناسب وقتها « يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا » وما كان عيسى بن مريم الا (مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من « بعدى » اسمه أحمد ، وما كانت الدعوة التى وصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الا دعوة الاسلام « **يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون** »

وآيات القرآن الكريم تدل على ذلك أوضح دلالة ، ولذلك يقول الله عز وجل فيما تشير اليه آيتنا التى نتحدث عنها مخاطبا الرسول الأخير وأمته : « **شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى اوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** »

فالاسلام ليس هو « الوحدة » بين المتبعين لمحمد فحسب ، ولكنه « الوحدة » التى تجمع — وان أنكرت — بين المتبعين حقا لرسل الله أجمعين ، هو كلمة الله : تلقاها نوح ، ثم تلقاها من جاء بعده رسولا بعد رسول ، ثم تلقاها محمد صلى الله عليه وسلم ،ثم تلقاها عنه الأئمة الراشدون ، والعلماء الصادقون ، فما كان ينبغى ان تسمى هذه الدعوة فى حقب التاريخ كلها ، الا بما سماها الله به — أى بالاسلام — وما ينبغى أن تنسينا نسبتها الى رسلها أو أقوامهم ، حيث قيل « المسيحية » أو « الموسوية » أو « اليهودية » أو (المحمدية) — ما ينبغى أن ينسينا هذا — انها هى الاسلام ، ثم ما ينبغى أن ينسينا هذا تلك الأسماء الطائفية التى اتخذناها ، فنحن المسلمين وان تسمى فريق منا «بالحنفية» أو « الشافعية » أو « الامامية » أو «الزيدية» أو « الاباضية » •• الخ

ذلك ما تدل عليه الاشارة التى جاءت فى أول الآية مقرونة بفاء السببية « فلذلك فادع »

وما ينبغى أن يكون لنا معاشرالمسلمين هدف الا هذا الهدف نرمى اليه ، ونحث عليه ونقنع به العالمين : الاسلام هو دين الله الواحد ، وان تعددت الأنبياء والرسل ،فمن آمن به فقد آمن برسالات الله كلها ، ومن كفر به فلن ينفعه أن يؤمن بشىء سواه « فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فأن أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ » « وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما اعمل ،وأنا برىء مما تعملون »

واذا عرف الانسان الهدف الذى يرمى اليه استراح ، وكان عليه أن يعرف الوسائل المحققة له ليأخذ بها •

وهذه الوسائل منها ماهو ايجابى عملى يتعين على صاحب الدعوة أن يضطلع بهويعمله غير متهاون فيه ، وهذا ما يأمر الله به عزوجل فى قوله « واستقم كما أمرت » فان اول ما يساور المدعوين الى أمر من الأمور أن ينظروا الى مسلك الداعين اليه ، وسيرتهم فى حياتهم،

فان رأوا خيراً أقبلوا عليهم ، واستمعوا اليهم، وكانوا أقرب الى طاعتهم ، وان كانت الأخرى انصرفوا عنهم ، واعتقدوا أنهم كاذبون فيما يقولون ، أوهم به متجرون •

ان الله سبحانه وتعالى علم المؤمنين فيما علمهم من دعاء ان يقولوا « ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا » والمؤمن يكون فتنة للكافر اذا كان على نوع من الحياة أو السلوك فيها يتخذ دليلا على أنه لم يفد من ايمانه ، ولم تنعكس به أضواء ساطعة على قلبه ، ولا أعمال نافعة على جوارحه ، فيقول الكافر : مابال هذا لم يصلحه ايمانه ، ولم تنفعه عقيدته وشريعته ؟

وقد أتى على المسلمين حين من الدهر كانوا فتنة للذين كفروا : رأوهم ضعفاء فقالوا: لم ضعفوا وقد زعموا أن دينهم دين القوة ؟ وراوهم أذلة فقالوا : لم ذلوا وقد زعموا أن دينهم دين العزة ، ورأوهم متقاطعين متدابرين فقالوا : هذه حالهم على دينهم ، فكيف يدعوننا به ، ويهدوننا اليه ؟

ولقد سرى هذا الروح الى بعض المسلمين فظنوا ان عقائدهم وأحكام دينهم ربما كانت هى السر فى شقائهم . فلم يعودوا يتحمسون للاسلام ، أو يغارون على مبادئه واخلاقه ، بل أصبحوا يجادلون فيها ، ويحاولون زلزلة الناس عنها ، وهكذا فتنوا ثم افتتنوا

ومن الوسائل التى يتحقق بها نجاح الداعى ماهو سلبى يراد به التحصن من الباطل ، ومقاومة اغرائه باهماله ، وهذا ما ينهى عنه الله عز وجل بقوله « ولا تتبع أهواءهم » فالمصلح لو اتبع الاهواء متهاونا أو متأولا او مجاملا ، اضطرب عليه أمره ، وطمع فيه خصمه ، وساورت الشكوك قلوب اصحابه ، فلن تكون له بعد ذلك قوة ، ولن تقوم لدعوته قائمة •

ومنها مايراد به انصاف العقول ، وادخال الطمأنينة على القلوب ، فان الداعى يجب أن يعلم أن دعوته ستعرض على عقول الناس ، فان راوها حقا استراحت اليها عقولهم ، ثم هم سينظرون اليها من زاوية حياتهم ومابه يطمئنون على مستقبلهم ، فقد يكون الشيء حقا فى ذاته ، ولكنه يجد المنكرين له ، لأنهم ترقبوا أن يكون رسوخه فيهم وبالا عليهم ، أو وسيلة الى ظلمهم واهتضام حقوقهم ، فهم يرفضونه وان آمنت به قلوبهم ، استجابة لمصالحهم ، وتلبية لعواطفهم ، ولذلك أمر الله رسوله بأن يقول للناس جميعا « آمنت بما أنزل الله من كتاب » ليطمئنهم الى انه ليس « بدعا من الرسل » وانما هو داع الى ما دعوا اليه ، مؤمن بما آمنوا به « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله» وأمره عقب ذلك بأن يبين لهم فى عبارة حاسمة أنه أمر ليعدل بينهم : « وأمرت لأعدل بينكم » فلا يمكن أن يكون اختلافه واياهم فى العقيدة سببا فى ظلمهم ، أو سبيلا الى اهتضام حقوقهم ، وانظر ايها القارىء الى قوله «لأعدل بينكم» حيث أتى بحرف اللام فى قوله لأعدل ، ولم يقل بأن أعدل ، فانى أحسب أن السر فى هذا التعبير هو أن يدركوا أنه مأمور من ربه بأن يسلك كل السبل ، ويتوسل بكل الوسائل ليحقق العدل بينهم : يعلم ، ليصل بالعلم الى تحقيق العدل • يقوى ، ليصل بالقوة الى تحقيق العدل ، يجتنب المعصية فى نظره وفى حكمه ، يحلم ، يصبر ، يتسامح أحيانا، كل هذا يفعله لخصمه كما يفعله لصديقه ، ليحقق العدل ، فكأن المأمور به فى قوله « وأمرت » خوف ليعم جميع الوسائل التى تحقق العدل ، واكتفى بذكر الغاية التى يجب الوصول اليها فقيل « لأعدل »

وقد يطيب لبعض القادة واهل التوجيه فى الغرب ، أو من يتلقون عنه ، ان يصوروا نهضة الشرق لاسترداد حقوقه ، واستعادة كرامته ، بصورة العصبية الدينية ، فيقولوا : هؤلاء المسلمون يريدون ان ينبعثوا كرة اخرى ليغزوا المسيحية فى عقر دارها ، ويفرضوا تعاليم الاسلام بالقوة على الناس أجمعين •

ان العالم يعرف : من هم الذين يثيرون الحروب باسم الدين ، وهاهى الحروب

الصليبية التى جمعوا لها الاموال والاجناد والعتاد تنطق بالعصبية الحمقاء ، وتفيض بالحقد على المسلمين ، والرغبة فى تقويض صرح الاسلام ، ويتزعمها رجال الكنيسة يعقدون لها المؤتمرات والمجامع ، ويؤلبون لها الدول باسم الخوف على المسيحية .

ان الاسلام انما يدافع — ولابد له من ان يدافع عن وجوده ، ومن أن يزيل الصعاب والعراقيل التى توضع فى طريقه ، وهو لذلك يقرر ان حروبه انما هى للدفاع (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين)

وان غايتها هى كفالة الحرية الدينية فى جو مطهر من الفتنة والصد عن الحق «وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين »

وقد مضت القرون بعد القرون ، وموقف الاسلام من أعدائه ، وموقف أعدائه منه ، على ماوصفنا : هم يحاربونه فى السر والعلن خوفا من قوته وملاءمة شريعته للحياة ، وهو يدافع عن نفسه ، وقد يضطر فى سبيل هذا الدفاع الى أن يهاجم خصومه ، وحينئذ يقولون حرب عصبية دينية .

ان الاسلام دين تقدمى ، يريد للبشر حياة سعيدة متكافئة خالية من الظلم ، مستقرة على دعائم من المساواة والعدل ، فهيهات أن يرضى عنه دعاة الاستغلال والاستعمار ، والذين يحبون ان يظل الشرق فى عماية ليقودوه ، وفى خضوع ليسخروه ، فهم لا يخافون من الاسلام الا هذا ولا يحاربون فى الاسلام الا هذا ، وان علينا — نحن المسلمين — أن ندرك أن أعداءنا يريدون أن يرمونا عن قوس واحدة ، فهم يحركون العواطف الدينية فى شعوبهم ، زاعمين ان الاسلام دين تعصب وهدم فاذا كانوا يحاولون أن يتكتلوا على باطلهم ، فما أجدرنا أن نلتف حول حقنا ، وأن ندافع عن كياننا ، والله المستعان على ما يصفون .

هذه هى الخطة التى رسمها القرآن الكريم لصاحب أعظم دعوة عرفتها الانسانية ، ولها سر يتمثل فيما جاءت به الآية بعد ذلك من افهام المختلفين بأنه لاداعى للاختلاف ، ولا مصلحة لأحد الفريقين فيه ، فكل منهما مسئول عما يذهب اليه من حق او باطل ، محاسب عليه حين يرجع الى ربه « الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لاحجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا ، واليه المصير »

فاذا كانت هذه هى خطة الاسلام مع من عاندوا الاسلام وكابروا فيه من ذوى الحجة الداحضة ، والقلوب الغلف ، فكيف يسوغ للمسلمين فيما بينهم ان يقوم فيهم ناعب لا هم له الا أن يقطع أواصرهم ، ويحل خناصرهم ، ويجعلهم أعداء يتربص بعضهم ببعض ، ويكيد بعضهم لبعض ؟

واذا كان الله جل جلاله يرسم الخطة الراشدة لحمل العالمين على الاسلام ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والصفح الجميل ، وأخذ العفو ، والأمر بالعرف ، والأعراض عن الجاهلين حتى تتقارب القلوب ، وتتفاهم العقول . ويظهر الحق فى جو من الصفاء والهدوء ، فما بالنا لانسلك هذه السبيل فيما بيننا ، فيحترم بعضنا بعضا ، ويعذر بعضنا بعضا ، ويتفاهم على قضايانا ذوو الأحلام الراجحة ، ويكف عن الايقاع بيننا ذوو الأقلام الجامحة ؟

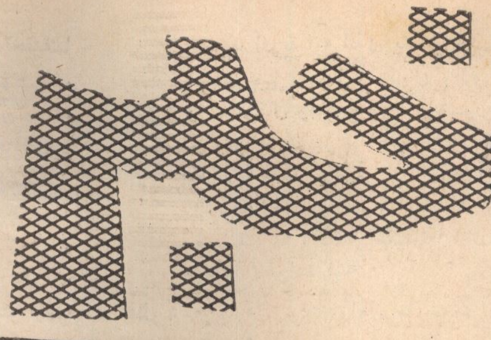

الأستاذ محمود كمال

كنا جماعة ... تشعب الحديث بيننا ..
قال احدنا لقد اطلعت فى أهرام أمس على خبر ، وان كان قصيرا ، لكنه مثير.. لغرابته التى لايصدقها عقل ، ولا يقرها منطق ، ولا يستسيغها انسان فى عالمنا الحاضر .

قلنا : ... لم نطلع عليه ... فما هو ؟

قال : ... لعلكم تلاحظون أن جريدة الأهرام تنشر فى الصفحة الخامسة منها دواما ، أخبارا فى سطور ... داخل اطار مرسوم تحت عنوان لا يتغير هو « أخبار من العالم » . وكان هذا الخبر واحدا من تلك الأخبار المنشورة داخل ذلك الاطار ... وقد لفت نظرى .. ويدهشنى أنه لم يلفت نظر أحد منكم أيضا .

قلنا : ... وما هو وجه الأهمية فيه حتى يجذب أنظارنا اليه ؟ ... انك تتكلم كثيرا عنه ، ولكنك لم تقل للآن ما هو هذا الخبر المثير الموجب للفت الأنظار اليه ..

قال : ... لكى أزيدكم تشوقا أضيف الى ما تقدم أنى لغرابتـه ، قد قصصت الاطار الذى يضمه لحفظه ضمن مجموعات من قصاصات المجلات والجرائد ذات الأهمية ، والتى احتفظ بها عادة ... وهذه القصاصة لا تزال معى لم أضمها لتلك المجموعات بعد ... ثم أخرج من جيبه قصاصة الأهرام التى حكى عنها وقرأ منها الخبر التالى ... واليكم اياه بحروفه :

* * *

« التفرقة العنصريه فى جنوب أفريقيا »
تفرق بين طفل ووالديه

« جوهانسبرج ـ أبلغت سلطات حكومة جنوب أفريقيا زوجين بأن طفلهما الذى ولد خلال زيارة قاما بها لأقربائهما فى الهند يعتبر مهاجرا ، محظور عليه دخول البلاد ، وكانت سلطات حكومة بريتوريا قد رفضت التصريح للزوجين بادخال طفلهما الى جنوب افريقيا فاضطرا الى تركه فى بومباى وعادا لمتابعة القضية »

« ورغم أن الزوجين رفعا التماسا الى رئيس جمهورية جنوب افريقيا الا أن وزارة الداخلية ابلغتهما بأنه ليس فى الامكان عمل شىء لهما لالغاء قرار حظر دخول الطفل الى جنوب افريقيا » ...

قلت : ... الواقع أنه خبر مشين ، مزر باتحاد جنوب افريقيا ، ولكنه ليس شيئا موجبا للدهشة والاستغراب ، اذا علمت أن سياسة التفرقة العنصرية هناك ، بصفة خاصة ، قد تجردت من

الانسانية والبشرية ... تحقيقا لأهداف معينة ، ثابتة ، أما الهدف الأول منهـا ، الذى ترجى من ورائه نتائج عاجلة قدر الامكان ، فالمقصود منه الفصل بين البيض والأجناس الأخرى من سكان الاتحاد ، فصلا تاما ، وأما الهدف الثانى ، البعيد المدى ، فهو الذى يقصد به ابادة تلك الأجناس ، تدريجيا ، حتى تخلو ارض الاتحاد للبيض دون سواهم فلا يعمرها أحد غيرهم .

وتلك السياسة ، التى تمثل هذه الأهداف المزرية المشينة ، تقوم على اسس من الأنانية ، والاستعلاء ، والاعتقاد الجازم بأن الجنس الأبيض هو الذى يستحق البقاء وحده لأنه من طينة وطبيعة أخرى غير طينة وطبيعة الأجناس ، خلافهم ، التى تسكن اتحاد جنوب افريقيا .

قال : ... انى وان كنت قد ألممت بشىء من التفرقة العنصرية ، مما تتناقله الجرائد اليومية ، فى كثير من الأحيان ، وعلى الأخص فيما يتعلق بثورة الزنوج فى أمريكا ، ومعارضة غالبية البيض هناك لقوانين الحقوق المدنية ، واصرارهم على عزل السود ، وابعادهم عن حظيرتهم ، بسبب الفوارق الكبيرة بين الطرفين فى المدنية والحضارة على ما يزعمون ، غير أنه ليست لدى معلومات تفصيلية عن التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا خاصة ، فهلا زدتنى بذلك علما .

قلت : ... لا بأس ... ولعل صدرك يتسع الى حديث طويل ، أطول مما تنتظر ، لأن التفرقة العنصرية ، فى تلك الأصقاع ، ليست بنت اليوم ، بل هى كانت موجودة ، بصورة او أخرى ، منذ التاريخ الذى بدأ فيه الاستعمار الأوربى ينفذ الى افريقيا ، وعلى الأخص فى الجزء المعروف الآن باسم « اتحاد جنوب افريقيا » الذى يشمل جنوب افريقيا نفسها ، ونانال والأورانج والترنسفال وعاصمتها « بريتوريا » وكذلك فى الأجزاء الأخرى المجاورة له ، مثل روديسيا الجنوبية ، التى ما زالت التفرقة العنصرية سياسة اصيلة فيها ، تتمسك بها ، بكامل سيئاتها ، تمسكا شديدا لاهوادة فيه .

قال : ... قل .. وأطل ما شئت ...

فستجدنى ان شاء الله من الصابرين !

قلت : ... كان بارتولوميودياز ، القائد البحرى البرتغالى أول أوربى نزل براس الرجاء الصالح ، فى جنوب افريقيا ، سنة ١٤١٩ ميلادية ، ثم توالى وصول البرتغاليين الى تلك المنطقة ، ولكنهم لم يستقروا فيها ، لأنهم كانوا يطلبون الذهب والعاج والعبيد ، ولم يكن شىء من ذلك موجودا هناك ، حينذاك ، فرحلوا الى ساحل الذهب واستقروا عنده .

ثم جاء الهولنديون ، من بعدهم ، سنة ١٦٥٢ ميلادية ، فأنشأوا فى تلك البقاع مستعمرة لهم ، تمد مراكبهم الذاهبة الى جزر الهند الشرقية ... وكانوا قد أسسوا لأنفسهم امبراطورية فيها - بما تحتاج اليه من مؤونة من اللحم الطازج والخضراوات والفاكهة ، اذ كانت الرحلة من هولندا الى تلك الجزر تستغرق ستة أشهر او يزيد ، ولم يكن هناك طريق للوصول اليها غير ذلك الطريق

وقد أخذ هؤلاء الهولنديون ، منذ بداية استقرارهم فى جنوب افريقيا ، يشتغلون بالزراعة وتربية الماشية ، ولكنهم اصبحوا غير قادرين وحدهم على فلاحة المزارع الواسعة التى كانت الحكومة تقطعهم اياها ، ولا على تربية ما شيتهم أيضا ، فكانوا يعتمدون فى ذلك على « العبيد » ، وعلى « البانتو » ، كما كانوا يعتمدون على النساء من هذه

الأجناس فى الخدمات المنزلية *

وما تزال الحال باقية الى الآن على هذا المنوال القديم فى تشغيل هؤلاء وهؤلاء فى المزارع وفى البيوت ، مع فارق واحد هو أنه لم يعد هناك عبيد أرقاء ، بعد أن حرم الرق فى العالم كله تحريما مطلقا ، واصبح هؤلاء «السود والبانتو» يتقاضون من البيض أجورا ، وان كانت ضئيلة ، نظير اشتغالهم فى مزارعهم ، أو فى المناجم أو المصانع المختلفة .

قال : ... هل أفهم من هذا الذى قلته أن السكان البيض هناك هم من الهولنديين فقط ..

قلت : ...لا... لقد حدث أن قامت حرب قصيرة بين بريطانيا وهولندا ، ليس المجال مجال شرح اسبابها ، أدت الى استيلاء بريطانيا على الكاب سنة ١٧٩٥ ميلادية ، وجعلها قاعدة تمون مراكبها الذاهبة الى الهند ، التى كانت بريطانيا قد كونت لنفسها امبراطورية فيها ايضا ..

وبذلك فان السكان البيض المقيمين حاليا فى جنوب افريقيا هم من الهولنديين والانجليز .

فضلا عن بعض الأوربين الذين نزحوا اليه ، فيما بعد ، لسبب أو آخر ، واستقروا فيه لغاية الآن ..

وتعداد هؤلاء البيض جميعا يبلغ ثلاثة ملايين .

قال : ... ولكنك لم تقل لى شيئا تفصيليا عن السكان الأصليين ..

قلت : ... هم السود ، والبانتو ، والملونون أما السود فهم الذين يطلق عليهم « العبيد » ، وهم الذين جلبهم الهولنديون الى الكاب من جزر الهند الشرقية ، ومن بعض أنحاء قارة افريقيا نفسها .

أما « البانتو » فهم بعض قبائل الأوشا التى كانت موجودة فى تلك البقاع فى نفس الوقت الذى كان الهولنديون موجودين فيه ، وكانوا قد وفدوا على جنوب افريقيا من أنحاء أخرى من القارة ، وكان ذلك سنة ١٧٧٦ . ويبلغ تعدادهم نحو عشرة ملايين .

أما الملونون ، ويبلغون آلافا كثيرة ، فهم سلالة الاسيويين ، وعلى الأخص الهنود الذين وفدوا على جنوب افريقيا للاتجار أو للاشتغال فى مزارع البيض ، أو فى المناجم والمصانع .

قال : ... ولكنك رغم هذا البيان لم تذكر لى شيئا عن ماهية التفرقة العنصرية ، ولا عن مساوئها ..

قلت : ... لقد أوضحت لك ، أثناء هذا الحديث ، أن الأجناس المشار اليها كانت تشتغل فى مزارع البيض . وفى تربية ماشيتهم ، وانهم أصبحوا يتقاضون اجورا ضئيلة لا تتناسب مع مجهوداتهم ولا تساعدهم على رفع مستواهم فى يوم من الأيام .

ويجب أن أضيف الى ذلك أن حكومة جنوب افريقيا تقطع البيض مزارع واسعة تفيض عن حاجتهم كثيرا .

ثم هى قد رأت أخيرا ، تمشيا مع سياستها العنصرية ، أن تخصص « للبانتو » مستعمرات زراعية Areas يقيمون فيها ، وجعلت لهم فى كل مستعمرة حكومة مركزية تقوم على شئونها وعلى رعاية مصالح المقيمين فيها ، وتعدادهم اقل من نصف تعداد السكان من البانتو .

وقد أصدرت الحكومة قانونا بذلك سنة ١٩٥٩ ، يسمى « قانون انشاء الحكومة المركزية للبانتو » .

ولعله يتضح لك من تخصص هذه المستعمرات للبانتو أن الحكومة تهدف الى اجراء الفصل التام ، فى الحياة العامة ، بين البيض وغيرهم من الأجناس الأخرى التى تعمر جنوب أفريقيا .

وجدير بالذكر ، فى هذه المناسبة ، أنه توجدهناك مظاهر من مظاهر التفرقة العنصرية ، خلاف تخصيص مزارع للبانتو، منها أن الأعمال الفنية والأعمال التى تحتاج الى مهارات خاصة، يجب أن تكون كلها من نصيب البيض ، فلا يسمح لأحد من « البانتو » بمزاولة امثال تلك الأعمال ، كما لا يسمح لهم بأن يشغلوا وظائف ذات مسئوليه أيا كانت .

وجدير بالذكر أيضا أنه ليس من المصرح به أن يقيم الطرفان معا فى مكان واحد ، ولا فى شارع واحد ، حتى هؤلاء الذين يشتغلون فى المناجم والمصانع قد خصصت لهم أماكن اقامة معينة خارج المدن تسمى « محال اقامة » Locations

ومنذ أمد بعيد كان « الهوتانت » الذين يشتغلون فى مزارع البيض يحملون تصاريح مرور تبين هويتهم ، اى من يكونون ، ولحساب من هم يشغلون ، وهذه الوسيلة ، أعنى حمل تصاريح المرور ، تستعمل الآن بالنسبة للبانتو الذين يشتغلون فى المدن ، وكل رجل منهم يعاقب اذا هو ترك تصريح مروره فى البيت بحيث لا يمكنه أن يريه لرجال البوليس كلما طلب منه ذلك ..

قال : ... هل من مزيد ؟

قلت : ... أكتفى بهذا القدر من المعلومات العامة عن التفرقة العنصرية فى اتحاد جنوب افريقيا لكى أجد مجالا للكلام على شىء آخر مرتبط بها ولكنه ذو أهمية خاصة ، وذلك هو حق الانتخاب لبرلمان الاتحاد .

ويجب أن يلاحظ ، بادىء ذى بدء ، أن كل رجل من البيض يقابله ثلاثة رجال من « البانتو » أو أكثر بسبب أغلبية هؤلاء العددية فى نسبة السكان، كما تقدم البيان .

وحينئذ فانه يكون من المحتمل ، لو تساوت حقوق الطرفين فى التصويت لأعضاء البرلمان ، أن ينتخب أعضاؤه كلهم من « البانتو » ولاينال البيض أى نصيب من مقاعده .

ولو حدث هذا فان سلطة الحكم تؤول الى « البانتو » كلية ، كما تكون التشريعات التى تصدر كلها فى مصلحتهم ، وربما تكون ، فى الوقت نفسه ، ضارة بمصلحة البيض .

ومن اجل هذه الأسباب اتجهت نية حكومات الاتحاد المتعاقبة الى ضرورة سلب حقوق « البانتو » الانتخابية بحرمانهم منها كلية !

كما اتجهت نيات تلك الحكومات الى حرمانهم من التعليم ، تعليما كافيا يضعهم هم والبيض فى مستوى واحد من هذه الناحية .

***

وفيما يختص بالحرمان من الحقوق الانتخابية فان حكومات الاتحاد رأت أن لا تجعل هذا الحرمان مطلقا وتاما دفعة واحدة ، بل آثرت التدرج به خطوة فخطوة حتى تصل فى نهاية المطاف الى الحرمان المطلق .

وبيان ذلك أن القانون الصادر سنة ١٨٥٢ ميلادية كان يعطى لكل انسان من البيض والبانتو حق الانتخاب بشروط معينة تتعلق بالضريبة الواجبة الوفاء سنويا عن المنزل الذى يقيم فيه كل واحد منهم ، كما تتعلق بالمرتب السنوى الذى يتقاضاه .

وفى سنة ١٨٩٢ ، زيد مقدار تلك الضرائب ، وأضيف شرط جديد هو أن يجتاز الناخب امتحانا علميا بسيطا .

وفى سنة ١٩٠٩ ، عندما أقيم اتحاد جنوب افريقيا ، تقرر الابقاء على حقوق « البانتو » الانتخابية ، ولكنهم حرموا

فى الوقت نفسه ، من الجلوس كأعضاء فى البرلمان .

وفى سنة ١٩٣٦ خصص « للبانتو » جدول انتخابى منفصل عن جداول البيض ، وصرح لهم فقط بانتخاب اربع أعضاء لمجلس الشيوخ (المجلس الأعلى) وثلاث أعضاء للجمعية (المجلس الأدنى)

وفى سنة ١٩٥١ صدر قانون بمعاملة الناخبين الملونين بنفس المعاملة التى عومل بها « البانتو »

وفى سنة ١٩٥٩ صدر قانون باسم « قانون انشاء الحكومة المركزية للبانتو » وبموجبه فقدوا حقهم فى التصويت فى الانتخابات البرلمانية ، ولم يعد لأى أحد منهم حق فى الانتخاب لبرلمان الاتحاد ، وقد صار الحال كذلك بالنسبة للملونين .

وهكذا ترى أن حق السكان غير البيض فى الادلاء بأصواتهم الانتخابية فى حدوده الضيقة التى كانت مرسومة له منذ أول الأمر ، قد أخذ يتدرج فى الانكماش منذ سنة ١٨٥٢ حتى تلاشى فى النهاية سنة ١٩٥٩ ، واندثر ، فلم يعد له وجود .

ومن هذا يتبين ان القوانين التى تصدر كلها من صنع البيض حسبما تمليه عليهم مصالحهم ، وتمكينا لهم من التحكم فى حياة البانتو والملونين ، ومصائرهم ومقدراتهم .

قال : ... وهل حرمان هذا الوليد من الدخول الى بريتوريا كان بموجب قانون من القوانين التى سنها البيض لمصلحتهم ؟

قلت : ... ما من شك فى أن الأمر هو كذلك ، وليس من عجب فى أن يعتبر الوليد الذى عناه الخبر المنشور فى جريدة الاهرام مهاجرا يسرى عليه الحرمان من دخول موطن أبويه ، طالما ان سياسة حكومة البيض تهدف الى ابادة الأجناس الأخرى ، كما قلنا قبلا ، ولو ابادة تدريجية ، والمفروض ، لكى تكون تلك الحكومة منطقية مع نفسها ، ان لا تسمح بدخول هذا المولود ، لأن دخوله سوف يزيد فى عدد الملونين واحدا ، هو مهاجر جديد !

قال : ... وكيف يسكت العالم على هذه المهازل التى تمثل، تحت سمعه وبصره، على مسارح هذا الاتحاد ؟

قلت : ... حقيقة أن الساسة ورجال الحكم هناك قد تجردوا من الانسانية ، ومن البشرية ، وانساقوا فى تيار الاستهانة بآدمية الآدميين ، وفى امتهان الرأى العام العالمى الذى يستنكر ما يفعلون استنكارا ، ويضيق بما ينتهجون من نهج فى هذا الصدد ضيقا شديدا .

ولكن ساسة الدول ، التى تنعى على جنوب افريقيا سياسته العنصرية، وهى تمثل الغالبية العظمى من دول المنظمة العالمية ، قد أخذوا يندون بتلك السياسة ويهاجمون اتحاد جنوب افريقيا ، فى كل محفل من المحافل ، العالمية وغير العالمية ، دون هوادة .

فأما عن المحافل العالمية ، فلعله يكفى ، للتدليل على ذلك ، أن نشير الى مناسبتين اثنتين فقط .

فأما المناسبة الأولى فكانت عندما قامت « لجنة العقوبات التى كلفها مجلس الأمن بدراسة الوسائل الفنية العملية التى يمكن اتخاذها ضد جمهورية جنوب افريقيا ، بسبب سياسة الفصل العنصرى التى يتبعها، وبتقديم تقريرها فى أول مارس . وقد أوصت اللجنة بوقف كل وسائل الاتصال بجمهورية جنوب افريقيا وحظر تصدير البترول والأسلحة ، ووقف هجرة الفنيين اليها، هذا الى جانب استخدام وسائل الضغط الدبلوماسى التى نصت عليها قرارات مجلس الأمن فى هذا الشأن ، وقد صرح رئيس لجنة الخبراء أن الدول الكبرى تقاوم توقيع الجزاءات الاقتصادية على

جنوب افريقيا ، بل هى تزودها بمعونة مالية وفنية هامة » .

ونرى من هذا التقرير أن الدول الكبرى هى العقبة الكؤود فى سبيل اخضاع اتحاد جنوب افريقيا لمشيئة الرأى العام العالمى ، ولا غرابة فى ذلك ، لأن تلك الدول هى ، عادة ، السبب الأكبر فى الكوارث التى تحيق بالعالم ، لأنها انما تهتدى فى سياستها بهدى مصالحها الخاصة دون النظر الى أى اعتبار آخر .

وأما المناسبة الثانية فكانت عندما ثار النزاع بين المنظمة وبين الاتحاد حول « جنوب غرب افريقيا »

وكما تعلم فجنوب غرب افريقيا كان مستعمرة المانية ثم وضعته عصبة الامم ، بعد الحرب العالمية الاولى ، تحت الانتداب البريطانى ، ثم فوضت انجلترا اتحاد جنوب افريقيا فى النهوض بالالتزامات المترتبة على هذا الانتداب ، بدلا منها .

وقد شكلت هيئة الأمم المتحدة لجنة سميت « اللجنة الخاصة لجنوب غرب افريقيا » جعلت مهمتها تحقيق أهداف معينة فيه منها الغاء كل القوانين والتنظيمات التى تبقى السكان الأصليين فى مناطق خاصة وتحرمهم من حريات التنقل والتعبير والاجتماع ، وكل القوانين التى تنشىء أو تدعم نظام التفرقة العنصرية » .

وقد قام رئيس اللجنة ونائبه بزيارة جنوب افريقيا ثم قدم تقريرا فى سنة ١٩٦٢ عن تلك الزيارة الى الجمعية العمومية للهيئة « أبان فيه نتيجة زيارتهما للاقليم ، وأكد أن جنوب افريقيا تعمل فى الاقليم سياسة هدفها ضمها اليها وتمهد الى سياسة التفرقة العنصرية المشينة المعمول بها فى جنوب أفريقيا ذاتها » ...

ومن أجل هذا فقد طلبت بعض الدول « اتخاذ اجراءات اقتصادية ضد جنوب افريقيا » .

وأذاعت سكرتارية الأمم المتحدة أن مائة دولة وخمس اتخذت اجراءات مختلفة تهدف الى منع حكومة جنوب افريقيا من اتباع سياسة التفرقة العنصرية ، وتتراوح هذه الاجراءات بين قطع العلاقات السياسية واغلاق جميع الموانى والمطارات فى وجه السفن والطائرات التابعة لجنوب افريقيا . كما تتناول عقوبات اقتصادية مختلفة ، ومنع أى شخص يحمل جواز سفر لجنوب افريقيا من دخول بلاد كثيرة .

هذا وقد اتخذ مجلس وزراء خارجية منظمة الوحدة الافريقيه فى اجتماعه المنعقد من ٢٦ فبراير الى ٩ مارس سنة ١٩٦٥ بعض قرارات منها فرض عقوبات عسكرية واقتصادية ضد الاتحاد بسبب سياسته العنصرية .

وكانت الجمهورية العربية المتحدة قد قطعت علاقاتها السياسية والاقتصادية بجنوب افريقيا ، من قبل ، منذ مايو سنة ١٩٦١ للسبب نفسه .

وأما عن المحافل الأخرى ، غير الأمم المتحدة ، فان أقرب مثل على السياسة المتبعة فى مناهضة جنوب افريقيا هو ما حدث فى « اللجنة الأولمبية الدولية » فقد كانت الدول الاستعمارية قد استطاعت أن تبعد اللجنة الأولمبية لأبناء جنوب افريقيا الملونين عن عضوية اللجنة الدولية واكتفت هذه الأخيرة بقبول اللجنة الأولمبية التى تمثل البيض عضوا بها ، ولكن الجمهورية العربية المتحدة استطاعت بمساندة الدول الصديقة المتحررة أن تقنع اللجنة الدولية بقبول لجنة جنوب افريقيا للملونين أيضا عضوا بها . وكان هذا نصرا مؤزرا للدول المتحررة .

قال : ... وما رأيك فيما يجب على أبوى هذا الوليد ازاء هذه الأوضاع ؟

قلت : ... كان الله فى عونهما ، انهما بين أمرين لا ثالث لهما ، فهما اما أن يختارا العودة الى موطنهما للقيام على شئونهما ومصالحهما هناك ، ان كانت لهما مصالح تجبرهما على ذلك ، ويتركا وليدهما فى كفة القدر .. فى ملجأ من الملاجىء ، مثلا ، ان وجداه ، أو فى رعاية أى من خلق الله فى أى مكان على وجه البسيطة ، واما أن يهجرا ذلك الموطن ، وربما الى الأبد ، هو ومن فيه من الأهل والاقارب والأصدقاء والأحباء ، وما فيه من مصالح قد تكون ذات نفع يتوقف عليه حياتهما الماديه ، ويضربا فى الأرض طلبا للرزق ، حفاظا على وليدهما ورعاية لحياته ومستقبله.

والأمران أحلاهما مر ، أمر من الصاب والعلقم .

قال : ... لى تعليق على ما تقدم من تفصيلات ، وأظنك لا تأبى أن تسمعه منى ، فقد أثرت بحديثك حفيظتى على هذه السياسة العنصرية وعلى الساسة الذين ينفذونها .

قلت : ... كما سمعتنى يجب على أن أسمعك

قال : ... لقد رأيت الآن كيف يعامل اتحاد جنوب افريقيا رعاياه من الملونين ، مما أتاح لى أن أرى المقاييس التى تقاس بها المدنية والحضارة فى تلك الديار . وأن أرى الى أى حد تهون حياة هؤلاء الملونين هناك ، وتهدر آدميتهم ، وتداس كراماتهم تحت وطأة قوانين وتشريعات هى أقرب الى تشريع الغاب منه الى تشريع انسانى !

ورأيت كيف تفعل قوة الحديد والنار فى يد انسان ظالم ، غشوم ، جبار ، أبيض البشرة واللون ، ولكنه اسود القلب ، قاسى النفس ، غليظ الفؤاد ، ميت الضمير ..

وفهمت لماذا تجتاح العالم موجة من السخط ، والاشمئزاز ، والنفور من التفرقة العنصرية ، ولماذا تتنادى الشعوب والحكومات بمقاطعة ذلك الاتحاد ، وضرب الحصار الاقتصادى عليه ، طالما انه يتعذر اخضاعه بقوة السلاح ، حتى يحين الحين الذى يجثو فيه على ركبتيه ، وينزل فيه على ارادة الرأى العام العالمى ..

قلت : ... لقد أصبت ... وأعتقد أن ارادة الشعوب هى الغالبة ، طال الزمان او قصر ، ولا بد أنه سيأتى اليوم الذى ينقشع فيه ذلك الضباب الذى يخيم على العالم من جراء المظالم التى يرتكبها ناس أعمتهم المصالح عن النظرة الصائبة الى المستقبل ، والى رغبات الشعوب التى تعتبر ارادتها من ارادة الله .

رسول الله ادريس .. على محمد وعليه الصلاة والسلام

فضيلة الشيخ
عبد اللطيف السبكى

١ ـ ذكره الله فى القرآن مرتين .

احداهما ـ فى قوله تعالى : « واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا . ورفعناه مكانا عليا » مريم : آية ٥٦ ، ٥٧ .

والثانية ـ فى قوله تعالى : « .. واسماعيل، وادريس ، وذا الكفل ، كل من الصابرين » أنبياء : ٨٥ .

أدرك ادريس من حياة آدم ثلاثمائة، وثمانين سنة على ما يروى .

وعلى ذلك يكون معاصرا لآدم هذه المدة .

وهو نبى بعد آدم ، وشيث ، فقد سبقاه بالنبوة ، وان كان هو رسولا باجماع أهل العلم ، مع اختلافهم فى رسالة آدم وشيث .. واذا كان القرآن ذكره فى الآية الأولى بوصف النبوة : لا بالرسالة فذلك وصفه الأعم ، كما كان يذكر محمدا ، وغيره بوصف النبوة كثيرا .

واذا كانت رسالة ادريس مجمعا عليها .. فلماذا نرى القرآن يذكر رسالة نوح بما يفيد أنه أول رسول مع أنه متأخر عن أدريس بألف سنة ؟؟

وهذا فى نحو قوله تعالى : **« انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح ، والنبيين من بعده ـ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى أوحينا اليك .. »**

وجواب ذلك : أن ادريس مع سبقه فى الرسالة لم يصادف من قومه أذى ، ولا تحديا ، مثل ما لقى نوح من شقاق ، وسخرية، وطغيان، فكان ذكر نوح لتسلية النبى بما جرى لنوح من قومه : عما جرى مثله من قريش لمحمد .. ولم يكن فى شأن ادريس ما يعتبر تسلية ، ولعل هذا هو السبب فى عدم ذكره كثيرا .

٢ ـ قال فريق من العلماء السابقين : ان ادريس ولد بمصر ، فى مدينة ـ منف ـ وسموه بهرمس ، ومعناه عندهم ـ عطارد ـ اسم الكوكب المعروف .

وقال آخرون منهم : لم يولد بمصر ، بل ولد فى ـ بابل ـ من بلاد العراق ، ثم هاجر منها

– بعد الى مصر وذلك – أنه عاش أول مرة على ما عرف من علم شيث قبله .. ولما عهد الله اليه بالرسالة كانت دعوته تصديقا لنبوءة آدم، وشيث، وتبليغ ما أوحى اليه من ربه .

وقد خالفه بعض قومه كما هو المعهود فى كل قوم مع رسولهم .. ثم رأى – بتوجيه من الله أن يرحل من بابل، الى مصر، ولكن أتباعه استثقلوا الهجرة حبا فى وطنهم، وركونا منهم الى نهرى دجلة والفرات، وقالوا له : اذا رحلنا : فأين نجد مثل بابل ؟؟ فقال لهم : اذا هاجرنا لله : رزقنا عوضا عن دجلة والفرات، فأطاعوه، وخرجوا معه .

ولما وفدوا على نهر النيل، ووجدوا هذا الوادى خاليا من السكان وقف بهم ادريس على الشاطىء، وسبح لله : شكرا، وفرحا بما ظفروا ... وقال لجماعته – بابليون –، ومعناها فى لغتهم : نهر مبارك .. أو نهر أكبر من نهركم .

فصارت كلمة – بابليون – منذ القدم عنوانا على هذا الوطن عند غير العرب، وأما العرب فيسمونه باقليم مصر : نسبة الى – مصر بن حايم – الذى نزل بهذا الوادى بعد الطوفان الذى حدث فى عهد نوح – كما تحكى ذلك كتب التاريخ .

وسواء : أكان ادريس مولودا فى مصر، فيكون مصرى الوطن والدعوة، أم كان مهاجرا اليها من بابل : فالاتفاق على أنه عاش بوادى النيل .

وكانت مدة عيشه فى دعوته هنا – اثنتين وثمانين سنة على ما يروى .

٣ – ونحن نقتبس من هذه الشذرات أن مصر وطن من أوطان الرسالة السماوية قديما، كما أنها كانت مزارا لبعض الأنبياء .

فهذا ادريس، ثم ابراهيم، ثم يوسف، وأبوه واخوته، ثم موسى، وهارون، ثم عيسى فى صغره مع أمه – صلوات الله عليهم جميعا .

ونقتبس – ثانيا – أن الهجرة فى سبيل الدين، والدعوة اليه لم تكن حدثا جديدا فى الاسلام، بل هى سنة الله فى رسالات كثيرة سابقة .

غير أنها فى رسالة محمد كانت أكثر عددا وأخطر شكلا، وأبرز أثرا اذ أنها تكررت الى الحبشة مرتين .. ثم كانت هجرة جماعية، واسعة الى مدينة الأنصار – يثرب – وكانت مطاردة مرهقة، وانتقالا غير هين بالدعوة من وطنها الأول، الى مستقرها الجديد بالمدينة .

ثم أخضعت مطارديها لسلطانها فى مكة، وحلقت فى الآفاق، وصارت كلمة الله مدوية فى الدنيا .

وظل للهجرة النبوية، وللمهاجرين المسلمين قصص لامع فى تاريخ الجهاد .. وبقى تاريخ الاسلام حيا، ببطولاته، وتضحياته، وأعاجيبه، ومبعث النشاط، والتجديد فى سبيل الحضارة، والانطلاق الى جديد نافع، ولم تجد الدنيا أن تاريخ الاسلام فاتر الروح، أو مجرد صفحات، تتلى، وتطوى .

ونعود الى ادريس بالذات، فنذكر أن الحديث عنه سار فى اتجاهين مختلفين :

أحدهما – يتفق مع المنطق، ومع ما يلائم سياسة ادريس كرسول جاء بالحق، ولا يعلق به شىء من الأباطيل .

وثانيهما – لا يستمد من عالم صحيح، ولا يجدى الناس، ولا ادريس فى شىء من الذكرى أو القدوة .

فالأول – أن ادريس كان ناهضا برسالته فى نشاط ناجح، حيث لم يناوئه قومه .

فكان يدعو الى توحيد الله، وطاعته، وتخليص النفوس من عذاب الآخرة بصالح العمل فى الدنيا، ويبين للناس أنواع الطاعات كالصلاة، والزكاة، والصوم، والجهاد، ويبين لهم ما يجتنبونه من المنكرات الخ ... وقد علمه الله علوما جديدة على الناس يومذاك، فعلمه أسرار الفلك، ومجارى النجوم، واجتماع الكواكب، ورؤية الهلال، وحساب الأوقات، وعدد السنين، وعلمه المكاييل، والموازين .

والكتابة ، وصنع الأسلحة ، وتخطيط المدن ، ووضع النظم المدنية لسياسه الاقاليم ، وعمارة الأرض وعلمه الخياطة ، ولبس المخيط ، وكانوا قبله يلبسون الجلود ٠٠ الخ ٠

وكان هو يعلم قومه : أن الله سبعث من بعده أنبياء لأقوامهم ٠٠ ووصف لهم النبى محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ٠

ومما قال فى شأنه : ـ يكون بريئا من الآفات ، المذمات كلها ٠٠ كاملا فى الفضائل الممدوحات ٠ الخ ٠

وقد تجلت بشائره ، وبشائر الأنبياء من بعده فيما كان من أمر محمد ، وتسميته بهذا الاسم الدال على كمال محامده ، وبلوغه ارفع شأن بين من اصطفاهم الله لرسالته ٠

٥ ـ أما ادريس فى ذاته ، وملامحه ـ على ما نقلوا ـ فكان حسن الوجه ، مليح الشمائل ، براق العينين ، ضخم العظام ، قليل اللحم ، متأنيا فى كلا ، كثير الصمت ٠

وكان من عظاته ، وتعاليمه :

(لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الأنعام على خلقه ٠٠ خير الدنيا حسرة ٠٠ وشرها ندم ٠٠ تجنبوا المكاسب الدنيئة ٠٠ لا تحسدوا النـــاس على مؤاتاة الحظ فان استمتاعهم به قليل ٠٠ من تجاوز الكفاف لم يغنه شيء ٠٠ اذا دعوتم الله تعالى ـ فأخلصوا النية ٠٠ لا تحلفوا كاذبين ، ولا تهجموا على الله ـ سبحانه ـ باليمين ، ولا تحلفوا الكاذبين فتشاركوهم فى الاثم ٠٠ من أراد بلوغ العلم ، وصالح العمل ، فليترك من يده أداة الجهل ، وسيء العمل ، كما ترى الصانع الذى يعرف الصنائع كلها ، اذا أراد الخياطة أخذ آلتها ، وترك آلة النجارة ، فحب الدنيا ، وحب الآخرة لا يجتمعان فى قلب ابدا ٠٠٠)

وهكذا من عظات بالغات ، أداها فى رسالته ٠

٦ ـ وأما الاتجاه الثانى فيما يحكونه عن ادريس ، فقد نسجه ناسجوه عند كلامهم على قول الله تعالى « ورفعناه مكانا عليا » فعلماؤنا الأثبات الأمناء يفسرون الرفع بأنه رفع المنزلة بالنبوة ، والرسالة وذلك شأن غير هين ، ولم تكن الرسالة على الأرجح لأحد قبله ٠٠ فهذا رفع ، وتمجيد له ٠

وليس رفعا جسميا ،

وما جاء فى كتب السنة الصحيحة أن النبى رآه ليلة المعراج فى السماء الرابعة ٠ فمعناه : أنه رآه كما أرى ابراهيم ، وموسى ونحوهما فى صورة : تمثل فيها كل رسول حسبما شاء الله ٠

ولكن المخترعين للأخبار يقولون العجب فى هذا ٠٠

ومنه ـ ان جسمه رفع حيا ، ومات فى السماء الرابعة ودفن هناك ٠ وذلك مع الايجاز ـ أنه أراد أن يزداد فى عمل الخير ، لتكون درجته عند الله أرفع شأنا ، وأنه أراد أن تطول حياته فى الدنيا لذلك ، فتوسط بخليل له من الملائكة الى عزرائيل ـ ملك الموت ـ فحمله هذا الملك الخليل بين جناحيه ، وصعد به الى السماء ، حتى وصل به السماء الرابعة ، فتلقاه ملك الموت ، فأبلغه رغبة ادريس فى طول حياته ٠٠ فقال ملـــك المـــوت : وأين ادريس ؟ فقال له : هو على ظهرى ، أو بين جناحى ، فقال ملك الموت : أمرت بقبض روح ادريس فى السماء الرابعة ٠٠ فكنت أقول ، وكيف أقبض روحه فى السماء الرابعة وهو فى الأرض ؟ فقبض روحه هناك ٠٠ وبقى هناك ميتا ـ هكذا ٠

٧ ـ وبعض المتكلمين فى هذا يبالغون أكثر فى الاختراع ، ويقولون :

ان ملك الموت أحب ادريس لكثرة ما له من عمل صالح ، وكان ادريس يخـرج فى بعض أيامه للسياحة فى الأرض ، والتفقه فى معالم الكون ، فحضر ملك المـــوت يوما ، واستأذن ادريس فى السياحة معه فأذن له ٠٠ وفى آخر النهار مرا على راعى غنم ، فقال الملك لادريس : يانبى الله : أنا لا ندرى حيث نمسى ، فهل نأخذ شاة من هذه الغنم لنفطر عليها ؟ فقال ادريس : لا تعد الى مثل هذا ؟

أناخذ ، ما ليس لنا ؟؟ •• فلما أتى المساء جاءه الرزق من عند الله فأكل ادريس ، وأقنع الملك ، لأنه منك ، لا يشتهى الطعام ، وادريس لا يعلم أنه ملك ••

وبعد ذلك نام ادريس ، ولم ينم الملك ، لأنهم لا ينامون •

وفى اليوم التالى مرا بحديقة عنب ، فجرت من الملك ، مع ادريس محاورة فى الأخذ من العنب كما جرت فى أخذ الشاة •

ثم انتهى الأمر بأن ادريس سأل الملك عن حقيقته ، فعرفه أنه عزرائيل ملك الموت •

فاستطرد معه فى حديث •• كان منه : أن ادريس قال له : انك معى هذه المدة ، ولم تقبض روح أحد من الخلق ؟؟ فقال الملك : انى معك ، وانى اقبض كل نفس أمرت بقبضها فى مشارق الأرض ، ومغاربها ••

ثم استرسل ادريس فى حديث قال فيه : يا ملك الموت ! أحب منك أن تذيقنى الموت •• ثم ترد على روحى ، فاستأذن الملك ربه فى ذلك فأذن له ، وفعل بادريس ما طلب •

ثم سأل ادريس : أن يرى النار ، فانطلق به الملك الى النار ، وطلب من خزنتها أن يفتحوا من بابها قدر منفذ الابرة ، فصعق ادريس من هول ما رأى •

ثم استطرد فى حديث ، وقال بعده : أرنى لمحة من الجنة ، فلما ذهب به اليها ، وفتحوا له ، فوجد من بردها ، وريحانها ما أعجبه ، وملك قلبه ، فقال : يا ملك الموت انى أحب أن أدخل الجنة لآكل منها أكلة ، وأشرب منها شربة ، فلعل ذلك يكون أوفق لرغباتى •

فلما دخل ، وأكل « وشرب ، قال له ملك الموت : أخرج يانبى الله حتى يردك الله الى الجنة مع الأنبياء يوم القيامة •

فاحتضن ادريس بشجرة من شجرها ، وقال : ما أنا بخارج ، ثم أخذ يقول محتجا لنفسه على ملك الموت • قال الله تعالى « كل نفس ذائقة الموت » وقد ذقته •

وقال تعالى : « وان منكم الا واردها النار » وقد وردتها •

وقال تعالى لأهل الجنة « وما هم منها بمخرجين » فهل أخرج من شيء ساقه الله الى ؟

فأوحى الله الى ملك الموت : غلبك عبدى ، وعزتى ، وجلالى أن فى سابق علمى أن يكون كذلك ، فدعه •• فبقى ادريس فى الجنة !

هذا هو الاتجاه الآخر فى القصص عن ادريس •

ومع ما أوجزت فيه ، فانك لتراه كلاما سمجا ، لا ينبغى أن يساق ابدا فى تفسير الرفع لادريس الى المكان العلى •

ولو قالوا فيه انه رفع حيا لكان تلفيقا محتملا الى حد ما •

وكنا نستطيع أن نغض عن انكاره نوعا •• أو كنا نستطيع الاستئناس برفع عيسى حيا ، فان رفع عيسى حقيقة لا تقبل انكارا ممن يؤمن حقا بالقرآن ، غير متكلف فى تأويله بصرفه عن ظاهره •

٨ ـ أما ادريس ـ عليه السلام ـ فليس بجانبه شيء يسوغ لنا أن ندعى رفعه ، أو نصدق بما نسجوه فهو ـ عليه السلام ـ لم يخبر به ، ولم تأت من جانب الله أمارة على حصوله • ولا يتعلق به معجزة ، لادريس ، ولا تخذيل لأعدائه ، كما كان ذلك بالنسبة لعيسى مع اليهود الغادرين به •

وما دامت هذه الأقاويل واهنة ، ولا تستحق ان نأبه لها : فلم يبق الا أنها من الأكاذيب الاسرائيلية التى يراد بها حشو الذهن بالخرافات •

وخاصة : فيما يتصل بالقرآن ، وتفسير آياته •

وقاتل الله اليهود : فانهم لم يكونوا فى الدنيا : الا بعد ابراهيم ـ عليه السلام ـ اذ هم أبناء يعقوب •• وبينهم وبين ادريس آلاف السنين •

فكيف امتد خبثهم وكذبهم الى أعماق التاريخ يدلسون فيه بالأباطيل الهزيلة ؟

انها مفترياتهم على القرآن بالذات •• خسئوا ، وخسروا •• وصلى الله على ادريس أول الرسل وعلى محمد خاتم الرسل وعلى جميع النبيين والمرسلين •

من حضارة الإسلام

منازل التأويل

-٢-

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

ازدواج الكائنات ـ طريق المناطقة ـ تطور التاويل ـ دحو الأرض ـ اشارات القرآن ـ استقرار الصواب

ازدواج الكائنات :

فى مقالى السابق بهذه المجلة جرى الكلام حول ازدواج الكائنات ، وقد تبين منه التقاء نص القرآن بدلائل الكشف العلمى الاخير على ان كل مخلوق مزدوج ـ مهما كانت صورة هذا المخلوق من الافراد أو التركيب ـ ولم يكن من مرامى الكلام أن ينحصر الكائن فى الاثنينيـة بالعدد المحصور فى اثنين ، وانما كان مرمى القول أن كل شىء انما هو مخلوق من أجزاء متحاوجة أقلها اثنان ، فان كانت تحتاج الى ثالث أو أكثر ليحدث اتحادها أو تراكمها فهى أشد دخولا فى حدود الازدواج .

وتبين أن سر الازدواج كائن فى احتيـاج الجزء الى الجزء أو الكل الى الغير ، ثم فى الحاجة المتصورة فى ذوات الأجزاء والآحاد وكل ذلك ما عدا الوحدانية المطلقة التى لايكاد يدركها الظن والتى ارتفع الله بها عن الانقسام والاتحاد والحاجة والتصور فكـان له الغنى والكبرياء .

والاثنينية كما هى مركب وجود مؤقت هى مركب فساد أيضا - وقد سمى مكانها القدماء بالكون والفساد وظنوه ما تحت فلك القمر ثم بان اليوم قصر نظرهم فيما ظنوه - . وقد أوضحت فى المقال السابق تعادل كفتى الوجود والفناء فى الكائن ورجحان أحدهما بما يرجحه من حال وارادة هما خارجتان عنه لا محالة .

ونريد هنا - بدلائل الكشف العلمى أيضا - أن تغير الصفات على الكائنات يدل دلالة حاسمة على أنها محدثات ، وأن هذا الحدوث الذى ادخلها تحت طائلة القياس صار علة على فنائها كما كان علة على وجودها .

وقد تبين كذلك فساد فكرة السرك التى سارت زمانا فى الاله وقد قرر القرآن فى عدد كبير من آياته أنها فاسدة فى ذاتها فاسده فى آثارها :

أما فسادها فى ذاتها فمن مثل قوله تعالى : « **ولا تتخذوا الهين اثنين** » اذ الاثنينية - كما أوضحنا معناها وحدودها هنا وهناك - تدل على الاحتياج والتصور وتدل على احتمال الوجود والفناء بارادة خارجة وأحوال طارئة لا بد أن يكون مصدرها منزها عن الحاجة والتصور واحتمال الفناء .

أما فسادها فى آثارها فهو من مثل قوله تعالى « **ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا** » اذ بزاول الوحدانية والغنى والكبرياء والوجود المطلق يدخل المجرد من هذه الصفات فى حيز المخلوق المحتاج ، ومن ثم فلا يستطيع أن يخلق الأشياء ولا أن يهب لها وجودا مؤقتا - كما هو فى الحياة الدنيا - ولا وجودا ممدودا - كما هو موعود به فى الآخرة - ولكن بدلالة التمانع الذى أشارت اليه الآية ثبت وجود الصانع الواحد بلا قياس .

وهكذا تأتى آيات من القرآن نصوصا لقضايا من الوجود يثبتها الكشف العلمى أو يقصر عنها، ومعه العقل الموهوب يستنبط حقائقها فى أضواء الكشف ، وهذا فيما يستطاع ادراكه أما ما لايدرك فلا يمكن أن يكون ضعف العلم والعقل عن ادراك ذاته تعالى آخر حدود الوجود المطلق اذا صح ان يكونا قد ادركا آخر حدود الوجود المؤقت الذى قيده الازدواج .

وكلا الأمرين قد جاء بهما القرآن فما كان مستطاع الادراك أطلق العقول والجهود وراءه، وما كان غير مستطاع حبس الظنون عنه لأن فى اطلاقها وراءه اعناتا لها من غير وصول .

طريق المناطقة :

والقضايا التى ساقها الكتاب الحكيم قد أرسلها على نهج عربى فى غير أسلوب المقدمات والنتائج بالترتيب الذى نظمته المناطقة وأرباب الكلام ، وكان مفهوما لدى القوم الذين نزل عليهم لأنهم كانوا على قمة ذلك الارسال، فحين انحدروا عن السفح الذى كان عليه الفهم للسياق العربى توهمت الظنون ان القرآن لم يخض هذه المخاضة ولم يسبح فى هذه اللجة ، وكان التأخر عن رتبة القوم موجبا للاعراض ، ولم يكن الذنب الا ذنب العصور التى تتغير وتطول فتباعد بين الاولين والآخرين

الا أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة بطريقة ابتدعها لفاهميها، ومن حق الزركشى صاحب كتاب البرهان فى علوم القرآن أن يساق كلامه الدقيق فى هذا الشأن ، وهو يقول ،

وما من برهان ودلالة وتقسيم ، وتحديد شىء من كليات المعلومات العقلية والسمعية الا وكتاب الله تعالى قد نطق به ، لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين لأمرين :

أحدهما بسبب ما قاله « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » والثانى أن المائل الى دقيق المحاجة هو العاجز عن اقامة الحجة بالجليل من الكلام ، فان استطاع أن يفهم بالأوضح الذى يفهمه الأكثرون لم يتخط الى الأغمض الذى لا يعرفه الا الأقلون - وكذلك أخرج تعالى مخاطباته فى محاجة خلقه فى أجل صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة ، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفى على ما أدركه الخطباء .

ثم يقول الزركشى : ومن ثم كان على كل من أصاب حظا فى العلم أوفر أن يكون نصيبه

من علم القرآن أكثر لأن عقله حينئذ يكون قد استنار بأضواء العلم وهؤلاء هم الذين اهتم القرآن بمناداتهم كلما ذكر حجة على الربوبية والوحدانية ، او اضافها اليهم أولو الألباب والسامعون والمفكرون والمتذكرون تنبيها الى أن بكل قوة من هذه القوى يمكن ادراك حقيقة منها .

وعلى هذا القول فانه فى الامكان لكل من يدرس العربية دراسة مستوفاة ويجمع اليها درجات من العلم أن يعود الى دراسة أساليب القرآن وتفهمها محاولين ان يؤلفوا بينها وبين حقائق المنطق وكشوف العلم ليدركوا ذوات انفسهم التى أراد أن يحققها لهم القرآن ، فلما أغفلوها فقدوها .

وقد ضرب صاحب البرهان مثلا لما تباعدعنا من اساليب الدلالة لتأخرنا عن القوم بقوله تعالى « **وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » .

«ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين » فيقول : هاتان الآيتان يخيل لمن لم يعرف أسلوب العرب فى المحاجة أنها دعاوى تنبىء عن الغيب وليس غير ، ولكن ابن السيد البطليوسى يقررها فيما يلى :

ان اختلاف المختلفين فى الحق لا يوجب انقلاب الحق فى نفسه وانما تختلف الصور الموصلة اليه والحق فى نفسه واحد . فلما ثبت أن ها هنا حقيقة موجودة لا محالة وكان لا سبيل لنا فى حياتنا هذه الى الوقوف عليها وقوفا يوجب الائتلاف ويرفع عنا الاختلاف - اذ كان الاختلاف مركوزا فى فطرتنا وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله الا بارتفاع هذه الجبلة ونقلها الى جبلة غيره - صح ضرورة أن لنا حياة أخرى غير هذه الحياة فيها يرتفع الخلاف والعناد ، وهذه هى الحال التى وعد الله بالمصير اليها فقال « ونزعنا ما فى صدورهم من غل » ولا بد من كون ذلك باضطرار اذ كان جواز الخلاف يقتضى الائتلاف لأنه نوع من المضاف ، وكان لابد من حقيقته ، فقد صار الخلاف الموجود أوضح دليل على كون البعث الذى ينكره المفكرون .

تطور التأويل :

وعلى القول الذى يفرق بين أصل التفسير وأصل التأويل وهو أن التفسير نصوص قالها الرسول أو أقوال قالها الصحابة والسلف الذين تبعوهم على مقربة من زمانهم ، وأن التأويل هو كل ما تطارح اليه الظن فى المتشابه من آيات القرآن لا المشيئة - وبينهما كذلك خلاف ، فالمتشابه ما أمكن تأويله أورده الى محكم ، والمشتبه ما منع السلف الكلام فيه كالاستواء على العرش - فيذهب اليه الظن من غير تعسف او تعاضد للفتنة . فقد فتح هذا القول الباب - منذ أول الأمر - الى أن يصار الى التأويل ، ثم الى تأويل آيات العلم خاصة - وكل عصر عند حقائق العلم أو ظنونه التى يصل اليها - وقد رأى المسلمون ذلك تكليفا لذوى العلم منهم حتى يصدعوا بما أمروا به من التبليغ فى انصراف أمره تعالى اليهم حين يقول « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » وحين يقول « ثم أن علينا بيانه » أى على لسانك أيها النبى وألسنة العلماء من الأمة كلها .

وقد قام أفراد من أعلام العلم وتألفت جماعات منهم - ومنهم جماعة الخبراء فى مجلسنا الاسلامى اليوم - متصدين لتبين الآيات المصروفة الى العلوم وتفصيل ما أجملته ، كان ذلك تلبية للأمر بالتبليغ أكثر من أى نفع حصل عليه الأفراد أو الجماعات . ومع أنه كان فى خدمة التأويل وتلاقى الأدلة العلمية مع حقائق القرآن فقد كان حثا للأجيال القادمة على أن تنص وكابها الى بحث ما فى القرآن من غرائب العلم التى يكشف عنها تقدمه والتى يدركها كل جيل فى عصره الذى يعيش فيه .

ولم يقصر كثير من علماء المسلمين فى عصور ازدهار العلم عن التطوع لهذا العمل بحصافة وجراة حتى كان فى حصيلة التأويل والتقاء مسائل العلم وقضاياه فى القرآن ما وصل الينا فى عدة ألوف من الكتب تسيح وراء علوم القرآن . وقد افرغ هؤلاء ما عندهم فى تأويل آيات الأخبار وملاقاتها بما رأوا من أمور جرت

او ظنوها تجرى ، فاذا كانت قد صحت بعض هذه التأويلات فما يجيء به العلم من امور راجحة او حقائق ثابتة يستطاع تأويل القرآن بها فذلك اصح وأولى .

وربما كان عمل بعض تلك الجماعات سرا ـ كما حدث من اخوان الصفاء وان كان كثير من اقوالهم قد مسه الخطأ عن قصد أو غير قصد ، الا أنهم استطاعوا أن يجمعوا الناس على موائد العلوم فى عصرهم ، مهما قدموا فى بعض الوانها رديئا من الكلام وخليطا من الأوهام

ونحن ـ فى عصرنا والعصور التى تلينا ـ قد تخفى علينا وجوه من سياسة الكلام فى الكتاب الحكيم لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ فى سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام ، ولكن تعلقنا بالدراية والاستنباط كفيل بأن يكشف لنا عن البراعة المثبوتة فى تضاعيف القرآن . وما من شك فى أننا سنظل على الطريق ـ والاستمرار فيه كأنه أحد التأويلات لمعانى الوعد بحفظ القرآن فى قوله سبحانه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

ولما كانت الأمة مجمعة على أن المراد بحفظ القرآن حفظه على المكلفين للعمل به وحراسته من وجوه الغلط والتخليط لم تصلح الحراسة الا أن تبلغ مداها فى القوه بتطبيق ادلة العلم على آيات القرآن وقضاياه . وكما كان التواتر شرطا فى تبليغ آيات القرآن وجب أن يظل شرطا فى التأويل العلمى للقرآن ، وذلك حتى يمتنع التأويل بمجرد رأى الواحد الذى ربما لم يعرج على غير اللفظ وهذا وان أصاب الحق فقد أخطأ الطريق ، واصابته انما هى مجرد رأى ليس عليه شاهد أكيد .

والتخصص العلمى الذى يمتاز به عصرنا يحكم ان تلتقى على التأويل جماعات صالحة من العلماء ، فان المجال الرحب والمتسع البالغ لفهم معانى القرآن واتقاء مواضع الغلط يحكم بأن الغرائب فيه لا يتم فهمها الا بادراك أشتات العلوم والفنون حتى تصل الحق الى نصابه ويتم معنى مستفاد من معانى التواتر لحفظ القرآن .

دحو الأرض :

وربما كان من أظهر الأمثلة على تطور التأويل ووجوبه المعانى التى صبوها على كلمة « دحا » فى قوله تعالى **« والأرض بعد ذلك دحاها »** فقال من لم يكن قد رسخ علمه فى الهيئة : انه بسطها . فلما ثبتت كرية الأرض ـ بأدلة عصر المأمون فى بادية السماوة ـ قال المؤولون : انه جعلها كالبيضة ـ والدحية من أسمائها .

ومع ان فى هذا الاشارة الكافية لاتفاق الحقيقة العلمية فى شكل الأرض ـ الممهد جزئيا والمستدير كليا ـ مع لفظ القرآن فان هذين التأويلين قد صارا فى عصر العلم ـ الذى نحن فيه ـ تافهين ، اذ لا بد أن يكون معنى الدحو أهم من ذلك كله خصوصا وان الآية فى علم التكوين .

واذن فقد وجب أن يصار الى العلم فى تفسير الدحو وعدم التقيد بالمألوف القديم: وموجزه أن الأرض حينما كانت جزءا منفصلا عن الشمس كالنظرية القديمة أو جزءا هائما بذاته فى الكون كالنظرية الجديدة فان عملية تركيزها فى فلك الشمس منذ الأزل كانت بعد خلقها الأول ، ثم كانت هذه العملية جعلا لطبقاتها وخلقا لتلافيفها ، حتى أنبتت الطبقة العليا نباتا ينفخ فى جو الأرض مادة الحياة الحساسة ـ الاكسوجين ـ فلما امتلأ بها الغلاف صلحت الأرض من بعده لكل أنواع **الحياة .**

وكان لابد أن تمضى الأرض فى زمان بهيم حتى تكون كوكبا مستعدا للسكنى . ولا بد أن تكون طبقاته من شكل يثير ـ فيما بعد ـ سكانه من المخلوقات التى لا بد أن تكون من جنس تكوينه . ولعل فى هذا تصديقا لخلقة آدم من التراب التى أوسع العلماء فى شرحها بأنها تدل على ما يتمثل فى آدم من شتى طباع الجماد والنبات والحيوان ، بل ومن طباع الفلك كله الذى يعيش فيه .

وقول الله سبحانه **« والأرض بعد ذلك دحاها »** وهو يدل على ترسيخ الأرض هى وغلافها من طبقات دائرة حولها لا يمكن تحديد الأزمنة التى مضت فى هذا الدحو وقد قدرها العلماء بملايين كثيرة من السنين ، ولكن مما لامراء فيه أنها كانت عند الله أزمنة متناهية

فى القصر لا تحتمل أن تعطف على سابقها فى كلام الله بغير الواو - وهو حرف واحد منهوك - غير أن مدى هذه الملايين يكاد يلمح من قوله تعالى « **بعد ذلك** » فكأن تعبير القرآن بهذه البعدية والاشارة يشير الى المدى المذهل للحصر من أعداد السنين .

والمذهب الذى يقول بتفسير القرآن بالقرآن يعضد فى مجمله هذه التفاصيل من قوله تعالى « والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها » فاذا فسر الدحو باخراج الماء والنبات وقعت المطابقة الأكيدة بين كلمات القرآن وآخر ما وصلت اليه ظنون العلماء .

وفى مثل هذا مايقضى على تخرص المباعدين بين حقائق العلم والقرآن ، ويقضى قضاء أشد على الذين يقولون ان القرآن يخالف الحقائق العلمية الثابتة مستندين فى ذلك الى ما كان قد التبس على الزمن فى بعض الأمور التى لم يكن قد استقر قرارها ، ويقضى كذلك على الذين يخافون أن يقربوا بين القرآن والعلم مخافة أن تخرج مسائل العلم من الصحة اليوم الى الخطأ غدا فيظل الرأى الذى قيل على خطئه ، وفى هذا ما يسىء - فى نظرهم - الى القرآن .

وقد كان من الخير أن جاءت القضايا العلمية فى القرآن كليات غير مفصلة ولا مبسوطة وذلك لعلة ؛ وربما كان جمال الدين الأفغانى أحد الأفذاذ الذين أدركوها ، وهو يقول : أثبت العلم كرية الأرض ودورانها وثبات الشمس دائرة حول محورها . فهذه الحقيقة مع مايشابهها من الحقائق العلمية لابد أن تتوافق مع القرآن والقرآن يجب أن يجل عن مخالفته للعلم الحقيقى خصوصا فى الكليات . فاذا لم نر فى القرآن ما يوافق صريح العلم والكليات اكتفينا بما جاء فيه من الاشارة ورجعنا الى التأويل ، اذ لا يمكن أن تأتى العلوم والمخترعات بالقرآن صريحة واضحة وهى فى زمن التنزيل مجهولة من الخلق كامنة فى الخفاء لم تخرج لحيز الوجود .

ولو جاء القرآن وصرح بالسكة الحديدية والبرق وما تفعله الكهربائية من الغرائب وغير ذلك لضلت الناس وأعرضت عنه وحسبته كذبا . لذلك نراه قد جاء بالاشارة الى كل ما هو حادث اليوم وما هو يمكن أن يحدث فى مستقبل الزمن مع مراعاة حقوق الخلق وتقريب الأشياء للأذهان عن طريق النظر وقابلية التفهم .

ومنذ الاول رأى أبو الدرداء وابن مسعود أن تفسير القرآن لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر . وبالغ من بعدهما الباحثون فقالوا : ان لكل آية ستين ألف فهم وما بقى من فهمها أكثر . ومهما كان القصد أو المبالغة فانهم جميعا قد أنشأوا طرقا واسعة لتمر منها فى يسر وسهولة مراكب التأويل .

اشارات القرآن :

وكذلك صرح القرآن أحيانا بكليات العلوم وقواعدها وذلك اذا لم يصادف انكارا من النفوس التى نزل عليها ، فاذا صادفه هذا الانكار لجأ الى الاشارة دون التصريح . ولا يقلل من شأن هذه القواعد الكلية - حتى فى بعض التشريع - أنها لم تجىء بالتفاصيل التى جاءت بها السنة من بعد فانها كانت بمنزلة التفسير والتأويل حتى تكون مثلا يقتدى به فى كشف الغوامض واظهار الأسرار .

وكذلك - فيما بين التصريح والاشارة بسبب قبول النفوس أو انكارها - سلك القرآن مسالكه ، ففى مثل قوله « **وآتوا حقه يوم حصاده** » تصريح بقاعدة مالية هى تيسير أداء الحق حين وجوده مع وجوب أدائه . وفى مثل قوله « **كانتا رتقا ففتقناهما** » اشارة الى نظرية انشقاق الأرض من مجموعة قد تكون هى الشمس أو تكون غيرها ، ولم يصرح بها القرآن تصريحه بالقاعدة المالية السابقة ، لأن الأولى جرت بها العادة أو لابد أن تجرى بها حياة الناس . أما الثانية فهى من اختصاصات العقول والعلوم فجاءت بها الاشارة حتى تثار الحقيقة من حولها ويبحث عن الدليل .

وقول القرآن « **واعلموا أن ماغنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل** » تصريح بقاعدة اشتراكية توجب على من يخطر بنفسه فى

الجهاد أن يشرك معه فى مزابحه من الحرب كل الأركان التى تتألف منها الدولة والجماعة ، القوى منها والضعيف ، والمسيطر منها والمحكوم فلم تجز القاعدة حرمان أحد من النفع لتتحقق حكمة الاشتراك .

والقاعدة الشهيرة والأخيرة فى فن الحرب وهى التى تقول « أبطال الحرب لابطال الحرب - بفتح الهمزة فى الأولى وكسرها فى الثانية » مقررة فى قول القرآن من قبل « **ترهبون به عدو الله وعدوكم** » فى آية الأمر بالاعداد للحرب وفيها التصريح بأن ارصاد القوة على مطلق المعنى انما هو للارهاب وليس لسفك الدماء ، وهو أفعل الوسائل لمنع الحروب .

وكذلك اشتمل القرآن على أصول صريحة فى تدبير الممالك واصول الحكم ووظائف الرؤساء أما العلوم والفنون فقد ألمح اليها فى اشارات ولا سيما لما لم يكن قد كشف أمره وبان سره .

ولعل من أروع ما يهمنا اليوم ما وصل اليه البحث من العلوم التقنية « قصة الراديو والتليفزيون وقصة الطيران » ولعله من الخير أن يساق فيها رأى رجل كجمال الدين الافغانى فان من حقه أن يسجل له هذا السبق وان كان قد تعلق به بعض الالتباس .

فبعد أن استنبط جمال الدين من قصة هدهد سليمان نظام تدبير الملك فى بسط رائع الحجة أخذ يوضح الاشارات العلمية فى هذه القصة بتبيين ما كان لدى سليمان النبى من القوى وما تسخر له من رياح يمتطيها على شكل الطائرات التى هى - كما يقال فى عصرنا - أسرع من الصوت ، وما تقدر عليه هذه القوى من سرعة نقل الأخبار والأشياء بأسرع من اللاسلكى مثلا - كما يقول الأفغانى فى وقته الذى رافق أوائل المخترعات الأخيرة .

وقد استطاع الأفغانى فى مهارة من الفهم وسوق الحجة أن يصل بين هذه الاشارات القرآنية وما وصل اليه العلم من جديد فقال :

وجاء فى ذلك القصص أن تلك الواسطة التى توفرت لسليمان ، وبها نقل عرش بلقيس من سبأ الى القدس قبل أن يرتد اليه طرفه جاءت صريحة بالعمل مبهمة عن الآلة العاملة اذ لم يكن بالامكان للقرآن أن يصرح بشكلها أو باسمها لبعد ذلك عن الأذهان فى ذلك الحين . وهكذا العلم لا يعجز عن احداث ما نظنه اليوم مستحيلا وابرازه مرئيا .

ثم قال الأفغانى :

وفى قصة الهدهد اشارة دقيقة جدا وهى أنه عندما أراد سليمان استحضار عرش بلقيس استعرض ما عنده من وسائل النقل السريعة وأربابها واستبرزهم ما عندهم من ذلك ، فقال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، فرأى سليمان ذلك بطيئا فلم يرق له فتقدم عند ذلك غيره وقال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك . فعلمنا من تلك الاشارة - أو الصراحة - أن واسطة نقل الأشياء بسرعة لا يتخيلها وهمنا اليوم - أى فى أيام الأفغانى - كانت علما مدونا بكتاب وله أرباب ذوو رسوخ فيه وتمكن منه وقدرة عليه .

استقرار الصواب :

ثم مضى جمال الدين فى بعض الالتباس حين أسرع فظن أنه من عمل الأرواح قائلا : ان هذا العلم - يعنى علم الأرواح - اذا لم يتوقف البحث فيه بل سار متقدما بالتجارب والتمحيص لا يبعد أن يأتينا من المدهشات والغرائب بما لم يكن بالحسبان ، بل ربما يحقق لنا ما سبق القرآن بالاشارة اليه .

وجاوز الأفغانى بذلك القول كيان المعجزة وذهب الى مقدرة الأرواح فى التنويم يضرب بها الأمثال ، ولكن المحققين من بعده كشفوا بعض أسرار التنويم ورأوا انه مقدرة من المنوم لا النائم اذ المنوم ممن لهم موهبة التكلم من عضلات البطون دون أن تتحرك الشفاه .

وقد أخبر الدكتور محفوظ فى كتابه « حياة طبيب » بوقوع ذلك أمامه من احد من ادعوا علم التنويم . بل اخبر انه سمع صوتا لسيدة كان يجرى لها جراحة وكأن أحدا يتكلم من خارج الغرفة ، وقد أجرت أمامه تجارب أطلقت فيها صوتها من بطنها بحيث يسمع من

الجهة التى تريد ان يظن السامعون أنه صادر منها . فحين استطرد الأفغانى فى اسرار التنويم والروح قال قولته ولكنه كان مجتهدا، والمجتهد له اجر ان اخطأ واجران ان اصاب .

ومع أن قصة الهدهد محسوبة لسليمان فى معجزاته فقد جاءت حقائق الكسف العلمى اليوم بقدرة الآلة المصنوعة فكانت اكبر دلالة على صحة ما اشارت اليه قصة سليمان ، ولم يصر لأحد بعدما رأى الناس جميعا من تقدم الطيران ونقل الصور والأصوات والأشياء أن يباعد بين قضية السرعة فى هذه القصة وحقائق العلم التى أصبحت مثلا حاضرا ولونا سافرا .

ولم يروا عيبا فى التاويل أن يتطور كما تطورت معانى الدحو ، ولا ان يكون مجملا ثم يأتى تفصيله بعد أن تكشف اسراره وتعرف خباياه . والقرآن الذى اجمل الكليات يفسح للتأويل ان يذهب مذاهبه من غير انحراف أو قصد الى السفه او الاضلال ، حتى اذا اسفرت الحقائق عن نفسها واستقرت كفت العقول عنها وجفت الأقلام منها ، وذلك حين تنقلها فكان التاويل الى مستقر التفسير .

ومما لاريب فيه ان العصر الحاضر والعصور المقبلة كفيلة بايضاح ما فى القرآن من قضايا العلم الصادقة متى تدبر المؤمنون - والعلماء منهم خاصة - معانى القرآن وتفهموها بروح العلم نفسه ؛ تلك الروح التى لا تصد عن الايمان بما هى فى سبيله من البحث والتمحيص .

وكما بات مؤسفا ان يعاد القول فى التفاسير - بعد عصر الذرة - بأن العناصر الاولية هى التراب والماء والنار والهواء فقد بات كذلك مؤسفا - وكما قال الأفغانى حصر معجزات القرآن فى اللغة والبيان وأن يقف المفسرون والمؤولون هائمين ببعض الحروف غائصين فى هوة لا يهتدى فيها الى قبس مما فى القرآن من منافع الدنيا والآخرة ، وقد اشتمل القرآن على اتم وجوههما .

وليس بقادر على أن يخرج من هذه الهوة الا العلماء الذين أنار الله بصائرهم ليكشفوا للجيل الحاضر والأجيال القادمة عن حقائق القرآن وغوامضه ويبينوا عن اسراره وخفاياه .

والقرآن الباقى حتى القيامة انما هو باق بهذه القوة ، ومتى أثير ظهرت منافعه واطمأنت غرائبه ، وكما قال ابن مسعود : من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن - وقال ابو الدرداء : لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها .

فاذا لم يثيروه فلا عتب عليه ولا ذنب ، وانما العتب والذنب على الواقفين عند شواطئه مكتفين بما يلقى البحر اليهم من أمواج وما يملأ أسماعهم من زئير .

وبنو آدم جميعا ، وهم من أنزل اليهم الكتاب - لأنه بلاغ للناس - مطالبون دائما ان يكشفوا عن حقائق ويفصلوا اشارته ويأتوا بالدليل .

وقد احسن صاحب البرهان فى تقريره ان التدبر والتفكر هو اصل الوقوف على معانى القرآن ، وقد رأى من عدم الوصول الى معانى الحقيقة واسرار العلم الاعتماد على أقوال من اكتفوا بالعلم الظاهر وحصروا رجوعهم الى معقوله . ورأى ذلك من الحجب والموانع ، واوجب ان يترك المحقق المعهود من علمه ومعقوله ويفتقر الى التفهم وقوة العلم وليكن من الراسخين فيه والذين يقول الله فيهم « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم » .
والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

خواطر مستشار

نظم الحكم والإدارة فى الإسلام ، مقارنات بين التشريع الإسلامية والقوانين الوضعية حول السياسة الشرعية والقانونين الدستورى والإدارى

المستشار
على على منصور

لا زلنا فى صدد تعداد القواعد الأساسية التى تستخلص من اجتماع سقيفه بنى ساعده ، حيث تقرر نصب أبى بكر رئيسا للدولة الاسلامية وخليفة لرسول الله مقارنين كل قاعدة بمثيلتها من قواعد القانون الدستورى العصرى ، مثبتين كمال ما شرع الخالق ونقص ما شرع المخلوق .

سادسا : الشورى فى الاسلام أهم أسس الحكم :

ومن الأدلة على ذلك ما حدث يوم السقيفه من مشاورات ومحاولات ومناظرات .

ويقول الله تعالى فى وصف المسلمين **(والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم)** وقال مخاطبا رسوله وكل امام أو أمير يلى أمر المسلمين **(فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر)** وفى الأحاديث **(استعينوا على أموركم بالمشاورة)** وقوله **(ما تشاور قوم قط الا هدوا لأرشد أمرهم)** وكثيرا ما كان يقول الرسول لمن حوله (أشيروا على) ومشاورته لهم يوم بدر وأحد مر ذكرها .

ومن جوامع الكلم فى حديث الرسول **(الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)** .

وقد أسلفنا أن الرسول كان قد اتخذ له مجلسا للمشورة من سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار ، وكان يشاور غيرهم فى المواقف

المختلفة ولقد شاور أصحابه فى ملاقاة قريش عند بدر ولو ادى الأمر الى محاربتها ، وكذلك مشاورته المقداد بن الاسود فى مكان نزول الجيش ببدر ، ومشاورة الرسول أصحابه فى شأن أسرى بدر ، ثم مشاورته الصحابة قبيل غزوة أحد فى هل يبقى المسلمون بالمدينة أو يخرجون لملاقاة العدو عند جبل أحد ، وأخذه بمشورة سلمان الفارسى فى حفر الخندق حول مداخل المدينة فى غزوة الأحزاب وغير ذلك من المشاورات كثير • وكثيرا ما كان ينزل على رأى المشيرين عليه فيما لم ينزل به عليه وحى قائلا ((أنتم أدرى بأمور دنياكم)) •

وقد أبقى ابو بكر على مجلس الشورى وظل يشاور الصحابة وسيجىء خبر مشاورته لهم بمناسبة حروب الردة ، **وسيبدو من الحوار الذى يجرى بين الجميع كيف أن حرية الرأى ووجوب النصح بلغ مداه • وكيف أن الحجة والمنطق والصالح العام رائد الجميع•**

وسار عمر بسيرة الرسول وأبى بكر ملتزما وجوب الشورى ولقد ذخرت كتب التاريخ الاسلامى بروائع الآثار فى ذلك • ومن ذلك ما حدث قبل موقعة نهاوند فقد وردت الأخبار للخليفة بتجمعات الفرس واستعداداتهم ضد المسلمين الذين كانوا قد احتلوا العراق • فنادى عمر بالصلاة جامعة فاجتمع المسلمون بالمسجد حيث عقد مجلس الشورى وافتتحه عمر بأن عرض ما وصل له من أخبار ، وسأل المسلمين بأن يشيروا عليه بما يفعل وقال لهم أوجزوا فى القول فان هذا يوم له من بعده ، ووقف طلحة بن عبد الله يدلى برأيه وأعلن طاعة المسلمين للخليفة ، ووقف عثمان بن عفان يقترح أن يندب الجند من الشام ومن اليمن للزحف الى فارس وأن يقود عمر مسلمى الحجاز وهناك يتولى القيادة العامة ، ثم وقف على بن ابى طالب ينتقد هذا الرأى ويبين أن جنود المسلمين لو أخلوا الشام واليمن لأمكن أن تهب بها ثورات يشعلها أعداء الاسلام ، واقترح أن يسير ثلث ويبقى الثلثان فى كل مصر من الأمصار الاسلامية وأن يبقى الخليفة بالعاصمة يدبر ويمد الجيش بما يحتاج اليه من عتاد ورجال وارتأى المسلمون هذا الرأى وسار عليه عمر •

وقد استنتج الشيخ محمد عبده من ايجاب المشاورة على الحكام وايجاب النصح على المحكومين ان النظام النيابى الديمقراطى واجب فى الاسلام قائلا (ان النصح والشورى لا يتمان الا بقيام فئة خاصة من الناس تتشاور وتتناصح ، اذ ليس فى وسع جمهور الامه القيام بهما ، واذا كان ذلك الواجب المفروض على الحاكمين والمحكومين لا يتم الا بوجود هذه الفئة كان تخصيص فريق من الأمة لهذا العمل واجبا عملا بالأصل المتفق عليه — (ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب) •

ومن هذا يتبين أن دعائم الحكومة فى الاسلام هى الشورى ، ومسئولية أولى الأمر ، واستمداد الرئاسة العليا من البيعة العامة ، وهذه دعائم تعتمد عليها كل حكومة عادلة ، لأن مرجعها كلها أن يكون أمر الأمة بيدها وأن تكون هى مصدر السلطات ، وقد قضت الحكمة أن تقرر هذه الدعائم غير مفصله ، لأن تفصيلها مما يختلف باختلاف الأزمان والبيئات • فالله أمر بالشورى وسكت عن تفصيلها ليكون ولاة الأمر فى كل أمة فى سعة من وضع نظمها بما يلائم حالهم — فهم الذين يقررون نظام انتخاب رجالها، والشرائط اللازمة فيمن ينتخب ، وكيفية قيامهم بواجبهم وغير ذلك مما تتحقق به الشورى ويتوصل به الى الاشتراك فى الأمر اشتراكا يحقق أن أمر المسلمين شورى بينهم •

وكذلك نظام المسئولية وكيف يؤدى رجال الشورى واجب النصح • ومثله البيعة ومن يتولاها وشرائطها وكل ما يتعلق بها مما يحقق الغرض منها ، واذا لا يمكن القول بأن فى الاسلام قصورا عن مسايرة الزمن فى شكل الحكومة الملائمة لأن الاسلام أقر أسسا عادلة لا تختلف فيها أمة عن أمة وأفسح للناس فى أن يقرروا على هذه الأسس ما يرونه من التفصيلات كفيلا بمصالحهم وملائما لأحوالهم•

وإذا كان الأستاذ الشيخ محمد عبده يقول بوجوب قيام نظام نيابى فى الدولة الاسلامية أى مجلس نواب فما رأى الاسلام وفقهائه فيما يختص بمن يقوم بالتشريع فى الدولة الاسلامية ؟

يقوم بذلك عادة فى الدول العصريه السلطه التشريعية سواء أكانت مكونة من مجلس واحد أو مجلسين ، أما فى الدولة الاسلاميه فيتولى التشريع المجتهدون وأهل الفتيا وسلطتهم لا تعدو أحد أمرين ، اما بالنسبة الى ما فيه نص من كتاب أو سنة فمهمتهم تفهم النص وبيان الحكم الذى يدل عليه • وأما بالنسبه الى ما لا نص فيه فعملهم قياسه على ما فيه نص واستنباط حكمته اجتهادا وتخريج العلة وتحقيقها ، واستدعى الأمر بعد اتساع رقعة الدولة تدوين المصدر الثانى للشريعة وهو الحديث ، ثم تدوين اجتهادات المجتهدين ، وأول من قام بالأمر الأول الامام الزهرى بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وقام بالأمر الثانى الأئمة المجتهدون ، أبو حنيفة ومالك والشافعى واحمد وداود وزيد بن على وجعفر الصادق وغيرهم ، ومن ذلك الحين صار رجال التشريع يرجعون الى الكتاب والسنة واجتهادات الأئمة الذين أرادوا أن يبينوا لمن بعدهم صرائق الاجتهاد ، وما خطر لواحد منهم أن تلتزم الأمة آراءه ، ولكن جاء من بعدهم من أساءوا فهم غرضهم وحمل المسلمين على اتباع آرائهم وحرم الاجتهاد فقصرت الشريعة عن مسايرة الزمن وتحقيق مصالح الناس والتجأت الحكومات الاسلامية الى استعارة قوانين أجنبية على نحو ما ذكرنا فى مقدمة هذه البحوث •

والحق أن النظام النيابى الذى يرى الشيخ محمد عبده وجوبه فى الاسلام بانتخاب مجلس نيابى يتولى السلطة التشريعية لو وضع له نظام معين بحيث يكون من بين أعضائه أغلبية تتوافر فيها شرائط الاجتهاد فضلا عن تمثيل الكفايات الفنية الأخرى ، لما تعارض ذلك مع الاسلام ولخدم الشريعة خدمه عظمى •

دار المشاورة فى قرطبة :

أنشئت فى قرطبة فى عهد الدولة الأموية الأندلسية دار للشورى، وكان يختار أعضاؤها من جلة العلماء وهى أشبه ما تكون بشعبة التشريع والفتوى بمجلس الدولة أو بالسلطة التشريعية فى الدول العصرية ، وورد ذكر دار الشورى على لسان القرطبى حيث قال : **« ان الشورى خلفت الامام مالك فى عدة أحكام أخذتها من قول ابى القاسم »** وكثيرا ما نقرأ فى كتب التراجم أن فلانا كان مشاورا أو أن فلانا طلب الى الشورى فأبى •

سابعا : الشروط التى يجب أن تتوافر فيمن يولى الخلافة :

قال أبو الحسن الموردى في الأحكام السلطانية (وأما أهل الامامة فالشروط المعتبرة فيهم سبعة) :

الأول : العدالة على شروطها الجامعة •

الثانى : العلم المؤدى الى الاجتهاد فى النوازل والأحكام •

الثالث : سلامة الحواس مع السمع والبصر واللسان ليصلح معها مباشرة ما يدرك بها •

والرابع : سلامة الأعضاء من نقص يمنع من ستيفاء الحركة وسرعة النهوض •

والخامس : الرأى المفضى الى سياسة الرعية وتدبير المصالح •

والسادس : الشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية البيضة وجهاد العدو •

والسابع : النسب وهو أن يكون من قريش لورود النص فيه – ولا اعتبار بضرار حين شذ فجوزها فى جميع الناس •

فأما الشروط الستة الأولى : من العدالة ، والعلم ، وسلامة الحواس ، وسلامة الأعضاء ، والرأى ، والشجاعة ، فظاهر اشتراطها وكلها ترجع الى العدالة والكفاية والقدرة على حمل المسلمين أن يتبعوا قانونهم ، ومنع غيرهم ان يعتدى عليهم ، وكلها لا بد منها ليقوم الامام بواجبه من حراسة الدين وسياسة الدنيا وكلها متفق عليها •

أما الشرط السابع فمختلف فيه ، ومنشأ الخلاف عدم القطع بصحة النص الوارد فيه

ويقول الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف :

ومعارضته للنصوص الكثيرة التى وردت فى الغاء اعتبار الانساب والاعتماد على الاعمال ، والنعى على من دعا الى عصبية وفقد الرابطة بينه وبين الغاية التى من اجلها يولى الامام ، لان شرط الشىء لا بد أن يكون ذا صله فى الوصول الى المقصود به ، والنسب القرشى ان كان مشروطا لذاته فليست الغاية تقتضيه ، لأن حراسة الدين وسياسة الدنيا تكون من الكفء القادر أيا كان نسبه ، ولو كان مشروطا لما كان لقريش من المنعة والقوه التى يستعين بها الخليفة على اداء واجبه وجمع الكلمة حوله فهو شرط زمنى مآله اشتراط أن يكون الخليفة من قوم أولى عصبية غالبة ولا اطراد لاشتراط القرشية .

وسبق أن تكلمنا فى البند ثانيا ونفينا هذا الشرط ، وأقطع من ذلك قول ابن خلدون ، حيث قال بعد بحث مستفيض (فاذا ثبت أن اشتراط القرشية انما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلبة وعلمنا أن الشارع لا يخص الأحكام بجيل ولا عهد ولا أمة . علمنا أن ذلك انما هو من الكفايه فرددناه اليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهى وجود العصبية فاشترطنا فى القائم بأمر المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية غالبة ليستتبعوا من سواهم ، وتجتمع الكلمة على من يحسن الحماية وليعلم ذلك فى الأقطار والآفاق كما كان فى القرشيه اذ الدعوة الاسلاميه التى كانت لهم كانت عامة وعصبية العرب كانت وافية بها ، فغلبوا سائر الأمم وانما يخص بهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة . واذا نظرت سر الله فى الخلافة لم تعد هذا لأنه سبحانه وتعالى انما جعل الخليفة نائبا عنه فى القيام بأمور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالأمر الا من له قدرة عليه) .

وليس عموم ولاية الخليفة وشمولها للشئون الدينية بجاعل الخليفة ذا صلة الهية أو مستمدا سلطانه من قوه غيبية وما هو الا فرد من المسلمين وثقوا بكفايته لحراسه الدين وسياسة الدنيا فبايعوه على أن يقوم برعاية مصالحهم وله عليهم حق السمع والطاعة وسلطانه مكتسب من بيعهم له وثقتهم به .

الصوفية في إلهامهم (٣)

الأستاذ حسن كامل الملطاوي

« وتقلب فى الذاكرين ، وكن معهم ذاكرا شاكرا ، ولا يهمك أمر الدنيا ، فان السعة هى الرضا ، وقل رب زدنى علما » .

وهذه حكمة أخرى من الحكم التى كتب بها الى الهامه أستاذى العارف بالله سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى طيب الله ثراه وهى تتناول فى التربية الصوفية أربعة أسس: الذكر والشكر والرضا والعلم .

أما عن ذكر الله ، فانه اذا اطاق على عمومه ، شمل كل قول أو فعل أريد به وجه الله تعالى فيدخل فى ذكر الله اداء العبادات المفروضة على وجهها الصحيح ، وتلاوة القرآن الكريم ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وتحصيل العلوم اللازمة لذلك ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وافتاء الناس فى الحلال والمواريث ، والجهاد بالنفس والمال فى سبيل الله ، والتسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، والتلبية ..الخ..

أما ذكر الله على التخصيص ، فيقصد به ذكره تعالى باسمائه الحسنى ، جماعة أو فرادى ، باللسان والقلب ، وهو من فضائل الاعمال ، وثمراته دانية ، دلت عليها التجربة العملية ، ورواد التجربة صوفية كل عصر ، والتقلب فيهم يكسب المؤمن محبة الله تعالى محبة خاصة ، يؤثر بها ربه عما سواه ، كما آثره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد سجل الله تعالى لهم ايثارهم فى أروع صورة فى مثل قوله الكريم (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون) وقوله تعالى : (فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة) .

ويبين استاذى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه آثار ذكر الله فى تربية

الروح فى اقوال كثيرة ، فمن الهامه فى هذا المجال قوله :

رضينا بما يرضيك انت منانا
وان نطلب اللقيا فانت علانا
وكل فؤاد غافل عنك صخرة
ولكنه ان ذاق ذكرك لانا
ونفس هوت فى الغى من بدء امرها
اذا ذكرت يوما تنال امانا
وبالذكر كانت ارضى تبر لأهلها
وبالذكر تكسى عزة وحنانا
ومن يذكر الرحمن بالقلب صادقا
علا فوق اعناق الملوك مكانا
ورب فتى فى الناس رثت ثيابه
ولكنه ساد الضحى لمعانا
اذا انت تهوى الله نلت مكانة
وان انت تهوى الناس نلت هوانا
وروحى تستغنى عن الناس باسمه
وقلبى تدانى بالهوى وتفانى
ونحن قلوب طهر الله اصلها
ورب السما بالمكرمات كسانا
ولم نتكلم انما فاض حبنا
شهودا فارسلنا العلوم بيانا
الا ايها اللاحى تجرع كؤوسنا
لتصبح منا ان سقيت سقانا
وتعرف عنا ودنا وغرامنا
وتدرك منا علمنا وهوانا
تجلت لنا الأنوار من عالم البقا
فهامت بها ارواحنا ونهانا
فنينا بها حبا فطابت حياتنا
رأينا بها عند الفناء بقانا

وهكذا كشف لنا سيدى الأستاذ عن منازلات الذاكرين واحوالهم ومقاماتهم ، ويتوجها جميعا مقام الفناء فى الله ، وهو عين البقاء والخلود ، ويعبر عنه الشهيد الحلاج رضى عنه بأنه الحياة فى قوله :

اقتلونى يا ثقاتى
ان فى قتلى حياتى
وحياتى فى مماتى
ومماتى فى حياتى
انا عندى محو ذاتى
من اجل المكرمات
وبقائى فى صفاتى
من قبيح السيئات

ويعبر عنه القطب الكبير سيدى ابراهيم الدسوقى بقوله فى مناجاة ربه : وخذنى اليك منى ، وارزقنى الفناء عنى ، ولا تجعلنى مفتونا بنفسى ، محجوبا بحسى ، واكتشف لى عن كل سر مكتوم ، يا حى ، يا قيوم .

ولا يتسع هذا المقال لتفصيل اكثر عن ذكر الله وأثره فى جمع القلوب على الله ، وقد تغنى الاشارة عن العبارة ، فقد قال العارفون بحق :

الذكر منشور الولاية ، وسلم الهداية ، وصلاح المريدين ، ورأس مال كل عارف ، وشجرة المعارف ، وكفى شرفا للذاكرين قول الله تعالى : « فاذكرونى اذكركم » وقوله تعالى فى الحديث القدسى : « انا جليس من ذكرونى » وقد كان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر الله تعالى .

اما شكر الله فهو من دعائم الايمان القوية كما أنه مظهر من مظاهر حبه سبحانه ويكون شكره باللسان ، والاركان ، والجنان .

اما شكر اللسان فالتحدث بالنعمة بنية الشكر واظهار الفضل .

وأما بنعمة ربك فحدث فلا يتحدث المؤمن افتخارا ولا تزكية لنفسه .

والشكر بالاركان يكون بأداء العبادات المفروضة « اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور » .

اما الشكر بالجنان فهو أن يعتقد المؤمن ويحس بقلبه ان النعم التى يتقلب فيها ظاهرة وباطنة من احسانه تعالى ومحض جوده سبحانه لا الزام عليه فيها (وما بكم من نعمة فمن الله) .

ومن الهام استاذى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل فى رد الفضل لله تعالى قوله :

وزمانى يقول لى
لا تفتخر بقوة

كل من عاش ذاهب
أى فخـــر لميت
وحبيبى يقـــول لى
سر لبابى بخشيـــة
وفؤادى يـقـول لى
احفظ اصـول المودة
يا فـــؤادى اذا بـدا
فضـــل مولاك فاثبت
ذكـــر مولاى مقصدى
عز مــــولاى منعتى
حــــكمة الله ملجىء
وتقى الله رفعتـــــى
انا صـاف مهـــذب
ذائق كل رحمـــــة
بالهـدى صاننى وقد
بعت نفسى برغبتـــــى
بين عـــز وحـــكمة
اكمل الله نعمتى

ومن الهامة كذلك :

سألت فوفانى رجوت فزادنى
وان كريم الكف ما خاب سائله
احن على ذل وأهوى على هدى
واسرى على علم بقلبى اواصله
وهل يدرك الآيات الا رجالها
وهل يعرف الوجدان الا عزاوله
وذو الوجـد لا يغض عن الحب لحظة
به عاش حتى لو أصيبت مقاتله
فقل الذى لم يشهد الحق لاتحد
عن الحق ان الحق قد خاب جاهله

أما الرضا فيقول عنه سيدى الشيخ « ولا يهمك أمر الدنيا فان السعة هى الرضـا » والرضا هو السعة حقا كما جربنـا ، فبغير الرضا يضيق الفسيح فى الدنيا ، وكم كبير مات وكانت الدنيا تضيق عن نفسه ، فأضحى تسعه حفرة من رمسه ، وما أكثر العبر واقل الاعتبار .

عبر كلها الحيـــاة ولكن
أين من يفتح الكتاب ويقرأ

اما الصادقون فقد ابتلوا فى الدنيا بانواع البلاء ، فانزاحت عنهم مرارة البلاء بحلاوة الرضاء ، فعاشوا دنياهم برضـاهم سعداء ، وكانوا بعد موتهم فى جوار ربهم أسعد .

(فرحين بما آتاهم الله من فضله) .

وها ذا هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يروى نعم الله عليه فى البـلاء فيقول ما من بلاء يصيبنى الا وارى الله على فيه « اربع نعم » ـ النعمة الأولى ان البلاء وقع فى دنياى ولم يقع فى دينى ، الثانية انه لم يقع أكبر مما وقع ، الثـالثة ان الله دفع جزعى منه بالايمان ، الرابعة انه ادخـر لى ثواب الصبر عليه ، وهذا من قوة يقين أمير المؤمنين وتأمله فى حكمة القضاء .

وما ابدع الهام استاذى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل فى تهوين الألم والرضا بمواقع المقدور اذ يقول رضى الله عنه :

لولا التألم فى الحياة لما بدا
نور التأمل لامرىء قوام
لولا وقود النار فيما ينبغى
ما كان ينضج بعد أى طعام

وكذلك قوله :

انما هذه الحياة قضـــاء
وقضايا لها البرية تجهـل
ليس يدرى القضـــاء الا الـــذى
قدره وهو فى الحقيقة أول
ان من ذاق للمحبة طعما
فهو عند الاحداث لا يتململ

ويقول ايضا رضى الله عنه :

كل شىء يهون عندى سوى الله
فما الحياة اعطى انتبـــاهها
ليس تفكيرى فى غد فكيف يأتى
ما مضى اليـــوم عفتها اشباها

اما العلم فهو نور يمحو ظلمات الجهالة ، وأشرف ما يعلمه الانسان توحيد ربه والايمان برسله وباليوم الآخر ، فاذا وحد الانسان ربه ، أمكنه أن يزداد بالتربية الدينية ايمانا ، فيتصل بالله اتصال الخواص ، الذين آثروا ربهم عما سواه ، وكيف لا يتفانى المؤمن فى حب الله وقد احاطت به نعمتاه ، نعمة الايجاد ، ونعمة الامداد ، ولولاه ما كان شيئا مذكورا .

غير أن المؤمن لا يستطيع الاتصال بالله تعالى الا من الباب الذى دله الله عليه ، وهو مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا وصدق سيدى البكرى اذ يقول فى مناجاته صلى الله عليه وسلم :

وانت باب الله اى امرىء
اتاه من غيرك لا يدخل

وقد شرف الله بالعلم ، ابا البشر آدم عليه السلام ، فعلمه الاسماء كلها ، قبل أن تعلمها الملائكة ، ومن الله على سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى عليه وسلم بالعلم الموهوب فقال تعالى : (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) وأساس علمه صلى الله عليه وسلم (فاعلم انه لا اله الا الله) وهبة العلم جاءته فى قوله تعالى : « اقرأ بأسم ربك الذى خلق » وفى قوله تعالى « فاوحى الى عبده ما أوحى » وكان على الدوام فى زيادة علمية ، كيف لا وقد اختار له ربه دعوة بالزيادة فى العلم (وقل ربى زدنى علما) وهو صلى الله عليه وسلم خير السائلين والله تعالى اقرب المجيبين وفى الخبر (بربى عرفت كل شىء) .

ولأن معرفة الله تعالى هى أول فرض فرضه على عباده حين خاطبهم فى عالم الذر (الست بربكم قالوا بلى) صارت العلوم الشرعية أطهر العلوم واصفاها ، واشرفها وازكاها لأنها تهيىء القلوب لتذوق العبادات ولتلقى الواردات الرحمانية ، والنفحات الربانية .

التى لا تنفد ، وما يلقاه الا أولياؤه المتقون .
فحدث عنها ماشئت ، فانها من الهام الله وكلماته

ويذكر أستاذى العارف بالله سيدى الشيخ عقل على فضل ربه عليه فى الهامه رضى الله عنه فيقول :

آنس الله مهجتى بعلوم
مزجتنى بها فكنت وعاها
طاف بى النور فالمعارف بحرى
تلفظ الدر وهى لا تتناها

وارتقاء الأرواح فى مورد العلم
يصفى الأرواح من دنياها
وانعدام الأهواء والحس منها
هو معنى السمو فى مسراها
يا سرورى بقوله يا عبادى
انا فى سمعها انال رضاها

الا جزى الله عنى وعن اخوانى المؤمنين وأساتذتى خيرا وجعلنى أهلا لبنوتهم وهدانا بهداهم .

مالا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

الفصل السابع عشر
حاصل كلام الغزالى فى كتابه
« فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة »

أبو حامد محمد الغزالى من كبار علماء القرن الخامس الهجرى ، سلك كثيرا من السبل التى ظن انها توصله الى ربه ، وجال لأجل ذلك فى ميادين علوم جمة ، طالبا اليقين

ومن ذلك انه غاص فى غمار الفلسفة وغيرها من علوم اليونان الأقدمين ، سالكا طريق الأشعرى وغيره من المتكلمين ، حتى انتهى به المطاف الى أن أسلم طريق ، واقرب سبيل يوصله الى الحق ، هو طريق السلف الصالح ، الذى كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه ، ومن اهتدى بهديهم .

وكان من أثر ذلك أنه أعرض عن كتب أبى الحسن ١ الأشعرى رضى الله عنه . وغيره مما الف مشوبا بنظريات الفلسفة اليونانية .

عند ذلك ثار عليه كثير من الجامدين على كل موروث ، الشاعرين يعجزهم عن الاجتهاد ، والبحث ، والتحقيق ، ورموه بالزندقة بل بالكفر .

لا لشيء الا لأنه خالف الاشعرى امام طريقتهم .

فأشفق عليه كثير من عارفى فضله ، ومحبيه ، وكتبوا اليه فى ذلك ، فرد على بعضهم بهذه الرسالة (فيصل التفرقة الخ) وكان مطلعها :

أما بعد ، فانى رأيتك أيها الأخ المشفق الصديق موغر الصدر ، لما قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة فى أسرار معاملات الدين ، وزعمهم أن فيها ما يخالف مذهب المتقدمين ، من مشايخ المتكلمين ٢ ، وان العدول عن مذهب الأشعرى ولو قيد شبر كفر ، ومخالفته ولو فى نزر يسير ضلال وخسر ، فهون أيها الأخ على نفسك ، واصبر على ما يقولون ، واهجرهم هجرا جميلا ، واستحقر فى هذا الزمان الذى ركدت فيه الهمم من لايحسد ،

---

١) البصرى شيخ طريقة أهل السنة امام المتكلمين وكان شافعى المذهب توفى سنة ٣٢٤ هـ

٢) المراد بهم العلماء الذين الفوا فى اثبات العقائد الاسلامية على طريقة البحث المعهود للفلسفة اليونانية والجرى على أساليب المناطقة اليونانية ويسمون علمهم بعلم الكلام لان اثبات صفة الكلام لله تعالى كانت ادق مباحثه .

ولا يقذف واذا كان هذا منتهى علمهم فاستصغر من بالضلال لايعرف .

فأى داع ومصلح أكمل واعقل من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وقد قالوا عنه : انه مجنون من المجانين .

وأى كلام اجل واصدق من كلام رب العالمين وقد قالوا : انه من أساطير الأولين ، الى أن قال :

واعلم أن حقيقة الكفر والايمان ، والحق والضلال . لاتنجلى للقلوب المدنسة بطلب الجاه ، والمال . وانما تنكشف لقلوب طهرت من أوساخ الدنيا أولا ، ثم صقلت بالرياضة الكاملة ثانيا ، ثم نورت بتذكر عظمة الله تعالى ثالثا ، ثم زينت ، بملازمة حدود الشرع رابعا ، حتى فاض عليها نور مشكاة النبوة .

وكيف تتجلى أسرار الملكوت لقوم اتخذوا الههم هواهم ، ومعبودهم سلاطينهم ، وقبلتهم دراهمهم ، ودنانيرهم ، وشريعتهم رعونتهم .

فهؤلاء من أين تتميز لهم ظلمة الكفر ، من ضياء الايمان ، هل بالهام الهى ؟ وهم لم يفرغوا القلوب من كدرات الدنيا ، أم بكمال علمى ، ولا بضاعة لهم فى العلم الى مسائل النجاسات الحسية ، والمياه المخلوطة وغير المخلوطة ، هيهات هيهات أن ينالوا شيئا من ذلك المطلب الذى لا ينال بالهوينى ، فلا تضع فيهم بقية عمرك ، واقرأ قوله تعالى « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ، لم يرد الا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بمن اهتدى » .

الى ان قال : فاما انت ان أردت أن تنزع هذه الحسكة من صدرك ، وصدر من هو فى حالك ، ممن لاتحركه غواية الحسود ، ولاتقيده عماية التقليد ، فاطلب من مناظرك من أى طائفة من طوائف المتكلمين بيان حد الكفر .

فان زعم أن حد الكفر هو ماتخالف مذهب الأشعرى ، أو مذهب المعتزلى ، او مذهب الحنبلى ، أو غيرهم ، فاعلم أنه غر بليد . قد قيده التقليد ، وناهيك حجة على افحامه مقابلة دعواه بدعوى خصومه لأنه لايجد بين طائفة واخرى فرقا .

ولعل صاحبك يميل من بين سائر المذاهب الى الأشعرى ، ويزعم أن مخالفته من الكفر الجلى .

فاسأله من أين جاء له ان الحق وقف على الأشعرى ؟ حتى يقضى بكفر عالم جليل كالباقلانى ١ الذى خالف الأشعرى فى صفة البقاء لله تعالى وقال : انها ليست وصفا زائدا على ذاته تعالى .

ولم صار الباقلانى أولى بالكفر بمخالفته الأشعرى ، من الاشعرى اذا خالف الباقلانى ؟

ولم صار الحق وقفا على أحدهما ، دون الآخر ؟

هل كان ذلك لأجل السبق فى الزمان ، ان كان ذلك فقد سبق الأشعرى غيره من المعتزلة ، فليكن الحق للمعتزلى السابق عليه .

أم لأجل التفاوت فى الفضل . والعلم ؟ فأى ميزان أو مكيال قدروا درجات الفضل ؟

فان عجز عن الهمس فى حق الباقلانى . وقال أرخص للباقلانى فى مخالفته للأشعرى . لأنه مشهور بالعلم ، والفضل ، فقل له : لم حجرت على غيره ممن هو مثله فى العلم ، والفضل ، وما الفرق بين الباقلانى والكرابيسى ٢ ، والقلانسى ٣ ، وغيرهم .

---

(١) هو القاضى ابو بكر محمد بن الطيب المعروف بالباقلانى البصرى ، كان على مذهب الاشعرى . سكن بغداد وصنف كثيرا فى علم الكلام وغيره وكان فى علمه أو حد زمانه وانتهت اليه الرياسة فى مذهبه توفى رحمه الله فى آخر يوم السبت ودفن يوم الاحد فى سبع بقين من ذى القعدة ٤٠٣ هـ ببغداد . وباقلانى نسبة الى الباقلى (انتهى باختصار عن ابن خلكان) .

(٢) هو أبو على الحسينى بن يزيد البغدادى صاحب الامام الشافعى وأشهر اتباعه وأحفظهم لمذهبه وله مؤلفات كثيرة فى أصول الفقه وفروعه وكان عارفا للحديث أخذ عنه الفقه خلق كثير توفى سنة ٢٤٥ هـ والكرابيسى نسبة الى الكرابيس وهى الثياب الغليظة وكان يتاجر فيها (انتهى ابن خلكان باختصار)

(٣) هو أبو العباس ، قال السجستانى فى كتابه الملل والنحل : أما السلف الذين لم يتعرضوا لتأويل صفات الله تعالى ولا نحوا نحو التشبيه فمنهم مالك بن أنس وأحمد بن حنبل وسفيان وداود الاصفهانى ، ومن تابعهم حتى انتهى الزمان الى عبدالله بن سعيد الكلابى وأبى العباس القلنسى قال حسن صديق خان وممن ناضل المعتز له فى صفة الكلام لله تعالى أبو العباس القلنسى . انتهى ابن خلكان باختصار ولم يتعرض لزمن وفاته وهو الكرابيسى كانا يخالفان الاشعرى فى تأويل بعض صفات الله تعالى كاليدوالعين والاستواء فيثبتانها له تعالى بلا تأويل عن طريقة السلف مخالفين الاشعرى الذى يؤول اليد بالقدرة مثلا .

ثم قال: ولعلك لو أنصفت لعلمت أن من جعل الحق وقفا على طائفة من هؤلاء بعينها فهو الى الكفر أقرب ، وذلك لأنه نزل أصحاب هذه الطائفة منزلة النبى المعصوم من الخطأ ، الذى لاتحقق الايمان الا بموافقته ، ولا يلزم الكفر الا بمخالفته .

ثم قال : لعلك بعد هذا تريد أن تتعرف ما هو الكفر الذى يخرج عن الملة ، وساعطيك علامة صحيحة تضعها تحت نظرك ، وترعوى بسببها عن تكفير الفرق الاسلامية وتكف لسانك عنهم ، وان اختلفت طرقهم ، ماداموا متمسكين بقول لا اله الا الله محمد رسول الله صادقين مخلصين غير عاملين بما يناقض معناها .

فأقول : الكفر هو تكذيب الرسول عليه السلام فى شىء مما جاء به ، والايمان هو تصديقه فى كل ما جاء به ، فاليهودى ، والنصرانى ، كافران لتكذيبهما للرسول صلى الله عليه وسلم ، والبرهمى ، كافر ، بطريق الأولى ، لانه أنكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم جميع المرسلين ، والدهرى كافر بالأولى من البرهمى لأنه أنكر مع الرسل وجود الله سبحانه ، فكل كافر مكذب للرسول ، وكل مكذب له فهو كافر فهذه علامة مطردة منعكسة .

واعلم أن الذى ذكرناه مع ظهوره تحته غور ، لأن كل فرقة تكفر مخالفها . وتنسب اليه انه يكذب الرسول صلى الله عليه وسلم .

فبعض الحنابلة مثلا يكفرون الأشعرى . بزعم انه كذب الرسول فى اثبات الفوقية لله تعالى ، وفى الاستواء على العرش ، وهذا يخالف قوله تعالى « أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض » آية ١٦ سورة تبارك .

وبعض الأشاعرة ، يكفرون بعض الحنابلة بزعم أنهم يشبهون الله بخلقه ويكذبون القرآن فى قوله « ليس كمثله شىء » .

وبعض الأشاعرة أيضا يكفر المعتزلة ، بزعم أنهم كذبوا الرسول ، فى جواز رؤية الله تعالى وفى اثبات صفات العلم ، والقدرة ، وغيرهما له تعالى ، زائدة عن ذاته .

والمعتزلى يكفر الأشعرى بزعم انه يكثر وجود قدماء ، مشاركين لله تعالى فى صفة القدم ، وذلك انه يقول : ان صفات الله تعالى زائدة على ذاته ، وهى موجودة ، فشاركت الله فى القدم ، وهذا تكذيب للرسول فى أن الله واحد ، وانه هو وحده القديم ، لاشىء يشبهه فى القدم .. الخ .

ثم قال : ولا ينجيك من هذه الورطة الا معرفتك حد التكذيب ، والتصديق ، فينكشف لك غلو هذه الفرق ، واسرافها فى تكفير بعضها بعضا ..

وقبل الخوض فى الفرق بينهما تفصيلا يجب أن تعلم أيضا هذه المقدمة الصغيرة فانه لاحيلة لنا فى اهمالها ، وان كانت قد تبدو غريبة على القارىء العادى .

بما أن التصديق المنجى هو الاذعان بالقلب والاعتراف بوجود كل ما أخبر الله ورسوله بوجوده ، فاعلم أن للوجود مراتب ، من لم يتنبه لها يقع فى تكفير من لايستحق التكفير .

مع الذكريات

فضيلة الشيخ عبد الله المشد

تمر بنا ذكريات وطنية مجيدة منها ذكرى حادثة دنشواى وذكرى اعلان الجمهورية وعيد الجلاء . ويحق لنا ان نقف مع هذه الذكريات وقفة اجلال واكبار لما بذل فيها من تضحيات وقدم من مثل ، ووقفة تذكير تدفع الى اليقظة الدائمة والاستعداد المستمر لمواجهة كل الاحتمالات المتوقعة فى عالم المفاجآت .

ولا شك أن الحديث فى الوطنية ، وفى حماية المقدسات والحفاظ على الحرمات . والتضحيه فى سبيل الشرف والكرامة حديث شهى عذب تطرب له النفوس الأبية وتنتعش له القلوب المملوءة بالغيرة والمتوثبة للمجد والكمال . والنفوس فى هذه الظروف يجب أن تمتلىء بمثل هذه المعانى الجادة الهادفة الدافعة لعمل الخير والموجهة الى خير المثل ، ويجب أن تكون بعيدة بقدر كبير عن التفكير فى ملذات رخيصة ومتع عارضة وصوارف لاهية ، مع أن النذر تلوح فى الأفق والآيات تترى صارخة بأعلى صوتها أن اليقظة والحذر والاستعداد كل أولئك يجب أن يكون سمة الانسان فى عصر الصواريخ والذرة ومحطات الفضاء ، ويجب أن تجتمع القلوب الخيرة لتبحث مشاكل الانسانية المعذبة وتعيد لها عهدها الخليق بها لتنعم فيه بالمحبة والاخاء والامن والسلام .

ان الانسان الذى كرمه الله على المخلوقات بقوله : « ولقد كرمنا بنى آدم » والذى سخر له جميع الكائنات من أجل كرامته « وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعا منه » والذى جعل الكون كله مسرحا لنشاطه ليحقق هذه الكرامة « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » هذا الانسان المكرم لايكون خليقا بهذا التكريم الا اذا توفرت له الحربة الكاملة ، تلك الحرية التى هى حق طبيعى لكل فرد فى الوجود لايجوز أن يتحكم فيها أحد ما دامت

لخير الفرد ولصالح الجماعة . وحرية الفرد والجماعة لاتنفك أبدا عن حرية وطنه الذى يجد فيه الأمن والاستقرار ، والحرية بهذا تعتبر هى الحياة ، والحياة بدون الحرية لاتساوى شيئا .

من أجل هذا قررت العقول السليمة وأكدت الأديان السماوية مشروعية الدفاع عن الحرية، وشجعت على التضحية فى سبيلها ، وأوجبت على القادرين ساعده الضعفاء على التمتع بها واستردادها من غاصبيها .

والنفس الأبية لاترضى أبدا أن ينال من حريتها مستبد أو ظالم ، أو يعبث بقدسيتها دخيل متحكم ، واذا مست كرامتها لاتستكين للظلم ولا تسكت على الضيم . ووقائع التاريخ تؤكد أن الحرية لاتوهب لأصحابها دون ثمن يقابلها ، بل لابد أن يكون هناك نضال مستمر وكفاح دائب ، يهون فيه البذل وترخص الدماء .

وللحرية الحمراء باب

بكل يد مضرجة يدق

والنفس المؤمنة بحقها لايضيق صدرها اذا طال الكفاح وبعدت الشقة وثقل العبء فان عاقبة ذلك كله هو النصر المبين كما يقول الله سبحانه « **وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين** »

وقد جرت سنة الله فى خلقه أن الجهاد اذا بلغ ذروته من التضحية ، وأن الايمان اذا تمكن من أعماق النفس دنت الغاية وقرب المنال . قال تعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب » .

والمقرر أن الكفاح اذا طال أمده وكثرت عقباته يجعل للنصر لذة لاتدانيها لذة ، توحى بالحرص الشديد على حماية المكاسب التى أثمرتها شجرة الكفاح المرير المروية بدماء الشهداء وعرق الأبطال ، وذلك بعمق جذور الايمان بالحرية ، ويمحص القلوب من شوائب الشك والريبة ، ويخرج نخبة ممتازة من العادة الذين يصنعون لأممهم تاريخا مشرقا مجيدا .

الفرد له حقوق تتصل بعقيدته وسلوكه الشخصى والاجتماعى تتضح بها شخصيته وتكمل بها انسانيته ، وكذلك الامة لها حقوقها المقدسة المنبعثة من حقوق أفرادها ، ولها نظامها الخاص الذى ارتضته لسلوكها ولها طريقتها التى تسوس بها مواطنيها ، ولها الحق فى أن تعيش فى وطنها آمنة مستقرة ، ولا يتوفر لها الأمن والاستقرار الا باحاطة هذه الحقوق بسياج منيع من اليقظه وجند قوى يرد عنها العدوان ، ومن هنا كان البذل فى سبيل حماية المقدسات واجبا وكانت التضحية من أجلها شرفا لايعدله شرف .. وكان التخلى عن الميدان معناه التخلى عن الحياة ، والتهاون فى الدفاع معناه الحكم على الأمة بالفناء .

ويجب أن نتنبه الى أن العدوان على مقدسات الأمة كما يكون بانتهاك حرمة الوطن بالغزو المسلح يكون بالطعن فى العقائد والتشكيك فيها وتسميم الأفكار وتلويثها ومهاجمة النظم والتقاليد وتشويهها . ورد العدوان فى كل هذه الميادين له أسلحته المناسبة . ولا بد فيه من تضامن جميع الأفراد والهيئات .

والاسلام وهو دين الأمن والسلام ودين الحرية والكرامة ، قرر أن الدفاع عن المقدسات هو الوسيلة الفعالة لبقاء الأمم وحياة المجتمعات ، قال تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » وسمى هذا الدفاع جهادا فى سبيل الله ، قال تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » ومن أجل هذا أمر باعداد جيش قوى يرد اعتداء المغير ، ويرهب من تسول له نفسه المساس بهذه المقدسات ، قال تعالى « وأعدوا لهم

ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » وجعل الجندية فرضا على كل مستطيع ، والتضحية بالنفس والمال والجهد والخبرة خير ما يقدمه الانسان لدينه ووطنه « انفروا خفافا وثقـــالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم أن كنتم تعلمون » •• وقرر أن المكاسب التى تحصل عليها الامة من وراء هذه التضحيات لاينبغى أن تضيع بحرص النفس البشرية على السلامة وكراهة المخاطرة قال تعالى « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » « وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما • درجات منه ومغفرة ورحمة » وسمى ذلك بيعا جعل ثمنه الجنـة ، ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن » وأعد للشهداء منزلة عاليـــة يصورها قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون • فرحين بما آتاهم الله من فضله » ويقول النبى صلى الله عليه وسلم « ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شيء الا الشهيد ، يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة » وغرس فى النفوس حب التضحية والمغامرة وأوحى اليهم ان يكونوا دائما على ذكر منها وتشوق اليها واستعداد لتلبية ندائها • ففى الحديث الشريف « من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه »

فى ظل هذا الهدى الاسلامى العظيم وبروح من الايمان بالحق والغيرة على الكرامة والحرص على الحرية خاض المسلمون الأولون معارك طاحنة ضد العابثين بالأمن والمعتدين على الحقوق • وبفضل الشهداء صدت هجمات الفرس والرومان فى القادسية واليرموك ، وغارات المغول والصليبيين فى عين جالوت وحطين ، واعتداءات المستعمرين فى بورسعيد وغيرها من معـارك التحرير فى آسـيا وأفريقيا •

ونحن اذ نحيى ذكرياتنا الوطنية المجيدة تذكر العربى بهذه الأمجاد وتلك البطولات التى حققها آباؤنا الاولون ، ونهيب به ألا يكـون تذكيره بذلك مدعاة لتواكله • اعتماده على ماقدمه أسلافه السابقون بل يجب أن نحقق أمجادنا بعملنا وكفاحنا ونردد مع القائلين :

لسنا وان أحسابنا كرمت
يوما على الآباء نتكـــل

نبنى كما كانت أوائلنـــا
تبنى ونفعـــل فوق مافعلوا

ويطيب لنـــا أن نقول للمكافحين من أجل حريتهم فى فلسطين وعمـــان وفى جنوبى الجزيرة والخليج وفى كل مكان : شـدوا عزائمكم واشرحوا صدوركم بالأمل ، وسيروا على الدرب فمن ســار على الدرب وصل ، واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى ســبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشـاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار »

دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الإسلام

الأستاذ حسنى عبد المجيد

الامر الذى لاشك فيه هو ان مجتمعنا الاشتراكى المسلم يعيش اليوم اعظم ايام حياته .. فنحن اليوم نغادر « منطقة من حياتنا » اختلطت فيها الاخلاقيات بالمعاملات بحيث لم تدع هذه الاخيرة بابا فى وجه فقير الا واغلقته وسدت منافذه ولو لم تقل جماهير الشعب العاملة كلمتها وتقرر حتمية الحل ـ الاشتراكى اسلوبا ومنهجا لحياتها لضاعت معالم البقية الباقية من الاخلاقيات ولازداد الفقير فقرا والغنى ثراء . ولاصبحت الهوة سحيقة بينهما تنبىء بوضوح عن عجز مجتمع .. كتب على نفسه .. الفقر والحاجة والبطالة .. الا ان ثورتنا الاشتراكية الانسانية ومع صبيحة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كانت تحمل كل معانى الخلاص للملايين الحائرة التى طحنها الاقطاع واذاب كرامتها وحطم وجودها وآمالها وقد يتساءل القارىء وهل ولدت الثورة الاشتراكية الانسانية مع ثورة ٢٣ يوليو والجواب هو نعم . ففى فلسفة الثورة ومن خلال سطورها نلمس بوضوح وجلاء المعالم الاولى للثورة الاشتراكية حينما يوضح الرئيس عبد الناصر انه لكل بلد ثورتان احداهما سياسية والاخرى اجتماعية وانه لابد لهذا البلد ان يسير فى الثورتين معا . ويقول الرئيس فى موضع آخر « يوم سرنا خطوة وخلعنا فاروق عن العرش . سرنا خطوة مماثلة فأصدرنا قانون الاصلاح الزراعى » اذن الثورة الاجتماعية لصالح الانسان العربى تفجرت منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ذاتها . ولم تهدف هذه الثورة الا لاعادة الحق الضائع المسلوب للملايين الذين اعتصرهم الاقطاع والاحتكار عبر قرون من الزمان طويلة .

وهكذا تقوم ثورة ٢٣ يوليو لتؤدى فى الواقع رسالتين اولاها اعادة صياغة المعاملات والاساليب التى سادت فى المجتمع لتاخذ شكلا انسانيا وهدفا انسانيا يبعد هذه المعاملات عن الاستغلال والتربص ـ بحقوق الفقراء والمحتاجين وثانيها هو تمشى هذه الثورة بثوراتها المتلاحقة فى الاقتصاد والاجتماع والمال وعدالة التوزيع .. لتحمى وجه الدين الاسلامى الصحيح من خلال حماية حقوق الناس . « وما الله يريد ظلما للعالمين .. » وهكذا اخذ مجتمعنا الاشتراكى يعيد تسوية الاوضاع المقلوبة فى رفق وحزم ولو كره الكارهون .

واليوم ونحن فى العام الرابع عشر لثورتنا الانسانية علينا ان نقيم هذه المنطقة من حياتنا التى نعبرها اليوم الى الغد المشرق . وهو غد وضحت معالمه فى الميثاق وضوحا ناصعا حضاريا . منح الانسان العربى كل اسباب الحرية . والحقوق . واعطى المجتمع دروسا استقرت فى اعماقه واصبحت بمثابة الارض الطيبة التى تورق منها شجرة المستقبل . ولن تكون هذه الشجرة سوى جماهير الشعب العاملة التى آلت على نفسها ان تتحول على طريق التغيير الاجتماعى تجاه حضارة الانسان العربى وقيمه الاخلاقية الجديدة لتمنح العالم ابعادا جديدة صحيحة . وفهما جديدا صحيحا عن الاسلام والمسلمين . والمدقق فى حياتنا . فى فترة

ماقبل ٢٣ يوليو • يلاحظ بوضوح ان من اسباب نكبة هذا المجتمع . مجتمع ما قبل الثورة هم المترفون اللاهون • ويحذرنا القرآن دائما من هذه الطبقات المترفة ويعتبرها مصدر خطر على المجتمع الاسلامى • فهم اعداء لكل صلاح وتقدم وهم دائما حجر عثرة فى سبيل التطور الانسانى الخلاق ويقول تبارك وتعالى « وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها • انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين »

« فقال الملا من قومه ـ قوم هود ـ لذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم فى الحياة الدنيا ، ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون »
« صدق الله العظيم »

والواقع ان القوم المترفين فى كل مجتمع هم الذين يملكون الجاه والتسلط ويصل بهم الحال الى التحكم فى الخلائق بحيث تصبح هذه الطبقة مصدر الدمار لكل قيم هذا المجتمع ويقول تبارك وتعالى « واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » ولقد أدرك الاستعمار الآثار الساحقة لهذه الطبقات فمهدوا لها ومكنوا لوجودها وخلقوا هذه الطبقة فى صور عديدة فى الاقطاع والاحتكار والتسلط •• واصبحت هذه القوى دائما ابدا هى المتربصة بحقوق الجماهير وآمالهم • ويقول ـ الميثاق فى بابه السادس « من المؤكد ان الاجراءات التى اعقبت قوانين يوليو الاشتراكية قد حققت بنجاح عملية تصفية كانت محتمة وضرورية لقد تمت بعد ان بدت محاولة الانقضاض الرجعى على الثورة الاجتماعية عملية حاسمة لازالة رواسب عهود الاقطاع والرجعية والتحكم • ان هذه العملية قطعت الطريق على كل محاولات التسلل والدوران من حول اهداف الشعب ولحساب المصالح الخاصة لفئات التى حكومت وتحكمت من المراكز الطبقية الممتازة »

ولعله يجدر بنا ان نوضح ان هذه الطبقات التى حكمت وتحكمت • اقتسمت الثروة الوطنية فيما بينها بحيث لم تدع سوى الفتات لملايين الشعب العاملة بحجة ان الله رفع بعضنا فوق بعض درجات وهذه الحجة مردود عليها • فالله تبارك وتعالى يقول فى عزيز كتابه « وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم . ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم » ـ الانعام وسورة النحل ـ « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ماملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون ؟ » والواقع ان الدين الاسلامى الحنيف ـ وهو الذى وضع كل المعاملات والعلاقات الانسانية على طريق القيم الاخلاقية • الواقع ان الدين حارب فكرة انقسام الناس الى طبقات على اساس امتلاكهم وعزوتهم وثرواتهم • والله تبارك وتعالى حينما يقول انه قد استخلف الناس فى الارض فانما استخلفهم ليعمروا الارض وليكدحوا وليعرفوا فيها والتفاوت هنا هو فى المواهب الانسانية وقدرات الانسان وذكائه والناس ليسوا ولن يكونوا سواسية فى الذكاء والغباء • وليسوا كذلك فى قدراتهم على العمل والكسل او العلم والجهل ومن ثم فان هذه القدرات المختلفة يقابلها طبعا تقييم مختلف متدرج لهذه القدرات ـ بالنسبة لما تستحقه من اجر • والميثاق فى بابه السابع يقول « لقد كانت جميع الاديان ذات رسالة تقدمية ولكن الرجعية التى ارادت احتكار خيرات الارض لمصالحها وحدها اقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين وراحت تلتمس فيه مايتعارض مع روحه ذاتها لكن توقف تيار التقدم • ان جوهر الاديان يؤكد حق الانسان فى الحياة والحرية بل ان اساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان • ان كل بشر يبدا حياته امام خالقه الاعظم بصفحة بيضاء يخط فيها اعماله باختياره الحر ولا يرضى الدين بطبقة تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم • ا ن الله ـ جلت حكمته ـ وضع الفرصة المتكافئة امام البشر اساسا للعمل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة •

وهكذا يتضح امام بصيرتنا كل ابعاد واغوار هذه الطبقة المترفة الساهية اللاهية الا عن احتكار الناس وامتصاص عرقهم • هذه الطبقة او الفئة التى بوحى من مصالحها الخاص دمرت المجتمع ـ مجتمع ماقبل ٢٣ يوليو تدميرا تاما وصح ان نطلق عليهم « مجرمى تخلف »

اسوة بمجرمى الحرب فهم الذين عطلوا نمو مصر • واذلوا نفوس رجالها واضعفوهم وشتتوا ارزاقهم ثم مهدوا الطريق امام المستعمر ليشد ازرهم ويدعم كيانهم المهتز •

وخلاصة القول ان مجتمع ماقبل ٢٣ يوليو كان مجتمعا ساد الرق فيه فطبقة متحكمة ممتلئة واخرى ضائعة بائسة تكاد من فرط ضياعها ان تسلم كل كرامتها الاجتماعية ووجودها الانسانى لهذه الطبقة المترفة اللاهية ويقول تعالى « قل ياهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله » ـ آل عمران

ولم يكن ممكنا بحكم التاريخ وبحكم الحق • وبحكم الوجود الانسانى الهادف لم يكن ممكنا ابدا ان تستمر حال مجتمع يضم ملايين من المسلمين على مثل هذا المستوى المهين من الضعف والتخاذل وكان لابد لثورة ٢٣ يوليو ان تنفجر وكان لابد لهذه الثورة ان تحمل معها القيم والعدالة والتقييم الانسانى الصحيح • اى الحفاظ على انسانية الانسان المسلم • والاسلام فى حقيقته شورى وديمقراطية سياسية • وديمقراطية اجتماعية واقتصادية ، هدفها جميعا التآخى بين الناس فيما لهم وفيما عليهم • والاسلام منذ بزوغ ثورته على الارض منذ اربعة عشر قرنا ينظم كدين علاقة المسلم بربه وخالقه فى اطار من الايمان والشعائر والعبادات وينظم كدنيا المعاملات التى تقوم بين الناس شريطة ان تكون نابعة من القيم والاخلاقيات الانسانية ويقول تبارك وتعالى « وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير » ـ سورة النحل

فكان رسالة الاسلام اذن فى مضمونها وجوهرها هى العمل الحسن . والعمل الطيب المثمر الذى يعكس آثار الحياة النابضة العاملة على المسلمين • لا ان تتحكم قلة مترفة يتخمها المال والجاه والسلطان • وتصبح غريبة عن نفسها ـ او حتى عن الملايين الذين يشقون ويكدحون ليقدموا عرقهم لقمة سائغة بلا قيمة او عائد •• ومن المؤكد ان الجهود والعرق الذى يبذله اصحابه لايمكن ان ـ يذهب هباء حتى ولو انتهى مرحليا الى جيوب قلة مترفة • فهذه الجهود والاعمال المضنية التى

يبذلها اصحابها لاتلبث ان تجمع بينهم . حيث يتجسد الظلم البشع والاحتكار المزرى ولا تلبث أن يتمخض هذا الظلم الاجتماعى عن انفجار مريع يطيح بالطبقات المترفة وما ملكت وما استغلت وهذا هو حال معظم الثورات الحديثة سواء فى فرنسا فى اواخر القرن الثامن عشر أو فى روسيا فى أواخر القرن العشرين أو الصين فى عام ١٩٤٩ . فشعار الملايين اذن لايعنى الا ردا واحدا هو ثورة عارمة لاتبقى ولا تذر . والظلم الاجتماعى لايلبث ان يتفجر فى ثورة طاحنة لاحدود لها ولا يمكن التكهن باغوارها واعماقها . لذلك جاء الاسلام الحنيف وهو يحمل رسالة العدل الاجتماعى فى كل ابعاده واعماقه . وحينما يقول تبارك وتعالى فى سورة التوبة « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة » فكأنه تبارك وتعالى يدعونا قدما الى أن تهب الحكومات والشعوب لسن القوانين ووضع النظم واللوائح التى تكفل الوفاء بحاجات الناس ورغباتهم وتطلعاتهم لافرق بين غنى او فقير . الا فيما يملك من قدرات . والمال الذى يدور ويلف فى كل معاملاتنا . والذى تحاول ـ الطبقات المترفة ان تكتنزه وتحجزه عن الحياة والاستثمار هل هذا المال ملك لها حقيقة ام هذه الطبقات تحكمه فقط وتديره واذا كانت هذه القلة لاتملك نفسها . فكيف تملك المال . وكيف تتصرف فيه . وماذا فى قول الله تبارك وتعالى « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ـ سورة النور

وماذا فى قوله تعالى « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير » ـ سورة الحديد .

وكل هذه الآيات البينات توضح لنا بجلاء ضرورة فرض التوازن بين الناس واقامة العدل فيما نملك بسرعة اصدار التشريعات التى تكفل نصرة الانسان لا التى تكفل الى احكام قبضة الاثرياء على ثروات البلاد . وفى سورة الحديد يقول تعالى (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » والقسط هنا هو العدل والعدل الاجتماعى .

وحينما يقول الميثاق ان الاديان ذات رسالة تقدمية ولكن الرجعية ارادت احتكار خيرات الارض لصالحها وحدها .. » فان الميثاق يؤكد هنا ايمانه بالاديان كرسالة لها مضمون اجتماعى ووظيفة انسانية . «كذلك لابد ان يستقر فى ادراكنا انه لاحرية للفرد بغير تحرره أولا من براثن الاستغلال » والميثاق فى عدائه للاستغلال والاحتكار يعتبر مضربا للامثال فهو تارة يشرح مضمونه ويضرب الامثال لنا مبصرا ومنذرا . ثم تارة اخرى يحصره فى مراكزه ومواقعه ثم يحدد طرق الاقتراب والاساليب التى تكفل القضاء عليه ثم يدفع الانتاج فى كل صوره وطاقاته لتخدم قاعدته كل المواطنين ومن ثم تتفتح امامهم ابواب تكافؤ الفرصة التى بدورها تكفل تحصن المواطن ضد كل استغلال مهين . واخيرا وليس آخرا يربط الميثاق فى ذكاء وموضوعية فى بابه الثامن بين الطاقات الروحية للشعوب . وآمال هذه الشعوب ومتطلباتها فى الحياة الكريمة فيقول « على انه يتعين علينا ان نذكر دائما ان الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من اديانها السماوية أو من تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات . ان الطاقات الروحية للشعوب تستطيع ان ـ تمنح آمالها الكبرى اعظم القوى الدافعة كما انها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بها جميع الاحتمالات وتقهر بها مختلف المصاعب والعقبات . واذا كانت الاسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة فان الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم انبل المثل العليا واشرف الغايات والمقاصد .

ولن تكون انبل هذه المثل واشرف هذه الغايات سوى اسعاد المواطن المسلم بدرء شبح الاستغلال والاحتكار عنه ومنحه حقه فى العلم والعمل والتامينات والرعاية الصحية الواجبه . فيصبح المواطن المسلم مواطنا مسلما مؤمنا قوى الايمان قادرا على صياغة حياته وفق المنهج الذى يامله ويرى فيه سعادته .

مقارنة الأديان

اليهود

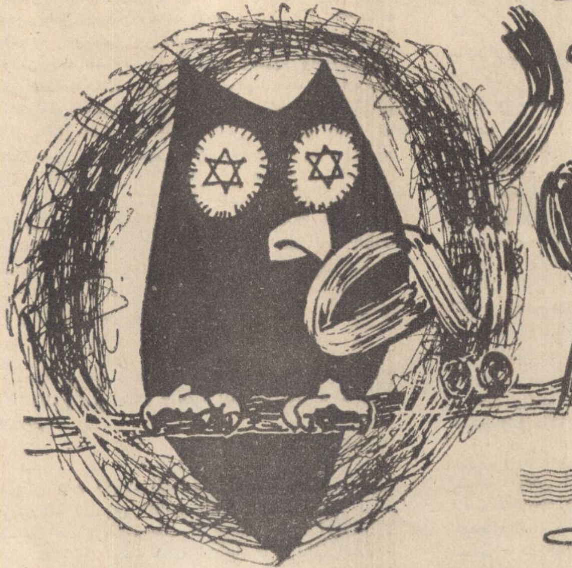

الدكتور أحمد شلبي

مقدمة :

فى أحاديثنا السابقة تكلمنا عن منطقة فلسطين ووصفنا سكانها وتحدثنا عن الكنعانيين والفينيقيين والفلسطينيين وسكان آمون ومؤاب وادوم ، وهذه تمثل الدائرة الضيقة التى أحاطت بالعبرانيين ، كما تحدثنا عن مصر وآشور وبابل التى تمثل الدائرة الواسعة حولهم ، ثم عرجنا على العبرانيين فوصفنا تحركاتهم وتتبعناهم من أور الكلدانيين حتى دخل بهم ابراهيم أرض الكنعانيين ، ثم غادرها الى مصر ، وقفل بعد حين عائدا الى فلسطين ، وجاء بعده ابناه اسماعيل فى الحجاز ، واسحق فى فلسطين ، وجاء يعقوب بعد أبيه اسحق ، ثم جاء يوسف ، وسرنا مع قصة يوسف حتى رأيناه . مديرا لخزائن الطعام بمصر ، ثم رأيناه يستدعى أهله ليلحقوا به فيلحقون ، وشهدنا تكاثر بنى اسرائيل بمصر ، وخيانتهم للحكم الوطنى بعد طرد الهكسوس ، وتآمرهم ضد سلامة الدولة ، وقيامهم بعدة ثورات فى عهد رمسيس الثانى وذكرنا أسباب هذه الثورات ، ثم تحدثنا عن نشأة موسى ودعوته وخروجه من مصر ، وانحراف بنى اسرائيل عنه ، وعبادتهم عجل السامرى ، ثم وفاته هو وهارون دون أن يدخلا فلسطين ببنى اسرائيل وانتقال القيادة الى يوشع الذى استطاع بظروف مختلفة أن يقتحم فلسطين على أهلها ، وتحدثنا بعد ذلك عن بنى اسرائيل فى فلسطين فانتهينا من الكلام عن عهد القضاة ، وعهد الملوك وعهد الانقسام وزوال ملك بنى اسرائيل من فلسطين نهائيا ، وعودتها لحوزة العرب والاسلام ، ثم وصفنا عصر التشرد فذكرنا أن اليهود نزلوا بعدة أقطار بالعالم ولكنهم كانوا يمثلون دور الانتهازيين والخونة ، فثار عليهم السكان الأصليون فى كل البلاد التى نزلوا بها ، واوقعوا بهم ألوانا من الثأر والتنكيل ، ونواصل فى هذا المقال حديثنا عن حلقة أخرى من حلقات حياة اليهود وهى فى الطريق الى العودة :

أوضحنا أن وضع اليهود فى البلاد التى نزلوا بها كان وضعا قلقا ، وكانوا يكونون طبقة خاصة منعزلة عن باقى الطبقات ومعادية لها ، ومع هذا فقد أتيح للكثيرين منهم ثراء عريض بسبب تعاونهم مع بعضهم البعض وسلوكهم الوسائل المشينة لكسب المال ، وانتهازهم الفرص ، وبراعتهم فى الشئون الاقتصادية ، وترتب على هذا الثراء أن انصرف بعضهم عن التفكير فى العودة الى فسلطين ولكن البعض الآخر وجد فى فلسطين الملجأ الذى يحميه من الاضطهاد والقلق ، فأصبحت فلسطين لهؤلاء أغنية يتغنون بها وأملا يتطلعون اليه ، ومن هؤلاء لورد بيرون الذى خلد تشريد بنى اسرائيل فى أغانيه العبرية اذ قال : ان للحمامة البيضاء عشا صغيرا ، وللثعلب وكرا ، ولكل انسان وطنه ، ولا وطن لليهود . وجاء دزرائيلى فحدب على قضية اليهود فى رواية دافيد اكروا ، وجعل بطلها

يقول : تسالينني عن أعز أمنية عندى ، وجوابى : هى أرض الميعاد . وتسالينني عما يداعب احلامى ، فاقول : أورشليم وتسالينني عما يستهوى فؤادى فاقول : انه الكنيس .

وبينما كان اليهود يعيشون فى هذا التردد بين التشرد مع المال أو المغامرة من جديد لاستعادة فلسطين ، ظهرت جبهة أخرى يعنيها أمر فلسطين ، تلك الجهة هى الاستعمار الذى أخذ يتحالف مع اليهود لتحقيق الفرض المشترك وهو القضاء على عروبة فلسطين ونقلها لليهود على أن تكون تابعة للمستعمر وسائرة فى ركابه وليس هناك وفاء أو صلات خاصة تدفع اليهود لاختيار سيدهم الجديد الذى يمنحهم فلسطين ويمنحونه السيادة ، فاليهود لا يعرفون الوفاء ، ومن أجل هذا اتفقوا مع نابليون بونابرت على هذه الصفقة ليضرب بها مصالح انجلترا فى الشرق ، ولكن نابليون سرعان ما هزم وعاد الى بلاده ، فراح اليهود يبحثون عن سيد من جديد .

وفى آخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى ظهر زعيم الصهيونية تيودور هرتسل وكان طاقة هائلة من النشاط والاخلاص للصهيونية ، فلم شعث اليهود ، وعقد مؤتمر بال سنة ١٨٩٧ وقد حدد هرتسل أهدافه بقوله : اننا اجتمعنا هنا لكى نضع حجر الأساس للمأوى الذى يجمع الشعب اليهودى ، وانتهى المؤتمر الى القرار التالى :

ان أمانى الصهيونية هى انشاء وطن للشعب اليهودى يعترف به من الناحيتين الرسمية والقانونية ، ويصبح الشعب اليهودى بانشائه فى مأمن من الاضطهاد ، على أن يكون هذا الوطن هو فلسطين .

وتوالت المؤتمرات بعد ذلك وكانت خلاصة نتائجها تدور حول : كيف يمكن لليهود استعمار فلسطين ؟ فاتفقوا على أن هذا يستلزم جهدين ، جهدا داخليا يرمى الصهيونيون من ورائه الى تنظيم أنفسهم واعدادها لاستعمار فلسطين ، وجهدا خارجيا يرمى الى البحث عن دولة تساندهم ، وتحقق لهم ما تصبوا اليه نفوسهم .

اما من الناحية الاولى فقد أنشأوا جهازا اداريا دقيقا لجمع المال ، وظهرت « جمعية عشاق صهيون » لنشر اللغة العبرية ، والدعوة الى تكوين مستعمرات زراعية فى فلسطين ، وذلك بشراء الأرض من العرب مهما بلغ سعرها ، ودفع أكبر عدد ممكن من اليهود للهجرة الى فلسطين بحيث يصبحون أكثرية باسرع ما يمكن واشترك أثرياء اليهود بسخاء فى تمويل هذه المشروعات وبخاصة المليونير روتشيلد الذى فتح خزائنه لهذا الفرض دون حساب .

وأما من الناحية الثانية فقد درسوا أحوال القوى الاستعمارية المتصارعة لينحازوا للمعسكر الذى يتفق مع أغراضهم ، ووجدوا فى انجلترا خير حليف لهم ، فاعلن زعيمهم الجديد وايزمان ارتباط مصالح اليهود بمصالح انجلترا ، وانضم صراحة الى معسكرهم .

هذا هو جانب اليهود فى الموضوع حتى قبيل اعلان تصريح بلفور ، فماذا كان جانب الاستعمار ؟

فى سنة ١٩٠٧ تولى « كامبل بنرمان » رئاسة الوزارة البريطانية . وقد قام رئيس الوزراء بتشكيل لجنة مكونة من بعض علماء التاريخ ورجال القانون والسياسة ليس من بريطانيا وحدها وانما من عدة دول أخرى ، ووجه بنرمان خطابا الى تلك اللجنة حدد فيه مهمتها وجاء فيه :

ان الامبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تستقر الى حد ما . ثم تنحل رويدا رويدا وتزول ، والتاريخ مليء بمثل هذه الأمثلة ، وهى لاتتغير بالنسبة لكل نهضة ولكل امة . فهناك امبراطوريات روما وأثينا والهند والصين ، وقبلها بابل وآشور والفراعنة وغيرها . فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون السقوط والانهيار ، أو تؤخر مصير الاستعمار الأوربى وقد بلغ الآن الذروة ، وأصبحت أوربا قارة قديمة استنفدت مواردها . وشاخت معالمها . بينما العالم الآخر لا يزال فى شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية .

وقد ظل هؤلاء العلماء يبحثون ويتدارسون طيلة سبعة شهور ، ثم قدموا نتيجة أبحاثهم فى هيئة تقرير سرى خاص الى وزارة الخارجية البريطانية التى رأت تحويله لاهميته الى وزارة المستعمرات وفيما يلى مقتطفات منه :

ان خطرا مهددا يكمن فى البحر المتوسط ، وهو همزة الوصل بين الغرب والشرق ، وحوضه مهد الأديان والحضارات ، ويعيش فى شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللسان ، وكل مقومات التجمع والترابط . هذا فضلا عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية . فماذا تكون النتيجة لو نقلت هذه المنطقة الوسائل الحديثة وامكانيات الثورة الصناعية الأوربية ، وانتشر التعليم بها وتدعمت الثقافة ؟

اذا حدث ما سلف فستحل الضربة القاضية حتما بالامبراطورية ، وبناء على ذلك فانه يمكن معالجة الموقف على النحو التالى :

١ ـ على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزؤ هذه المنطقة .. وتأخرها وابقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر وجهل .

٢ ـ ضرورة العمل على فصل الجزء الافريقى عن هذه المنطقة عن الجزء الاسيوى وتقترح اللجنة لذلك اقامة حاجز بشرى قوى وغريب ، يفصل الجسر البرى الذى يربط آسيا وافريقيا ، بحيث يشكل فى هذه المنطقة ، وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار ، وعدوة لسكان المنطقة .

واتماما هذه الدراسة التى ظهرت فى وثيقة بنرمان نضيف مجموعة من الحقائق المهمة مستقاة من أبحاث كبار المؤرخين الغربيين الذين عنوا بشئون الشرق الاوسط أمثال سديو وكارل بروكلمان ، وهذه الحقائق هى :

أولا ـ ان موقع الدول العربية بالشرق الاوسط وبخاصة مصر وقناة السويس يشكل نقطة حيوية فى التخطيط الاستعمارى ، فعن طريق هذه المنطقة كان يتم اتصال انجلترا بمستعمراتها فى الهند والشرق الاقصى باستراليه ويتم اتصال فرنسا بالهند الصينية ، والبرتغال بجوا ، وهولندا باندونيسيا ، ومن هنا كانت مصر تمثل باب هذه المستعمرات .

ثانيا ـ انضمت أمريكا وكندا الى هذا الاتجاه ، فاما أمريكا فقد دفعتها الصهيونية التى كانت ذات نفوذ كبير فى البيت الأبيض ولدى السلطات الحاكمة ، فاعلنت أمريكا أن عزلتها انتحار بطىء لها ، وأنها لذلك تسند مستقبل أوربا وتؤازر مخططها وتحمل معها أعباءها ، وأما كندا فقد كانت أكثر احساسا بمشكلات الغرب وتفاعلا بها بسبب ارتباطها الوثيق بانجلترا .

ثالثا ـ يقول كارل بروكلمان ان الخبراء الانجليز أكدوا النظرية التى طالما برهن التاريخ على صوابها وهى التحكم فى مصر لا يتم الا من قاعدة سورية ، ومن هنا أصبحت فلسطين ـ وهى فى الاصل جزء من سوريا ـ ضرورة للسياسة الغربية .

رابعا ـ ان الاستعمار أو الانتداب أو الاحتلال أو غيرها من الاصطلاحات لا تفى بالمطلوب بالنسبة لهذا الموقع بالذات ، فحركات التحرر به لا تهدأ ، عرفها الفرنسيون ابان حملة نابليون ، وعرفها الانجليز ابان حملتهم على رشيد ، ومنذ وضعوا أقدامهم فى التل الكبير ، ومن أجل هذا اتجهت الجهود الى شىء آخر غير الاستعمار والاحتلال والانتداب بالنسبة لفلسطين ، ذلك هو استعمار الابادة أو تحويل فلسطين من بلد عربى الى بلد غربى على نحو ما تم فى استراليا ونيوزيلندا وأمريكا ، وعلى نحو مايجرى الآن فى جنوب افريقيا ، ويتخذ الاستعمار والانتداب والاحتلال وسيلة لهذه الغاية .

وبدأ خبراء السياسة الغربيون ومعهم خبراء علم النفس وعلم الاجتماع يبحثون عن الوسيلة لذلك ، وسرعان ما اهتدى هؤلاء الخبراء الى استغلال الدين لتحقيق هذا الغرض ، ولعل المسيحية خطرت على بالهم ، ففي فلسطين ولد المسيح وتربى ودعا قومه ، وبها كانت نهايته على الأرض ، وبيت المقدس مزار المسيحيين منذ ذلك العهد . ولكن هذه الفكرة لم تكن طويلة العمر ، اذ رؤى أن الأخذ بها سيكون عودة الى الحروب الصليبية ، وسيحمل فى طياته أسباب الفشل .

واتجهت الأنظار الى اليهود ، وفلسطين بالنسبة لهم مكان مقدس أيضا ، ثم هم يعانون ألوانا من الاضطهاد والتعذيب والتشرد ، وهم باحثون عن المال ، والشرق الأوسط فيه غنى ، وفيه تخلف صناعى مما يهيىء سوقا رائجة لأية دولةصناعية تجارية تقوم به . ولليهودبفلسطين الصلة التاريخية التى ألمنا بها ، والتى انقضت منذ عشرين أو خمسة وعشرين قرنا ، ولكن الخبراء اتخذوهم وسيلة على كل حال ، على أن يغلفوا اتجاههم باسم الانسانية والرحمة لهؤلاء المعذبين المشردين ، ويصرح الفردمونت فى كتاب ((الجار)) بقوله :

انى أتطلع بلهفة الى ذلك اليوم الذى تصبح فيه فلسطين وشرق الأردن وحدة ضمن الامبراطوريةالبريطانية، وتشغل مركزا مهما فى جسم تلك الامبراطورية ، وتدافع عن هذه الوحدة عدة ملايين من اليهود الذين تربطنا بهم رابطة الود والاخلاص والمدنية .

وكانت فلسطين فى أكثر فترات التاريخ وبخاصة فى العهد الاسلامى تتبع مصر ، فلما جاء العثمانيون حرصوا على عزل فلسطين عن مصر وضموها الى الشام الذى أحيوا له الاسم القديم ((سورية)) وكان هذا لاضعاف الجبهة المصرية التى كانت تمثل مركزا قويا دعا العثمانيين ان يحسبوا حسابه ، وظلت فلسطين جزءا من سورية حتى سقطت الامبراطورية العثمانية ، فاستولت فرنسا على الجزء الشمالى من سورية وجعلت منه سورية ولبنان واستولت بريطانيا على الجزء الجنوبى ، وجعلت منه امارة شرق الاردن وفلسطين .

والتقت بفلسطين مصالح الصهيونيين مع مصالح الاستعمار الانجليزى ، وجاءت الحرب العالمية الاولى،فكانت فرصة ذهبية للصهيونيين ، وأصبح انتصار الانجليز على الأتراك نقطة الأمل عند الصهاينة ، وبينما كان الانجليز يستدرون عطف العرب ويقدمون لهم العهود والمواثيق لتحقيق استقلالهم كاملا بعد الحرب ، كانت المؤامرة الدنيئة تنسج خيوطها بين اليهود والانجليز ، وفى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ أعلن وعد بلفور المشئوم ونصه معروف لدى القراء .

ويعترف وايزمان فى مذكراته انه هو الذى كتب بيده هذا الوعد بناء على طلب اللورد بلفور .

واتجهت انجلترا بكل قواها ليتم لها الانتداب على فلسطين لتنفذ ما وعدت به ، ولم يكن ذلك عسيراعليها، فان القوى الغربية بعصبة الامم كانت تشارك انجلترا نفس الشعور لأنها كانت واقعة تحت تأثير اليهود ، وما يسيطرون عليه من مناصب حساسة بالدول الكبرى وبخاصة فى أمريكا ، ثم بما يملكون من ذهب واغراء ومتاع ، ولذلك يقول وايزمان فى مذكراته بصلف وكبرياء: نحن اليهود الصهيونيين كنا نسعى لاقامةدولة لنابفلسطين وقد انتدبنا الانجليز لحكمها ، واستعنا فى هذا بعصبة الأمم ، فنحن الذى سلمنا فلسطين للانجليز مؤقتة وليس الانجليز هم الذين وهبوها لنا بعد ذلك وكان مدلول الانتداب أنه أمانة ينتهى أجلها عندما يصبح السكان قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم وقد برهن الشعب العربى بعد فترة قصيرة على هذه الصلاحية فاستعاد بعض حقوقه السياسية بسوريا ومصر والعراق متمثلة فى الحكم الذاتى وطالبت فلسطين بمثل هذا الحق ، وذكر المتحدثون باسم فلسطين انها ليست أقل تطورا من البلدان العربية الاخرى ، وقد أجاب تشرشل على هذا بقوله فى صراحة : ان المسألة ليست هى أن الشعب العربى فى فلسطين أقل تقدما من جيرانه ، ولكن تشكيل حكومة وطنية بفلسطين سيحول دون تنفيذ العهد الذى قطعته الحكومة البريطانية للشعب اليهودى بانشاء وطن قومى لهم فى فلسطين .

ويقول الدكتور وايزمان فى مذكراته :

لقد احتضنت بريطانيا حركة الصهيونية منذ نشأتها ، وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها ووافقت على تسليم فلسطين خالية من سكانها العرب لليهود فى سنة ١٩٣٤ ولولا الثورات المتعاقبة التى قام بها عرب فلسطين لتم انجاز هذا الاتفاق فى الموعد المذكور .

وعقب الانتداب اختارت بريطانيا السير هربرت صموئيل اليهودى ليكون أول مندوب سام لها فىفلسطين، وأطلقت يده لاتخاذ ما يراه من اجراءات فى البلاد ، ويعترف وايزمان فى مذكراته بانه هو الذى اقترح على الحكومة البريطانية تعيين هربرت صموئيل مندوبا ساميا لها فى فلسطين ، وقد بادر هربرت بأن أسس الادارة المدنية بفلسطين من اليهود أو من أنصاف اليهود، واعتبر اللغة العبرية لغة رسمية بالاضافة الى اللغة الانجليزية والعربية ، وسلم اليهود جميع وسائل الصناعة ، وجعلهم مشرفين على التربية ، ومهد لخلق امارة شرق الأردن فى مارس سنة ١٩٢١ ، بالاجتماع الذى رتبه مع الأمير عبدالله والمستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية آنذاك حين زار القدس ، وكان الهدف من خلق هذه الامارة هو ايجاد حاجز من الموالين لبريطانيا يحمون الوطن القومى اليهودى من هجمات الثوار العرب .

وعمل هربرت على اغراق البلاد بالمهاجرين اليهود ، ويسرت الادارة البريطانية لهم سبل الحياة ، ومنحتهم أرض ((الميرى)) وأقامت لهمالدور والمصانع ، وألحقتهم بجيشها ليتم تدريبهم على استعمال أحدث الأسلحة ، وفى سنة ١٩٤٤ كونت فى جيشها فرقة يهودية أسمتها The Jewish Brigade وأمدتها بالسلاح والذخيرة فكانت جيشا يهوديا رسميا ، أصبح فيما بعد نواة جيش اسرائيل ، وفى نفس الوقت أثقلت كاهل العرب بالضرائب، وسلبت منهم أرضهم بطريق أو بآخر ، وقصرت فى مد

أرضهم بما تحتاج اليه من المياه ، وحرمت على العرب المهاجرين العودة الى فلسطين ، وحرمت عليهم حمل السلاح أو امتلاكه .

ويسرح وايزمان في مذكراته نقطة خطيرة هي اجتماعه بالأمير فيصل ابن الملك حسين سنة ١٩١٨ وتأثيره فيه، يقول وايزمان : شرحت للامير أن البلاد تتسع للعرب واليهود جميعا ، وبينت له حاجتنا الى مساعدته الادبية، فأعرب عن رغبته في أن يرى العرب واليهود يتعاونان في مؤتمر السلام ، وقال : ان مستقبل الشعبين مرتبط بالشرق الأوسط ، وأن واجب الشعبين الاستعانة بصداقة الدول الكبرى ، وقد استمر حديثنا ساعتين ، واقترح الأمير في نهاية الحديث أن تؤخذ لنا صورة معا ، وقد وضعت هذه المقابلة حجر الأساس لصداقة متينة بيني وبين الأمير دامت طوال حياته .

وفي ٣ يناير سنة ١٩١٩ حصل وايزمان على اتفاق مع فيصل يعترف فيه بوعد بلفور ، ويعد بأحسن العلاقات بين الدولة العربية التي ستنشأ في الشرق وبين « فلسطين » ، وبعد شهرين عزز فيصل موقفه بخطاب أكد فيه هذا المعنى وأرسله الى القاضي الصهيوني « فيليكس فرانكفورتر » عضو الوفد الصهيوني الى مؤتمر فرساي بفرنسا ، ولكن الشعب العربي كله رفض الاتفاقية رفضا باتا .

ونقطة أخرى خطيرة كالسابقة يشرحها وايزمان متصلة بشخصية لورنس الذي تظاهر بصداقة العرب وخدع بعضهم ، وهو في الحقيقة عريق الصلة بالصهيونية يقول وايزمان : ويقضي على الواجب وأنا أبحث هذه الناحية من تاريخ العلاقة بين العرب واليهود ، أن أثني هنا الثناء العظيم على الخدمات التي قدمها « لورانس » للقضية اليهودية ، لقد عرفت لورانس وقابلته مرات عديدة في مصر ، وقد كان يتردد بعد ذلك على منزلي في لندن من غير رسميات ولا كلفة ، وكان موقف لورانس من الصهيونية موقفا ايجابيا ، لا شك فيه ، وكان من الخطأ البالغ ان الكثيرين كانوا يتصورون أن لورانس عدو للصهيونية بحكم أنه كان صديقا للعرب .

وسرعان ما ارتفع رقم اليهود بفلسطين ارتفاعا كبيرا عما كان عليه عند احتلال بريطانيا لفلسطين حتى نافس عدد العرب ، وقد جاء في تقرير اللجنة الملكية البريطانية سنة ١٩٣٧ ما يلي « وما جاءت سنة ١٩٣٦ حتى كان الوطن القومي اليهودي قد نما وأصبح شيئا يشبه حكومة داخل حكومة ، فالطائفة اليهودية قد بلغت أربعمائة ألف شخص « وكانت خمسة وأربعين ألفا سنة ١٩١٨ » ولها عاصمتها « تل أبيب » وعلمها الوطني ، ونشيدها القومي ونظامها الثقافي ، ولها شبكة من المصالح الاجتماعية والاقتصادية ، وتربط هذه الطائفة باليهودية العالمية بواسطة مجمع وطني ، ومجلس ملي ، ومجلس ربانيين ، واننا نرى أن الدولة المنتدبة قد قامت حتى الآن خير قيام بانشاء الوطن القومي لليهود بفلسطين .

ويبدو أن النشاط الانجليزي لخدمة الصهاينة توانى أحيانا بسبب الضغط الذي كانت بريطانيا تتعرض له من العرب والمسلمين ومن الضمير العالمي ، ولم يغفر اليهود للانجليز هذا التواني ، بل ثاروا عليهم ، كلما ظهر منهم التواني في خدمتهم ، فأوقع الارهاب الصهيوني بالانجليز ألوانا من البلاء ، فدمروا منشآتهم ونسفوا دورهم وقاطراتهم ، وقتلوا كل من تحوم حوله شبهة التواني في خدمة الصهيونية ، وبلغ من استهانتهم بالسيد الذي رباهم وآواهم أن شنقوا رجال البوليس على قارعة الطرق ، وأعلن بن جوريون أن الوكالة اليهودية بفلسطين لن تستطيع أن تساعد في وقف هذا الارهاب ، واضطر الانجليز أن يحنوا الرأس ، وأن يعودوا لمسالمة اليهود ومساعدتهم .

واذا كان الانجليز قد أصابهم هذا البلاء ، فان العرب قاسوا من الانجليز واليهود ألوانا من التنكيل تقشعر لها الأبدان ، فقد تعاونت « الهاجانا » اليهودية أي منظمة الدفاع عن النفس مع الانجليز في قمع ثورات العرب كما تعاون الانجليز مع جماعة « ارجوم زفاي ليومي » أي المنظمة الحربية القومية ، وجماعة « شتيرن » للتنكيل بالعرب والايقاع بهم غدرا ، وليست مذبحة دير ياسين ومذبحة قرية ناصر الدين بالقرب من طبرية الا نماذج لكثير من أمثالها ، وكانت المحاكم الانجليزية تحكم بالسجن على المعتدين اليهود ، ثم يفرج عنهم خلسة ليستأنفوا نشاطهم العدواني الأثيم .

دور الكنيسة الانجليزية في خدمة اليهود :

ان دور الكنيسة الانجليزية في خدمة اليهود يذكره وايزمان بصراحة في العبارة التالية وللقارىء أن يسأل ما هي أسباب حماسة الانجليز لمساعدة اليهود وشدة عطفهم على أماني اليهود في فلسطين ؟ والجواب على ذلك أن الانجليز لاسيما من كان منهم من المدرسة القديمة هم أشد الناس تأثرا بالتوراة ، وتدين الانجليز هو الذي ساعدنا في تحقيق آمالنا ، لأن الانجليزي المتدين يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب عودة اليهود الى فلسطين ، وقد قدمت الكنيسة الانجليزية في هذه الناحية أكبر المساعدات .

« للحديث بقية »

المعانى الإنسانية والإجتماعية في عاداتنا القومية

فضيلة الشيخ
ابو الوفا المراغى

لكل أمة عادات وتقاليد تدخل فى مقوماتها القومية وتكاد كل أمة تتميز بعادات لا يشركها غيرها فيها فلكل أمة عاداتها فى أفراحها وأحزانها وأعيادها ومواسمها وفى ميادين نشاطها المختلفة ، وتخضع هذه العادات فى نشأتها وتطورها لعوامل الوراثة والدين والثقافةوالمناخ والبيئة ولعل أشد هذه العوامل تأثيرا عاملا الوراثة والدين .

والدارس لتاريخ أى أمة يلاحظ أثر الوراثة والدين فى رسوخ العادات فكثير من العادات تناقلتها الامم بعامل الواثة الموغلة فى القدم وتلقتها الاجيال اللاحقة عن السابقة تلقائيا حتى ليصعب على الباحث أن يحدد مبدأ نشأتها ويعرف السر فى استحداثها . وخاصة الخاصة من العلماء هم الذين يعرفون زمن نشأتها والسر فى استحداثها والجمهرة الغالبة تقول فى ذلك ما حكى القرآن الكريم عن العرب حين دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فأبوا عليه ذلك تمسكا بما كان عليه اسلافهم من العادات : « انا وجدنا آباءنا على أمه وانا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباؤكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون » .

ومن هنا كانت المشقة فى أداء رسالات الرسل ودعوات المصلحين واذا كان مما أثر عن علماء الاجتماع قولهم : العادة طبيعة ثانية . علم مقدار العسر والمشقة فيما لقيه ويلقاه الدعاة والمصلحون فى اصلاح الامم والجماعات وهل أعسر أو أشق من تغيير الطبائع وتحويلها عما هى عليه ؟

والناظر فى عادات الامم وتقاليدها الحاضرة يرى ملامح الوراثة والدين واضحة فيها وخاصة فى عاداتها فى الافراح والاحزان .

ويرى أن فى تلك العادات ما هو مقبول ومحمود لاتصاله بالعواطف الانسانية المحمودة ، فالافراح بالمناسبات السارة والاحتفال بها فى شتى صور الاحتفالات التى تتنزه عن المباذل وعما ينافى الحياء والمروءة شىء يتصل بالعواطف الانسانية لا وجه لاستنكاره واستهجانه ولا يستطاع محاربته واستئصاله وليس استئصاله فى مصلحة الامم التى ينبغى ان تكون لها افراح ومباهج تلون بها اسلوب حياتها حتى لاتسير حياتها على بابة واحدة تبعث على السآمة والملل ، والاحزان التى تثيرها المناسبات السيئة والتعبير عنها بالمظاهر التى لا تنافى الرجولة والتجلد والتجمل شىء يتصل بالعواطف الانسانية ايضا ولا سبيل الى استنكاره أو ابطاله ولذلك أقرت الاديان شيئا من مظاهر الافراح والاحزان مما لا ينافى الحياء والمروءة ولا ينافى الرجولة والتجلد فرضى الاسلام عن بعض الموسيقى والطبول والغناء فى ولائم الاعراس ومناسبات الاعياد ورضى عن مظاهر الحزن على فراق الاحبة والاعزاء فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عيناه تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف وأنت يا رسول الله ؟ !! فقال : يا ابن عوف انها رحمة ثم أتبعها أخرى . فقال : ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الاما يرضى ربنا وانا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون . ورفع اليه ابن

ابنته وهو في الموت ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله ؟

قال : هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء .

ولا شك أن فيما يجرى بيننا اليوم من العادات والاحزان طابع الوراثة عن اسلافنا العرب وقدمائنا المصريين ويظهر ذلك واضحا في مجتمعاتنا الريفية التي ظلت على مواريثها في كثير من عاداتها وتقاليدها ، فلطم الخدود وصبغ الايدي والوجوه والنياحة والندب واعتزال الفراش لموت عزيز او قتله حتى يؤخذ بثأره عادات عربية ورثناها عن اسلافنا العرب وما زالت تمارس كما كانت او بتعديل طفيف ، وتحريم بعض الاطعمة ولبس السواد وطواف النسوة بالبلد صائحات مولولات لنعى الميت وهو ما يسمى بالطوف ، وحمل المجامر بالبخور امام الجنازات ونحر الذبائح عند المقابر وتحت نعش الميت وحمل الورود امام الجنازات ووضعها على القبور واتخاذ الشواهد على القبور للتعريف بالميت وذكر مناقبه عادات مصرية قديمة ورثناها عن قدمائنا المصريين وما زالت تمارس كما كانت أو بتحوير قضى به امتداد التاريخ وسنة التطور

ولقد عالج كثير من كتابنا الاجتماعيين وما زالوا يعالجون الكتابة فى عاداتنا المصرية بغية التنبيه على وجوه العيب فيها ووجوب تلافيها لسوء تأثيرها على الامة فى نواحيها الاجتماعية والاقتصادية وخاصة عاداتنا فى الافراح والاحزان ، وتحدث بعض علماء الدين عنها من الناحية الدينية محاولين بيان صلتها بالدين وكلمة الدين فيها . وفى رأينا ان محاولة الصاق كثير منها بالدين محاولة غير موفقة ويجب ان تبقى فى نطاقها الحقيقى وهو نطاق العادات كما يجب بعد ذلك ان توزن بميزان المصلحة فما لاءم مصلحة الامة ينبغى أن يبقى ويستقر لتفيد الامة مما فيه من خير وما جاء ضد مصلحتها ينبغي أن يزال ويستأصل رعاية لهذه المصلحة .

تحدث الكاتبون عن اقامة سرادقات العزاء واحياء الاخمسة عقب وفاة المتوفى بتلاوة القرآن وتوزيع الصدقات على المقابر ، واحياء ليلة الاربعين ، واحياء الذكرى السنوية ونحوذلك مما تختلف فيه عادات القرى والامصار وحكموا على بعضها باحكام دينية واجتماعية مختلفة بما وسعه اجتهادهم وكان الاتجاه الغالب فى هذه الاحكام الى وجوب القضاء عليها

الا انه اذا صح لعلماء الاجتماع ان ينظروا اليهانظرا واحدا ويطلقوا القول في الحكم عليها فان على علماء الدين ان ينظروا اليها نظرة فاحصة ويخصوا مايتصل منها بالدين بحكم دينى وما يتصل بالعادات بحكم العادات فان ادخال ما هو من قبيل العادات فى نطاق الدين يتيح لاعداء الاسلام فرصة التشهير بالاسلام ويسمعهم باوجه النقد والتجريح ، فاقامة السرادقات للعزاء نوع من العادات اقتضاه واجب المواساة والمجاملة ويكاد يكون امتحانا لاخلاص الاصدقاء والاحباء ووفائهم للمتوفى واهله ولا دخل للدين فيه ولا يعتقد اهل الميت حين يقيمون هذه السرادقات انهم يقومون بواجب دينى أو يحيون سنة دينية فيقال لهم أن هذا حرام أو مكروه أو حلال وتلك عادة اقتضتها ظروفنا الاجتماعية حين ضاقت البيوت بالمعزين ولهذا لا تتفشى تلك العادة فى القرى لتوافر اماكن الاستقبال والضيافة ، واحياء الاخمسة والذكريات الاربعينية والذكريات السنوية تكاد تكون من هذا القبيل وتعتبر عادات دنوية لا ينكرها الدين الا باعتبار ما يلابسها من مفاسد ومضار والذى يرجح هذا الاعتبار وانها عادات دنيوية تمليها الضرورات أحيانا نية القائمين عليها فانك لوسألت الذين يمارسونها عن اعتقادهم فيها لكان الجواب بلاشك أنهذه التقاليد ليست دينية يوجبها الدين او يندب اليها .

نعم ان بعض هذه التقاليد تتصل بالدين وينبغى ان يعرف الناس حكم الدين فيها كزيارة القبور والتصدق على الاموات فيها أو فى البيوت ولا شك ان زيارة القبور مشروعة للعظة والاعتبار ما لم يلابسها فساد كاختلاط الرجال بالنساء فى هيئات تغرى بالسوء والفسق . ولا شك أيضا أن التصدق على الاموات مشروع وهو بر من الاحياء بالاحياء والاموات ما لم يخالطه الرياء والتفاخر والاسراف الذى يضر بالاحياء من ورثة الميت سيما اذا كانوا صغارا فى حاجة الى ما تركه المتوفى فى تدبير معاشهم أو نفقات تعليمهم ونحو ذلك .

ان على من يتصدى للكتابة فى عاداتنا وتقاليدنا وخصوصا من رجال الدين أن يفرقوا بين تقاليد هى مجرد عادات وبين تقاليد تتصل بالدين وتاخذ طابعه وتدخل تحت مبدأ عام من مبادئه ثم عليهم بعد ذلك ان يقرروا حكم الدين فيها ، وعلى الكتاب عامة سواء كانوا من علماء الدين أو الاجتماع أن يزنوا تلك التقاليد بميزان المصلحة ويتبينوا أسرارها ومقاصدها ، وفى كثير من تقاليدنا فى أفراحنا وأحزاننا معان اجتماعية سامية ومظاهر لعواطف انسانية نبيلة . ففى عاداتنا فى العزاء فى يوم الوفاة أو فى ذكرى الاربعين أو فى الذكرى السنوية معنى اجتماعى هو الوفاء للميت والاخلاص للحى من أهله وأقاربه ورمز للتعاطف والتراحم بين الجماعة ، وفى عاداتنا فى زيارة القبور رمز لعاطفة انسانية كريمة هى عاطفة الوفاء والبر بالاموات من الاهل والاصدقاء ودلالة على الترابط الاسرى الذى تحرص الاديان على توكيده وتقريره فيما يلازم زيارة القبور من بذل وانفاق وبر بالاموات وتفريج لكرب الفقراء ، كما أن فى هذه العادات توفيرا لمجالات العمل امام طائفة من ابناء الامة يقوم عليها معاشهم ومعاش اسرهم .

اننا حين نعالج البحث فى عاداتنا ينبغى الا يحملنا التحمس على التغيير والنفور من القديم ولا يحملنا التشبه بغيرنا من الجماعات على استهجانها جملة والتغاضى عما فى بعضها من معان اجتماعية تغبطنا عليها الامم الاخرى وتتمنى أن يكون لها امثالها لحسن أثرها فى توكيد الروابط وتدعيم الصلات .

وحبذا لو قام علماء الاجتماع بالاشتراك مع رجال الدين باستعراض المشهور من عاداتنا وبيان ما فيها من المزايا والعيوب وبيان وجه الصواب والخطأ ليكون الجمهور على بصيرة منها ويعمل على ان يستبقى ما يستبين صوابه ووجة الخير فيه وينفى ويبطل ما يتضح خطؤه وخطره وما لا فائدة منه اما ان نسلك العادات فى خيط واحد وندعوا الى القضاء عليها جميعها دون تمييز بين الغث والسمين والنافع والضار فذلك هو الخطأ وهو المطلب المستعصى الذى لا يدرك لان العادات من خصائص الشعوب ومقومات قومياتها ومحال ان تتخلى الشعوب عن الخصائص والمقومات .

من قادة الأندلس

محمد بن يوسف بن الأحمر

«أسس مملكة غرناطة، فدامت نحوا من قرنين ونصفا. بدأ حياته جنديا ثغريا، مؤثرا للتقشف، وباشر حروب المنازلة بنفسه»

(٥٩٥ - ٦٧١هـ/١١٩٨-١٢٧٢م)

للدكتور محمد كمال شبانة

نشأت مملكة بنى الاحمر قبيل منتصف القرن السابع الهجرى (القرن الثالث عشر الميلادى) ، واتخذت مدينة غرناطة عاصمة لها ، وكانت الدولة تشتمل على الجزء الجنوبى من الاندلس ، منحدرة جنوبا وراء نهر الوادى الكبير حتى ساحل البحر الابيض المتوسط وبوغاز جبل طارق ، اما حدودها الشرقية فكانت تشمل ولاية مرسية التى تمتد شرقا حتى البحر ، كما وصلت الحدود الشمالية الى ولايات اشبيلية وقرطبة وجيان ، ومن الغرب الى ارض الفرنتيرة وولاية قادس • ويقترن اسم مملكة غرناطة فى تاريخ الاندلس باسم اسرة بنى الاحمر بنى نصر ، تلك الدولة الاسلامية الصغيرة التى اوجدتها ظروف غير عادية ، وبقيت صامدة للفتن السياسية بالداخل ، والتيارات الحربية من الخارج قرابة قرنين ونصف قرن من الزمان ، وفى صددها يذكر المؤرخون أن السلاطين الذين تعاقبوا الملك على غرناطة من بنى نصر يرجع نسبهم الى «سعد بن عبادة الانصارى» أحد كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيد قبيلة الخزرج من الانصار بالمدينة مما يضفى على هؤلاء السلاطين عراقة فى المجد ، ونسبا فى التاريخ مشهور .

لقد كان أول ملوكهم ومؤسس دولتهم هو « الغالب بالله امير المؤمنين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن احمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجى الانصارى » ولد فى « ارجونة » من أعمال ولاية جيان عام ٥٩٥ هـ - ١١٩٨ م ، حيث تربى تربية دينية ، وعاش حياة بسيطة ، أملتها ظروف الجندية التى خاض غمارها بادىء ذى بدء ، فتمكن بهذه الصفات وغيرها من مؤهلات الزعامة أن يسود قومه ، وكانت الاندلس يومئذ على حال من الاضطراب جعلته يبتنى الاحلام الكبار ، وتغريه بالمغامرة وسط هذا الميدان ، فقد أغار الاسبان وقتئذ على القواعد الاندلسية ، وتراجع الموحدون فى الثغور الشرقية أمام الامير « أبى عبد الله محمد بن يوسف بن هود » وكان أميرا قد شق عصا الطاعة على هؤلاء الموحدين ، واستقل بولاية مرسيه ، فراى ابن الاحمر أن الفرصة قد سنحت له فى الانحاء الوسطى من الاندلس ، فبينما نرى ابا هود يثبت أقدامه فى شرقى الاندلس وجنوبها نرى ابن الاحمر وقد دخلت فى طاعته كل من مدينة بياسة ووادى آشنى وماجاورهما من البلاد والقواعد والحصون ، وبعدها يتوجه الى الموانى الجنوبية حيث يسهل عليه الاتصال بعدوه المغرب ، حتى يبتعد عن مواقع الاسبان بعدوة ، ولكى يحقق ابن الاحمر أطماعه فى طمأنينة تامة فقد توجه الى الامير « ابى زكريا الحفصى » صاحب افريقية (تونس) يطلب منه العون ، ويستظل بالدعوة اليه ، فأجابه هذا الاخير الى مطلبه ، واعانه على أمره حتى اطاعته قرمونة وقرطبة واشبيلية ، وذلك لفترة محدودة ، اواسط عام

٦٢٩ هـ - ١٢٣١ م ، ثم تخلت عنه اشبيلية وقرطبة ودخلتا فى طاعة « بن هود » ، وحدث حينئذ ان نشبت الثورة فى اشبيلية ، وتمكن من الاستيلاء عليها احد الزعماء الثائرين ، وهو « ابو مروان الباجى » وطرد منها عامل ابن هود عليها ، فانتهز « ابن الاحمر » هذه الفرصة وتحالف مع هذا الثائر ضد « ابن هود » ، وعقدا العزم على مقاتلته ، وكان ان هزماه فى بعض المواقع ، بيد ان ابن الاحمر نقض عهده مع حليفه ، ودبر له من قتله ، بعد فترة قصيرة من فرض سلطانه على كل من جيان ومالقة وشريش وغيرها من البلاد والحصون القريبة عام ٦٢٠ هـ - ١٢٣٢ م ، وبذلك استطاع ابن الاحمر ان يكون لنفسه جيشا عظيما ، قوامه مشاة وفرسان ، مزودين بالعتاد ، مدربين على فنون القتال .

فى تلك الاثناء لعب ابن الاحمر دورا له طرافته ، حيث مهد له الطريق لملك غرناطة ، ذلك انه احس بان سلطان غريمه «ابن هود» قد امتد نحو الغرب والجنوب ، وانه يدعو للخليفة العباسى فى المشرق ، والذى اقره بدوره على ما بيده ، فرأى ابن الاحمر ان ينحاز اليه هو الآخر فى الظاهر ، ولكن هذه الخطة لم تثمر شيئا ، فقد توفى «ابن هود» فى هذه الاثناء عام ٦٣٣هـ - ١٢٣٧م بعد هذه كان قد ولى على غرناطة « عقبة بن يحيى المغيل » وكانت هناك خصومة شديدة بين هذا وبين ابن الاحمر ، كما كان حاكما ظالما قاسيا حتى ان اهل غرناطة كثيرا ما تلمسوا الخروج عن طاعته ، وفعلا ثار عليه نفر من اعيان المدينة تحت زعامة احدهم ، واسمه « ابو خالد » ، حيث هاجموه فى القصر وقتلوه ، وفى الحين ارسلوا فى طلب ابن الاحمر ، واعلنوا طاعته ، ويبدو ان صاحبنا كان يعمل من جانبه فى الخارج لذلك ، كاتخاذ الاعوان والانصار الذين ألبوا الرأى العام الغرناطى على « عتبة » حاكم المدينة ، حتى وضعوا حدا لنهايته .

قصد ابن الاحمر بعدئذ مباشرة الى غرناطة تلبية لدعوة اهلها فدخلها فى أواخر شهر رمضان ٦٣٥ هـ - ابريل ١٢٣٨ م ، فى ثياب التقشف ومظاهر الزهد وسيماء التواضع ، حيث أضحت العاصمة لملكه منذ ذلك الحين ، فرفع لواء بنى نصر على حمرائها ، يعلن قيام ملكهم عليها ، وسرعان ما انفذ عزمه فى الاستيلاء على « المريه » وطرد عامل ابن هود عليها ، المسمى « ابن الرميمى » والذى غادرها من جهة البحر ومعه اسرته وخاصته ومتاعه ، ويمم وجهه شطر تونس لاجئا سياسيا على اميرها « ابى زكريا الحفصى » وباستيلاء ابن الاحمر على المرية يكون قد بسط نفوذه على الشواطىء الجنوبية للاندلس .

هذا وتجدر الاشارة بان تلك الانتصارات التى حققها ابن الاحمر يرجع الفضل فى معظمها الى أصهاره « بنى أشقيلولة » ، فقد كان سيدهم «ابوالحسن بن اشقيلولة» من زعماء الثورة على « بن هود » ، ومن الرجالات البارزين زمن الفتنة ، وكان قد انضم الى ابن الاحمر مؤازرا له ، وأعانه فى شانه كثيرا ، حيث امده بالرجال والسلاح ، ومن ثم توطدت العلاقة بين الرجلين ، حتى توجا علاقتهما بالمصاهرة ، فقد زوج ابن الاحمر اخته لأبى الحسن هذا ، كذلك تزوج ابن أبى الحسن من ابنة ابن الاحمر وهكذا اصبحت علاقة الرجلين فى درجة تسمح بان يعتمد ابن الاحمر - فى ظلها - على اصهاره « وخاصة فى ادارة شئون بعض البلاد ، فقد اسند حكم مدينة وادى آشى الى صهره «أبى الحسن» ومن ذلك الوقت بدا نفوذ « بنى أشقيلولة » يظهر على مسرح السياسة الاندلسية ، فقد كانت امانيهم فوق مستوى المدن ، وشعر ابن الاحمر بمطامعهم فى أواخر ايامه وداخله الشك فى امرهم ، فبدا يخشاهم ، ويحسب لهم ألف حساب ، على حد تعبير المؤرخ ابن خلدون فى كتابه « العبر » .

هكذا ولدت مملكة غرناطة اثر سقوط دولة الموحدين بالاندلس فى ثنايا الفتن والدسائس والثورات ، الأمر الذى أوجب على ابن الاحمر مؤسس المملكة ان يقدر خطورة المهمة الملقاة على عاتقه ، فقد تولى الزمام والدولة فى حاجة أمس من ذى قبل الى الاستقرار والامن ، حتى يتفرغ لمشروعاته وتطبيق سياسته الداخلية فى مجال الانشاء والتعمير ، ولكن كانت الاندلس وقتئذ قد تشعبت الى حكومات صغيرة بفعل الحروب الاهلية التى مزقت وحدتها ، وفرقت كلمتها ، ولكن ابن الاحمر كان يحظى بتأييد الأندلسيين فى الجنوب بصفة خاصة ، ايمانا منهم بان العناية الالهية سخرته لينقذ الاندلس من هذا الانهيار ، وانه بشخصيته الحربية سيضرب بيد من حديد على دعاة الفتنة ، ومن ثم سينتشر الامن فى ربوع البلاد بيد أن هذا التعلق الشديد لم يكن يعنى أن ابن الاحمر قد فقد الخصوم السياسيين من الزعماء والحكام ، واولئك الذين كانت تغلى مراجل الحقد فى نفوسهم ، وتتاجج نيران الغل فى جوانبهم، حسدا من عند انفسهم لابن الأحمر ، الذى ظهر فى مثل هذه الظروف وبمثل هذه السرعة ، فكان لا مناص من ان يقدر الرجل خطورة مركزه فى الداخل والخارج ، فما لبث - بعد ان استقر فى غرناطة - أن جهز جيشا لمحاربة الاسبان ، الذين كانوا وقتئذ قد عاثوا فى أحواز جيان ، فحاصر قلعة مرتشى عام ٦٣٦ هـ - ١٢٣٨م ، وضيق عليها الخناق ، ولكن الأعداء يجبروه بصمودهم على فك الحصار ، والاشتباك معهم فى معركة طاحنة، تمكن فيها من هزيمتهم بعد ان سقط قائد قلعة مرتش قتيلا ، ومعه بعض الفرسان والاحبار من قلعة رباح ، فكان طبيعيا أن يتاهب ملك الأسبان يومئذ « فرناندو الثالث » لخوض غمار معارك فاصلة ، فما أن فرغ من الاستيلاء على مرسيه حتى اتجهت انظاره الى ابن الاحمر انتقاما للموقعة مرتش ، فارسل اليه جيشا عظيما تحت امرة ولده « الفونسو » الذى تمكن من الاستيلاء على حصن أرجونه موطن بنى الاحمر ، كما استولى على بعض الحصون المجاورة ، وتابع زحفه حتى غرناطة نفسها ، وحاصرها ، ولكنه ارتد عليها مؤخرا ، وذلك عام ٦٤٢ هـ - ١٧٤٤ م ، وفى العام التالى هاجم الاسبان جيان ، وضيقوا عليها الحصار ، حتى كادت تسقط فى ايديهم ، لولا ان ابن الاحمر لجا لسياسة المهادنة ، وفضل ان يدخل مع ملك قشتالة فى هدنة ، بعد ان رأى تفوقه عدة وعددا ، فقدم اليه الولاء والطاعة وعقد معه اتفاقا ، ضمن له حدود مملكة غرناطة ، وحكمها باسمه ، بعد ان يدفع له جزية سنويه معينة ، بالاضافة الى حلف عسكرى ضد أعداء الاسبان، وطبقا لهذا الولاء اعتبر ابن الاحمر من الامراء المنضوين تحت لواء العرش القشتالى ، وهذا يعنى حقه فى شهود المجلس النيابى القشتالى « الكورتيس » ، ولقاء هذا قدم ابن الأحمر الى ملك قشتالة كلا من بركونه وبيغو وجيان والحجاز ، وكذا ارض الفرنتيره ، وكلها من اعمال مملكته غرناطة ، وذلك ضمانا لطاعته ، فوافقه « فرناندو الثالث » ، وعقد معه هدنة مدتها عشرون عاما ، ٦٤٣ هـ - ١٢٤٥ م .

هذا وربما قبل ابن الأحمر هذه التضحيات ، ترقبا لمستقبل افضل ، يتمكن فيه من استرداد ما تنازل عنه

ملك قشتالة ، وليتفرغ لمملكته الجديدة ، فيقوى جانبها السياسى والدفاعى ، استجابة للظروف التى كانت تجتازها ، لاسيما وان غيره من بعض زعماء المسلمين فى المناطق الاندلسية الأخرى قد سلكوا يومئذ نفس مسلك ابن الأحمر فى مصانعة ملك قشتالة، متحالفين متضامنين معه ، محافظة منهم على ما تبقى بأيديهم من اشلاء الأندلس ، فقد كانت أسبانيا يومئـذ قد استولت على الولايات الشرقية الأندلسية جميعها ، وبقيت أمامهـا الولايات الغربية تتطلع اليها ، وطبقا للاتفاق السابق بين الاسبان وبين ابن الأحمر فقد عاون هـذا الاخير حليفه على افتتاح الحصون المتاخمة لاشبيلية، كما تدخل بنصحه للعرب أصحاب هذه الحصون بان يشتروا السلم والامان بتنازلهم عنها ، فاصغوا اليه ونفذوا ما اشار به صاغرين . ومن جهة أخرى فقد أمد ابن الأحمر حليفه الأسبانى بفرقة من الجند عندما حاصر اشبيلية حتى تمكن الاسبان من الاستيلاء عليها فى ٢٧ رمضان ٦٤٦ هـ ـ ٢٣ نوفمبر ١٢٤٨ م !! ، كما عاونه أيضا فى الاستيلاء على ثغر قادس بعدئذ بقليل !!

وهنا نتساءل عن موقف ابن الأحمر هذا ، وعن مدى مسئوليته التاريخية فى هذه المنطقة ، فهل كان ـ كما ذكرنا ـ فى ظروف قاسية لدرجة أملت عليه هـذا التصرف ؟ أم انه كان يؤمل كسبا مضمونا بعد ان يتحرر من تلك القيود ؟ لقد قبل دفع الجزية ، وتنازل عن عدة مواقع اندلسية ، ونصح الحكام الأندلسيين الاخرين بالتنازل بدورهم عما بايديهم حقنا للدماء ، وزاد على ذلك فقدم فرقا من الجيش الاندلسى لتقف بجانب كتائب قشتالة لمحاربة الحكام العرب الاخرين !

على اى حال لقد شعر ابن الاحمر بما آل اليه امره ، وحتى ينهض من هذا الموقف ، نجده يتجه بانظاره نحو المغرب ، يستمد عون بن مرين ، وكانت الدولة فى حداثة عهدها بالحكم ، ومع هذا فقد أجيب نداؤه ، وعبرت الكتائب المغربيةالبحر الى الأندلس، واستطاع ابن الأحمر بفضل هذه المعونة ان يهزم الاسبان عندما قاموا بغزو اراضيه عام ٦٦٠ هـ ـ ١٢٦١ م ، وبذلك خرج عن طاعة النصارى ، ونبذ اتفاقياتهم معه ، بيد أن هذه الانتفاضة ـ للاسف ـ لم تدم طويلا ، فقد لاحقه النصارى بجيوشهم وتوالت الهزائم على جيوشه ، بعد عامين فقط من اعلانه الاستقلال عن ملك قشتاله ، ولم تغنه المعونات المغربية الحربية ولا التونسية المادية فى ان يصمد اكثر ، وازاء ذلك قبل ابن الاحمر من جديد ان يهادن قشتالة ، ويصانع ملكها ، اذ تنازل له عام ٦٦٥ هـ ـ ١٢٦٧ م عن شريش والقلعة والمدينة وغيرها ، ومعظم هذه البلاد يقع غرب الأندلس .

وهكذا توالت سنوات خمس بعد ذلك فى صراع بين مملكة غرناطة وبين الاسبان فى الخارج ، وبينها وبين الطامعين فى عرشها بالداخل ، واخيرا توفى مؤسس دولة بنى محمد بن الاحمر فى جمادى الثانية ٦٢١ هـ ديسمبر ١٢٧٢ م ، بعد ان أصيب بجرح بالغ على أثر سقوطه من فوق جواده ، فور عودتـه من احدى المعارك التى خاضها ضد بعض الثوار الذين حاولوا اقتحام قصر الحمراء لاغتياله ، ولكنه ردهم على أعقابهم عنهـا خائبين ، وقارب عمره عند وفاته الثمانين ، وكان قد اعلن البيعة لمحمد الفقيه أكبر أولاده ، وبذلك اضفى على اسرته مبدأ الملكية الوراثية ، وكانت المملكة قد استقرت لهم منذ عهده ، كما قويت دعائمها الى حد كبير .

الشورى
روح الديمقراطية
الإسلامية

للأستاذ محمد عطية الإبراشي

المصطفى يستشير أصحابه :

بعد غزوة بدر أسر المسلمون بعض الكفار ، فاستشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه فى أمر هؤلاء الأسرى ، أيقتلون أم يطلق سراحهم فى مقابل دية يدفعونها؟ فاختلف رأيهم .

فقال أبو بكر رضى الله عنه : « قومك وأهلك واستبقهم، لعل الله يتوب عليهم . خذ منهم فدية تقوى بهـا أصحابك » وبذلك أراد أبو بكر المحافظة عليهم ، واخذ الفدية منهم .

وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : « هؤلاء ائمة الكفر ، كذبوك وأخرجـوك من ديارك ، فقومهم واضرب أعناقهم . والله أغناك عن الفداء . »

واستمر الجدل والنقاش بين الرسول وأصحابه. وبعد التشاور أخذ المصطفى صلى الله عليه وسلم برأى أبى بكر ، وهو قبول الفداء . وقبل الفدية من الكفار ، فعاتبه الله بقوله :

« ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض. تريدون عرض الدنيا ، والله يريد الآخرة . والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . »

فقال النبى الكريم لعمر رضى الله عنه : « كاد يصيبنا فى خلافك شر . »

ويقول حكيم الشعراء :

اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن
برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فان الخوافى قوة للقوادم

ويقول آخر :

الـرأى كالليـل مسـود جوانبه
والليـل لا ينجـلى الا باصـباح

فاضـمم مصابيح آراء الرجال الى
مصابيح رأيك تزدد ضـوء مصـباح

وقد كان الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم يسيرون سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فلا يبرمون أمرا من الأمور الخطيرة حتى يعرضوه على المسلمين ، جريا على مبدأ الاستفتاء العام . وهذه هى الحرية السياسية التى أقرها الاسلام ، منذ ألف وأربعمائة سنة تقريبا .

ومن ذلك يتبين أن الدين الاسلامى قد سبق الى تقرير هذا الحق قبل أن تظهر هذه « الديمقراطيات » الحديثة فى عالم الوجود .

وكان أبو بكر — رضى الله عنه — اذا أعياه أن يجد فى الأمر نصا فى كتاب الله أو سنة رسوله جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم . فان أجمع رأيهـم على أمر من الأمور قضى به ونفذه . وكذلك كان يفعـل عمر رضى الله عنه .

فقد كان عمر اذا نزل به أمر من الأمور لا ينفذه قبل أن يجمع المسلمين ويستشيرهم فيه ، ويقول : « لا خير فى أمر أبرم من غير شورى . »

وكان للشورى عند عمر درجات ، فهو يستشير العامة فى المرة الأولى ، ثم يجمع الشيوخ من الصحابة ، من قريش وغير قريش ، ويستشيرهم ثانية . فاذا استقر رأيهم على رأى من الآراء أو عمل من الأعمال أخذ بهذا الرأى ونفذه ، وقام بهذا العمل وأداه . ومن قوله فى ذلك : « يحق على المسلمين أن يكون أمرهم شورى بينهم » بان يستشار ذوو الرأى منهم ، فاذا اجتمعوا على أمر من الأمور ورضوا به وجب على الناس تنفيذه ، فجعل أولى الأمر منفـذين لما يراه أولو الرأى ، وجعل الناس تابعين لما أخذ به الامام من رأى المفكرين وأصحاب الرأى .

وقد نهى عمر — رضى الله عنه — الناس عن المغالاة فى المهور عند الزواج ، فتلت عليه امرأة قوله تعالى : « وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا . أتأخذونه بهتانا واثما مبينا ؟ »

فقبل منها رأيها ، ورجع عن رأيه ، وقال : « أصابت امرأة ، وأخطأ عمر . »

وكثيرا ما كان عمر يرى شيئا من الأشياء ، فيبين له أصغر الناس وجه الحق ، فيرجع عمر الى رأيه .

قال القاضى أبو يوسف فى كتاب الخراج : « لما قدم على عمر بن الخطاب جيش العراق من قبل سعد بن أبى وقاص شاور أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى قسـمة الأرضين التى أفاء الله على المسلمين من أرض العـراق والشام . فاستشار عمر الصحابة ، فأبدى كل منهم رأيه واختلفوا فى آرائهم . فكان عمر يستمع الى كل منهم ، ولا يزيد على أن يقول : هذا رأى . وفى النهاية أرسل عمر الى عشرة من الأنصار : خمسة من الأوس ، وخمسة من الخزرج ، من كبرائهم وأشرافهم . فلما اجتمعوا حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

انى لم أزعجكم الا لأن تشتركوا فى أمانتى ، وفيمـا حملت من أموركم ، فانى واحد كأحدكم . وأنتم اليـوم تقرون بالحق ، خالفنى من خالفنى ، ووافقنى من وافقنى ، ولست أريد أن تتبعوا هذا الذى هواى . معكم من الله كتاب ينطق بالحق . فوالله لئن كنت نطقت بأمر أريده ما أريد به الا الحق . قالوا : قل نسمع ياأمير المؤمنين .

قال : قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعمـوا أنى أظلمهم حقوقهم . وانى أعوذ بالله أن أركب ظلما . لئن كنت ظلمتهم شيئا هو لهم وأعطيته غيرهم لقد شقيت . ولكن رأيت أنه لم يبق شىء يفتح بعد أرض كسرى . وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلوجهم . فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله ، وأخرجت الخمس على وجهه ، وأنا فى توجيهه . وقد رأيت أن أحبس الأرضـين بعلوجها ، وأضع عليهم فيها الخراج ، وفى رقابهم الجزية يؤدونها ، فتكون فيئا للمسلمين ، المقاتلة والذرية ، ولمن يأتى بعدهم .

أرأيتم هذه الثغور لابد لها من رجال يلزمونها ؟ أرأيتم هذه المدن العظام — كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر — لابد لها من أن تشحن بالجيوش ، وادرار العطاء عليهم . فمن أين يعطى هؤلاء اذا قسمت الارضـون والعلوج ؟

فقالوا جميعا : الرأى رأيك . فنعم ماقلت ومارأيت . ان لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال وتجرى عليهم ما يتقوون به رجع أهل الكفر الى مدنهم .

فقال عمر : قد بان لى الأمر . ثم طلب منهم ان يختاروا رجلا له جزالة وبصر وعقل وتجربة . فاختاروا له عثمان ابن حنيف . فأسرع اليه عمر ، وولاه مسـاحة أرض السواد .

وعلى هذا الاساس — وهو امتناع عمر من قسمة الارض بين الفاتحين ، وتركها فى يد أهلها يؤدون عنها الخراج للمسلمين — فعل عمر بالشام والعراق . وقد وفقه الله فيما صنع . وقد كانت الخيرة لجميع المسلمين . فكان يجمع خراج الأرض ، ويقسمه بين المسلمين ، ليعم النفع بين الجماعة منهم .

وفى هذا كله حرية فى الرأى والتفكير ، وحـرية فى الجدل والمناقشة ، واعتراف بالحق ، وتمسك بالحق . وهذه هى «الديمقراطية» الحقة ، والحرية الكاملة . وهنا تبدو « الديمقراطية الاسلامية بأجلى مظاهرها ، ويبـدو روح الاسلام منذ أربعة عشر قرنا تقريبا .

اشتراكيتنا لها ملامحها الخاصة

وميثاقنا وضح معالمها وأنار طريقها

للدكتور عبد الغنى الراجحى

المذاهب المالية على الصعيد العالمى متعددة الانواع. الراسمالية ولها اكثر من اسلوب . والشيوعية ولها اكثر من لون ، والاشتراكية ولها عدد عديد من الانواع .

ونحن اذا اردنا ان نزداد ايمانا بما فى اشتراكيتنا العربية الاسلامية من اصالة وجدارة ، فلا بد لنا من شىء من العرض السريع مع المقارنة والتحليل حتى تتجلى لنا واضحة اشتراكيتنا وهى تسمو على غيرها من المذاهب المالية بما تتميز به من خصائص استمدتها من هدى السماء وتعاليم الاديان وطبيعة الارض التى هى فوقها ونوع الشعوب التى تعيش فيها ، وما هو انسب بعقائدهم وتراثهم الفكرى والثقافى . والمستوى الذى يحيونه فى هذه الحقبة من الزمن .

« أولا » تسرف الشيوعية فى ايجاب المساواة بين الناس كانما تريد أن تكون البشرية كلها طبعة واحدة ، وتسرف الراسمالية فى ايجاد الفوارق بين الناس . فاصحاب المال والنفوذ فى القمة والاجراء والعمال والفلاحون فى القاع . بينما لا ترضى اشتراكيتنا بهذا الطرف ولا بذاك الآخر . فلا توجب المساواة المطلقة ولا ترضى بالفوارق البعيدة المدى . بل تسعى الى تقريبها فلا تنعدم ولا تكون كبيرة وبذلك يكون المجتمع اقرب الى التعاون مع التمتع بالحرية الشخصية وثمرات النشاط الفردى . مثلها فى ذلك كمثل اصابع اليد الواحدة . لا تتساوى ولا تبعد الفوارق وبذلك كانت اقرب الى حصول النفع بها واداء رسالتها ..

« ثانيا » غالت الراسمالية فى ارضاء نزعة التملك فى الانسان وحب الشعور بالامان والاطمئنان ماليا على نفسه وعلى من يعوله. فاباحت التملك بلا قيد ولا شرط. وغالت الشيوعية فى كبت هذه النزعة فى الانسان ، واعتبرت الملكية الفردية مسخا وتشويها للانسانية وتحولت بها الى الصورة الجماعية محاولة ارضاء نزعة التملك عن طريق الملكية العامة للدولة . بينما كانت اشتراكيتنا سالكة للطريقتين معا محاولة ارضاء هذه النزعة عن الطريقتين معا . فلم تجعل الفرد انانيا بحتا كما فى الراسمالية ولا سلبيا بحتا كما فى الشيوعية ، فاباحت الملكية الخاصة والقطاعات الخاصة والراسمالية الوطنية غير المستغلة . بجوار ما فعلته من التاميم والقطاعات العامة والتدخل لتحديد الملكية والاسعار والقيم الايجارية .

ان تركيز التملك كله فى يد الدولة يطحن الافراد ويمسخ انسانيتهم ويجعلهم تروسا فى دولاب النظام العام . ويرجع فى النهاية الى ما يسمى براسمالية الدولة . فتكون الشيوعية قد فرت من الراسمالية الى الراسمالية بنزعها من الافراد وجعلها فى يد الدولة ففى كل من الشيوعية والراسمالية تركيز للمال فى جانب وحرمان جانب آخر منه . وقد حذر الميثاق من ذلك فى الباب السادس منه حيث يقول « ان سيطرة الشعب على كل ادوات الانتاج لا تستلزم تاميم كل وسائل الانتاج ولا تلغى الملكية الخاصة ولا تمس حق

الارث الشرعى المترتب عليها » ان الشيوعية تقتل غريزة حب التملك فى الانسان وتكبتها ، والراسمالية تطلق لها العنان بلا قيد ولا شرط ، وفى كلتا الطريقتين مخالفة لقواعد الدراسات النفسية القائلة بعدم كبت الغريزة او انطلاقها ، وانما باعلائها وتوجيهها والتسامى بها . وهو ما فعلته اشتراكيتنا حيث توجهت بالمال وجهة الخير والمعاونة وتكافؤ الفرص بين بنى الانسان .

ان المال والملكية فى نظر الشيوعية شر ووبال . وسبب فى الفساد بين الناس . والعلاج فى عدم السماح به للافراد ، ويرى ماركس ان المحو الايجابى للملكية الخاصة تصحيح لوضع الحياة الانسانية واعادة للانسان الى وضعه الانسانى . لكن اشتراكيتنا حينما تعترف بان للمال فى يد الافراد شرا وفسادا تتخلص من شره وفساده بحراسته والهيمنةعليهوتوجيهه الوجهة الصالحة . وهذا اقرب الى العقل والمنطق . فالابقاء علىالشىء مع السهر علىصلاحيته احكم منمحوه بالكلية ،وحرمان صاحبه منه ، وانسب بعملية اختبار الانسان فيما رزق به وتملكه وبذلك يتميز الخبيث من الطيب . بناء على حرية الانسان واستقلال ارادته وهى اساس التكليف فى الشرائع والحكم على افعال الانسان بالخيرية او الشرية . وفى ذلك يقول ميثاقنا فى الباب السادس منه « والقطاع الخاص الآنمطالب بان يجدد نفسه وبان يشق بعمله طريقا منالجهد الخلاق ، لا يعتمد كما كان فى الماضى على الاستغلال الطفيلى .. » ويقول فى الباب السابع « ان رأس المال الفردى فى دوره الجديد يجب ان يعرف انه خاضع لتوجيه السلطة الشعبية . شانه فى ذلك كشان المال العام . ان القطاع الخاص له دوره الفعال فى خطة التنمية من اجل التقدم ولا بد له من الحماية التى تكفل له اداء دوره »

« ثالثا » فى كل من الشيوعية والراسمالية يتحكم اصحاب المال والتراث فيمن عداهم هذا بالاضافة الى دكتاتورية العمال والبروليتاريا فى النظام الشيوعى وتفضيل طبقة العمال على طبقة الفلاحين ، مما ادى الى ضعف الانتاج الزراعى وشكوى المسئولين الروس من ذلك . هذا بينما لا تسمح اشتراكيتنا بتحكم طبقة فى اخرى فمصدر القوى كلها هو الشعب كله بجميع فئاته فى تكاتف وتكافؤ . الفلاحون والعمال .. والجنود والمثقفون . والراسمالية الوطنية « ان مجلس السوفيت الاعلى هو المرجع الاخير فى النظام الشيوعى . لكن الواقع أن الحزب يدير كل الهيئات ويوجهها . والحزب بدوره ياتمر بأمر السكرتير العام . والحزب الشيوعى حزب وحيد . والمرشح واحد . فلا حرية للناخبين ولا معارضة داخل البرلمان . والسكرتير العام هو ايضا رئيس مجلس الوزراء والقائد الاعلى للقوات المسلحة . وتعمل وزارة الداخلية والمعسكرات الاصلاحية وهيئة البوليس على مساندة الحزب والقضاء على كل انحراف . وجميع النظم تسلطية شديدة خالية من الديمقراطية السياسية . فلا تزال الطبقية موجودة . والعمل مفروض فرضا . ويفرض نوعه ومكانه واجره » .. من اجل خطورة الحزب الواحد ، وصيرورته جزءا من جهاز الدولة ، فتصبح جماهير الشعب خاضعة لسلطانه الدكتاتورية ، ومن اجل خطورة الاحزاب المتعددة وتمزيقها قوى الشعب ووحدته . وانها فرصة ذهبية لظهور الراسمالية وتسلطها على الجماهير . من اجل هذا وذاك ابتعدت اشتراكيتنا ابتعادا كليا عن الاحزاب والحزبية واعتبرت الشعب كله قوة واحدة عاملة ، وهذا انسب شىء بتعاليم الاديان التى تكره الفرقة والشقاق والتحزب وتعتبر ذلك كله فشلا وضعفا قال تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وقال تعالى « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تختلفوا فان من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا ».

« رابعا » الاشتراكية الشيوعية تجعل القاعدة اداة فى يد القمة والقمة هى المسيطرة والمسيرة . فهى ذات دفع من اعلى الى اسفل . اما اشتراكيتنا فهى من القاعدة الى القمة بمعنى ان القمة واعمالها استجابة للقاعدة وتطلعاتها . فهى ذات دفع من اسفل الى اعلى. وفى ذلك يقول الميثاق فى الباب الاول « ان هذا الشعب البطل راح يعلم طلائعه الثورية اسرار اماله الكبرى »

ان الاشتراكية الماركسية كقاطرة تندفع بالمجتمع اندفاعا حتميا حسب نظرية حتمية التاريخاو التفسير المادى للتاريخ . وعلى ذلك لا حساب للفرد اطلاقا فى هذا الدفع والاندفاع وكانه لا يعرف الى اين يندفع به هذا القطار ؟ فهو دفع ذاتىآلى وانكان الشىء الآلى الحتمى قد يكون أحيانا فى حاجة الى من يبدؤه ويحركه . فالدوافع المعنوية والثقافية والاستجابة لها ارادة وحرية واختيار غير معترف بها . أما الاشتراكية العربية فيندفع قطارها بحرية الافراد ووعيهم وثقافتهم وتطلعاتهم ، ويتوجه السائق بالقطارالىحيث يريدون لا الى حيث يريد هو أو يريد القطار ، ومن هنا نجد أن فى اشتراكيتنا العربيةمجالاكبيرا لحريةالرأى وتطلعات الافراد وتوعية المثقفين وتكتيل قوى الشعب كله للعملفىنظام اتحاد قومى او اتحاد اشتراكى يعمل ويوحى ويخطط فى ظل حياة ديمقراطية وتمثيل نيابى . وفى ذلك يقول الميثاق فى الباب الرابع منه « ان الشعب المعلم اراد لطلائعه الثورية ان تنضم الى صفوف العمل الجماهيرى وفوض الى جيشه الوطنى مهمة حماية عملية القيادة ثم راح يشرف بوعى وجدارة على التحول الرائد الخلاق نحو الاشتراكية الديمقراطية التعاونية » وفى الباب الخامس يقول « ان قيمة الثورة الحقيقية بمدى شعبيتها . ومدى ما نعبر به عن الجماهير الواسعة . ومدى ما تعبئه من قوى هذه الجماهير لصنع المستقبل وفرض ارادتها على الحياة » ويقول « ان حرية القيادة يجب ان تستمد حريتها من حرية القواعد الشعبية » ويقول « ان الشعب هو قائد الثورة »

« خامسا » الاشتراكية الشيوعية لا تعترف بالدين اطلاقا وتعتبره نقيصة اجتماعية ووهما خرافيا . والراسمالية تتخذ من الدين عملية عزاء وتسلية وتوجيه الى الدار الآخرة ، والجنة التى أعدت للصابرين على الفقر والبلاء والعذاب والاستعباد ، فالشيوعية تعتبر الدين مخدرا وافيونا للشعوب . والراسمالية تجعله وتستعمله هكذا . تستنيم به الشعوب ليسهل استعمارها . اما الاشتراكية العربية الاسلامية فتتخذ من الدين مشعلا ينير الطريق . واداة فعالة فى الدفع الثورى بالبشرية الى الامام . الىحياة رغيدة سعيدة فى الدنيا والآخرة . فالدين اصلاح للمجتمع وعلاقة بين بنى الانسان وكرامة وعزة لله ولرسوله وللمؤمنين وفى ذلك يقول على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنور الايمان . وعلى منحه طاقات لا حدود لها من الخير والحق والمحبة . ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية

تستهدف شرف الانسان وسيادته . وان واجب المفكرين الدينيين الاكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته ان جوهر الرسالات الدينية لا تتصادم مع حقائق الحياة وانما يقع التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية ان تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم »

« سادسا » الاشتراكية الشيوعية ذات فكرة علمانية عالمية تجعل من نفسها مذهبا عاما توجب على الناس اعتناقه تدعو الى التوسع وتطبيق نظامها فى العالم كله تمركز السيطرة فى موسكو لتزحف منها على غيرها محطمة اى كيان يقف فى وجهها متى استطاعت الى ذلك سبيلا كما فعلت فى المجر فى سنة ١٩٥٦ م . وقد اعتبرت المارشال تيتو فى يوغوسلافيا متمردا عليها لانه لم يقبل هذه السيطرة التامة . كما كان هناك نزاع كبير من اجل هذه الفكرة بين موسكو من جانب والصين على بلاد قد لا تكون بينها وبينها اية ملاءمة أو علاقة . لكن الاشتراكية العربية انما تبنى نفسها فى مجتمع متوحد . مقوماته واحدة . لا تدعو الى التوسع والسيطرة على بلاد خارج قوميتها وبيئتها. فهى اذن نداء الواقع . وهتاف الوحدة واستجابة لآمال المنطقة التى هى فيها .. ومن هنا كان من السهل على العرب جميعهم ان ينصهروا فى قومية واحدة . واشتراكية واحدة . ووحدة واحدة .

وفى احدى خطب الرئيس نيكيتا خروشوف فى احتفالات السد العالى سمعناه يدعو الى عملية اتصال بين التشكيلات العمالية الاشتراكية عندنا وعندهم . فما كان من الرئيسين الموفقين عبد الناصر وعبد السلام عارف . الا أن بينا عقب ذلك اننا مقيدون فى اشتراكيتنا بما نحن فيه فى هذه المنطقة من العالم من دين ولغة وقومية وتراث .

ان الاشتراكية الماركسية تكفر بالاديان وبالاخلاق وبالانسان وبالاسرة وبالفرد فها هو ذا لينين فى سنة ١٩٢٠ يقول « ان الاخلاق عندنا هى كل ما يؤدى الى هدم المجتمع الاستغلالى وتوجيه جميع الكادحين الى ان يلتفوا حول طبقة البرولتياريا وان الاساس الذى تقوم عليه الاخلاق الشيوعية . انما تحدده مقتضيات المعركة لدعم الشيوعية واستكمالها » ويقول ماركس فى البيان الشيوعى المشهور ان القانون والاخلاق والدين ليست كلها فى منظر البروليتاريا الا اوهاما برجوازية فالماركسية تؤمن باهدافها وكل وسيلة تؤدى الى هذه الغاية فهى خير وان النظام الخلقى فى كل مجتمع وديانته وقوانينه ليست غير جزء من بناء زائف اقامته ظروف الانتاج فهى بالتالى تترجم عن مصالح الطبقة السائدة .

.. ان الماركسية تعتبر الاسرة دعامة المجتمع البرجوازى فهى تكرهها وتعمل على تفتيتها وترى ان الحب الطليق افضل من الزواج والتقيد به وبالاسرة. وتستعيض عن الاسرة فى تربية الاطفال بمؤسسات تصطنعها الدولة وتستند فى ذلك الصنيع الى ان الاسرة تدعم النزعة والرغبة فى التملك والملكية وهذا اكره ما تكرهه الشيوعية

اين هذا كله من اشتراكية عربية اسلامية. سداها ولحمتها . الدين والاخلاق والاسرة وحق الارث والتملك ؟ ؟ لقد جاء فى اخر سطور الميثاق « ان شعبنا يعتقد فى رسالة الاديان وهو يعيش فى المنطقة التى هبطت عليها رسالات السماء » وفى الباب التاسع « علينا ان نتذكر دائما ان الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من اديانها السماوية أو من تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات . واذا كانت الاسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية فان الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم انبل المثل واشرف الغايات » .

.. ان النشاط الجمعى فى نظر الشيوعية وكثير من الاشتراكيات الاخرى مادى بحت لكنه فى نظر اشتراكيتنا مادى روحى . فاذا ما عرفنا ان « العنصر الاسمى فى الانسانية المميز لها عن الحيوانية انما هو العنصر الروحى . عرفنا كيف ان اشتراكيتنا انسانية اكثر من غيرها ؟ ؟ فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ؟؟

موقف الإسلام من :
وسائل كسب المال

الدكتور على عبد الواحد وافى

حرم الاسلام أن يلجأ المسلم فى كسب المال لى وسيلة تتنافى مع الخلق الكريم ، او مع واجب الانسان نحو أخيه الانسان ،أو تنطوى على الاضرار بالخلق ،أو تتعارض مع الاوضاع الاقتصادية السليمة ، أو تؤدى الى الكسب بدون بذل مجهود فى سبيل الحصول عليه .

فحرم الاسلام تحريما باتا استغلال النفوذ والسلطان للحصول على المال ، وحرم امتلاك مايأتى عن هذا الطريق ، وأجاز لولى الامر مصادرته ، واستيلاء بيت المال عليه لانفاقه فى المصالح العامة للمسلمين وعلى ذوى الحاجات منهم .

وقد أتيح للرسول عليه السلام ان يطبق هذا المبدأ تطبيقا عمليا فى حياته . فقد اخرج البخارى فى صحيحه ان ابن اللتبية (وهو رجل من بنى لتب من الأزدكان الرسول عليه السلام قد استعمله على صدقات بنى شكيم اى على جباية الزكاة ممن تجب عليه الزكاة منهم) قدم يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اموال جمع بعضها من جباية الزكاة وبعضه من هدايا أهديت اليه فقسم الرجل ما معه قسمين ، وقال هذا لكم ،وهذه هدايا اهديت الى فظهر الغضب فى وجه الرسول عليه السلام وقام فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فانى استعمل رجالا منكم فى أمور مما ولانى الله، فيأتى أحدهم فيقول هذا لكم وهذه هدايا أهديت الى ! فهلا قعد فى بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى اليه أم لا . والذى نفسى بيده لا يأخذ احد منه شيئا الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته .. » أى ان ماأهدى اليه لم يهد اليه لشخصه وانما أهدى اليه لوظيفته وطمعا فى الافادة من سلطانه واختصاصاته ، ولو انه لم يكن موظفا وقعد فى بيت أبيه ما أهدى اليه شىء ثم صادر الرسول عليه السلام جميع الهدايا التى أهديت الى ابن اللتبية وضمها الى بيت المال.

وطبق هذا المبدأ فى نطاق واسع من بعد الرسول عليه السلام عمر بن الخطاب . فكان رضى الله عنه يصادر جميع ماكان يكسبه ولاته من امور لايجوز لهم الاشتغال بها كالتجارة وما اليها وما كان يأتيهم من أموال وهدايا نتيجة لاستغلال نفوذهم ، ويضم مايصادره من هذه الأموال جميعها الى بيت المال . فعل هذا مع ولاته على البصرة ، بل يقال انه فعله مع أبى هريرة عامله على البحرين ، ومع عمرو بن العاص عامله على مصر ، ومع ابنه نفسه عبد الله بن عمر .

فقد روى الامام شمس الدين الذهبى فى كتابه « تاريخ الاسلام » أن عبد الله بن عمر رجع من بعض المعارك الحربية وقد ابتاع من الغنيمة بأربعين ألف درهم . فلما قدم على أبيه أنكر عليه ذلك لخشيته أن يكون امير الجيش قد باع له بأرخص مما يبيع لغيره رعاية لصلة رحمه بأمير المؤمنين ، ولم يشفع له عند ابيه ما ذكره له من أنه قد لجأ الى وسيلة مشروعة فى الكسب ، وهى التجارة ، وانه يتجر كما يتجر غيره من رجالات قريش . فقد أجابه عمر بأن ذلك لاينفى وقوع المحاباة واستغلال القرابة ، وأنى « معطيك أكثر ما ربح تاجر من قريش ، لك ربح الدرهم درهم » ثم عرض ما اشتراه ابنه على التجار فاشتروه بأكثر من ثمانين ألف ، فأعطاه ثمانين الفا ، ودفع الباقى الى بيت المال .

وكما حرم الاسلام استغلال النفوذ والسلطان للحصول على المال ـ وهو أمر ينطوى على رشوة مستترة ـ حرم كذلك ، ومن باب أولى ، كل عملية تنطوى على رشوة صريحة ، أو على غش فى المبيعات ، أو تطفيف فى الكيل والميزان ، أو أكل أموال الناس بالباطل ، وفى هذا يقول الله تعالى : **« ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون » (آية ٨٨ من سورة البقرة) ويقول : « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ، ألا يظن اولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ؟ » (آيات ١ ـ ٥ من سورة المطففين) ويقول عليه السلام « من غش أمتى فليس منى » . ويقول : « انه لايربو لحم نبت من سحت الا كانت النار أولى به » (والسحت هو المال الحرام) . ويقول « البيعان بالخيار مالم يفترقا ، فان صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » ، اى أن البائع** والمشترى بالخيار ماداما فى مرحلة المساومة قبل أن تنعقد الصفقة : فان صدقا وبينا فى هذه المرحلة ، بأن بين البائع ماعسى أن يكون فى السلعة من عيب خفى ، وبين المشترى ماعسى أن ينتفع البائع ببيانه ، بورك لهما فى بيعهما ، وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما .

وحرم الاسلام كذلك احتكار الضروريات للتحكم فى أسعارها . وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام : « **من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه** » . ويقاس على ذلك احتكار صنف ما فى التجارة أو الصناعة للتحكم فى السوق ، متى كان فى ذلك اضرار بالمستهلكين ، عملا بالقاعدة الاسلامية التى تخضع لها جميع المعاملات ، وهى قوله عليه الصلاة والسلام : « **لاضرر ولاضرار** »

وحرم الاسلام عمليات الربا تحريما قاطعا وجعلها من أكبر الكبائر ، وتوعد أهلها بحرب من الله ورسوله . قال تعالى : « **وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون** » (**آية ٣٩ من سورة الروم**)

والمضعفون اسم فاعل من أضعف الشىء بمعنى نماه وجعله مضاعفا ، أى ومن يفعل ذلك فاولئك هم المنمون الأموال ، وتفسير هذه الآية بلغة الاقتصاد والاجتماع ، وهى أمثل لغة فى تفسيرها ، وأكثر اللغات اتساقا مع عباراتها وبيانا لدقة بلاغتها : ان الزيادة التى تأتى لأموال بعض الناس عن طريق الربا هى زيادة فى الظاهر ، ولكنها ليست زيادة فى نظر الله ولا فى الواقع ، لأنها لاتزيد شيئا فى الثروة العامة للمجتمع ، على حين أن النقص الذى يلحق بعض الأموال بسبب الزكاة هو نقص فى الظاهر ، ولكنه زيادة فى نظر الله والواقع ، لأن صرف الزكاة فى مصارفها يزيد من ثروة المجتمع ومن قدرته وامكانياته ، ويحقق له فوائد أكثر من الفوائد التى كان يمكن أن تتحقق لو بقيت الزكاة فى مال صاحبها ، ويؤدى وظائف اجتماعية أهم كثيرا من الفوائد الفردية التى تترتب على عدم ايتاء الزكاة ، ويقول الله تعالى فى عبارات

موجزة بليغة جمعت بين الترغيب والترهيب وبيان العلل والأسباب والحث على مكارم الأخلاق والمثل العليا : « **الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره الى الله ، ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • يمحق الله الربا ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار اثيم •**

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون • يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون » • ثم حث الله تعالى الدائنين على التسامح حيال المدينين المعسرين الذين لايستطيعون أداء الدين فى موعده وقد يستطيعون اداءه فى فرصة أخرى ، فحبب اليهم أن يمدوا لهم فى الأجل بدون مقابل حتى يتيسر لهم أداؤه ، فقال : « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » • ثم تدرج فى الحث على مثل اعلى وأرقى من ذلك ، فحبب الى الدائنين أن يتنازلوا عما لهم من دين فى حالة عسرة المدين ، وان يتصدقوا به ابتغاء وجه الله ، وتحقيقا للتكافل الاجتماعى ،ولما يجب عليهم نحو الفقراء من اخوانهم ، فقال تعالى «**وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون**» (آيات ٢٧٥-٢٨٠ من سورة البقرة)

هذه هى اهم الطرائق التى حرمها الاسلام فى كسب المال • ويفضل تحريم الاسلام لهذه الطرائق تتحقق عدة أهداف سامية :

فبذلك يوصد أهم باب من الابواب التى تؤدى الى تضخم الثروات فى يد بعض الأفراد والى اتساع الفروق المالية بين الناس •وذلك أن الطرق السليمة فى الكسب لاينجم عنها غالبا الا الربح المعتدل المعقول المتفق مع سنن الاقتصاد • أما الأرباح الفاحشة والثروات الضخمة فانما تكون فى الغالب نتيجة لطرائق الكسب غير السليم •• ففى تحريم الاسلام لهذه الطرائق تحقيق لتكافؤ الفرص بين الناس وقضاء على اهم عامل من العوامل التى تؤدى الى اتساع الفروق المالية بين الأفراد والطبقات •

ويحقق الاسلام كذلك بموقفه هذا غرضا ثانيا ، غرضا انسانيا نبيلا ، وهو أن تقوم العلاقات الاقتصادية بين الناس ، لا على أساس عادى نفعى ، بل على أساس انسانى خلقى ، على دعائم متينة من التكافل والتعاون والتواصى بالبر والخير والعدل والاحسان ، فينظر الانسان الى أخيه الانسان على أنه غاية فى ذاته لا على أنه وسيلة لجلب النفع ، ويجانب الناس فى معاملاتهم بعضهم مع بعض كل ما يأباه الخلق الكريم ، وما يؤدى الى التنافر والتباغض ، وصراع الطبقات ، واضطراب حياة الجماعات •

ويحقق الاسلام كذلك بموقفه هذا غرضا ثالثا وهو دفع الناس الى العمل والكد لكسب المال وتنميته ، وصرفهم عن الكسل والبطالة والطرق الهينة الوضيعة التى تأتى بالكسب والتنمية بدون جهد ولاعناء •

ومن ثم حث الاسلام على العمل ،وأمر به وأعلى من شانه • قال تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » (آية ١٥ من سورة تبارك) ويوجب القرآن على المسلمين بمجرد انتهائهم من اداء فريضة الجمعة فى المسجد ان يستأنفوا أعمالهم فينتشروا فى الأرض ويبتغوا من فضل الله ، قال تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » (آية ١٠ من سورة الجمعة) • بل لقد أجاز القرآن مباشرة أعمال التجارة فى أثناء أداء فريضة الحج ، قال تعالى : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ، فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ••• » قال ابن عباس ، أى فى مواسم

الحج ، ويقصد الابتغاء من فضل الله فى الآية مباشرة اعمال التجارة وما اليها وذلك انه كان للعرب فى الجاهلية ثلاثة أسواق تجارية هامة تعقد قبيل أداء مناسك الحج وفى أثناء ادائها ، وهى : سوق عكاظ ، وكانت أكبرها جميعا ، وكانوا يعمرونها فى العشرين من ذى القعدة ، وسوق ذى المجنة قرب مكه وكانوا يقضون بها بقية ذى العقدة ، وسوق ذى المجاز • بجانب عرفة وكانوا يذهبون اليها فى اول ذى الحجة • فلما جاء الاسلام كأنهم كرهوا أن يزاولوا أعمال التجارة فى هذه الأسواق فى مواسم الحج أو فى اثناء أداء شعائره ، فنزلت هذه الآية تبيح لهم ذلك • وقال عليه الصلاة والسلام : « **ما أكل أحدكم طعاما قط خيرا من عمل يده** » • وروى أن النبى عليه السلام حينما أقبل من غزوة تبوك استقبله معاذ بن جبل ، فصافحه ، فأحس النبى عليه السلام شخونة فى كفه • فقال « لقد كبنت يداك يامعاذ » أى خشنت وغلظت فقال « نعم يارسول الله ،لأنى أحترث بالمسحاة وأنفق منه على عيالى » ، اى لأنى اشتغل بالزراعة فى الأرض ، وأعالج أعمالها بيدى وانفق من دخلها على أسرتى ، والى ذلك يرجع السبب فى خشونة كفى • فقبله الرسول عليه الصلاة والسلام أو قبل يده ، وقال « تلك يد يحبها الله ورسوله » أو قال « تلك يد لاتمسها النار » • وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن قوما قدموا على الرسول عليه الصلاة والسلام فقالوا ان فلانا يقوم الليل ويصوم النهار ويكثر الذكر • فقال عليه السلام ، أيكم يكفيه طعامه ؟ فقالوا كلنا ، اى نتعاون جميعا فى سد حاجته حتى يتفرغ للعبادة • فقال عليه السلام • « **كلكم خير منه** » وكان الصحابة رضوان الله عليهم سواء فى ذلك المهاجرون منهم ، والأنصار يشتغلون بأيديهم فى شئون التجارة والزراعة والحرف ، بجانب اشتراكهم فى أعمال الجهاد والدعوة الى الاسلام ، وقد تولى أبو بكر الصديق نفسه شئون الخلافة وهو يحترف التجارة ، روى ابن سعد قال : لما استخلف أبو بكر رضى الله عنه أصبح غاديا الى السوق وعلى رأسه أثواب يتجر بها ، فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، رضى الله عنهما ، فقالا كيف تصنع هذا وقد وليت أمور المسلمين ؟! فقال : فمن اين أطعم عيالى اذن ؟! قالا يفرض لك رزق فى بيت المال • ففرض له ما يسد حاجته ليتفرغ لشئون الخلافة ، ولولا ذلك ماوجد ضيرا فى استمراره فى مزاولة التجارة فى الأسواق •

هذا ، وقد أحاط الاسلام المال المكتسب من طريق مشروع وهو الذى يجىء نتيجة كد وتعب من الطرق التى أباحها الله ، بسياج قوى من الحماية ، وفرض عقوبات قاسية على كل معتد عليه ، أيا كانت صورة هذا الاعتداء • قال تعالى فى عقوبة السارق « **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله** » (**آية ٣٨ من سورة المائدة**)

« **وقال فى عقوبة قطع الطريق وأخذ الأموال بقوة السلاح ، انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم** »

(آية ٣٣ من سورة المائدة) — بل ان الاسلام قد حرم أن يمد الانسان عينيه الى ما متع الله تعالى به غيره ، فينظر اليه نظرة حسد او نظرة نهمة • وفى هذا يقول الله تعالى : « **أم لهم نصيب من الملك فاذن لايؤتون الناس نقيرا • أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ؟ وقد ذكر الله تعالى جزاءهم قبل ذلك فقال : « أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا** » (**آيات ٥٢ـ٥٤ من سورة النساء**) **ويقول الله تعالى : « ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى** »

أمة قدسها القرآن في مدرسة الوحي

الأستاذ
معوض عوض ابراهيم

يبدو رسول الله صلوات الله عليه في مدرسة الوحي وفي مجال قيادة خير أمة بحلم يزن الجبال ، وشفقة قلما نجد لها شبيها بين خلائق الرجال ، وحرص علي هداية من ضل ، وايمان من كفر ، يمتن الله بها علي الناس وهو يقول في مصطفاه : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » . كل ذلك على أساس من رجاحة عقل ، ووفرة حكمه ، وعلم دعاه مولاه أن يجعله بين ما يسأله اياه قال : «وقل رب زدني علمـــــا » وقال « وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضـل الله عليك عظيما .

ولقد ربى محمد صحابته بسلوكه واعماله ، أكثر مما رباهم بوصاياه وأقواله فلقد صلوا كمـا رأوه يصلى ، وأخذوا عنه في الحج مناسكهم وكانوا رضوان الله عليهم بالاقتداء به تفسيرا واعيا لقول الله : « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » وقوله « قـــل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » وقوله « وان تطيعوه تهتدوا » .

رأوا رسول الله يواجه بحلمه صلف قريش وعتوها وتشبثها بما كان عليه أوائلهم من عصبية وحمية جاهلية وهم يقولون له « قلوبنا في أكنه مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر من بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون » « ويقولون هذا ســـاحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هـــذا لشيء عجـــاب وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق أأنزل عليه الذكر من بيننا ...... فما يزيده الاعراض واللجج في التكذيب الا يقينا في سيادة الايمان وتعفية الحق والعدل على ما وضع القوم من مبادىء آثمة وقيم ظالمة ، ومناهج سلوك تجعل النــاس سادة وعبيــدا وعلية ودون ذلك لا كما أرادهم الله اخوانا لا يتفاضلون بغير مجيد الأعمال وشريف الخصال قال تعالى : « يا أيها النـــاس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » .

قال الحسن : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحصين ابن عتبة ـ والد عمران بن حصين الخزاعي ـ يا حصين : ما تعبد ؟ قال : أعبد عشرة آلهة ـ قال وما هم ؟ وأين هم ؟ قال تسعة في الأرض وواحد في السماء . قال رسول الله صلي الله عليه وسلم فمن لطلبتك ؟ قال الذى في السماء قال فمن لكذا ؟ كل ذلك يقول الذى في السماء .. قال عليـــــه السلام : فالغ التسعة !! قال النبى ذلك في سكينة ودعة ، وفي ادراك الحكيم الفاحص لعقل من يخاطبه حتى استنقذ الرجل من شركه ، وقاده قودا رفيقا الى الايمان وتوحيـــد الرحمن ، قال تعـــالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » .

وكان حسن تأتى الرسول للأمور ، وعمق نظره وسعة صدره وايمانه بدعوته واخلاصه في اداء رسالته بثبات لا يتخاذل ويقين لا يلين من افعل وسائل اجتمـــــاع الناس عليه وايمانهم بالحق الذى دعا اليه ، ومن ذا الذى لا يمنح ولاءه كله لرســـول هو « أولى بالمؤمنين من أنفسهم » وهو لسائر الناس كما قال الله «وما أرسلناك

الا رحمة للعالمين » وهو يحمل الكل ويكسب المعدوم ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق ، ويدع لصحابته مغانمهم ويقاسمهم مغارمهم ان لم ينهض بها وحده كريما، قال تعالى : « قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد » .

ولم يستطع الوعيد ولا الأذى الشديد ، ولا حلو الاماني وخالب الوعود ان تثنيه صلوات الله عليه عن رسالته أو تعدل به عن طريق الوفاء لها والصدق فى النهوض بتكاليفها . قال أبو جهل فى ملأ من قريش : قد التبس علينا أمر محمد ، فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ، ثم أتانا ببيان من أمره ، فقال عتبه بن ربيعة : « والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما ، وما يخفى على، فاتاه فقال : أأنت يا محمد خير أم هاشم ؟ أأنت خير أم عبد المطلب ؟ أأنت خير أم عبد الله ؟ فلم تشتم آلهتنا ؟ وتضللنا ؟

فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا ، وان تكن بك الباءة زوجناك عشرة نسوة تختار من أى بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك من اموالنا ما تستغنى به . ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت ، فهو ينصف جليسه ويعطى اصغاءه كله لمحدثه — فلما فرغ عتبة قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون » حتى قرأ « فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » .

فأمسك عتبة على فيه ، وناشده الرحم ، ورجع الى أهله ، ولم يرجع الى قريش ، فلما احتبس عنهم قالوا : ما نرى عتبة الا قد صبأ ، فانطلقوا اليه وقالوا :

ياعتبة ، ما حبسك عنا الا انك صبأت .

فغضب واقسم لا يكلم محمدا ابدا ، ثم قال : والله لقد كلمته فاجابني بشيء ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ « صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » ، وأمسكت بفيه ، وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيئا لم يكذب ، فخفت أن ينزل بكم العذاب .

ذلك قول رسول قريش ، فهل يكون تكذيبهم لنبوة النبى الا ضربا من اللغو الذى يرتد أوسمة فخار الى صدر رسول الله .

شهد الأنام بفضله حتى العدا
والفضل ما شهدت به الأعداء
وما أندى مواساة الله لمصطفاه

قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ، ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأى المرسلين ، وأن كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين » .

وحاشا ان يكون قد كبر على الرسول اعراض القوم او شق عليه تكذيبهم بعد أن قال فى يوم عاصف شديد « ان لم يكن بك غضب فلا أبالي » .

ولقد كان يتألف أصحابه جهده ويشد بينهم فى مدرسة الوحى عرى أخوة يسبقهم صلوات الله عليه الى الانفعال بها فيقول : « سلمان منا اهل البيت » وهو فارسى ، ويقول : « بلال جلدة ما بين أنفى وعيني » ويقول لعمر » لا تنسنا من دعائك يا أخي » ويشيد بخصائص فى كل فرد منهم ترفع من نفسه ويزداد بها ارتباطا بالرسول والرسالة التى اختارهم الله ليكونوا قلوبها الواعية وألسنتها الناطقة وأمثلتها الصادقة فى كل ما يشرف الانسان ... فأبو بكر رجح ايمانه ايمان المؤمنين ، وعمر لو رآه الشيطان سالكا فجا لسلك فجا غير فجه ، وذو النورين يقول له الرسول بعد أن لقيت زوجتاه رقية وأم كلثوم ربهما ولم يبق بعدهما من بنات الرسول من تتزوج « لو كان لنا ثالثة لزوجناك » وما ادل هذه الكلمة المضيئة على المعانى التى جعل الله بها الزواج آية من آياته « لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ويقول فيه الرسول وقد جاء يوم تبرك بمال كثير » اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض ، ما يضر عثمان ما فعل بعد اليوم .

ويعرف لعلى قرابته ومصاهرته وعلمه وشجاعته فى الهجرة والخندق وغيرهما .. ويقول لابن مسعود « اقرأ على القرآن ويمنحه تقديرا لا تساويه أكبر المؤهلات وهو يقول : « من أحب أن يسمع القرآن كما سمعته من قراءة أخى جبريل فليسمعه من قراءة ابن أم عبد » أى عبدالله ابن مسعود .

ويقول عن أبى عبيده عامر بن الجراح « امين هذه الامة » .

ويقول فى أبي موسى الا شعرى « لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود « اشارة الى حسن تلاوته للقرآن » ويبقي من صور تألفه لأصحابه فى مكة والمدينة زاد وامداد للذين يريدون تسبيل هذا الجانب الانسانى من جوانب رسول الله ، والحاجة فى ذلك ماسة لكل من يخالط الناس وتشتبك أعماله بأعمالهم .

أعطى صلوات الله عليه أبا سيفان بن حرب مائة من الابل ، وصنع مثل ذلك بالاقرع بن حابس وعيينه بن حصن وسبيل بن عمرو فقال الناس أتعطى هؤلاء وتدع جميل بن سراقة الغفارى ؟؟ فقال صلى الله عليه وسلم. «جميل خير من طلاع الارض مثل هؤلاء ، ولكنى أعطى هؤلاء أتألفهم « وأكل جميلا الي ما جعل الله عنده من الايمان » .

أن هؤلاء النفر أسلموا بعد أن أخذت سيوف الحق من أعناق الشرك ودق الرسول وصحبه أبواب مكة التى أخرجوا منها بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » .

وانتظموا فى صفوف مدرسة الوحي بعد أن قال رجل ذكى أريب كأبى سفيان « لو علمت أن مع الله الها غيره لأتبعته ولكنى أشهد أن لا اله الا الله ، ولم يتم الشهادتين حتى انذره العباس عم الرسول وكان قد أسلم منذ قريب — وهداه الله الى الايمان وسوى الرسول بين بيته وبيت الله ، وهو يرسل به الى قومه فى مكة ليقول: « من دخل البيت الحرام فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » .

وكان سهيل بن عمر مفاوض قريش فى صلح الحديبية بعد أن تيامن به النبى وقال لصحبه « سهل أمركم » ولما فتح الله على المسلمين مكة ودخل النبى البيت الحرام

ثم خرج فوضع يده على عضادتي الباب فقال « ماتظنون اني فاعل بكم ؟؟ » .
فقال سهيل بن عمر : « نقول خيرا ، ونظن خيرا ، أخ كريم وابن اخ كريم ، وقد قدرت » فقال : « أقول كما قال اخي يوسف : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين . ونفع الرجل وكثيرين رفقة صلوات الله عليـــه بالدين لم يدع السيوف تخاطب رءوسهم بعد ان استعرض في ساعة النصر والقوة تاريخا من الظلم الشديد والحقد الاسود لا يغفره ولا يرتفع على التأثر به الا محمد رحمة الله للعالمين .

روى صاحب الاصابة « قال سهيل بن عمرو والله لا ادع موقفا وقفته مع المشركين الا وقفت مع المسلمين مثله ، ولا نفقـــة انفقتها مع المشركين الا انفقت على المسلمين مثلها ، لعل امرى يتلو بعضه بعضا » .

وهكذا يثمر البر بالأنفس الكبيرة برا وخيرا وايمانا واحسانا وتخرج مدرسة الوحى رجالا يمنحون عقيدتهم الاموال والانفس ، ويهجرون فيها الأهل والوطن ، ونرى فقيرهم يربا بايمانه ان تدنسه المطامع معتزا بما وعد الله المؤمنين فى عاجل امرهم وآجله .

فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين » .
وانني أسوق لكل مسلم ـ والأعداء يتربصون بنـا الدوائر فى كل اتجاه على هـذا الكوكب ـ هـذا المثل ـ

زحف المسلمون الى المشركين فى اليمامة حتى الجاوهم الى الحديقة ـ وفيها عدو الله مسيلمة ـ فقال البراء ابن مالك يا معشر لمسلمين القونى عليهم ، فاحتمل حتى اذا اشرف على الجدار اقتحمه ، فقاتلهم على الحديقة حتى فتحها على العدو ودخل عليهم المسلمون فقتل الله مسيلمة .
يا براء بن مالك يسلسل الله ثراك ، وحيا ذكراك . فلقد كنت بفدائيتك هذه جيشا فى فرد .

وليس على الله بمستنكر
ان يجمع العالم فى واحـد

وما كان البراء رضوان الله عليه ـ ممن يحرصون على المظاهر ويتهالكون كالفراش الأحمق على الأضواء ، وانما كانت بطولته أثر تربية نبوية استهدفت تهذيب الأرواح ، وكبح الجماح ، وتقويم التفكير الانسانى على أساس من تعاليم الله ووصايا مصطفاه ، والانفعال بخير ما حفلت به الحياة من كريم المبادىء وروائع المثل ، ورحم الله ذلك الاعرابي الذى سمع النبى وهو يقرأ « ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون « فسال « كلام من هذا يا محمد ؟؟ » .

فقال صلوات الله عليه : « انه كلام الله » فقال الرجل: « ان هذا لو لم يكن دينا لكان فى اخلاق الرجال حسنا »

روى انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كــم من ضعيف مستضعف ذى طمرين لا يؤبه له لو اقســم علي الله لابره ، منهم البراء بن مالك » والرسول فى حكمه الفاحص ذلك ، كان كأنما ينظر الى الغيب من وراء ستار رقيق « فلقد لقى البراء زحفا من المشركين على المسلمين فقال الصحابة يا براء ان الرسول صلي الله عليه وســلم قال : « انك لو اقسمت على الله لا يرك فاقســم على ربك » فقال : « اقسمت عليك يا رب لما منحتنا اكتافهم » « ثم التقوا على قنطرة السوس ، فارجع المشركون فى المسلمين فقالوا ا براء اقسم علي ربك فقال : « اقسمت عليك يا رب لما منحتنا اكتافهم ، والحقنى بنبى الله صلى الله عليه وسلم فمنحوا اكتافهم ، وقتل البراء شهيدا . »

ومستجاب الدعوة اشبه شيء باخوانه الذين استثاروا فيه معانى الصلاح والخير ، وشهروا فى وجوه عدوهم سلاحه من صلته بربه ، تلك الصلة التى لابد منها لكل لكل نجاح فى حرب وسلم وشدة ورخاء وانشاء وبناء .

يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين.

من إعجاز القرآن

الإعجاز البياني

الدكتور حفني شرف

تركت مصر وتنقلت عبر الازمنة والامكنة فى عصر الاتراك افتش عمن كتب عن اعجاز القرآن ومرت سنون طويلة تقرب من قرنين واتجهت نحو العراق على اظفر بمن كتب عن الاعجاز فالتقيت بشهاب الدين السيد محمود الالوسى ـ نسبة الى قرية اسمها آلوس ـ وهى جزيرة فى منتصف نهر الفرات بين الشام وبغداد وكانت موطن أجداده ـ وأخذت أتحسس أخباره وأعرف معارفه فألفيته ولد سنة ١٢١٧ هـ فى جانب الكرخ من بغداد ، وفيها نشأ وعلى علمائها تعلم فأخذ العلم عن والده ، والشيخ خالد القلقشندى ، والشيخ على السويدى وكان له بجانب تلاقيه العلم على هؤلاء الافاضل فطنة وذكاء ، وعناية فى الحرص على تزايد علمه ، وتوفير نصيبه منه ، وكان واضعا نصب عينيه قول القائل :

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى

من وصل غانية وطيب عناق

ودليل ذكائه وتحصيله العلم انه اشتغل بالتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة كما اشتغل بالتدريس فى عدة مدارس ، ولتقدمه فى العلم اشتغل بالافتاء على مذهب ابى حنيفة النعمان ، كما كانت داره فى الرصافة موئلا للعلماء ونهرا يغترف منه طلاب العلم وقد كان ـ رحمه الله ـ حريصا على طلبته يواسيهم ويسأل عنهم كما كان أديبا رقيقا وثائرا عظيما يتمتع بقوة التحرير ، وغزارة الاملاء ، وجزالة التعبير ، كما اشتهر بحافظة عجيبة ، وفيرة غريبة ، وكان كثيرا ما يفخر بحافظته بقوله : « ما استودعت ذهنى شيئا فخاننى ، ولا دعوت فكرى لمعضلة الا وأجابنى ، وتولى أوقاف المدرسة المرجانية وليس فيه شيء ولكن اهم مافيه انه لا يتولى هذا الافتاء الا أعلم أهل البلد فكان توليه اياه بمثابة شهادة على أنه شيخ علماء البلد ، ثم ترك الافتاء سنة ١٢٦٣ هـ واشتغل بتفسير القرآن حتى أتمه ، ثم سافر الى القسطنطينية عام ١٢٦٧ ، وعرض تفسيره على السلطان عبد المجيد خان فنال اعجابه ، ورضاه ، ثم رحل عنها سنة ١٢٦٩ ، وكان سلفى الاعتقاد شافعى المذهب ، الا أنه كان فى كثير من المسائل يقلد أبا حنيفة ـ رضى الله عنه ـ وكان يميل الى الاجتهاد.

وقد خلف لنا آثارا عظيمة أشهرها أو أهم ما يتصل منها ببحثنا تفسيره « روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى » وقد توفى رحمه الله سنة ١٢٧٠ هـ ودفن مع اهله بمقبرة الشيخ معروف الكرخى بالكرخ « انظر التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبى ١ : ٣٥٣ »

وتفسير هذا قد أفرغ فيه الالوسى ما وسعه وبذل فيه أقصى جهده حتى اخرجه للناس جامعا لاراء السلف رواية ودراسة ، مشتملا على اقوالهم بكل امانة ، فينقل عن ابن عطية وابى حيان والزمخشرى وابى السعود والبيضاوى ، والفخر الرازى .

قد سبق ان قلت انه سلفى المذهب سنى العقيدة ، ولهذا كان كثيرا ما يرد ويفند آراء المعتزلة والشيعة وغيرهم من اصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه فى تفسيراتهم (أنظر تفسيره سورة البقرة آية ٧ ، ١٥ ، وآية ١١ من سورة الجمعة) .

كما لم ينس الالوسى فى تفسيره العناية بالمسائل الكونية ، والاستطراد فى الكلام عنها متاملا كلام أهل الهيئة واهل الحكمة مؤيدا رايه مثبتا مايرتضيه رافضا ما يأباه (انظر تفسيره سورة يس الآيات ٣٨ - ٤٠) والشمس تجرى لمستقر لها .. يسبحون ، وانظر تفسيره لسورة الطلاق آية ١٢

كما لم ينس الصناعة النحوية والفقهية التى تعترضه فى تفسيره انظر تفسير سورة البقرة آية ٢٣٦ ، كما ظهر موقفه من الاسرائيليات والأخبار المكذوبة التى حشا بها كثير من المفسرين تفاسيرهم ، وظنوها صحيحة مع سخرية عجيبة منه احيانا بهؤلاء المفسرين انظر تفسير سورة المائدة لآية ١٢ ، وآية ٣٨ من سورة هود ، كما ان أهم شئ فى تفسيره اظهار المناسبات وأسباب النزول .

وبذلك اصبح روح المعانى موسوعة مهمة فى التفسير جمعت جل ماقاله علماء التفسير الذين تقدموه مع النقد الحر ، والترجيح الذى يعتمد على قوة الذهن وصفاء القريحة وهو وان خرج واستطرد احيانا الى ذكر نواح علمية مختلفة تكاد تخرجه عن مهمته كمفسر ، الا انه متزن فى كل ما يتكلم عنه او يستشهد له مع غزارة العلم على اختلاف نواحيه وشمول الاحاطة بكل مايتكلم فيه .

وقد قدم لتفسيره بمقدمة تشتمل على سبع فوائد :

الاولى : فى معنى التفسير .

الثانية : فيما يحتاجه التفسير والراى وكلام الصوفية

الثالثة : فى أسماء القرآن العظيم .

الرابعة : فى أن كلام الله غير مخلوق .

الخامسة : فى بيان المراد بالأحرف السبعة .

السادسة : فى جمع القرآن وترتيبه .

السابعة : فى بيان وجه الاعجاز ، وهى التى تهمنا فى بحثنا الان ، وقد قال فى تفسير ١ : ٢٤ وقد اختلف الناس فى ذلك ، فذهب بعض المعتزلة الى ان وجه الاعجاز اشتماله على النظم الغريب والوزن العجيب ، والاسلوب المخالف لما استنبطه البلغاء من العرب فى مطالعه وتواصله مفاصله وأبطل هذا الرأى من وجهين .

الاول بقوله : انا لا نسلم بالمخالفة فان كثيرا من آياته على وزن ابيات العرب نحو قوله تعالى : (ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه) وقوله تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) .

الثانى : انا لو سلمنا بالمخالفة لا نسلم انه لمجردها يكون معجزا ، والا لكانت حماقات مسيلمة معجزة اذ هى على وزنه .

ولم ينس الاشارة الى راى الجاحظ فى ان القرآن معجز باشتماله على البلاغة التى تتقاصر عنها ضروب البلاغات ويرفضه ايضا لعدة وجوه .

الاول : انا اذا نظرنا الى ابلغ الخطب واجزل الشعر وقطعنا النظر عن الوزن وقسناه بقصار سور القرآن كان الامر فى التفاوت ملتبسا ، والمعجز لا يبقى معه لبس ولا ريبة .

والثانى : ان القرآن غير خارج عن كلام العرب ، وما من احد من بلغائهم الا وقد كان فى مقدوره الاتيان بقليل من مثل ذلك ، والقادر على البعض قادر على الكل

الثالث : ان الصحابة اختلفوا فى البعض ، ولو كان منتهيا الى الاعجاز بلاغة لعرفوه وما اختلفوا .

الرابع : انهم طلبوا البينة فمن اتى بشيء منه ، ولو كانت منتهية الى حد الاعجاز ما طلبوه .

الخامس : ان فى كل عصر من تنتهى البلاغة اليه ، وذلك غيرموجب للاعجاز وللدلالة على صدق مدعى الرسالة لجواز ان يكون هو من انتهت اليه .

ونقل رأى من يقول : ان القرآن : معجز لانه غير متناقض ولا مختلف مع طوله وامتداده وابطله ايضا بوجهين :

الأول : أنا لا نسلم عدم التناقض والاختلاف فيه ، أما التناقض فقوله تعالى «وما علمناه الشعر وماينبغى له»

والبحور كلها فيه كقوله تعالى : « فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ثم قال : (واقبل بعضهم على بعض يتساءلون) . وقال تعالى : (ومامنع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم العذاب قبلا » وحصل المانع فى احد السببين ثم قال « ومامنع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا » فحصر المانع فى غيرهما ، هذا دليل من قال بذلك .

ولكن المتامل يؤمن بانه لاتناقض بين الايات لنزولها فى اوقات مختلفة وأماكن مختلفة ولاسباب واغراض متفاوتة .

واما الاختلاف فيراه الالوسى كما رآه غيره من قبل فى قوله تعالى : كالصوف المنفوش بدل كالعهن المنفوش) وفى قولى تعالى : « وضربت عليهم المسكنة » بدل قوله : (ضربت عليهم الذلة والمسكنة) .

منبر الاسلام

الثانى انا لو سلمنا السلامة من جميع ذلك لكنه ليس باعجاز ، اذ هو موجود فى كثير من الخطب والشعر ويظهر ذلك جليا فيما يكون على مقدار بعض السور القصار ، بتقدير التحدى بها .

ونقل رأى من يقول : ان القرآن معجز لموافقته قضية العقل ودقيق المعنى ، وابطله بقوله : ان ذلك معتاد فى اكثر كلام البلغاء ، وينقضه ايضا بكلام الرسول لبلاغته وبما فى التوراة والانجيل من موافقة لقضية العقل ومافيهما من دقة المعنى ولم ينس راى الآمدى الذى قال فيه : (ان القرآن معجز بنظمه وبلاغته وبالنظر الى جملته - وقد نسبه السيوطى الى بعض المعتزلة - ١ : ٢٧

وقد ختم كلامه بتعليق على هذه الاراء قال فيه :(وقد اطال العلماء الكلام على وجه الاعجاز ، واتوا بوجوه شتى للكلام الكثير منها خواصه وفضائله مثل الروعة التى تلحق سامعيه ، وانه لا يمل تاليه ، بل يزداد حبا له

بالترديد ، مع أن الكلام العادى اذا اعيد ، وكونه اية باقية لا تعدم مابقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه.. ثم اتى برأى ارتضاه وجعله السبب فى اعجاز القرآن حيث يقول (١ : ٢٧) : والذى يخطر بقلب هذا الفقير ان القرآن معجز بجملته وابعاضه حتى اقصر سورة منه معجز بالنظر الى نظمه وبلاغته ، واخباره بالغيب ، وموافقته لقضية العقل ودقيق المعنى ، وقد تظهر كلها فى آية ، وقد يستتر البعض كالاخبار عن الغيب ، ولا ضير ولا عيب ، فما يبقى كاف ، وفى الغرض واف

نجوم سماء كلما انقض كوكب
بدا كوكب تاوى اليه كواكب

ثم اخذ يبين كيف كان القرآن معجزا بنظمه وبلاغته فقال : (اما بيان كون النظم معجزا فلان مراتب تاليف الكلام على ماقيل خمس :

الاولى : ضم الحروف المبسوطة بعضها الى بعض فتحصل الكلمات الثلاث : الاسم ، والفعل والحرف

الثانية : تاليف هذه الكلمات بعضها الى بعض فتحصل الجمل المفيدة ، وهو النوع الذى يتداوله الناس وهو المنثور .

الثالثة : ضم ذلك الى بعض ضما له مباد ومقاطع ، ومداخل ومخارج ، ويقال له المنظوم

الرابعة : ان يعتبر فى اواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له المسجع

الخامسة : ان يحصل له مع ذلك وزن ، ويقال له ان قصد : الشعر .

والمنظوم اما محاورة وهو الخطابة ، واما مكاتبة وهو الرسالة .

فانواع الكلام فى نظر الالوسى لا تخرج عن هذه الاقسام ، ولكل من ذلك نظم مخصوص ، والقرآن فى نظره ايضا جامع لمحاسن الجميع بنظم مكتس ابهى حلل ومتعر عن اى خلل ، ومشتمل على مزايا حتى قيل فى بلاغته .

من كل لفظ تكاد الاذن تجمله
ربا ويعبده القرطاس والقلم

والبليغ اذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه .
كما يرى ان من ادلة اعجاز القرآن ببلاغته قوله : « ان اجناس الكلام مختلفة ، ومراتبها متفاوتة ، فمنها : الرصين الجزل . ومنها الفصيح القريب السهل ومنها الطلق الرسل ، وهذه اقسام الكلام الفاضل المحمود . فالاول اعلاها ، والثانى اوسطها والثالث ادناها . واقربها ، وقد حازت بلاغة القرآن من كل قسم من هذه الاقسام اوفر حصة ، واخذت من كل نوع اعظم شعبة ، فانتظم لها بانتظام هذه الاوصاف نمط من الكلام يجمع صفتى للفخامة والعذوبة . وهما كالمتضادين ، فكان اجتماع الامرين مع نبو كل منهما عن الاخر فضيلة .

وقد سبق بتقسيم الكلام الى طبقات ، وجمع القرآن لها من الرمانى على بن عيسى (انظر ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن تحقيق الاستاذ محمد خلف الله احمد وزميله)

وسبقه الى ان القرآن يجمع بين صفتى الفخامة والعذوبة ولا يدركها الا اصحاب النظر السليم والفكر المستقيم (السكاكى) .

ثم بعد عده وجوه الاعجاز وحصرها فى اربعة وراى ان اشهرها وبه اخذ الجمهور هو بلاغته وفصاحته حيث بلغت الرتبة العليا ، والغاية القصوى التى لم تكد تخفى على اهل هذا الشان حتى النساء ، كما يحكى ان الاصمعى وقف متعجبا من امراة تنشد شعرا فقالت : اتعجب من هذا ؟ اين انت من قوله تعالى : (واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه ، فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) فقد جمع امرين ، ونهيين ، وبشارتين اى مع مافيه مما يدرك بالذوق ، ثم لم ينس راى عبد القاهر الجرجانى الذى قصر اعجاز القرآن على النظم وجعل غيره تابعا له ، قائلا : ان الاعجاز المتعلق بالفصاحة والبلاغة لا يتعلق بعنصريه اللذين هما اللفظ والمعنى ، فان الالفاظ الفاظهم حيث قال تعالى . قرآنا عربيا ، بلسان عربى .

ولا بمعانيه ، فان كثيرا منها موجود فى الكتب المتقدمة عليه حيث قال تعالى : (وانه لفى زبر الاولين) .. وانما هو متعلق بالنظم المخصوص الذى هو صورة القرآن وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره ، واستشهد بالخاتم والقرط والسوار اذا كان اصلها احد او مختلفا (انظر روح المعانى ١ : ٢٨) ، وهو فى رايه الذى اختاره يتفق مع الاصبهانى فى تفسيره الا ان الاصبهانى جمع بين الصرفة والقول بالنظم والبلاغة وهما متناقضان وقد سلم قول الالوسى من هذا التناقض .

ولم يقف امر الالوسى فى الكشف عن اعجاز القرآن البيانى عند المقدمة بل تكلم عن اشياء تتعلق بالاعجاز عند تفسير آيات التحدى فى سورة الطور ، وسورة الاسراء وسورة هود .

ودراسة الالوسى لاعجاز القرآن البيانى لم تات بجديد فى هذه الدراسة اكثر من جمع آراء السابقين ومناقشتهم فيما قالوه وان امتاز بترجيح بعض الآراء احيانا فالالوسى فى مطلع العصر الحديث كان رايه فكرة المتقدمين مختصرة واضحة ، كما كان تفسيره امتدادا لتفسير الكشاف للزمخشرى من الاهتمام بالمسائل البلاغية والنحوية ، كما يلمح مذهبه الاشارى فى التفسير ، وقوله الضمنى باعجاز القرآن العلمى الغيبى .

الإسلام بين العقل والنقل

للأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

« واطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم »

ان نظرة عابرة او عميقة الى تاريخ المسلمين منذ اواخر عصر عثمان تنبىء الناظر بأن العرب المسلمين المخلصين الذين كانت اعمالهم واحوالهم مطبقة على ماجاء في الكتاب والسنة كانوا في الواقع ضحية لمؤامرة خبيثة دبرت بفلسفة وتفكير لافساد عقيدتهم البسيطة التي هي « توحيد الله والعمل بما نص عليه كتابه ، ثم اتباع سنة رسوله » وقد دبرت تلك الفتن بايدى والسنة وافكار الداخلين في الاسلام من الملل الاخرى والحاقدين عليه المتسترين به ، ثم ترقب الفرص لابتكار عوامل التنازع والتفرقة بين المسلمين .

وانتظروا حتى قتل عثمان . فوجدوا الفرصة سانحة ، فجمعوا امرهم على أن يجعلوا الفتنة تتشعب بين فريقين ، فريق المتحزبين لعلي ، والمطالبين بدم عثمان فاشعلوا النار وزادوها وقودا ثم نفخا ، وكان الغرض الحقيقى اطفاء نور الاسلام تعصبا لاديانهم السابقة وتاخير المسلمين عن المجد العريض الذى كان ينتظرهم وقد بدأوا في تحقيقه بالفعل .

فامثال العبادلة اليهود ، عبدالله بن سبأ ، الشهير بابن السوداء ، وعبد الله كعب الاحبار وعبد الله بن أبى ، كان أولئك من أصل يهودى وادعوا قبول الدخول في الاسلام ظاهريا . ثم كتموا غرضهم الحقيقى ولم يجهروا بدعوة السوء حتى تجىء فترة قلقة مضطربة من حياة المسلمين كالحال في فتنة قتل عثمان ، وهي فترة الاختلاف بين علي ومعاوية على الخلافة فبداوا بالدس والتحريض ولما وجدوا مستمعين لهم واطمانوا الى انه قد صار لهم اتباع بداوا ببث سمومهم القذرة لتشويه العقيدة الاسلامية .

فعبد الله بن سبا ادعى الوهية علي ، وان روح الله وروح الرسول قد حلت فيه ، وعبد الله بن السوداء يهودى من اهل الحيرة اظهر الاسلام تقية وكيدا واراد ان يكون له اتباع من اهل الكوفة فذكر لهم انه وجد في التوراة ان لكل نبى وصية وان عليا رضى الله عنه وصى محمد وانه خير الاوصياء كما ان محمدا خير الانبياء وقد انتقل الروح الالهى الذى فى محمد بعده الى علي فلما سمع ذلك علي رضى الله عنه وما حاكاه في حقه من غلو ومبالغة هم بقتله فنهاه ابن عباس عن ذلك وقال له ان قتلته اختلف عليك اصحابك واصحابه ، وكان قد بلغه ايضا فتنة عبد الله بن سبا فنفاهما الى المدائن وامر بقتل بعض اتباعهما ، فافتتن بهما الرعاع ولا سيما بعد قتل علي رضى الله عنه . وقال لهم ابن السوداء ، والله لينبض مسجده بالكوفة عينان تفيض احداهما عسلا والاخرى سمنا ، ويغترف منهما شيعته ، وذلك الى يوم القيامة لان روح النبى وروح الله ممتزجتان بروحه .

ومن هذا يرى أن الهدف الذى كان يرمى اليه عبدالله ابن سبأ وابن السوداء لم يفت عليا رضى الله عنه . وقد ادرك انهما كانا يريدان من وراء ذلك افساد الدعوة وتشويه العقيدة .

ولذلك عمل علي رضى الله عنه بكل مافيه من قوة للقضاء على مثل هذه الدعوة في قوة وعنف .

وقد زعم بعض غلاة الكوفة من اتباع ابن سبا . ان عليا نبى ثم زاد غلوهم واصرافهم حتى زعموا انه اله فلما بلغ ذلك عليا استتابهم وامرهم بالرجوع الى توحيد الله وحده وان الرسول خاتمة الرسل جميعا ، فلما لم يقبلوا امر باحراقهم فى حفرتين .

ثم ساعد على قيام الفتنة ان البواعث العنصرية والعصبية وهى من طباع الجاهلية قد ظهرت في عهد عثمان بن عفان . وساعد على ذلك الدخلاء من غير العرب الذين تمسلموا ارتدوا رداء الاسلام ظاهرا ولم ياخذوا باحكامه حقيقة واستعانوا على ذلك بقوتين هائلتين . الفلسفة العقلية وهى اما الاسرطية ، او الافلاطونية الحديثة مزجت بتهاويل اسرائيلية او مبالغات مسيحية وذلك زاد الطين بله ولم يكن معاوية ولا احد من اسرته

ليقبل ان تخرج من ايديهم تلك الامتيازات التى تمتعوا بها منذ خلافة قريبهم عثمان ، فيصبحوا وليس لهم من الامر شئ • ولذلك دبر معاوية ومستشاروه من امثال عمرو بن العاص تلك المكيدة الاثيمة وهى مكيدة التحكيم

وكان مندوب معاوية فى التحكيم هو داهية العرب وامكرهم عمرو بن العاص اما مندوب على وهو ابو موسى الاشعرى المشهور عنه انه تقى ورع حسن النية لم يتصور أن يؤول التحكيم الى مثل ما آل اليه من الخديعة واللؤم والمكر . وأراد أن ينتخب المسلمون لهم خليفه عن طريق الشورى وان كان عليا أو معاوية •

فلما اقترح عليه عمرو بن العاص ان يخلع كل منهما صاحبه ليريح المسلمين من حرب ضروس ومن سفك دماء بعضهم بعضا قبله بدون مناقشة وهكذا ابتدأت بوادر هزيمة على بخديعة عمرو ومعاوية •

وقد اخطأ ابو موسى خطأين بينيين :

الخطأ الاول . قبوله المساومة بين على ومعاوية فى عوامل الاختلاف بينهما مع شدة الفرق الشاسع بينهما . فالأول خليفة بايعه أكثر المسلمين والثانى عامل خارج عن طاعه الخليفة وعن اجماع الامة •

الخطأ الثانى : خروجه عن حدود الوكاله ومقتضياتها وحقها المقدس • لانه بدلا من ان يدافع عن حق موكله ومصالحه التى ائتمنه عليها يحاول سلبه هذا الحق ويهدر مصالحه بقبوله بدون تمعن ولا نقاش اقتراح عمرو بن العاص بأن يخلع كل منهما صاحبه - ثم يختار بعد ذلك المسلمون خليفة لهم من أتقياء المسلمين وصلحائهم وكان من دهاء عمرو ان قدم ابا موسى ليخطب قبله مدعيا تعظيمه واجلاله •

فلما اعلن ابو موسى خلع على اعلن بعده عمر تمسكه بمعاوية فظهرت حينئذ تلك الفتنة التى كان ضحيتها على وابو موسى الاشعرى وظهر الخوارج الذين قالوا لا حكم الا الله » وسموا الخوارج ، والخوارج من قبيلة بنى تميم من اعرق قبائل العرب ، وقد ابى الخوارج التحكيم وتنكروا له وكفروا من أخذ به وشكوا فى احقية الفريقين وادعوا انهم ماحاربوا الا لايمانهم أنهم على الحق وان شهداءهم فى الجنة وأنهم المدافعون وحدهم عن الحق والزود عن عقيدتهم واما قبول التحكيم فهو تشكيك فى هذا الحق وخروج على حكم الله . وطلبوا من على ان ينقض ما ابرمه مع معاوية من شروط وبذلك ينضمون تحت لوائه من جديد لمحاربة معاوية . ولكن عليا لم يقبل ان يكون هو البادىء بنقض مابينه وبين معاوية من مواثيق برغم انها تمت تحت مؤامرة خسيسة . واخذ يستهديهم ويستميلهم . ولما أخفق رحل من صفين مع من بقى من جنده الى الكوفة وتخلف الخوارج طبعا • ثم قام احدهم خطيبا فقال :

« اما بعد • فوالله ماينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن ويدينون الى حكم القرآن ان تكون هذه الدنيا آثر عندهم من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق . فاخرجوا بنا اخواننا من هذه القرية الظالم اهلها الى بعض كور الجبال او الى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة •

وذهبوا بعد ذلك الى بلدة قريبة من الكوفة تسمى « حرور » وأمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبى •

والخوارج قوم من الاعراب الاقحاح الذين لما تهذب طباعهم الاسلامية . فصوغت لهم اهواؤهم التعصب والتزمت الشديد • فبرروا وسائلهم الوحشية فى سبيل مايزعمونه الحق والزود عن العقيدة والواقع انهم تغلبت عليهم طباع البداوة من الجهل والجموح والشرود عن سبيل الجماعة • مع قول الله تعالى :

« واطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »

اطيعوا الله فيما جاء من كتابه الذى اوحى به الى الرسول واطيعوا الرسول فى سنته القولية والعملية وهى تارة تكون مفسرة للقرآن او مفصلة فيه او مخصصة لاجماله واولى الامر منكم . اى اولو العلم بالكتاب والسنةمن جماعة المسلمين - وذلكهو الاجماع والصحابة وهم الائمة من المسلمين فلا يجمعون على باطل •

والخوارج باعتبارهم من المسلمين قد علموا تلك الاصول الاسلامية ولو تقليدا وكما يجب عليهم التمسك بها ولا يظن فيهم انهم يدركون اعماق السياسة ولا انهم تدربوا على أصولها . وهذا وذاك مما يثبت أن الذى اقامهم على الفتنة تاثيرات خارجية من يهودية ومسيحية وفارسية وايضا سياسية وفلسفية يحملها قوم دخلاء كل غايتهم العداء الخفى للاسلام وللمسلمين ومزج العقيدة الطاهرة بعقائد اخرى مسرفة كيفت آراء الخوارج فى السياسة والدين وفى الاخلاق • وانهم كانوا ضحية لما كان يسود حياة العرب اذ ذاك من فوضى وهم القريبو العهد بالاسلام من جهالة وسذاجة تسهل ادخال العقائد الضالة والتاويلات الفاسدة لآيات الكتاب الكريم والتصديق بالاسرائيليات المنصبة فى اطار احاديث موضوعة ومنسوبة الى نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم •

هذا والخوارج على زعمهم كانوا يسعون الى التمسك بحقيقة الاسلام وجوهره وأن أخطأوا الطريق الى ذلك فهم مثابون بأنهم عند انفسهم من المجتهدين والفرق ظاهر طبعا بين رغبة افساد العقيدة وبين الخطأ فى سبيل المحافظة عليها •

هذا ومن طريف نوادرهم باعتبارهم من الاعراب الاقحاح تلك التى ذكرها المبرد فى كامله لاظهار فهمهم السقيم لمعنى الدين قال « من طريف اخبار الخوارج انهم اصابوا مسلما ونصرانيا • فقتلوا المسلم ورافقوا بالنصرانى • ثم قالوا احفظوا ذمة نبيكم • وفى اخرى لقيهم عبد الله بن خباب وفى عنقه مصحف ومعه امراته وهى حامل فقالوا - ان الذى فى عنقكم ليامرنا ان نقتلك . ولكن لنا قبل ذلك أن نسالك ما تقول فى أبى بكر وعمر • فاثنى خيرا • قالوا : فما تقول فى على قبل التحكيم وفى عثمان ؟ فاثنى خيرا • ثم قالوا : فما تقول فى التحكيم ، قال : اقول ان عليا اعلم بكتاب الله منكم واشد توقيا على دينه • قالوا : انك لست تتبع الهدى - فذبحوه وساوموا رجلا نصرانيا على نخله له - فقال : هى لكم • فقالوا له : ما كنا لناخذها الا بثمن • قال النصرانى : مااعجب هذا • اتقتلون عبدالله ابن خباب وهو مسلم ولا تقبلون ثمن نخله •»

وهذه السذاجة فى الدين وفى الدنيا تدل على مبلغ ما بالقوم من سهولة الانخداع بالاراء المضللة والفتن المفسدة التى حملها الى الاسلام بعض أهل الملل السابقة لافساد عقائد اهله • وتضليل افكارهم وتسميم نفوسهم •• وقد تستروا بالاسلام ظاهرا كما قدمنا فاسفر كيدهم عن ظهور الشيعة بفرقها • ثم الخوارج بحروبها وسفكهم للدماء دون حق واضح يقره الاسلام ويقبله المسلمون • ثم المتفلسفة والمعتزلة وبعض ادعياء التصوف الاجنبى عن روح الاسلام •

فالبذور الأولى لخروج الخوارج على الاجماع ولتشيع الشيعة ترجع فى حقيقتها الى سائر العناصر المعادية للاسلام يهودية أو نصرانية او فارسية او ايلينية وليس واحدة منها فقط • انما عملت فيها كل هذه العناصر تعاونه عليها ولا سيما من جهة الاعتزال والتشيع •

القومية العربية في شعر شوقي

الدكتور أحمد الحوفي

تحدثت عن الوجدان العربي المشترك ممثلا في التآلف والتعاطف وفي الحملة على الاستعمار والسخط على فظائعه .

٣ - رثاء المجاهدين

أمة واحدة فى وطن واحد .

أمة وفية لأبطالها المجاهدين وعظمائها الراحلين .

وشعراؤها كلفون بالبطولة وبالمجد ، تياهون بالأبطال والماجدين ، فمن الطبيعي أن يكون الشهيد في اقليم عربي شهيد الوطن العربي كله ، وأن يكون العظيم فى بلد عربي عظيما فى نظر العرب أجمعين .

ولهذا تجاوب الشعراء برثاء الزعماء والقادة والشهداء والعظماء .

وكان شوقي من السباقين فى هذا المجال .

فلما احتفلت سورية بذكرى استقلالها سنة ١٩٢٨ ، مجد شوقي شهداءها ، واختص بطلها يوسف العظمة بالاشادة ، وقد كان يوسف وزير الحربية فى حكومة فيصل بن الحسين بعد فتح سورية بقيادة فيصل ، واستطاع يوسف بعد المناداة بفيصل ملكا على سورية أن ينظم جيشا وطنيا من عشرة آلاف مقاتل . فلما أعلن الحلفاء فى مؤتمر سان ريمو سنة ١٩٢٠ فرض الانتداب على سورية ، وتحرك الجنرال غورو ليحتل دمشق ، نهض يوسف العظمة لصده ، وكانت موقعة ميسلون التى أبلى فيها العرب أعظم بلاء ، واستشهد فيها يوسف ، فكان من طلائع شهداء الحرية والعروبة .

صور شوقي قبر يوسف العظمة يهتف بالجهاد للثأر له من الفرنسيين ، ونوه ببطولته فى مناضلة الجيش الفرنسي الباغي المستظهر بطياراته ودباباته ، وكيف استهان بها يوسف ، وثبت فى مكانه كالطود ، حتى استشهد أبيا فى ميدان الشرف ، مبكيا من المسلمين والنصارى جميعا :

سأذكر ما حييت جدار قبر
بظاهر جلق ركب الرمالا

مقيم ما أقامت ميسلون
يذكر مصرع الأسد الشبالا

لقد أوحى الى بما شجاني
كما توحي القبور الى الثكالى

تغيب عظمة العظمات فيه
وأول سيد لقي النبالا

ترى نور العقيدة فى ثراه
وتنشق من جوانبه الخلالا

مشى ومشت فيالق من فرنسا
تجر مطارف الظفر اختيالا

ملأن الجو أسلحة خفافا
ووجه الأرض أسلحة ثقالا

وأرسلن الرياح عليه نارا
فما ضل الجنوب ولا الشمالا

أقام نهاره يلقى ويلقى
فلما زال قرص الشمس زالا

وطاح تسرى به قيد المنايا
ولست ترى الشكيم ولا الشكالا

فكفن بالصوارم والعوالى
وغيب حيث جال وحيث صالا

اذا مرت به الأجيال تترى
سمعت لها أزيزا وابتهالا

تعلق فى ضمائرهم صليبا
وحلق فى سرائرهم هلالا

ورثى الزعيم السورى فوزى الغزى سنة ١٩٣٠ ، وبكى فيه بطلا عربيا كان يذود عن الوطن كما ذاد اسلافه من بنى عبدشمس وبنى **امية ، وختم القصيدة بدعوة المجاهدين ان يرعوا وحدتهم ، واستحلفهم بالله وبمحمد وبعيسى وبالغزى أن يعتصموا بالوحدة ،لأن خروج واحد من الصف قد يحبط التدبير المحكم ، والتفكير السديد ، والجهاد المظفر**

جرح على جرح حنانك جلق
حملت مايوهى الجبال ويرهق

ياماتما من عبد شمس مثله
للشمس يصنع فى الممات ويتسق

ان ضاق ظهر الارض عنك فبطنها
عما وراك من رفات اضيق

لما جمعت الشام من أطرافه
وافى يعزى الشام فيك المشرق

يبكى لواء من شباب أمية
يحمى حمى الحق المبين ويخفق

من مبلغ عنى شبولة جلق
قولا يبر على الزمان ويصدق

لله جل جلاله بمحمد
بيسوع بالغزى لاتتفرقوا

قد تفسد المرعى على أخواتها
شاة تند عن القطيع وتمرق

ورثى سنة ١٩٣٠ الحسين بن على زعيم الثورة العربية على الأتراك ، وأحسن الاعتذار له عن مهاجمته من قبل ، لأنه تبين ان الحسين مناضل كان يأمل تحرير العرب ، ولكن الاستعمار خدعه :

قد بعثت القضية اليوم ميتا
رب عظم أتى الأمور العظائم

أنت كالحق ألف الناس يقظا
ن وزاد ائتلافهم وهو نائم

حبذا موقف غلبت عليه
لم يقفه للعرب قبلك خادم

ذائدا عن ممالك وشعوب
نقلت فى الأكف نقل الدراهم

كل ماء لهم وكل سماء
موطن الخيل أو مطار القشاعم

ورثى الشهيد عمر المختار ، بطل طرابلس الذى لقى الايطاليين فى عشرات المواقع ، فلما قبضوا عليه أعدموه سنة ١٩٣١ ولم يعطفهم عليه ماعرفوا من بطولته وشغفه بوطنه ولم يرحموا سنه التى نيفت على التسعين .

وقد حمل فى مرثيته على ايطاليا ، وأنذرها بثأر أشد وأنكى ، وصور رفات الشهيد المواراة بالثرى كنزا من الحماسة المتقدة ، يستنهض العرب فى كل وقت أن يثأروا لشهيدهم ، وان يقتدوا بجهاده ، وايقن انهم سيورثون أبناءهم بغضهم للايطاليين والدأب على نضالهم ، حتى يطردوهم من ديارهم ، ثم ختم القصيدة بنصائح اختص بها الشباب الليبى .

ركزوا رفاتك فى الرمال لواء
يستنهض الوادى صباح مساء

ياويحهم نصبوا منارا من دم
يوحى الى جيل الغد البغضاء

جرح يصيح على المدى وضحية
تتلمس الحرية الحمراء

أفريقيا مهد الأسود ولحدها
ضجت عليك أراجلا ونساء

والمسلمون على اختلاف ديارهم
لايملكون مع المصاب عزاء

والجاهلية من وراء قبورهم
يبكون زيد الخيل والفلحاء

لبى قضاء الأرض أمس بمهجة
لم تخش الا للسماء قضاء

وافاه مرفوع الجبين كأنه
سقراط جر الى القضاء رداء

وأتى الأسير يجر ثقل حديده
أسد يجرر حية رقطاء

عضت بساقية القيود فلم ينوء
ومشت بهيكله السنون فناء

٤ - الفرح المشترك

كانت أهازيج البهجة فى اقليم من الوطن العربى تتجاوب بها بقية الأقاليم وكثيرا ما صور الشعراء أفراح العرب المشتركة ، وابتهجوا بها .

فحينما احتفلت سورية سنة ١٩٢٨ بعيد استقلالها حياها شوقى بقصيدة أشاد فيها بالأحياء من الأحرار وبالشهداء والأبطال ، ونوه بها بين مصر وسورية من اخاء ومن ضيق بقيود الاستعمار .

بنى البلد الشقيق عزاء جار
أهاب بدمعه شجن فسالا

قضى بالأمس للابطال حقا
وأضحى اليوم بالشهداء غالى

يعظم كل جهد عبقرى
أكان السلم أم كان القتالا

وما زلنا اذا دهت الرزايا
كأرحم ما يكون البيت آلا

ثم حضهم على الاتحاد والعمل الدائب فى السلم وفى الحرب ، ودعاهم الى الاعتصام باخاء المسلمين والنصارى ، والى الحرص على التئام الشمل ، وذكرهم بوعود الاستعمار الخادعة وعهوده المنقوضة ، ليأخذوا حذرهم :

بنى سورية التئموا كيوم
خرجتم تطلبون به النزالا

سلوا الحرية الزهراء عنا
وعنكم هل أذاقتنا الوصالا ؟

وهل نلنا كلانا اليوم الا
عراقيب المواعد والمطالا ؟

عرفتم مهرها فمهرتموها
دما صبغ السباسب والدغالا

دعوا فى الناس مفتونا جبانا
يقول : الحرب قد كانت وبالا

وكونوا حائطا لا صدع فيه
وصفا لا يرقع بالكسالى

وعيشوا فى ظلال السلم كدا
فليس السلم عجزا واتكالا

للبحث بقية

الشريعة الإسلامية و القانون المدني

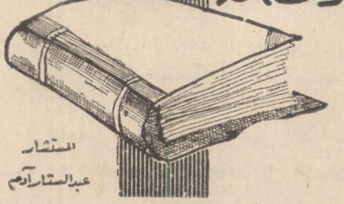

المستشار
عبد الستار آدم

ينادى البعض فى الوقت الحاضر بان تكون الشريعة الاسلامية الغراء مصدرا أساسيا للتشريع ، وعلى الاخص التشريع المدنى ، وقد طالب أصحاب هذا الراى بتاليف لجنة أو لجان من رجال الشريعة الاسلامية والقانون - للدراسات الشرعية يحدد لها هدفها ومنهاجها ومدة عملها .. ولقد كان لهذا الراى صداه فى مجلة منبر الاسلام فى مقال نشر بالعدد العاشر من السنة الثانية والعشرين - شوال سنة ١٣٨٤ (٢ من فبراير سنة ١٩٦٥) .

واود أن اشير فى هذا المقام بان المشرع المصرى لم يكن بعيدا عن الشريعة الاسلامية ومبادئها السامية عندما وضع ، على الاخص ، التقنين المدنى المصرى الحالى الذى صدر فى سنة ١٩٤٨ وعمل به اعتبارا من ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٩ ، وهو اليوم الذى بسط فيه القضاء الوطنى ولايته على سكان البلاد اجمعين - مصريين واجانب على حد سواء ، وعلى ذلك فان وضع تشريع مدنى ، يكون مصدره الاساسى الشريعة الاسلامية لن يكون عسيرا .

اما كيف أن المشرع المصرى لم يكن بعيدا عن الشريعة الاسلامية ومبادئها عند وضع التقنين المدنى فاقول : ان أول تقنين مدنى مصرى قد صدر فى سنتى ١٨٧٦ و ١٨٨٣ . وكان الاول خاصا بالاجانب المتمتعين بالامتيازات وسمى (القانون المدنى المختلط) وكان الثانى خاصا بباقى المواطنين وسمى (القانون المدنى الاهلى) .. وقد كان فى هذا التقنين عيوب كثيرة لخصت فى مقال نشر بمناسبة العيد الخمسينى للمحاكم الوطنية (التى كانت تسمى حينذاك المحاكم الاهلية) .. وكان مما جاء فى هذا المقال ان ذلك التقنين « فيه نقص ثم فيه فضول ، وهو غامض حيث يجب البيان ، مقتضب حيث تجب الافاضة ، ثم هو يسترسل فى التافه من الامر فيعنى به عناية لا تتفق مع أهميته المحدودة ، يقلد التقنين الفرنسى تقليدا اعمى فينقل كثيرا من عيوبه وهو بعد متناقض فى نواح مختلفة ويضم الى التناقض أخطاء معيبة » .

ولذلك شعر المشتغلون بالقانون بحاجة التقنين المذكور الى تعديل فى كثير من أحكامه وذلك بسبب الظروف التى وضع فيها والمصادر التى استمد منها احكامه ولذلك فقد ادخلت عليه عدة تعديلات فى أوقات مختلفة واخيرا وفى سنة ١٩٤٨ تم وضع التقنين المدنى المصرى الحالى - على ما تقدم - والمشرع المصرى لم يكن بعيدا عن الشريعة الاسلامية ومبادئها عند وضعه هذا التقنين الاخير ويبين ذلك بوضوح من الرجوع الى نصوصه والى مذكرته التفسيرية والاعمال التحضيرية الخاصة به والتى يبين منها ، بادىء ذى بدء ، انه قد نص فى مادته الاولى على أنه « تسرى النصوص التشريعية على جميع المسائل التى تتناولها هذه النصوص فى لفظها أو فى فحواها . فاذا لم يوجد نص تشريعى يمكن تطبيقه حكم القاضى بمقتضى العرف ، فاذا لم يوجد فبمقتضى مبادىء الشريعة الاسلامية ، فاذا لم يوجد فبمقتضى مبادىء القانون الطبيعى وقواعد العدالة » .

وتطبيقا لصريح هذا النص فان القاضى المصرى - اذا لم يجد نصا تشريعيا أو عرفا يطبقه على النزاع المدنى المعروض عليه - فانه يفصل فى هذا النزاع بمقتضى مبادىء الشريعة الاسلامية .. ومن ثم فان المشرع فى واقع الامر قد جعل الشريعة الاسلامية جزءا من القانون المدنى المصرى أو هى على الاقل ، متممة له وبالتالى يتعين على القاضى أن يكون مسلما وعالما بمبادىء تلك الشريعة الغراء .. وكان هذا بلا ريب فتحا عظيما للشريعة الاسلامية .. ولم يقتصر الامر على ذلك بل ان المشرع كذلك عند وضع ذلك التقنين قد استند الى مصادر اربعة . هى : القانون المدنى الذى كان ساريا حينذاك والذى وضع فى سنتى ١٨٧٦ ، ١٨٨٣ ، على ما تقدم ، والقضاء المصرى ، والتقنينات المدنية الحديثة .. والمصدر الرابع هو الشريعة الاسلامية فهذه الشريعة اذن هى احد مصادر التقنين المصرى ، بل ومن اهمها ، اذ انه قد استمد منها كثيرا من نظرياتها العامة وكثيرا من أحكامها التفصيلية . فمن أهم ما اقتبسه من النظريات العامة تلك النزعة المادية أو الموضوعية التى تميز الفقه الاسلامى ونظرية التعسف فى استعمال الحق ومسئولية عديم التمييز وحوالة الدين ومبدا الحوادث غير المتوقعة والمبدأ القاضى بالا تركه الا بعد سداد الدين .. اما الاهلية والهبة والشفعة فقد اخذت برمتها من الشريعة الاسلامية .. اما الاحكام التفصيلية التى اقتبسها فمنها مجلس العقد وايجار الوقف والحكر وايجار الاراضى الزراعية وهلاك الزرع فى العين المؤجرة وفسخ الايجار بالعذر ووقوع الابراء من الدين بارادة منفردة بالاضافة الى الاحكام الاخرى التى سبق أن اقتبسها التقنين القديم من الشريعة الاسلامية وجاراه فيها التقنين الحالى كأحكام بيع المريض مرض الموت والغبن وخيار الرؤية وتبعة الهلاك فى المبيع وغرس الاشجار فى العين المؤجرة والاحكام المتعلقة بالعلو والسفل وبالحائط المشترك .

وفى مقال سابق نشر لى بهذه المجلة - فى العدد الثانى من السنة الثالثة والعشرين صفر سنة ١٣٨٥ (أول يونيه سنة ١٩٦٥) تحدثت عن مسئولية عديم التمييز فى الشريعة الاسلامية وما اقتبسه منها التقنين المدنى المصرى الحالى .. وساحاول بعون الله سبحانه وتعالى - فى مقالات أخرى أن اتحدث بالتفصيل عما اجملت فى هذا المقال من الاحكام الاخرى التى اقتبسها المشرع المصرى عن الشريعة الاسلامية الغراء .

والله ولى التوفيق .

التكافل الاجتماعي في الاسلام اسمى مراتب القيم الانسانية

الدكتور محمد سلام مدكور

بينا فى العدد السابق ، ان دعوة الاسلام كانت ثورة اصلاحية كبرى وجهت الناس الى أخوة متعاونة وعدالة اجتماعية شاملة ، مقياس النفوس فيها ما تسديه للانسانية من خير أو شر . فالفرد مسئول عن الجماعة والجماعة مسئولة عن الفرد حتى وجب على اهل كل قرية أو مدينة ان يوفروا لكل فرد فيها شئون الحياة واذا قصروا وجب على ولى الامر بحكم الشرع أن يجمع منهم المال اللازم لذلك .

وقلنا ان التكافل الاجتماعى فى الاسلام ،لم يقف عند المال فقط ، وانما تناول كل النواحى والصلات وجعل التكافل الروحى طريقا للتكافل فى محيط التعامل ، ولذا كان التكافل فيه منبعه الوازع والضمير وابتغاء فضل الله ، وكانت تعاليمه توجه الى الزهد فى جمع المال لا لاكتنازه وانما لانفاقه فيما يعود على الجماعة بالنفع .

وانتهينا بالوعد ببيان التكافل الاسلامى فى كل من محيط الاسرة ، والعلم والمعاملات والعمل وفى محيط المسئوليات والتبعات ،ثم فى محيط المال .

التكافل فى محيط الاسرة :

الاسرة هى اللبنة الاولى فى بناء المجتمع الانسانى ، وهى أساس صلاحه ، واذا صلح الاساس صلح البناء واذا تم التكافل بين أفراد الاسرة فقد صلح المجتمع وقام بناؤه على اساس متين ، فللاسرة دور أساسى فى بناء المجتمع وتحديد سماته ، فهى المجال الذى يتربى فيه الفرد جسميا وخلقيا وعقليا فيخرج الى المجتمع وقد تشكلت شخصيته على الصورة التى تهيئها له هذه التربية فيجد فيها الطاقة التى ينفذ منها الى المجتمع ويرى فيها الأشخاص الذين يقتدى بهم وينهج نهجهم ، وفى الاسرة تتحدد طباع الصغار وأفكارهم وعواطفهم على قدر ما يسود الاسرة من نظام يكون الامل فى أن تكون موردا للعمل الصالح ، ومن هنا تكون اهمية تنظيم الاسرة فى كل المجتمعات .

ولذا فان التشريع الاسلامى عنى بالاسرة اكمل عناية وقومها أصدق تقويم ، وجعل التكافل والتضامن اهم ما يمتد به ، وانما يتحقق ذلك التكافل بالتعاون فى احاطة الاسرة بجو من البشر والسعادة والمودة والرحمة ، ولذا فان الشارع وضع أصول عقد الزواج وقواعده ونظم أحكامه وشرائعه لان الزواج حجر الاساس والدعامة الكبرى التى يقوم عليها بناء الاسرة ، ولان احكامه تعالج امورا سداها ولحمتها الاحساس والعاطفة وتقوم اكثر ما تقوم على المشاعر والروابط النفسية وهى فى الأغلب من الأمور الدقيقة الخفية ، وكثير من هذه الأحكام لاينفع الجبر فى حمل

الناس على امتثاله ، ولانه السبيل الوحيد الى الحياة الهانئة السعيدة ، فهو الذى يكفل للزوجين حياة يسودها سكن النفوس واطمئنان القلوب ، وتتوافر فيها الثقة المتبادلة ، ويكفل لهما المودة الخالصة والمحبة الصادقة والتراحم والتعاون فى السراء والضراء .

فانظر الى التوجيهات الكريمة فى تأكيد الرباط بين الزوجين وتقويته وتنبيه كل من الزوجين الى حق الآخر عليه وما كان ذلك كذلك الا لانها قوام الاسرة واساسها اذا تعاونا تعاونا صادقا وتحابا وتخالصا واحسنا القوامة والرعاية على الابناء كما احسنا الود والصلات بين افراد الاسرتين ، ولذا فان الله سبحانه وتعالى قد امتن على عباده ببيان الصلة التى تربط الزوجين فأخبر أن المرأة جزء من الرجل وقطعة منه « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » . وبين لنا أن أساس الصلة بين الزوجين التعاون فى توفير الهناءة والأنس يقول جل شانه « .. **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن .** » ويقول سبحانه « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة** » .

ومن اجل تحقيق هذا الاساس من امكان التعاون الصادق شرعت الخطبة وأبيح لكل من الخاطبين أن يتعرف على الآخر من ناحية خلقه وخلقه وكل نواحيه التى تهمه ، ووجهنا الشارع الى التروى عند الاختيار والاستيثاق قبل التعاقد ، وجعل أساس الاختيار الصفات التى تكفل للاسرة سلامة البنيان وتحقق المقاصد السامية التى من اهمها السكن والمودة والتراحم . فاذا ما حصل الاطمئنان وتم التعاقد ، كان أمر الله بالمعاشرة بالمعروف يقول الله سبحانه « **وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** » ويقول الرسول « **أكمل المؤمنين أيمانا أحسنهم خلقا والطفهم بأهله** » **وقال فى آخر وصاياه « الله الله فى النساء فانهن عوان فى أيديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله** » .

وروت السيدة عائشة أن الرسول صلوات الله عليه قال : « **لو أمرت احدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة بأن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، ولا تجد امرأة حلاوة الايمان حتى تؤدى حق زوجها** » .

كما انه سبحانه حفاظا على بناء الاسرة عالج ما يحدث من خلاف بين الزوجين بضروب من انواع العلاج حتى تستقيم الحياة بينهما وتؤدى الفرض المنشود منها من تعاون وتكافل فى جو من الصفاء والحب والاخلاص ، فاذا استحال تحقيق ذلك أصبحت الحياة بينهما جحيما لايطاق وجرحا لا يندمل ولم تجد الوساطة والتحكيم كان لا مفر من فض هذه الشركة التى اثبتت الحياة فيها عدم التفاهم واستحالة التعاون والبر فشرع الله الطلاق وهو ابغض الحلال اليه ، وجعله المخرج الاخير الذى لا ينبغى اللجوء اليه الا بعد استنفاد جميع الوسائل واليأس من اصلاح ذات البين ولذا قال كثير من الفقهاء ان الاصل فى الطلاق الحظر والمنع لا الاباحة . وفى الأخذ بتشريع الطلاق سلامة من الضغط ومنع للجرائم والأمراض والعقد النفسية التى تترتب على عشرتهما وبقائهما معا تحت سقف واحد مع تحكم النزاع بينهما وفيه حفظ لهما من الزلل والفجور وفيه مجال لاختيار شركة اخرى قد يحسن فيها العيش وتهدأ فيها النفس ويطمئن اليها الفؤاد ويتحقق التعاون والود المنشود الذى يعود على الجماعة بالخير « **وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته** »

وفى جو هذا التشريع الذى احاط عقد الزواج بالرعاية والعناية يشعر الزوجان بأنهما يرتبطان برباط مقدس يظله الدين فى كل خطواته ويرسم طريق صلاحه وفلاحه ، فلا يتعديان حدود الله ويجتهد كل منهما فى المحافظة على هذا البناء الذى رعاه الله وأمر بالمحافظة عليه ما دام سليما أو سلامته ممكنة ولا يكون ذلك الا بالمودة والرحمة والوفاء والاخلاص والتعاون الصادق والتكافل الكامل وحتى يكون كل منهما سترا للاخر ودرعا له

وحتى يتم بينهما التعاون الصادق فى تربية وتوجيه من يقدمونهم للمجتمع من أولاد تتكون منهم الاسر .

والتكافل فى محيط الاسرة يتحقق معهذا بالتعاون على حفظ البدن ، وعلى تربيةالعقل والروح تربية فاضلةوبتقويم هاتين الناحيتين تكتمل الشخصية .

ودعامة حفظ الجسد هو ذلك التكافل المادى الذى يتمثل فى كل ما يكفل التربية البدنية الصحيحة التى تحول بينه وبين الضعف والانحلال ، واهم عامل فى تحقيق ذلك يتمثل فى النفقة التى تشمل الاطعام والكسوة والاسكان فى دائرة الامكان .

وقد أوجب الشارع النفقة على المسلم وجعلها حقا لكل من يعول من زوجة وولد محتاج ثم على كل من الوالدين والأقارب المحتاجين لها بحسب درجة القرابة يقول الله تعالى « **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة ،وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف** » ويقول جل جلاله « **قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين** » ويقول الرسول صلوات الله عليه « **ما أطعمت ولدك فهو لك صدقة ، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة** » . وتقدر النفقة بقدر ثروة المنفق « **لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما أتاها** » .

والزوج اذا كان معسرا والزوجة موسرة فان النفقة لا تجب عليها وحدها وانما تجب على الموسرين جميعا وجوبا كتابيا كما يرى جمهور الفقهاء ، غير انها اذا أقدمت على الانفاق من تلقاء نفسها واستقلت بالانفاق أو عاونت فيه كانت بهذا الصنيع موسعة على أسرتها وبارة بزوجها وبأولادها وكان لها اجر هذا البر ومثوبة تلك الصلة وكان هذا من قبيل التعاون والتكافل الذى يدعو اليه الاسلام .

بل يذهب أمام جليل من أئمة المسلمين وهو الامام ابن حزم الظاهرى مدون مذهب الظاهرية الى أن النفقة تجب على الزوجة الموسرة لزوجها المعسر وأولادها منه فيقول « اذا عجز الزوج الحر عن نفقة نفسه وكانت امرأته غنية كلفت هى بالنفقة عليه ،ولاترجع بشىء من ذلك ان أيسر ، واستدل لهذا بقوله تعالى « وعلى الوارث مثل ذلك » أى مثل ما على المولود له من النفقة . وقال : ان الزوجة وارثة لزوجها فعليها نفقته بنص القرآن » وهذا المذهب هو الذى يتفق مع ما أمر الله به من تكافل وتعاون ومع ماأحاط الشارع به عقد الزواج من روابط مقدسة ومعان سامية من المودة والتراحم والسكن ومع أن كلا منهما لباس للاخر ، فهى ولا شك أحق وأولى من سائر أغنياء الحى الاجانب بوجوب الانفراد بالنفقة ، وانها فى هذاكالورثة الاغنياء من قرابته بالنسبة لنفقة الاولاد والفقراء العاجزين عن التكسب، وأنهاوالاقارب الاغنياء أحق بنفقة أولادها وأقاربهم من بياسير الحى الأغراب ويجب أن يتقدموا عليهم فى الالتزام بها ، أما اذا كان الزوجان معسرين وليس له من تجب عليه النفقة فان التكافل فيها ينتقل الى دائرة أخرى هم أغنياء الحى وبيت مال المسلمين .

هذا وفى الحث على التعاون بين أفراد الأسرة جميعا فى النفقة والمعيشة يقول الله تعالى « **يسألونك ماذا ينفقون . قل ماانفقتم** من خير فللوالدين والاقربين واليتامى **والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم** » .

ومن تعاليم الاسلام وحرصه على بقاء المحبة بين أفراد الاسرة أنه لاينبغى اختصاص بعض الاولاد بشىء من المال الا العاجز أوطالب علم أو قريبهن ونحو ذلك حتى لا يوغر الصدور وتضعف الروابط ويروى فى هذا أن النعمان بن بشير قال : **اعطانى أبى عطية فاتى رسول الله فقال : يارسول الله انى اعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتنى أن أشهدك يا رسول الله . فقال له . اعطيت سائر ولدك مثل هذا . قال : لا قال : أليس تريد منهم البر مثل ما تريد من ذا . قال : بلى . قال . فاتقوا الله واعدلوا بين اولادكم وقال : فلا أشهد على جور** » .

وقد جعل الله تشريع الارث لايجاد التكافل بين أفراد الاسرة بعد الممات ولم يترك الشارع أمر توزيع التركة الى ارادة المورث وحده يوزعها على من يشاء ويحب ، وانما استأثر بتوزيعها على ما اقتضته حكمته وبينه لنا فى شريعته نظرا لصالح الاسرة وقضاء على الاهواء والمؤثرات الوقتية وتحقيقا لصالح الجماعة فى توفير الادخار وهذا لا يتحقق الا اذا اطمأن المدخر ان ما يدخره عائد الى من يحب ويؤثر وليس أحب ولا آثر عنده من فروعه وأصوله وحواشيه ، ومع هذا فالله أعلم بالأنفع والأحق « لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا » .

وفى الوقت نفسه ترك للمالك حق التصرف بوصية منه لمن يريد بره وصلته فى حدود الثلث ، فى هذا ما يطمئن المالك على ماله المدخر ، وما يدفعه للكفاح والعمل وما يحقق لأفراد الأسرة معونة مالية تكفلهم بعد حياة مورثهم وتمكنهم من مواصلة الحياة على وجه قريب مما كانوا عليه فى حياة مورثهم ، وفى هذا ايضا ما يرفع بعض العبء عن الدولة ويوفر لها ما تنفقه فى وجوه الاصلاح .

وفى الاحتكام الى نظام الارث ما يقوى الصلة والترابط بين أفراد الاسرة ويمنع من بينهم التنازع والتشاحن اذا التزموا حدود الله .

وأما وجوب التكافل بين أفراد الاسرة من الناحية الروحية فيدل عليه الكثير من نصوص القرآن والسنة وما أخذ به النبى صلوات الله عليه وأصحابه . الابناء والاسرة جميعا بالتعاون على الخير والتواصى بالحق واسداء النصح والارشاد وتقويم كل اعوجاج وانحراف وتهذيب النفس وتطهير العقل من كل رجس ودنس ، واشاعة الحب والتضامن والتكاتف والتعاون يقول الله تعالى « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا » ويقول فى حث الابناء على البر والوفاء بالوالدين «**وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** » . ويقول « وآت ذا القربى حقه » وقال الفقهاء أن بر الوالدين من أفضل القرب عند الله وأن عليه أن يتلطف بهما غاية التلطف فلا ينظر اليهما نظرة الحدة والغضب وان ظلما وان يتولى خدمتهما بنفسه .

وقد جعل الشارع الولاية للرجال على النساء والصغار يوجهونهم ويديرون شئونهم بما فيه صالحهم ويعودونهم أعمال الحياة حتى يعتمدوا على أنفسهم .

يقول الله تعالى « **الرجال قوامون على النساء** » وانها قوامة لصالح المرءوس أكثر مما هى لصالح الرئيس فالرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، وكفى بالمرء اثما أن يضيع من يعول . كما ورد فى الحديث .

والآباء يوجهون أبناءهم ويديرون شئونهم بما فيه صالحهم ويعودونهم أعمال الحياة حتى يعتمدوا على انفسهم يقول الله تعالى : « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم » فالاولياء يعملون ويكدحون من اجل مصلحة من فى ولايتهم لا يدخرون بحكم الشرع جهدا فى سبيل تقويم المعوج واصلاح الفاسد وهداية الضال وارشاد الحائر ، واسداء النصح اليهم اسهاما منهم فى بناء المجتمعات الفاضلة واشاعة للخير بين الناس ، وفى الحث على ذلك يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام « من دل على خير فله أجر فاعله ومن دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا » .

فانظر الى التوجيهات الكريمة فى شأن التكافل الاجتماعى فى محيط الاسرة : الزوجان يتعاونان تعاونا صادقا ، الأب يتكفل بالانفاق على أفراد أسرته ، الأم تقوم بالارضاع والحضانة والانفاق أحيانا ، والاولاد يتعاونون فى الانفاق على أبويهم عند الحاجة والاقارب عموما يعين الغنى الفقير بأمر الشرع ، وأفراد الاسرة جميعا يتعاونون فوق ذلك فى التوجيه والارشاد وتقويم العقل وتهذيب النفس ، واشباعها بمعانى الخير والقيم الانسانية .

والاسرة كما قلنا حجر الاساس فى بناء المجتمع واذا صلح الاساس صلح البناء ولذا فقد عنى المشرع الاسلامى بأحكام الاسرة وجعل التكافل المادى والادبى أساس قوامها .

« **يتبع** »

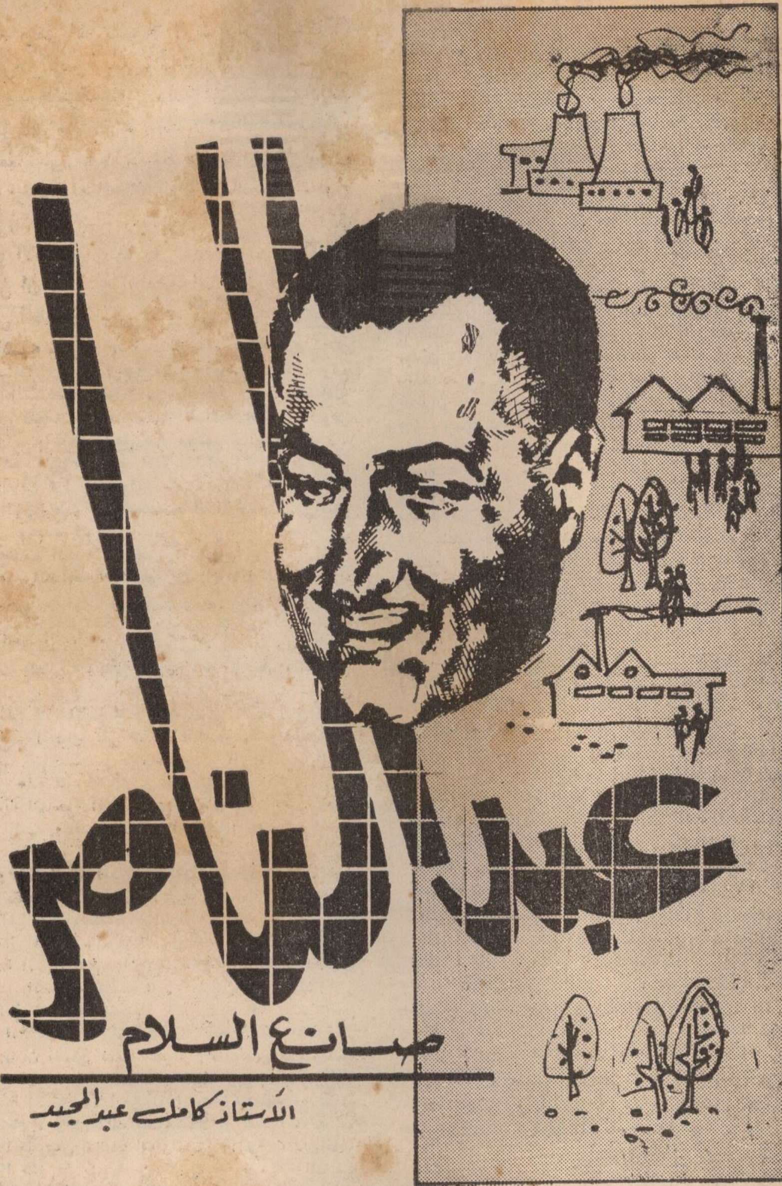

عبد الناصر

صانع السلام

الأستاذ كامل عبد المجيد

الصناعة الثقيلة

« ان الصناعة الحقيقية ، هى الصناعة التى تستطيع ان تبنى الالات للمصانع الجديدة ، وتلك هى الصناعة الثقيلة »

(جمال عبد الناصر)

من الاهداف التى وضعتها الثورة نصب اعينها لتحقيق الرسالة التى ثارت من أجلها هو تغيير شكل المجتمع وتحـــويله من مجتمع الزراعة الى مجتمع الصناعة . فالصناعة كما أقر ميثاقنا « هى الدعامة القوية للكيان الوطنى ، وهى القـــادرة على الوفاء باعظم الآمال فى التطوير الاقتصادى والاجتماعى » .

ولذلك كان هدف الصناعة والتصنيع من الاهـداف التى بادرت الثورة الى تنفيذها وتحقيقها ، فالصناعة بجانب كونها من الدعائم القوية للتقدم والرفاهية ، فهى أيضا مسئولة عن اقامة التوازن الانسانى الذى لا بد منه بين مطالب الانتاج واحتياجات الاستهلاك ، لشعب يتكاثر بسرعة مذهلة ، وترغب قيادته فى تحقيق مستوى أفضل لمعيشة أفراده ، ولذلك كان لا بد من دخول سباق

مع الزمن لتصنيع البلاد ، وبالتـالى توسيع قاعدة الانتاج توسيعا ثوريا حاسما ، وذلك لا يتأتى الا بالصناعة تلك الطاقة الخلاقة التى تستطيع أن تتجـاوب مع التخطيط الواعى المدروس . وقد تحدث قائد الثورة فى خطابه الاخير فى ٢٣ يوليو عن هذه الزيادة فى تعداد السكان فقال : « لما قامت الثـورة كنا واحد وعشرين مليون ، النهاردة احنا ٢٩٫٥ مليون - ٣٠ مليون - يعنى فيه زيادة ٨ ملايين ونصف .. طبعا معنى هذا ايه .. اذا كنا فى ١٣ سنة زدنا ٨ مليون ونصف ، معنى هذا ان احنا فى الـ ١٣ سنة اللى جاية حنزيد حوالى ١٢ مليون أو ١٤ مليون اذا كنا حنحسب هذه النسبة اللى احنا مشينا بيها . اذن لا بد لنا ان احنا نعبىء كل جهودنا علشان نزيد انتاجنا ونعبىء كل جهودنا علشان نزيد دخلنا القومى » .

والصناعة فى حد ذاتها أسلوب عمل يستهدف رفع مستوى المعيشة ، يندرج تحت الخطة القومية الشاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية لمضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات من أجل بناء مجتمع جديد سعيد .. وتهدف هذه الخطة الى مضاعفة هذا الدخل على مرحلتين بدأت الاولى فى أول يوليو سـنة ١٩٦٠ ، كما بدأت الخطة الثانية مبكرة عن موعد بدءها المرسوم .. واليوم نعيش أيام هذه المرحلة الثانية ، المرحلة الحاسمة فى بناء مجتمعنا الجديد ، مجتمع الرفاهية والعدل الذى يعتمد على الصناعة « ليتطور شكل العمل تطورا ثوريا بعيد الاثر » .

لقد حققنا فى الخطة الخمسية الاولى الجزء الاول من مضاعفة الدخل القومى ، وأتممنا بناء المرحلة الاولى من السد العالى ، وكان « من حسن حظ جيلنا أن يرى ذلك المنظر التاريخى المهيب ، الذى تحول فيه مجرى النيل الى قناة التحويل ، هذا الجيل الذى أملى ارادة شعب مصر الجبارة على مشيئة الطبيعة .. وبذلك نكون قد أثبتنا اننا نستطيع ان نتفوق على كل الصعاب » .

ولكن هذه المرحلة الاولى ، لم تكن سوى مرحـلة تمهيـدية للمرحلة الثانيـة ، وهى زراعة مليونى فدان يمنحها السد العالى الحياة بعد اتمام انشائه فى الخطة الخمسية الثانية وانشاء الصناعة الثقيلة التى تمـد المصانع والصناعات التى أوجدناها على أرضنا فى الخطة الاولى بالمعدات والوسائل الكفيلة باستمرارها وبقائها وذلك لكى نؤكد الصناعة والتصنيع اللذين بدأناهما فعلا كما يقول الزعيم القائد « لان الصناعة الحقيقية هى الصناعة التى تستطيع أن تبنى الآلات للمصانع الجديدة وتلك هى الصناعة الثقيلة » .

وبرامج الصناعة المختلفة التى انجزناها تعتبر بحق تقدما الى الامام ، ولكن هذا التقدم وهذه القفزة لا تستطيع أن نضمن لهما الحياة والنمو فى طريقهمـا الطبيعى الا بمرحلة الصناعة الثقيلة وهى هدف الخطة الخمسية الثانية .. الامل الذى بدأنا تحقيقه مع مطالع هذا العام . ولكن ذلك ليس سهلا أو يسيرا ، فهـو يتطلب الكثير من التضحيات والصبر والعرق ، لكى نوفر لتلك المرحلة ما يكفيها من الالتزامات المادية والفنيـة والبشرية .. فالشعب القائد .. هو الذى يدفع ثمن تقدمه وثمن قفزته .. مالا وشبابا وخبرات .

والشعب الذى قرر - فى حزم - ربط الاستهلاك ليسمح للدولة باستثمار مدخراته واثق تماما انه عليه أن يفعل ذلك ليتحقق الوصول الى نهاية المرحلة الثانية ، وهى انشاء الصناعة الثقيلة التى يقول عنها ميثاقنـا الوطنى « القاعدة الثابتة للكيان الصناعى الشامخ » .

وقبل أن نصل الى نهاية هذا الحديث ، نلقى بنظرة سريعة على تقدمنا الصناعى الذى تحقق على مدى الثلاث عشرة عاما الماضية ، فنلتقى بالزعيم القائد فى خطـابه الذى ألقاه فى العيد الثالث عشر للثورة ، والذى حملنا فيه الى رحلة قريبة ، ليقـدم لنـا نموذجا للمجتمع الصناعى الذى ساد بلادنا بعد أن اشرقت عليها شمس الثورة .. فنزور معه مدينة حلوان التى لم تكن فى الماضى سوى مشتى عالميا تشتهر بجفاف جوها ومياهها الكبريتية :

« النهاردة اللى يروح حلوان ويطلع على طـريق الكورنيش ، أول حاجة بتقابله فى السكة محطة جنوب القاهرة للكهرباء ، ودى مش أول الاعمال اللى عملتها الثورة . بعد كده بيـلاقى مصنع السفن النهرية - الاسطول النهرى - بعدين يلاقى مصنع الحـديد والصلب .. جنب مصنع الحديد والصلب مصنع الكوك بعدين فيه مصنع المطروقات وبعدين مصنع الاسمنت والحديد .. بعـدين مصنع الحرير والغزل والنسيج بحلوان .. بعدين جنب مصنع الصلب بنبنى دلوقت مصنع جديد لدرفلة الحديد والصلب وراسماله حوالى ٤٥ مليون جنيه . بعدين فى منطقة حلوان ، توسعات فى الاسمنت ، وفى منطقة حلوان حتـلاقى مصنع مصر للسيارات واللورى وعربات السكة الحديد ، وبعدين مصنع للمواسير ومصنع للكابلات ومصنع الطائرات ، وفى منطقة حلوان حتلاقى عدد كبير من المصانع الحربية مصانع الاسلحة الصغيرة ، مصانع الرشاشات ، مصانع الذخيرة ، ومصانع حربية فيها صناعات ثقيلة انتاجهـا المدنى ورأسمالها حوالى مائة مليون جنيه استثمارات ، فى منطقة حلوان حوالى ٣٥٠ مليون جنيه » .

ولكى نواصل السير فى طريقنا الذى اخترناه ، طريق الصناعة الثقيلة .. طريق الرخاء والرفاهية .. فعلينا أن نواصل الكفاح والتضحيات .. علينا أن ندفع ثمن هذا الرخاء وثمن هذا التقدم وهذه الرفاهية .. فكمـا دفعنا ٣٥٠ مليون جنيها فى حلوان .. مدينة الصناعة التى أصبحت رمزا لمجتمعنا الصناعى المتطور ، علينـا ان ندفع ثمن اتمام انجاز الخطة الخمسية الثانية .. خطة الصناعة الثقيلة .. حتى تستمر تلك المصانع التى بنيناها بعرقنا وجهدنا فى العمل وتواصل آلاتها الدوران والحياة .. وكما يقول قائدنا وزعيمنا فى نفس الخطاب الذى تحدث فيه عن حلوان :

« احنا بندفع من عرقنا واحنا بندفع من جهدنا ، واحنا علشان نوفر مية النيل بندفع ٤٠٠ مليون للسـد العالى ، كثيرون منا ، كل واحد فينا بيضحى ، وكل واحد فينا بيضحى بالقليل أو يضحى بالكثير .. ولا يمكن احنا نبنى صناعة وزراعة ونطور بلدنا الا اذا كنا مستعدين فعلا ان احنا ندفع الاموال اللازمة للاستثمار لتطوير هذه الصناعة وتطوير هذه الزراعة ..

.. اذا كنا عايزين حياة الرفاهية .. اذا كنا عايزين المواد الاستهلاكية .. اذا كنا عايزين أن نخلق فرصـة عمل لكل واحد ، يبقى لازم نضحى وندفع » .

ونحن نقول لزعيمنا وقائدنا دائما .. وكما قلنا لـه ونقول فى كل مناسبة « نحن وراءك .. نحن معك .. أيديك فى أيدينا .. قلوبنا معك وأرواحنا فداءك وفداء وطننا الغالى .. فانت زعيمنا .. ورمز حريتنا وكرامتنا .. والنصر لنا .. ما دمنا جميعا نعمل لعزة ورفاهيـة أمنا الكبرى مصر .. قاعدة النضال فى العالم الحر » .

وهكذا نواصل تنفيذ الخطة الى مرحلة زراعة ارض السد العالى وبناء الصناعات الثقيلة لتكون أساسا ماديا وأساسا من الخبرة يدفع الطموح الى خطة أخرى متصلة لمضاعفة الدخل القومى مرة على الاقل كل عشر سنوات .

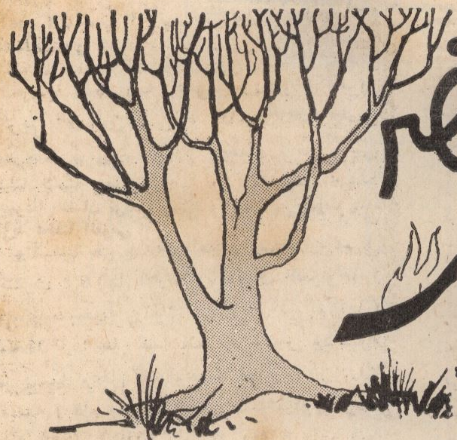

الشجر الأخضر و النار

الدكتور عبد الحليم كامل

وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون)

ويقول سبحانه وتعالى ايضا :

وآية لهم الارض الميتة احييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم أفلا يشكرون • سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم ومما لايعلمون)

وهكذا يحدثنا القرآن الكريم عن الاعناب والنخيل ويحدثنا عن النبات والزرع ومما تنبت الأرض من كل زوج بهيج • وكيف يحى الله الأرض الميتة فيخرج منها الحب الذى نأكل والأشجار التى تثمر من رمان وزيتون ونخل واعناب وغير ذلك من نعم الله جلت قدرته وتعالت صنعته • ولايحدثنا القرآن عن ذلك لمجرد الحديث ولكن ليرينا كيف نفكر فى خلق الله وقدرته وعظمته وكيف نتدبر آياته وحكمته فنؤمن بألوهيته ونقر بعظمته وقدرته • كيف لا وكل مافى الارض جميعا مسخر لنا لنطمئن فى حياتنا ونسعد فى معاشنا فاستمعوا لقوله تعالى (**وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**)

حتى اذا نظر الانسان الى ذلك الكون وفكر وشعر بما يحيط به من نعم كان واجبا عليه ان يشكر الله عليها وبنعمة ربه يتحدث • ويحدثه القرآن الكريم عن ذلك الشجر الأخضر وكيف يجعل منه نارا ننتفع بها ونستخدمها فى حياتنا ومعاشنا من أكل وشرب ولوازم الحياة المختلفة التى لايمكن أن نستغنى فيها عن النار والوقود وهما عصب الحياة ومصدر الطاقة فيقول سبحانه وتعالى :

(وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ٠ قال من يحيى العظام وهي رميم ٠ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ٠ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انتم منه توقدون)

وفي هذه الآية الكريمة يحدثنا القرآن الكريم أولا عمن نسى أو تناسى كيف خلق وممم خلق وكيف خلق ٠ ويسأل : من يحيى العظام وهى رميم ؟ وهو يظن انه بسؤاله هذا سيعجز سيد الانام ٠ من يحيى العظام وهى رميم ؟ من يحيى هذه العظام بعد ان تبلى وتتفرق وتأكلها الأرض وتتمزق اجزاؤها ؟ ويقول سبحانه وتعالى لرسوله الكريم (قل) يامحمد ردا على هذا الجاحد المنكر وذكره بما نسيه وغفل عنه وعمت بصيرته عن ادراك حقيقته **(قل يحييها الذى انشأها أول مرة)** ياسبحان الله رد موجز وعلى قدر ايجازه فهو معجز ايضا ٠ كيف لا ٠ فان الذى خلق الانسان من طين ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة قادر على أن يحيى العظام وهى رميم ٠ فمن الأرض نشأنا والى الأرض نعود ومن الأرض نبعث مرة أخرى وسبحانه القائل

(لا اقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه)

ويقول سبحانه وتعالى :

(يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون) ويحدثنا القرآن الكريم فى موضع آخر فيقول **(وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد)** أى انكم اذا متم وبليت اجسامكم وتناثرت اجزاؤها هنا وهناك انكم اذا لفى خلق جديد أى أن من انشأكم واحياكم من العدم فى المرة الأولى قادر على أن يجمع كل هذه الأجزاء المبعثرة المتناثرة ويحييها مرة أخرى بعد هذا الفناء الذى ظننتم أن لاقيام ولا حياة بعده ٠٠ **(انه هو يبدىء ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد)**

ويحدثنا القرآن الكريم فى نفس الآية السابقة فى أول هذا الحديث متنقلا الى معجزة أخرى فيقول (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انتم منه توقدون) وهذا مثال آخر لخلق شيء مختلف من شيء آخر يختلف ٠ فهو الذى يحيى الأرض بعد موتها ٠ وهو وحده فالق الحب والنوى وهو وحده الذى ينبت الزرع فاذا بالحياة تدب فى هذه

النباتات الخضراء الرطبة وهي بالرغم من خضرتها ورطوبتها جعلها خالقها مصدرا للنار التى توقدها ٠٠ ان من هذا فعله وهذه قدرته كيف لايكون قادرا على جمع العظام وهى رميم واحيائها بعد العدم وتقول بعض التفاسير بخصوص هذه الآية الكريمة وهو الذى خلق فى جميع الشجر الأخضر نارا خصوصا شجر المرخ والعفار (وهما شجرتان معروفتان فى بلاد العرب) حتى اذا سحق الأولى على الثانى وهما خضراوان تنقدح النار باذن الله (فاذا أنتم منه توقدون) أى فاذا انتم من ذلك الشجر الأخضر توقدون النار ٠

ولم نذهب بعيدا ولم يقتصر تفكيرنا على المرخ والعفار والشجر الأخضر كله باختلاف انواعه واحجامه هو المصدر الحقيقي للطاقة والنار يستمدها من الشمس ويختزنها في خلاياه وانسجته ٠ من هذا الشجر الأخضر يستخدم الخشب في الوقود ومن هذا الشجر الأخضر نأخذ الزيوت والشموع ومنه يتكون الفحم على مر الدهور ومنه ينتج البترول والغاز وهكذا تتكون مصادر الطاقة كلها فى الطبيعة من هذا الشجر الأخضر ٠

فالنبات يتغذى كما يتغذى الحيوان ولكن اذا كان غذاء الحيوان يتكون من مواد عضوية معقدة التركيب فان غذاء النبات يتألف من بسيطة تنحصر فى الماء وما يحمله من أملاح ذائبة يمتصها النبات بجذوره الممتدة والمتفرعة فى التربة ٠ وكذلك من غاز اكسيد الكربون الموجود فى الهواء الجوى ومن هذه المواد البسيطة الغير عضوية يبنى النبات موادا عضوية معقدة التركيب وبهذا تتم اهم عملية من عمليات البناء وهى عملية التمثيل الضوئى وهى العملية التى يستمد فيها

النبات الطاقة من الشمس ويشترط لحدوث عملية البناء هذه وجود المادة الخضراء أو الكلوروفيل الموجود فى الاوراق النباتية والتى تعطيها ذلك اللون الأخضر المعروف • ونتيجة لهذه العملية ينطلق غاز الاكسيجين الذى يتحد بعضه مع كربون المواد العضوية سواء أكانت حية أو ميتة كما يستهلك بعضه فى عمليات التجوية • أما ما يتبقى بعد ذلك فيبقى حرا فى الهواء •

وعملية البناء هذه يطلق عليها اسم عملية التمثيل الكلوروفيلى اذ أن الكلوروفيل الاخضر كما قلنا ضرورى لعملية البناء هذه وتكوين مركبات الكربون المختلفة فى أجسام النباتات الخضراء وهى من غير شك مصادر الوقود الطبيعية فى دنيانا هذه ويحدثنا القرآن الكريم عن الشجر ولا يقتصر على كلمة الشجر وحدها بل يقول سبحانه وتعالى الشجر الاخضر • ولعل فى هذا اشارة الى المادة الخضراء وضرورة وجودها لتكوين هذه المركبات الكربونية المختلفة التى تتكون فى خلايا وانسجة النبات •

ومن هذا الشجر الاخضر ايضا نستخرج الزيوت والشموع وكلنا يعرف كيف كانت تستخدم هذه الزيوت قديما فى الأضاءة ولا زالت الشموع تستخدم حتى وقتنا هذا كمصدر للاضاءة والزينة معا •

وعندما نقول ان النبات مصدر من مصادر الوقود والنار لا نستطيع أن نقول ان كلامنا هذا يقتصر على الخشب وحده أو الحطب وحده بل هناك من منتجات النبات غير الخشب ما يسمى بالتربة اللبدة والفحم وهى من بين المراحل المختلفة فى عملية تحويل النسيج النباتى الى كربون •

أما الخشب فهو كما نعلم وقود يمتاز بقابليته للاحتراق بنسبة ٩٩٪ فى حالة جفافه التام وتتوقف قيمة اى خشب كمصدر للوقود على ما يتبقى من ماء الذى أن قل حسن نوع الخشب • وهنا يحدثنا القرآن الكريم (أفرايتم النار التى تورون أأنتم انشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) • وهنا استفهام تقريرى يطلبه اقرار المخاطبين واعترافهم بأنه هو الذى انشأ الأشجار التى تصلح وقودا للنار •

أما التربة اللبدة وهى تستعمل كوقود أيضا فى الدول التى يندر فيها الخشب ولو انها تترك من خمس الى خمس عشرة مرة ما يتركه الخشب من رماد • وتتكون التربة اللبدة من رواسب مواد نباتية خضراء قد تراكمت فى الاراضى الرطبة الضحلة والمستنقعات وقد تحللت هذه المواد ببطء وتفحمت لدرجة ما حتى أنه من الممكن تمييز الانسجة النباتية المختلفة المكونة لها بسهولة• وقد توجد على شكل فحم بنى ناعم فى اقصى الاغوار فى بعض أماكن التربة اللبلدة مكونة ما يسمى باللجنيت ومن الممكن أيضا تمييز تركيب النباتات الأصلية المكونة له ويمثل اللجنيت المرحلة الثانية فى تكوين الفحم •

ثم ننتقل بعد ذلك الى الفحم الذى يتكون من نباتات عاشت فى الاحقاب الجيولوجية السحيقة وقد تحلل نسيج النبات الأصلى كله وتحول الى كربون • والفحم اكثر صلابة وأشد تماسكا من التربة اللبدة أو اللجنيت وقوة حرارية أعلى منهما وينتج كمية أعلى من الدخان والرماد •

وتحول النبات الى فحم يعتمد على عمليات بيوكيميائية وذلك للتفتيت الأولى ثم على عمليات ديناميكية • وكذلك يعتمد نوع الفحم على البيئة التى تكون فيها ونوع النبات الذى تكون منه وكذلك طبيعة وفعل البكتريا اما رتبة الفحم فتعتمد على درجة التحول •

فاذا ما سقطت شجرة على أرض جافة فانها تتحلل الى ثانى اكسيد كربون وماء اللذين يصعدان الى الهواء ولايتكون الفحم نتيجة لهذه العملية • ولكن اذا سقطت هذه الشجرة فى الماء حدث التحلل ببطء وهذه هى الخطوة الاساسية الأولى فى تكوين الفحم • ثم تتوقف عملية التحلل هذه قبل أن تتم تماما وهذا ما تقوم به البكتريا • وبذلك تساعد على ضغط وتجميع الخلايا النباتية • فنشاط ونوع البكتريا يؤثران تأثيرا كبيرا فى كمية

المواد المتبقية الغير متحللة وبالتالى تؤثر فى فى نوع الفحم المتكون . ويقال انه لابد لتكوين الفحم من وجود منخفضات متسعة بها نباتات مائية كما يجب أن تكون مياه هذه المنخفضات عذبة لتساعد على نمو النبات ويتكون الفحم فى دورات رسوبية كما أن سرعة التكوين تعتمد على النباتات والظروف البيئية وقد قدر ان حوالى ١٥٠ سنة كافية لتكوين قدم واحدة من الفحم القارى وان حوالى ٢٠٠ سنة كافية لتكوين قدم من فحم الانثاسيت .

وكلما كان الفحم قديما فى العمر كلما ازدادت الفرصة لتكوين رواسب كثيرة وبذلك يزداد الضغط فتزداد عملية التحويل . ثم تعالوا بعد ذلك نستمع الى قوله تعالى :

(والذى اخرج المرعى فجعله غثاء أحوى)

قال ابن عباس المرعى هو الكلأ الأخضر والغثاء من النبات ما حملته المياه وسيرته مع الزبد ورسب وانطم فى الكدورات وقوله أحوى أى اسود أى أنه اكتسب لبعدالزمن الذى رسب وأنطم فيه سوادا انتشر به مكتسبا من الأرض ولا يعلم المدة التى يصير فيها الغثاء اسود الا الله تعالى . وقيل فى تفسير القاضى بيضاوى (والذى أخرج المرعى) أنبت ما يرعاه الدواب فجعله بعدخضرته (غثاء احوى) يابسا أسود وقيل احوى حال من المرعى أى اخرجه احوى من شدة خضرته .

وتدل هذه الآية الكريمة على تكوين الفحم من النبات وقداظهرت الدراسةالميكروسكوبية الحديثة للفحم أن المواد الاولية التى منها يتكون عبارة عن نباتات كانت تعيش فى المستنقعات وتختلف هذه النباتات عما يعيش منها الآن وقد أمكن التعرف على أكثر من ٣٠٠ نوع من هذه النباتات والتى كانت تعيش فى العصر الكربونى . ولقد انبتت جذور هذه النباتات التى اكتشفت فى التربة بأسفل رواسب الفحم أن الفحم قد تراكمت مواده مكانيا وهكذا يتحول المرعى الى الغثاء الأحوى .

فسبحان الله يخلق من الشجر الأخضرنارا تتمثل فى الخشب وتتمثل فى الفحم على اختلاف أنواعه وما يشتق وما يستخرج منه وتتمثل فى البترول وهكذا فى كل آية قدرة وفى كل آية معجزة وسبحانه وتعالى القائل (وكأى من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون)

« ٢ »

بعض الخدام من الجن

من هؤلاء الخدام :

١ ـ خنزب ـ بوزن عقرب ـ وهو صاحب عثمان بن أبى العاص الثقفى ! !

وقد جاء فى الاثر : ان الشيطان الذى قد تفرد بحفظة القرآن : أى لينسيهم القرآن يسمى « خنزب »

والمشاهد : ان كثيرا من الناس يجدون فى استظهار القرآن زمن الحداثة ، حتى يستطيعوا أن يتلوه عن ظهر قلب فى يسر وسهولة ، ثم لا يكاد يمر عليهم وقت حتى ينسوه نسيانا تاما كأنهم لا عهد لهم به ، وذلك والله هو الخسران المبين ! !

والمعروف ايضا ان القرآن الكريم يسرع اليه النسيان اكثر من غيره من الكلام ، وقد أشارت الى ذلك بعض الأحاديث الشريفة التى حثتنا على تعاهده والاكثار من قراءته لانه « أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم » . التفصى : التخلص والتفلت .

وقد كان استاذنا الجليل المؤرخ الثبت ، والعالم العلامة الشيخ محمد الخضرى ـ رضوان الله عليه ـ لا يفتر عن توصيتنا بالمداومة على تلاوة الكتاب العزيز ، ولو بقراءة ربع حزب منه كل يوم كما كان يفعل هو ، لنظل حافظين له ، لان نسيانه بعد قطع أمد طويل فى حفظه مصيبة لا تعدلها مصيبة ، وغبن فى الدين والعلم والادب وصدق الله ـ تعالى ـ « مافرطنا فى الكتاب من شىء »

ولكن لعن الله « خنزب » الضال المضل خميرة الشر ، وجرثومة الغواية ، وأعان أهل القرآن عليه ، واعاذهم منه ، وابعده وأخزاه ! !

٢ ـ ومنهم « المذهب » بضم الميم وفتح الهاء ـ كما ضبطه الجوهرى .

وفى القاموس : المذهب ـ بضم الميم وفتح الهاء ـ شيطان الوضوء . ثم استدرك فقال : وكسر هائه هو الصواب ، ووهم الجوهرى : أى فى فتح هائه .

قال العلامة نصر الهورينى : قال شيخنا : لكن الذى جزم به القرطبى وجماعة من المحدثين : هو « الفتح » موافقين لضبط الجوهرى له بالقلم لا بالعبارة ، وحينئذ فلا وهم ـ أفاده الشارح ـ وفى اللسان قال ابن دريد : لا احسبه عربيا .

واذا عرفنا أن المذهب : شيطان الوضوء ، عرفنا سبب الوسوسة التى تعترى بعض الناس حين يتوضئون حتى لقد رأيت من يغسل يده أو وجهه عشرات المرات ويظن أنه لم يفعل شيئا ! !

فعلى هؤلاء ان يستعيذوا بالله من شر هذا المذهب حين يبدءون الوضوء ، فانه سيذهب عنهم ان شاء الله ، ولا سيما مع احتشاد القلب واستحضار جلال رب الارباب . ومالك نواصى الخلق ، القاهر فوق عباده ، هو مولانا ونعم المولى ونعم النصير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ! !

ويقولون : ان المذهب موكل خاصة بخدمة « العباد » : جمع عابد : أى النساك والمتصوفة . فيسرج لهم النيران ، ويضىء الظلمة ، ليفتنهم ، وليملأ نفوسهم بالعجب والكبر والخيلاء اذا اعتقدوا ذلك من قبل الله ـ تعالى ـ !! وليس أفسد للعبادة وأحط لثوابها من اعجاب صاحبها بنفسه وغروره بنسكه ، وقد حذرنا الامام الغزالى ـ رضى الله عنه ـ فى الاحياء من ذلك تحذيرا كثيرا ! !

وانما وكل المذهب بهؤلاء لانهم الصفوة واللباب والمحصن والجوهر ، فبفسادهم يفسد كل شيء ويؤتى الدين من القواعد ، فلا يصلح أمر من الأمور !! وأما غيرهم من العامة والاغفال والدهماء فلا يستحقون ان يتكلف الشيطان لهم عناية ، وهم أهون عليه أن يتأتى لهم ويحتال عليهم فهم مقهورون له واقعون فى قبضته ، يلعب بهم كما يشاء ويصرفهم فيما يريد ، أطوع له من ظلالهم وأنجع له من نعالهم . والله ولى الحفظ والتوفيق ! !

ويقول بعض الصوفية : المذهب أصناف :

فمنهم من يحمل الفانوس بين يدى الشيخ ! ! ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب ! !

ويقص بعض النساك : أنه نزل بصومعة يتعبد فيها ، فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب الناسك من ذلك ! ! فقال له شيخ الصومعة : انه المذهب يريد بذلك أن يخيل لك أن ذلك من كرامتى على الله !! والله أنى لاعلم انه شيطان ! !

والحق : أنه ليس كل خادم أو مذهب شيطانا خبيثا ، ففيهم مؤمنون صالحون مخلصون يخدمون كبار « القوم » عن سريرة صافية ونية صادقة كما يخدم المريدون الطيبون أشياخهم من ائمة « الطريقة » واعلام « الحقيقة » وهو شيء مسلم به عند الصوفية ، وقد تواترت به الاخبار وقرأناه وسمعناه من ثقافتهم .

منظور الجنى :

ومن هؤلاء الخدم :منظور الجنى .

وفى القاموس : أن امرأة اسمها « حبة » بفتح الحاء وتشديد الباء ، علقها منظور الجنى ! ! فانت تتطبب بما يعلمها منظور هذا : أى تعالج الناس بما يصفه لها .

الشيخ سليم الطهطاوى :

وفى الوقت الذى كنت فيه تلميذا بكتاب القرية ، حضر عندنا رجل معروف للخاصة والعامة فى جميع انحاء الصعيد ، بل لعله معروف كذلك لسكان القاهرة والوجه البحرى ، فقد كان كثير الجولان فى المدن والقرى .

هذا الرجل كأن يدعى « الشيخ سليم الطهطاوى » يتزيا بزى المشايخ ، وأحسب أنه كان أسمر اللون طويلا ، فى احدى عينيه ما يشبه الحول — ان لم تخنى الذاكرة —

وكان مشهورا بقدرته على احضار الاشياء من أماكنها القريبة والبعيدة ، على شريطة ان يأذن اصحابها له . وكان سبيله فى ذلك : ان يضرب على فخذه — ربما كانت الفخذ اليمنى — ثم يمد يده فى الهواء ، فيتلقف الشيء المطلوب ، كانما يتناوله من يد انسان ، وان كان قصيا وان كان محرزا ! ! ثم يرده الى مكانه بالطريقة التى احضره بها بعد أن يراه النظارة بين الاستغراب والاستعجاب ! !

ولا يمكن ان يتمارى احد عاصر الشيخ « سليما » فيما كان يفعله ، لانه انما وقع امام الجماهير الواعية وكثر ذلك حتى بلغ حد التواتر ! !

وقد طلب منه بعض أعيان بلدنا فى بعض قدماته اليها ان يحضر له كيسا من الحلوى فاحضر كيسا من القطيفة الزرقاء بالطريقة السالفة لا يزال ماثلا فى ذهنى ملؤه « الملبس » وقد كنت أنا بجواره وأكلت من هذا الملبس واكل بعض الحاضرين . واحتفظ الوجيه بالكيس .

ولم يكن الشيخ سليم — رحمه الله — دجالا ، بل كان رجلا صالحا فقيرا متواضعا ، يعش على ما يجود به أعيان البلاد من العوائد .

وكان من عادته أن ينام وحده ، ويحكم اقفال الباب عليه ، وويل ثم ويل لمن يحاول أن ينظر اليه من خصائص الباب ، أو يطل من الشباك أو يتجسس بأية صورة ، فانه يثور ويزمجر كالاسد الجريح ، وان امسك بالفاعل فتك به ! !

وكان أكثر الليل تسمع له هينمة وحديث مع غيره لا يفهم .

وكان ربما استأذن صاحب المنزل فى تناول الفطور منفردا ، واذا بالطعام المعد يختزل منه جزء على قدر ما يكفيه ، دون أن يشعر بذلك أصحاب المنزل ، وقد يكون الطعام فى الادوار العليا منه ! !

وصفوة القول : ان جميع من فى سنى أو يكبرنى لا يجهلون الشيخ سليما وما كان يصنعه من العجائب ! !

وعند زميلى وصديقى الاستاذ الكبير عبد المنعم جلال عضو لجنة التعريف بالاسلام اخبار كثيرة عنه ! !

وكان يشيعون عن الشيخ سليم انه متزوج من الجن أو له صديق منهم ، وقد مات رحمه الله منذ سنين ! !

وقد قرأت للاستاذ احمد ابو الخير — رحمه الله — أن الشيخ سليما كان له صديق من الجن يسمى « الشيخ عبد اللطيف » وأنه بعد موته انتقل الشيخ عبد اللطيف الى صداقة أخ للاستاذ ابى الخير ، وكان يخدمه ويصنع معه ما كان يصنعه مع الشيخ سليم ! ! وقد مات هو الاخر منذ سنوات ولعل من عرفوا الشيخ سليم يتحفوننا بعض ما عرفوه عنه ! !

الحكم الشرعى فيمن يدعى استخدام الجن :

استدل بعض العلماء بالآية الكريمة وهى حكاية قول سليمان — عليه السلام — « رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى » على تكفير من ادعى استخدام الجن وطاعتهم مؤيدا رأيه بالحديث الذى رواه ابو هريرة عن النبى — صلى الله عليه وسلم — : انه قال « ان عفريتا جعل يتفلت على البارحة ليقطع على صلاتى ، وان الله — تعالى — امكننى منه ، فلقد هممت ان أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا فتنظروا اليه كلكم ، فذكرت قول أخى سليمان : رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى . فرده الله خاسئا » .

والحق ما قاله العلامة الالوسى : وهو أن استخدام الجن الثابت لسليمان — عليه السلام — لم يكن بواسطة أسماء ورياضات ، بل هو تسخير الهى من غير واسطة شيء ، وكان أيضا على وجه أتم وهو مع ذلك بعض الملك الذى استوهبه ، فالمختص — على تقدير افادة الاية الاختصاص — مجموع ما تضمنه قوله — تعالى — « فسخرنا له الريح .. » الاية

فالظاهر عدم تكفير من يدعى استخدام الجن .

ثم قال ونحن قد شاهدنا مرارا من يدعى ذلك ، وشاهدنا اثار صدق دعواه على وجه لا ينكره الا سوفسطائى أو مكابر !!

ثم عقب قائلا : ومن الاتفاقات العجيبة اننى اجتمعت يوم تفسيرى هذه الاية « رب اغفر له وهب لى ملكا .. » برجل موصلى يدعى ذلك : أى استخدام الجن ، وقد امتحنته بما يصدق دعواه فى محفل عظيم ففعل واتى بالعجب العجاب ! !

وكانت الادلة على نفى احتمال الشعبذة ونحوها ظاهرة لاولى الالباب .

مع الخليفة الثاني
عمر ابن الخطاب

الأستاذ
عبد العال شعيب

رأينا كيف كان يحاسب عمر رضى الله عنه عماله على تصرفاتهم ، وكان يراقبهم مراقبة شديدة ليسود العدل بين الرعية ، ويستظل الجميع بظله الوارف ، ورأينا كيف كان عمر يعقد المؤتمرات لهم فى المواسم فاذا اجتمعوا قال : أيها الناس ، انى لم أبعث عمالى عليكم ليصيبوا من ابشاركم ولا من أموالكم ، انما بعثتهم ليحجزوا بينكم ، ويقسموا فيئكم بينكم ، فمن فعل غير ذلك فليقم ، ورأينا ذلك الرجل الذى قام يشكو عاملا من عمال عمر بانه ضربه مائة سوط ، ويامر عمر بان يقتص منه ، وتكون النتيجة أن يسترضى هذا الفرد الرعية ويتنازل عن القصاص من العامل ، وافتدى منه بمائتى دينار كل سوط بدينارين .

وكان عمر يريد من عماله ان يضربوا اروع الامثال للرعية فى الزهد فى الرفاهية ، وفى الاقبال على العمل الجاد النافع لخير الامة الاسلامية ، فالترف الذى يزيد عن الحد يولد الانحلال والكسل والتواكل ، والامم لا تنهض بأبناء كسالى متواكلين ، انما تنهض بالعاملين المكافحين الكادحين فى هذه الحياة ..

لهذا كان عمر يستدعى عماله ويكشف بنفسه ان كانوا اخذوا انفسهم بأسباب النعيم لانه كان يؤثر الخشونة حيث كان يلبس الجبة الصوف الغليظة ويشتمل بالعباءة وهو نائم فى ناحية المسجد فقال الهرمذان : هذا والله الملك الهنيء ، لا يحتاج الى حراس ولا عدد ، فلما جلس عمر امتلأ قلب الرجل من هيبة لما رآى عنده من الجد والاجتهاد وألبس من هيبة التقوى ..

ومن أروع مواقفه ما كان يصنعه مع أسر المحاربين المسلمين ، الذين يحمون الثغور ، ويدافعون عن الوطن ، وهم بعيدون عن أهليهم وأسرهم ، كان اذا حضر الرسول من قبل هؤلاء الغزاة حاملا الكاتب والرسائل من المقاتلين الى أسرهم ، كان عمر يتبعه بنفسه حتى يصل الى بيوت هذه الاسر ويقول للزوجات : ازواجكن فى سبيل الله وانتن فى بلاد رسول الله ، اذا كان عندكن من يقرأ ، والا فاقربن من الابواب حتى أقـرأ لكن ، ثم يقول . الرسول سيخرج يوم كذا وكذا فاكتبن حتى نبعث بكتبكن ثم يدور عليهن بالقراطيس والدواء ويقول : هذه دواة وقرطاس ، فادنين من الابواب حتى اكتب لـكن ، ويمر الى المغيبات فياخذ كتبهن فيبعث بها الى ازواجهن .

ان هذه طريقـة فريدة فى رفع الروح المعنوية لدى المحاربين ، اذ يشعر المقاتل بانه وهو بعيد عن أسرته مطمئن على سلامة بيته وعلى أن هناك من يرعاه ويسال عنه ، وهذا الذى يسال هو أمير المؤمنين ، ان ذلك يدفعه الى أن يستميت فى سبيل الله وفى سبيل الدفاع عن سلامة الوطن ، وعن العقيدة الاسلامية ، فهو ان انتصر فسيعود الي أهله وعلى جبينه لواء النصر والفوز . وان استشهد لقى ربا أعد له جنة عرضها السموات والارض واطمان على أن أسرته في رعاية الله ورعاية الدولة « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن . ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ، التائبون العـابدون الحامدون السـائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعـروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » .

وكان عمر رضى الله عنه يوصى عماله دائما بالسـمو بانفسهم عن المال وفتنته وبالبعد عن مواطن الشبه ، كتب الى عماله يوما هذا الكتاب :

اما بعد ، فاياكم والهدايا فانها من الرشا . حدث أن أهدى الى احد العمال فخذ جزور وقد تخاصم اليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين اقض بيننا قضاءا فصلا كما يفصل الرجل من سائر الجزور ، وكان يعنى بذلك العامل الذى كان يهدى فخذ جزور ، فقضى عليه عمر ، ثم كتب الى عماله : ان الهدايا هى الرشا ، وكان اذا قدم العمال المدينة يامرهم بأن يدخلوا نهارا ولا يدخلوا ليلا كى لا يحتجنوا شيئا من الاموال ، وكان يغشى بنفسه ، ويرتاد منازل المسلمين ويتفقد أحوالهم ، ويتفقد أهل البؤس والفاقه بنفسه .

يروى التاريخ الصـــادق انه كتب الى ابى موسى الاشعرى عامله على العراق يامره بالقدوم عليه هـو وعماله وان يستخلفوا جميعـا ، وكان يريد بذلك أن يعرف حالتهم . وهل يعيشون وهم يتقلبون فى احضان النعيم ، أم يسهرون على مصالح الرعية ويعيشون كما يعيش عامة الناس ، على الضرورى من الطعام والثياب ، وكان من بين العمال عامل البحرين ، فادرك أن عمر يريد أن يعرف حالهم وانه يرغب فى الخشونة وسيدعوهم الى الطعام ، وقد لبس هذا العامل ملبسا متواضعا غاية التواضع خشنا غاية الخشونة ، وتجوع قبل الوصـول الى عمر ، ودخلوا عليه ودعاهم الى الطعام وكان كما يقول الرواة : خبز وأكسار بعير وهو العضل عليه قليل لحم ، فجعلوا يعافونه ، لانهم حديثو عهد بلين العيش ، وعمر يلحظهم ، ولفت نظر عامل البحرين الذى كان ياكل وهو يتهافت على الطعام من جوعه ، فسأله عمر عن عمله ثم عن دخله ، فأجاب بانه يرزق ألفا ، فقال له عمر انه كثير ، وما نصنع به ؟ قال : أتقوت منه شيئا وأعود به على أقارب لى فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين ، فامر عمر أبا موسى أن يستبدل بأصحابه ، وأبقى عامل البحرين فى عمله لانه رآه فعلا متقشفا لا يخشى أن يسرف فى المال .. ان الانسان لا يملك حينما يقف أمام هذه الصورة الرائعة الا أن يملأ قلبه بالاكبار والاعظام لهذا الخليفة الحريص على أموال الرعية ، وعلى محاسبة عماله حسابا شديدا ليتميز المخلص فى عمله من المحب للدنيـا المقبل على نعيمها ، فيبعـد الصنف الثانى ، ويستبقى الصنف الاول ، فبهم تسعد البلاد وتعز الامة ويعلو شأنها ، وهؤلاء الولاة هم القدوة الذين يقتدى بهم الرعية ، فان كانوا منغمسين فى الدنيا ونعيمهـا قلدهم الشعب فى ذلك وأصيبت الامة بالتفكك والضعف وان كانوا يؤثرون الزهد فى زينة هذه الحياة والكفاح فى سبيل رفعة الامة وعزتها ، قلدهم الشعب فى ذلك ، وجعلوا الدنيا فى أيديهم لا فى قلوبهم ، والدنيـا اذا غنمها الانسان وجعلها فى يده سخرها للخدمة العامة ولمصلحة الجماعة ، اما اذا جعلها فى قلبه فانها تملك عليه نفسه ويصبح اسيرا لها ولا يكون له نصيب فيما عند الله :

« من كان يريد حرث الاخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الاخرة من نصيب» « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا » .

ومما يرويه التاريخ الصادق عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه ولى رجلا ببلد فوفد عليه فجأة مدهنا حسن الحال فى جسمه ، عليه بردان ، ويظهر عليه آثار النعيم فقال له عمر : أهكذا وليناك ؟ ثم عزله ، ودفع اليـه غنيمات يرعاها ، ثم دعا به بعد مدة فرآه باليا أشعث فى ثوبين أطلسين « والاطلس من الثيـاب : الثوب الخلق » وذكر عند عمر بخير فرده الى عمله ، وقال : كلوا واشربوا وادهنوا فانكم تعلمون الذى تنهون عنه .

وكان اذا قدم عليه الوفد سألهم عن أحوالهم وعمن يعرف من أهل البلاد ، وكان يسأل عن اميرهم ، هل يدخل اليه الضعيف ؟ وهل يعود المريض ؟ فان قالوا نعم ، حمد الله تعالى ، وان قالوا : لا كتب اليه ، أقبل ، ويحاسبه بعد ذلك على تصرفاته هـذه نحو الرعية ، ويوجهه الى أن يقوم على شئونهم ، وأن يمكن الضعيف من الدخول عليه ، والاستماع الى شكواه وانصافه ، ويوجهه الى أن يسأل عن المريض ويقدم اليه ما يحتاجه من وسائل العلاج .

ولعمرى ان تلك الرعاية وهذا التوجيه تعتبر دستورا رائعا للحاكمين فى كل زمان ومكان ، وهى تدل على أن سلفنا الصالح ضربوا أروع الامثال فى سياستهم لرعيتهم فاعزهم الله ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا ..

وللحديث بقية فى العدد القادم بمشيئة الله .

من التراث الطيب

إلى القرآن الكريم

الأستاذ حسن الشيخة

الى القرآن الكريم الذى جعلته عنوان كلمتى هو من وضع المغفور له الشيخ محمود شلتوت ، وضعه اسما لكتاب الفه من كتبه القرآنية ، واكثر مؤلفاته قرآنية •

الف الشيخ هذا الكتاب فى آخر مرحلة من حياته استطاع ان يؤلف فيها ، قبل مرضه الطويل الذى لازمه فى نهايات عمره ، ولما عثرت على هذا الكتاب فى مكتبة منزلى احدث فى خاطرى نزوعا ذا شعبتين ، الاولى أن أعيد رؤية ماعندى من تراث الشيخ غير هذا الكتاب، الثانية أن اكتب كلمة عن هذا التراث الطيب الممثل فى هذا الكتاب •

وجدت كثيرا من آثار الشيخ مثل « الاسلام عقيدة وشريعة » وهو مؤلف ضخم يضم بين دفتيه كل عقائد الاسلام كدين ، وكل شريعته كقانون سماوى مصدره القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، كما وجدت كتاب « منهج القرآن الكريم فى بناء المجتمع » ، وهو كتاب لا يدع ظاهرة اجتماعية الا ويستدل عليها من القرآن ، اما حثا على التمسك بها ، واما تجنبا لها ، عدا كتب صغيرة تدور حول أمور معينة ، مثل تاريخ الازهر فى سطور ، ومثل رسالته « الازهر » فى سطور ايضا ، وغير ذلك •

عاش الامام شلتوت خادما للقرآن الكريم ، يفتت آياته فيخرج منها للناس ثمرا شهيا ، وجنى جنيا ، فى الدائرة الدينية الواسعة التى اسهم فيها الشيخ بنصيب كبير فى رسالة من سبقوه من الائمة الاعلام ، ولم يكن يقتصر على التاليف فى رسالته القرآنية ، وانما كان يلقى بذورها فى كل أرض يرى انها خصيبة مثمرة ، كدار الحكمة ، وندوة العلم والتعليم ، ودار الاذاعة ، التى عين بها قبل أن يعين شيخا ، وقد جرى ذكر وكتابته فى الصحف والمجلات •

يقول الشيخ فى كلمته الاولى من كتاب « الى القرآن الكريم » بعنوان « مقاصد القرآن وقد راينا ان نقدم هذه الطريقة التى ترسم الخطوط الاولى للموضوعات التى يتضمنها الربع من القرآن ، حتى تكون مقاصده بارزة ، ومسالك فهمه واضحة ، فتاخذ مكانها من القلب ، وتتجه النفس الى التوسع فى التفقه والمعرفة ، ونرجو ان يكون هذا بمثابة منار يهدى الى معرفة ماهو من مهمة القرآن فيطلب منه ، وماليس من مهمته فلا ننتظره منه ، ولا تنكره آياته عليه »

فى هذه المقدمة القصيرة من الشيخ عرف ان مقصده ان القرآن الكريم لا يتضمن كل ماينسبه اليه الناس من انه كتاب جغرافيا وطبيعة وكيمياء وفلك . وعلم نفس ، واحجبة وتعاويذ واذا كان قد اشار الى بعضها فانما ذلك لفتح باب العلم والمعرفة ، والنظر فى ملكوت السماوات والارض للموعظة والاعتبار

هذا الكتاب لم يقصد عند السير فى التقديم نحو القرآن الى ترتيب السور التى اخذها ، وتعرض لبعض اجزائها ، لانه لم يهدف الى التفسير طبقا للمنهج المألوف وانما قصد الربط المباشر بين الانسان وبين كتاب الله، فأتى بنماذج من القرآن ، واجزاء من السور ، منبها لما اشتملت عليه من مشاكل وما اقترن بها من رسم

الهداية الى الطريق السليم لمناسبة ذكر الربع من القرآن التى جاءت فى المقدمة التى قدم بها الشيخ لكتابه - اذكر اننا كنا طائفة نهتئه بوكالة الازهر القرآن وتفسير القرآن ، فمما سمعناه منه - ولازلت اذكره بالمعنى لا باللفظ - ان فى القرآن ارباعا تدل دلالة قرية على مايراد من السورة كلها ، ولذلك ترى الشيخ رحمه الله - قد التزم هذه الطريقة فى هذا الكتاب بان اختار من كل سورة ربعا ، وقد اكتفى بذلك فى كتابه الذى تقراه فتخال انك قرات القرآن كله . وعرفت اسراره جميعا

اذن ليس الكتاب من كتب الفسير بالمعنى المالوف . ولكنه نهج جديد ، واسلوب فريد ، يتجاوز شرح الآيات الى ابراز الحكمة ، وتوضيح المقصد ، واستلهام العبرة ، وهو حين يتناول القصص فى القرآن لا يقف عند الحوادث المجردة ، ولا لوقائع الجامدة ، ولا يشغل النفس بالبحث عن تفاصيل القصة واحداثها ، ولا يذكر ازمانها واشخاصها ، بل يعدل عن ذلك الى العبرة فى القصة ، والهدف من ذكرها ، والموعظة المستفادة منها بطريقة لا التواء فيها ، ولا غموض .

× × ×

الكتاب فيه روح الشيخ حقا ، يعرف ذلك كل من خالطوه ، وعرفوا من عكوفه على القرآن ، والسنة النبوية ما لا يعرف غيرهم ، وهو فى تعبيراته بليغ ، حتى فى اسم الكتاب « الى القرآن الكريم » ، فان حذف متعلق لجار والمجرور فيه بلاغة ، فان المحذوف لا يعدو ان يكون واحدا من افعال « هلموا » او « تعالوا » او « سارعوا » او « احتكموا » ، او مامثلها ، مما يدل على الدعوة الى الاستفادة من القرآن بعد الاقبال عليه فيما انزل لاجله ، دون خروج به الى ماهو بعيد عنه ، ودون اكراه آياته عليه ، وحشره فى تفسيرها حشرا

اختار الشيخ خمسة وعشرين سورة . صور من ارباع منها هذا الكتاب ، هى سور الفاتحة ، والبقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والانعام ، والاعراف ، ويونس ، وهود ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والنحل ، والقصص ، والعنكبوت ، وغافر ، وفصلت ، والشورى ، والملك ، والحاقة ، والمعارج ، والجن ، ونوح ، والمزمل ، والمدثر والقيامة .

وهذا الاختيار يذكرنى بكتاب الامام الغزالى الذى سماه « جواهر القرآن » ، ويرجع - عندى - سبب هذا الاختيار من هؤلاء الاعلام الى تقديرهم فى تقريب الاستفادة من كتاب الله ، والى تحبيب الناس بهذه المختارات السهلة عليهم . وان اختلف اختيار المختارين فكل يختار حسب تقديره ، والا فان القرآن عندهم بمثابة واحدة من حيث مقاصده العامة ، واغراضه الكلية ، ومراميه التى وسعت سعادة الدنيا والاخرة .

× × ×

على ان الامام شلتوت لم يقعد به هذا الاختيار فى كتابه عن ان يذكر فى مقدمته - العموميات المتفرعة عن فهم كتاب الله تعالى حق فهمه فانه قد لخص مقاصد القرآن فى ثلاثة اصول ، العقيدة ، والاخلاق ، والاحكام ، ثم ثنى على ذلك بتلخيص الاساليب التى اتخذها سبيلا للدعوة الى هذه لمقاصد الكلية السالفة الذكر ، وقد صاغها فى اسلوب عملى ينتفع به الناس انتفاعا عمليا . فذكر اولا انها الارشاد الى النظر والتدبر فى ملكوت السموات والارض وبهذا السبيل كرم لله العقل . وفتح له باب البحث عن خواص الاجسام ، واسرار الكائنات فى الارض والسماء ، والماء والهواء ، كى يستخدمها فى حياته ، وينتفع بها فى التعمير والانشاء

الاسلوب الثانى فى الدعوه الى الاصول الثلاثة هو قصص الاولين افرادا وجماعات ، الصالحين منهم والمفسدين ، مما يثير العظمة والاعتبار ، ولم يذكره القرآن على انه تاريخ يحدد الزمان المكان والاشخاص ، ويرتب الوقائع ، ويبين الاسباب والنتائج ، كما لم يذكره على انه اساطير تتحدث عن الغرائب والاعاجيب التى يسمر بها الناس فى النوادى والمجتمعات

ثالث الاساليب ايقاظ الشعو الباطنى ، فيندفع الانسان بوحى هذا الشعور الى التساؤل عن مبدئه ، وعن مادته ، وعن حياته ، وعن مآله ومصيره ، وتلك هى الفطرة التى ذكرها القرآن فى قوله « فطرة الله التى فطر الناس عليها »

الاسلوب الرابع اسلوب الانذار والتبشير . والوعد والوعيد ، سواء عن طريق الحياة الدنيا ، بان يعد المؤمنين الصالحين بعموم السلطان . وبالتمكن فى الارض وينذر الجاحدين بتقلص العز ، وانتزاع الملك ، او عن طريق الترغيب بنعيم الاخرة ، والترهيب بعذابها الدائم المهين .

× × ×

هذه كلمتى عن هذا الكتاب القيم الذى من ذكريات الشيخ الدائمة ، التى لا تنقضى ، ولست فى حاجة الى اقتباس شيء من موضوع الكتاب ، بعد ان اقتبست من مقدماته ومن نهاياته . فالاقتباس اختيار ، والكتاب كله مختار

رحم الله الامام شلتوت بقدر ما احسن الى دينه والى شريعته .

سياسة الهجوم في التاريخ الإسلامي

الدكتور ابراهيم شعوط

في دنيا الناس احداث تناقلوها ، وتحدثوا عنها ، وتعصبوا لها . وهى أمام البحث الدقيق ليس لها ظل من الحقيقة . تماما كما ينتشر على الالسنة ان فلانا من الخلق كان يقود سيارة وارتكب بها حادثا . وان فلانا قد رماه قومه بهتك الاعراض . وان فلانا من الناس قد ادلى بصوته فى انتخابات عامة امام لجنة الانتخاب . ثم يتضح بعد لدراسة الدقيقة ان الذى قيل عنه انه كان يقود السيارة اعمى . لايمكن ان يقود سيارة ، ويتبين ان زير النساء وفحلها عنين ، كما يثبت ان الذى ادلى بصوته امام لجنة الانتخاب انما هو ميت من زمن بعيد .

هكذا نجد مثل هذه الصور واشد منها فى قضايا التاريخ ، والتاريخ الاسلامي بالذات لان الاسلام منذ ولد فى الجزيره وجد معه خصومه الذين بيتوا لهصنوفا من الفتن ، ودبروا له الوانا من الافتراءات . فحين صرع قريشا فى ميادين القتال . والقى باليهود الخبثاء الجبناء خارج الجزيرة بقيت منهم بقايا خبثت نواياها فأرادت أن تثأر لنفسها وقومها بأسلوب العاجز الحقير فدخلوا فى الاسلام ليشوهوا تعاليمه بما يدسونه من سموم افكارهم وغيوم عقولهم باسم العلم وباسلوب العلماء - يدخلون من كل ثغرة ليحدثوا فى الاسلام ماينقض تعاليمه ، ويقوض دعائمه ، ويلفقوا فى سير الاعلام البارزين ليغضوا من مقامهم ويفقدوهم المنزلة التى يجب ان تكون لهم فى كل زمان ومكان .

وشعاراتهم التى زيفوها على المسلمين نجد الهجوم الصليبى المدبر فى صورة زحف مسلح للقضاء على كل مظاهر الاسلام حتى اذا فشل السلاح ورد الغزاة مدحورين لجا مفكروا المسيحية الى تشويه معالم الاسلام والحط من شان اعلامه البارزين

وحين انتهى الصراع الصليبى ببديله الاستعمار الأوروبى الذى استطاع بمناهجه الدراسية أن يغض من البطولات الاسلامية ويطمس صفحاتها البيض ليستقر فى اذهان الشباب الاسلامى ان ماضيهم غير كريم وان آباءهم ليسوا اهلا للقدوة ونجحوا فى انشاء مدارس من الشباب الذى كرع من نبعهم وآمن بمنهجهم فتلقى عنهم الافكار المسمومة وعادوا من اوربا ينشرون بين قومهم مايشكك فى ماضى الاسلام وحاضره فشقى الاسلام بالمنحرفين من أتباعه فى كل حين .

واننا هنا على منبر الاسلام نرجو ان يكون لهذا اصوات دوى فى اسماع المعنيين بالشئون الدينية الحريصين على سمعة الاسلام فيعملون بأسلوبهم على تطهير كتب التاريخ الاسلامى من مفتريات الخصوم ومدسوسات الاعداء وسنتابع من منبر الاسلام سرد الامثلة الصارخة التى تدل على مدى مايريده خصوم الاسلام من كيد له وافتراء عليه .

١ ـ قصة الغرانيق

انتهز خصوم الاسلام فترة من الزمن سلمت فهيا نوايا الرواة من العلماء وثغرة سولها لهم الشيطان ، وخولها لهم الكفر فتطاولوا على مقام الرسالة ليبطلوا في زعمهم ـ اصول ادعوة الاسلامية باثبات تدخل الشيطان مع رسول الله فيما يلقيه على أمته من آياته القرآن الكريم ٠

قالوا : ان محمدا لما راى تجنب قريش اياه ، وشاهد اذى أصحابه تمنى فقال : ليته لاينزل على شيء ينفرهم مني ٠ وقارب قومه ودنا منهم ودنوا منه ٠ فجلس يوما في ناد من تلك الاندية حول الكعبة فقرا عليهم سورة النجم حتى اذا بلغ قوله تعالى « افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى » قرا بعد ذلك : « تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهن لترتجى » ثم مضى وقرا السورة كلها وسجد في آخرها ٠ هنالك سجد القوم جميعا لم يتخلف منهم احد ، واعلنت قريش رضاها وقالوا للرسول عليه السلام : اما اذا جعلت لآلهتنا نصيبا فنحن معك ٠ وبذلك زال الخلاف بينه وبينهم ٠ اهـ

مصنع الاكاذيب

ودائما مصنع الاكاذيب في كل مكان وزمان يخترع الموبقات كلها ، ويلقى بها الى البسطاء البلهاء الذين لايعرضون مايسمعون على عقولهم ، ولا يفحصونها قبل اباعتها حتى يتاكدوا من بعدها عن المنطق ، أو قربها عن المعقول قبل ان ينقلوها ٠ والقائمون على جهاز الاكاذيب دائما في كل عصر فيهم مهارة وخبث فلا يقلون بضاعتهم الا في وسط يعتقدون أنه مهيأ لحمل هذه الميكروبات لينشرها بين الناس على انها اخبار غير مسند الى قائلها الاول ، وانما تسند فيما بعد الى جملة من الرواة ٠

وهكذا يجد السامعون انفسهم امام جملة من نقلة الاخبار فيكتبونها في كتبهم على أنها خبر صحيح أو متواتر نقله جمع عن جمع لايحصى له عد

تماما كالذى نشاهده في الشائعات التى تروج في عصرنا هذا ٠ وقد يكون خالق الشائعة ومبتدعها هو اول من يصدقها ثم يجعل نفسه من الرواة ليقوى السند ويعين على تصحيح الرواية ٠

في قصة الغرانيق تطاول على مقام الرسالة ، وعمل خبيث لابطال ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، القى بها زنديق ، وروجها زنادقة من اعداء الدين حتى انتشرت في مجامع البسطاء ٠

واصل الفرية يخترعها مغرض سيء الطوية ثم يتناقلها الناس فيخيل لسامعها ان طرقها متعددة ، وان رواتها من الكثرة بحيث لايطعن في أخبارهم ٠

هكذا انطلى هذا الامر على ابن حجر العسقلاني المحدث والمؤرخ فقال :

وتعدد الطرق ، وصحة ثلاثة منها ـ وان كانت مرسلة ـ يدل على ان للواقعة أصلا صحيحا » وشايعه ابن جرير الطبرى وابن سعد وكثير من المفسرين ـ وفي طباع الناس ولع بالغريب ، وتطلع الى كل عجيب ـ

ومن الحبك في التزوير انهم رووا ان رسول الله « لم يفطن لما ورد على لسانه فلما جاءه جبريل وعرض عليه سورة النجم وبلغ الكلمتين قال له : « ماجئتك بهاتين » فحزن الرسول لذلك حزنا شديدا فانزل الله عليه « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان الخ ٠ وانزل عليه كذلك قوله تعالى : « وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ، اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرا »

هذا حشد من الآيات التى حاول بعض المفسرين والمؤرخين المسلمين ان يسندوا بها كذب الكاذبين ويجعلوا من كل ذلك مقدمات ، وموضوعا ، ونتائج ٠ وهم غافلون عما كان سائدا في عصرهم من الحرص على امانة النقل ٠ ولكنهم اذا عرفوا ان ثبوت هذه القصة يتنافى مع العصمة والامانة التى هى شرط اساسى في رسالة الرسل ، واننا ان سلمنا بان الشيطان استطاع ـ بوسيلة ما ـ ان يضع على لسان الرسول آية او آيات ليست من القرآن تسرب الشك الى جميع القرآن لانه حينئذ تصبح كل آية فيه مظنة انها من وضع الشيطان جرت على لسان الرسول وهو لايدرى ٠

لو تنبه الرواة المسلمون الى ذلك ماسمحوا لانفسهم بنقلها او مناقشتها ٠ هذا من الناحية العامة ٠ وهناك نواح اخرى واضحة الدلالة على كذب هذه الرواية بصورة قاطعة وهى اننا اذا سلمنا بان محمدا عليه الصلاة والسلام جال بخاطره ان يترضى قومه بعد ان اشتد تعذيبهم لاتباعه ، واضطهادهم لاهله فاجرى الشيطان على لسانه هذه الكلمات التى جامل بها قريشا فاعتبروها ترضية لهم ٠ اذا سلمنا هذا فاين كانت عقول القوم الذين ترضاهم محمد وهم الذين كانت معجزة رسولهم القرآن لانهم أهل بلاغة وعلم بفنون القول ، وضروب الكلام ؟ فكيف مر عليهم التقريع الشديد ، والامتهان البالغ الذى اعقب الكلمات التى سرتهم وشرحت صدورهم ؟

اسمعوا الى سياق الآيات كما سمعتها قريش « افرايتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى ـ تلك الغرانيق العلا ، وا نشفاعتهن لترتجى ـ الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ، ان هى الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ماانزل الله بها من سلطان ، ان يتبعون الا الظن وماتهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى » ثم يقول بعد ذلك (وكم من ملك في السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى . ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى) ثم يقول : « فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى »

اين كانت عقول قريش وعلمهم بفنون القول وفيهم الوليد بن المغيرة الذى قال الله فيه « فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر » اين كان وزن هؤلاء القوم للكلام وهم في موقف يستدعى اعمال الفكر وكد الذهن ؟ كيف تنشرح صدورهم ويسجدوا مع محمد عند انتهاء السورة وهو الذى قال عقب مدح الغرانيق ٠ « ان هى الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ،

ثم كيف مر بهم التناقض الواضح بين قوله : وان شفاعتهن لترتجى . وقوله بعدها « وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى » ؟ ثم كيف مر بهم قوله تعالى (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ؟

كل ذلك لو امعن رواة هذه الفرية نظرهم فيه ماتورطوا ولا اساؤوا . وحسبنا ان نجد امثال ابن اسحاق والقسطلانى - من الذين لم تدركهم الغفلة - يقولون : ان هذه القصة من وضع الزنادقة .

٢ - قصة الزواج من زينب بنت جحش

تعالوا معى لنحصى على المؤرخين والمفسرين المسلمين غفلتهم وهم يمدون خصوم الاسلام بالاسلحة الفتاكة التى يطعنون بها معتقداتنا ومقدساتنا فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر يطعنه فى أخلاقه التى اثنى ربه عليه من اجلها فقال : « وانك لعلى خلق عظيم » فقالوا فى زواجه من زينب بنت جحش مالا يقال فى عربيد . مع علم المؤمنين بان الهدف الذى تهدف اليه هذه القصة هو القضاء على امرين كان العرب فى الجاهلية قد تواضعوا عليهما بحيث لايستسيغون ابدا ان يخالفوهما مهما كانت الدواعى والاسباب .

اولهما : منع زواج القرشية الرفيعة النسب من مولى من الموالى . وثانيهما : أن يتزوج الرجل من امراة ابنه المتبنى .

نزلت الايات لتحطم هاتين الظاهرتين فى المجتمع الاسلامى الجديد فتقضى اولا على فروق الحسب والنسب بقوله تعالى « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وتقضى ثانيا على البنوة المدعاة ومالها من حقوق بقوله تعالى : « وما جعل ادعياءكم ابناءكم »

لكن كيف يصنع محمد هذا ويطبقه على نفسه هو ؟ كان تدبير المولى جل وعلا ان يحطم رسول الله اول هذه العادات فيزوج زيدا ابن حارثة ابنه المتبنى من شريفه قرشية صريحة فى النسب هى زينب بنت جحش ابنة عمة محمد رسول الله . ثم كان فى علم الله الا يطيب لها العيش مع زيد فتتم المرحلة الثانية من الخطة الالهية المرسومة وهى أن يتولى محمد بنفسه زواج المراة التى هانت منزلتها فى قريش بسبب زواجها من زيد

ولكن محمدا عليه السلام كان يدور بخلده دائما مقالة قريش فى الخروج على العادات والتقاليد ، وليس امامه اجل مضروب بينه وبين ربه حتى يتعجل التنفيذ ومن اجل ذلك نزلت الايات « واذ تقول للذى انعم الله عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه » وفيها قوله (وتخشى الناس والله احق ان تخشاه »

وهنا وجد مصنع الاكاذيب الفرصة سانحة للوصول الى هدف يحقق النيل من شخص رسول الله فقالوا : انه مر ببيت زيد - ولم يكن فيه - فراى زينب فبهره حسنها ! وقال :

سبحان مقلب القلوب . ثم قال اخرون : انه لما فتح باب زيد عبث الهواء بالستار الذى على غرفة زينب فرآها فى قميصها ممدة كانها - كما تقول المستشرقة التافهة « مدام ركاميه » او « جريتا جاربو » فانقلب قلبه فجاة ونسى سودة وعائشةوحفصه وزينب بنت مخزوم وام سلمه ونسى كذلك ذكرى خديجة هكذا قيل .

ومن العجيب ان القصة التى تعتبر من مفاخر محمد عليه الصلاة والسلام لانه طبق على نفسه مايؤمر به من تشريع يراد به محو تقاليد الجاهلية وعاداتها - تؤخذ هذا الماخذ الدنىء ويرويها رواة مسلمون من غير تدبر فيما تهدف اليه . ولم يدركوا انه قام على تفنيدها عدة امور

١ - ان المولى سبحانه وتعالى قال : فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا »

فانظروا الى اسباب التشريع واضحة ، ثم انظروا الى حرج المؤمنين من هذا التصرف فى قوله : « لكيلا يكون على المؤمنين حرج »

٢ - ان زينب هى ابنة عمة الرسول صلوات الله عليه

٣ - وانها ربيت بعينه ورعايته

٤ - وانها كانت منه بمنزلة البنت او الاخت الصغرى

٥ - وانه شاهدها فى نموها تحبو من الطفولة الى الشباب

٦ - وانه هو الذى خطبها على مولاه زيد بن حارثة

فكيف يقال فى رسول الله مايقال فى اى عربيد ؟ لسر فى ذلك كما يقول ابن خلدون فى مقدمته « انه كثيرا ماوقع للمؤرخين والمفسرين وائمة النقل من المغالط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا او سمينا ولم يعرضوها على اصولها ، ولا قاسوها باشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة فضلوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الفهم والغلط » اهـ

الإدخار واجب وطني

الأستاذ ابراهيم مصباح

يقف الملايين يستمعون من القائد المعلم الى التحديات التي تواجه شعبنا .. ويتحدث القائد ويبسط وجهات نظره في الحديث . ويقدم بصراحته المعهودة كل الصور ويتلمس زواياها المختلفة ثم يهتفون جميعا هتاف الاقتناع .. نحن معك . نواجه معك كل التحديات

وكما واجهنا تحدى الاستعمار عام ١٩٥٦ فاننا دائما على نفس المستوى ولكن بعد أن صهرتنا التجربة وبعد أن امدنا النجاح المتتابع بالثقة الكبيرة التي لاتتزعزع .

والرئيس قد عقد في الاجتماع الموسع الذى عقدته الهيئة البرلمانية في السادس عشر من مايو سنة ١٩٦٥ للتجربة المصرية الثورية بجوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية منذ قيام الثورة حتى عام ٦٣-١٩٦٤ وهي السنة الرابعة من الخطة الخمسية الاولى التي بدأت عام ١٩٥٩-١٩٦٠

ونحن على ابواب الخطة الخمسية الثانية نحتاج الى اموال ضخمة لكي نقوم بالاستثمارات المدرجة في الخطة واهمها بناء الصناعات الثقيلة قاعدة الرخاء في اى دولة حديثة وكذلك تطوير الزراعة على أسس علمية سليمة .

وأول سمات المرحلة الجديدة التركيز على الانتاج وهذا يظهر في التخطيط والاستثمارات والمدخرات ومحاربة الاسراف .

ومفهوم الاسراف او معناه قد يتغير باختلاف العقلية التي تتناوله . فالشخص الذى لاينظر الى الامور نظرة كلية شاملة العمق قد يجد الاسراف في نواح بعينها ، ولكن للاسراف اوجه متعددة بسطها الرئيس في حديثه

« الاسراف ان العامل مايشتغلش السبع ساعات ان مانشغلش المصنع تلات ورديات اذا كان عندى مصنع باشغله وردية واحدة . وابنى مصنع تاني يبقى ده أسراف ، اذا كان عندى مصنع لازم أشغله . أولا تلات ورديات واشتغل ٢٤ ساعة .. الاسراف انى استهلك المعدات الموجودة عندى او استهلك مستلزمات الانتاج او يكون فيه صنف عليه طلب للتصدير وما اصدروش الكلام على الاسراف النهارده مركز في حاجتين .. العربيات وبدل التمثيل ، انا باقول ان فيه أكثر من كده ، لكن الكلام على البندين دول .. مش هم دول الاسراف . فيه حاجات كثيرة جدا تدخل تحت الاسراف »

والحقيقة ان الاسراف رذيلة ، ضررها بالغ بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع ايضا . وقد نهى الاسلام عنها وحث المسلمين على الادخار .. والايات الكريمة والاحاديث الشريفة كثيرة في هذا الشأن نكتفي منها بالاية الكريمة :

« والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » صدق الله العظيم

وقول الرسول عليه الصلاة والسلام « التدبير نصف المعيشة »

وقول الصديق رضى الله عنه « انى لابغض اهل بيت يأكلون رزق أيام في يوم واحد » والاسلام يبحث في صالح الفرد وصالح الجماعة معا .

وقبل ان يكتشف قانون العرض والطلب وقانون الانكماش والتضخم بزمن طويل ، جنب الاسلام المسلمين المضار التي تنشأ عن تلك القوانين التي تحكم العلاقة بين السلعة وسعرها .. فاذا زادت السلعة في السوق وقل الاقبال عليها فان سعرها ينخفض او على الاقل يقف عند مستوى معين ، اما اذا تهافت الناس على الشراء والاقتناء والقوا بأموالهم في السوق فعندئذ يرتفع سعر السلعة باستمرار ثم تزداد النقود المطروحة ، او المتداولة ويقل المعروض في السوق من السلع وبالتالي يحدث مايسمى بالتضخم ، والتضخم على اى حال من الظواهر الاقتصادية غير الصحيحة والتي ينبغي أن تحاول الدولة مسئولة مع الافراد ان تخرج من دائرتها .. ونفس ما يقال عن التضخم يقال عن الانكماش وهو حالة تكاد تكون عكسية حينما تزداد السلع وتقل الاموال وينقص حجم الاستثمارات ويظهر شبح البطالة .

وهكذا نجد ان الاسلام حينما حث الفرد على ان يكون معتدلا في انفاقه وسطا في مصاريفه فانه قد جنبه الفرد وابعد عن المجتمع الذى يعيش فيه شبح الفاقة والاضطراب الاقتصادى .

ولقد قرأت مؤخرا حديثا في التخطيط الاقتصادى يقول فيه كاتبه الدكتور احمد المرشدى ان التخطيط الاقتصادى لم يظهر في القرن العشرين الميلادى وانما ظهر منذ كان هناك نشاط انسانى أى منذ الاف السنين .. ثم ضرب لذلك مثلا من خطة اقتصادية استمرت خمسة عشر عاما حيث يحدث القرآن الكريم عن الخطة القومية التي وضعت اذذاك في مصر ، ويقول القرآن الكريم على لسان يوسف عليه السلام :

« قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبلة الا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » صدق الله العظيم .

وقد توالت حكومات وتعاقبت دول بعضها تابع عملية التخطيط على أوجهها المختلفة . والاخر لم يهتم ، حتى ادرك الانسان في العصر الحديث أن التخطيط امر حاسم في نجاح حياة الفرد أو المؤسسة او المجتمع كله .

وترك القمح في سنبله الا قليلا ، والمعنى الكبير الذى يطل وراءها .. هو مانريد الحديث عنه ، فان الانتاج اذا استهلك جميعه فاننا نواجه انكماشا في حركة الاستثمار تؤدى بالضرورة الى تقلص مستمر في حجم الانتاج مع زيادة مستمرة في تعداد السكان ..

اننا نريد ان نترك جانبا من الانتاج ليعاد استثماره من جديد .. ان هذا الجانب المتروك من الانتاج .. او

المرحل الى السنة التالية هو مانسميه الادخار • وان التهام الانتاج كله هو الاسراف الذى لا يمكننا من تنفيذ خطتنا الطموح لرفع الدخل القومى مضاعفة فى عشر سنوات ••

ونعود ثانية الى كلمة السيد الرئيس فى صدر المقال فى معرض الحديث عن الاسراف :

« الاسراف انى استهلك المعدات الموجودة عندى او استهلك مستلزمات الانتاج أن يكون فيه صنف عليه طلب للتصدير مااصدروش »

والصادرات تكون مصدرا حيويا من مصادر التمويل وموازنة الاستهلاك والخدمات •• وبالرغم من الحصار الاقتصادى الذى فرض علينا حقبة من الزمن الا ان الاموال الخارجية بدأت تعود لاستثمار اموالهـا فى مشروعاتنا •• وقد زاد هذا المال بمقدار ١٤١ر٩ مليون جنيه بين عامى ١٩٦١ ، ١٩٦٣ بينما لم تزد حصيلة الصادرات بأكثر من ٦٣ر٩ مليون جنيه وكانت المتحصلات الخارجية جميعا ١٠٧ر٧ مليون جنيه عام ١٩٦٣ ولا يمثل هذا القـدر النسبة المطلوبة فى التصدير وقد يرجـع السبب الى ان الاموال المستثمرة توضع فى مشروعات قد أن يتأخر ظهور أرباحها وهى ما يسمى فترة الحضانة أو يتأخر انتاجها المعد للتصدير ولكن قد يرجع السبب الى أننا نستهلك بعض ما هو معد للتصدير • ولا جدال فى أن نظام البيع بالأجل قد شجع على زيادة الاستهلاك كما تسبب فى احداث ارتباك لميزانية أسر كثيرة كمـا أثر فى الوقت ذاته فى أرقام التصدير •

وقد سجل الاستهلاك العائلى ارتفاعا خطيرا كما يتضح من النسب والارقام التالية :

زاد الاستهلاك العائلى فى الفترة بين عام ١٩٥٢-١٩٥٣ ٦٣ - ١٩٦٤ بالنسبة للقمح ٨٣٪ والذرة الشامية ٩٠٪ والزيت ٦٣٪ والمسلى الصناعى بنسبة ١٢٤٪ والاقمشة بنسبة ٢٢٤٪ والاقمشة الحريرية ٦٩٪ اما الشاى فان استهلاكنا منه حتى هذا الشهر قد وصل الى ١٨ مليون جنيه وهذه امور تستدعى من شعبنا ان يفهم معانيهـا وخطورتها •

وقد سجلت مؤسسات وشركات كثيرة ارقاما ضخمة فى البيع بالاجل كما سجلت ارتفاع هذه الارقام ارتفاعا مطردا عاما بعد عام ، فاذا كان لهذا النظام مساوئه بالنسبة للتصدير فلا شك أنه يؤدى كذلك الى كثـرة الاموال فى السوق وحدوث التضخم •

ويطرح الدكتور لبيب شقير سؤالا « هل نخفض من طموحنا بمعنى تخفيض حجم التنمية والاستثمار ؟ »

ويقول الدكتور شقير « قد يبدو الحل من ناحيـة المظهر حلا سهلا ولكن نتائجه بعد ثلاث سنوات مثـلا تصل الى مرحلة الخطر البالغ »

ان مفتاح المشكلة يكمن فى الزيادة المستمرة فى تعداد السكان •• نسبة الوفيات فى انخفاض مستوى الأعمار يرتفع •• لذلك لايجب أن نقيس الابعاد الاقتصـادية للمشكلة بالسنة الحالية أو بخمس سنوات تالية دون ان نضع فى اعتبارنا هذا العامل الخطير وهو زيادة السكان •

وتأسيسا على ذلك فليس هناك بديل للهدف المرسوم • ونحن لانريد ان نضاعف الدخل القومى الا من أجـل مواجهة حاجات شعبنا والاعداد التى تفد كل عام ••

ان طاقات شعبنا الاصيلة تبعث على التفاؤل ، ونحن شعب اذا اقتنع سار فى طريق التضحية الى ابعد مدى ، ذلك لاننا شعب يؤمن بالله وبرسله وبالقيم الشريفة ، والاسلام الحنيف يحثنا على ترك الانانية الفردية والتكاتف لخدمة الهـدف •• ولنا فى رسول الله عليه الصلاة والسلام والمسلمين الاوائل من المهاجرين والانصار رضى الله عنهم خير اسوة ••

وشعبنا يميل بطبعه الى الادخار •• فلاحونا وعمالنا واهلنا جميعا • واذا كانت معدلات الاستهلاك قد زادت فى الفترة الاخيرة نتيجة لارتفاع الدخول بعد قرارات يوليو سنة ١٩٦١ وتعويضا لسنى الحرمان الطويلة فان هذا الشعب متى عرف خطورة هذا الاغراق فى الاستهلاك حمل السلاح •• سلاح الادخار طليعة مؤمنة لاترضى لنفسها أو لوطنها الا النجاح فى مشاريعه المخلصة

ومعدلات الادخار خلال ثلاث سنوات تشير الى طبيعة شعبنا ثم الى استجابته لدعوة الادخار •

فى عام ١٩٦١-١٩٦٢ بلغ الادخار المحلى ١٥٤ مليون جنيه
فى عام ١٩٦٢-١٩٦٣ بلغ الادخار المحلى ١٨٨ مليون جنيه
فى عام ١٩٦٣-١٩٦٤ بلغ الادخار المحلى ٢٤٥ مليون جنيه

وللقارىء العزيز أن يستنتج ان ارتفاع المدخرات يعنى ارتفاع التصدير يعنى القدرة على شراء المصانع والمواد وقطع الغيار يعنى ارتفاع فى معدلات الاستثمار والانتاج •• حتى نصل فى آخر الأمر الى الحيـاة الكريمة التى هيأها لنا الله تعالى ومنحنا العقل والذكاء لنستفيد من خيراتها ونهانا عن الاستغلال حتى لايتمتع فريق دون فريق •

ماهى جوانب الادخار وعدم الاسراف • انها تبدأ من صنبور المياه الذى يترك بلا أصلاح ومصباح الكهرباء او الغاز الذى يشعل بالنهار او فى حجرة ليس بها احد • ويمتد من هذه المستويات التى قد تبدو هينة وماهى بذلك - الى المستويات الكبيرة •• مثلا اتجاه الاستثمار الاتجاه الصحيح ومراقبته شعبيا والدراسة الكاملة للمشروعات قبل تنفيذها ورفع كفاية العمال والفنيين ، وباختصار تنفيذ الخطة التى أنفق فيها المسئولون والفنيـون وقتا طويلا بكل وعى وامانة ومسئولية ••

على انه من العلامات الصحيحة المشرقة اتجاه خط الانتاج فى المرحلة القادمة نحو بناء الصناعات الثقيلة والحد من انتاج السلع الاستهلاكية •

بقيت نقطة اخيرة •• لقد ذكر الرئيس جمال عبد الناصر ان المرحلة القادمة هى مرحلة انتاج وعمل وليست مرحلة مطالب اقتصادية ••

واود ان اذكر ان طبيعة المجتمع الاشتراكى الذى نعيش فيه يفرض علينا أن نواجه جميعا هذه المرحلة ومتطلباتها •

لقد اشترك الشعب كله عام ١٩٥٦ فى صد زحف التتار •• لم يتقاعس احد او يتخاذل ••

وهذا المعنى العظيم لازال رائدنا فى كل ميدان •• واليوم تفرض علينا هذه الروح الاقتناع الـكامل بان قضية الادخار هى قضية الكافة وانه لن تضحى فئة بينما تنعم الاخرى •• ستكون زيادة المدخرات من اهدافنا لاننا نعلم انه يؤدى الى زيادة الانتاج وأن زيادة الانتاج هى سلاحنا البتـار فى معركة التحدى السياسى الذى نواجه به من قبل الدول الاستعمارية •

سوف نتناقش حول الادخار فى المسجد والبيت والمصنع والحقل وفى الجمعية واللجنة النقابية والاتحاد الاشتراكى ومجالس الادارات • ومن النقاش الهادىء المقنع يبدأ العمل العظيم • فلا خير فى أمة يسلط عليهم القول ويمنع العمل •

ان شعبنا يقبل التحدى •• وكما انتصر فى كل المعارك السابقة فسينصره الله فى هذه المعركة الكبرى • معركة الانتاج ومضاعفة الدخل القومى •

خير سني العمر

الدكتور جمال الدين الرمادي

لكل أجل كتاب ـ وكل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة كما قال تعالى : « ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون » وكما قال ايضا « ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها »

فهذه حقائق دينية لا يتطرق اليها الشك ولا ترقى اليها الريبة ، ولكن ليس معنى هذا ان يسلك الانسان طريق حياته اعتباطا دون هدف ودون غاية انما لا بد ان يرسم منهجا ينسج على منواله ويحذو حذو فعاله حتى يدرك سعادته فى الدنيا والاخرة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لاخرتك كانك تموت غدا »

وقد رسم العلماء كثيرا من المناهج التى ينبغى ان يسير على هديها الناس حتى يسعدوا حياتهم ولايختلف اثنان من هؤلاء العلماء ممن يهدفون الى سعادة البشرية وخير الانسانية وممن لا ينزعون النزعات الهدامة ويعتنقون المبادىء المتطرفة لا يختلف اثنان فى ان الدين هو الحصن الواقى من مفاسد الحياة وهو الذى يجنب الانسان العثرات ويبعده عن المنغصات .

وقد وضح عالم امريكى كبير هو والتر ب. تبكن فى كتابه « خير سنى العمر » ان الواجب على المرء ان يكون مؤمنا حتى يسلك حياة سعيدة كما وضع فى كتابه كثيرا من المبادىء التى توضح كيف يتمتع الشاب والشيخ بحياة طويلة هانئة لا يشوبها ارهاق ولا ينتابها مرض ولا عجز ولا قلق حتى اهدى راحة البال والطمأنينة الى النفوس وازال غشاوة اليأس عن القلوب

وقد شبه المؤلف الحياة بغابة وما ايسر ان يضل الانسان فى الغابة دون ان يهتدى الى الطريق السوى غير ان الشىء الوحيد الذى يجب عمله عند هذا الحاجز بل عند سائر الحواجز التى تقف فى حياتنا هو ان نتغلغل فى اعماق الغابة وان نشق طريقنا خلالها على خير ما نستطيع .

وقد ذكر المؤلف ان هناك وجوها اربعة تبدو فيها الحياة اولها الخروج الى الحياة الدنيا والثانى النمو والثالث التناسل والرابع التكسب .

غير ان هناك وجها خامسا ارفع من هذه الوجوه جميعا وهو السبيل الى الاستمتاع بالحياة .

وقد غمر المؤلف الطريق امام الشيوخ بالنور وملأه بالامل فقال ان الحياة بعد الخمسين يمكن ان تكون من اسعد ايام العمر فخير السنين تأتى بعد الخمسين وهى خيرها بالمعنى الاعم لا بالمعنى الضيق فالرجل الذى لا يفهم الا اهون انواع الخير رجل عاثر الحظ لن يرتفع عن الوليد من لدن ولادته وقد يكون مديرا لاحد المصارف المالية ويبلغ من العمر الرابعة والاربعين ولكنه لا يزال طفلا فيكون مصيره على الغالب مصير امثاله فينتقل من تمتمة الطفولة الى خرف الشيخوخة فى غمضة عين يوم يعتزل منصبه الرئيسى .

ولقد وصل الحكيم ابن فرانكلين الى الباب الآخر حين قال ان الشاب الذى له خبرة الشيوخ سيكون شيخا له اهمية الشباب .

فالشيخوخة ليست ضررا وليست عبئا انما هى ضرورة من ضرورات الحياة وسبيل لا بد ان نسلكها اذا اتيحت لنا هذه الحياة .

ولكى يستفيد الانسان اكبر فائدة من خير سنى العمر يجب عليه اولا ان يسلط الضوء على نفسه ليعرف من هو وهذا المبدأ هو الذى دعا اليه سقراط فى الفلسفة الاغريقية عندما قال اعرف نفسك ثم كتبت هذه العبارة المأثورة على معبد دلفى .

فعلى الانسان ان يعرف ما الذى ينبثق من نفسه الاصلية التى ولدت معه وهو جنين وكيف يشق طريقه بين الاكداس المكدسة من العادات التى اكتسبها وهو يعول اسرته ويكافح فى سبيل الحصول على المال الكافى لكسوة ابنائه وكيف وجد نفسه فى سفح جرف الجليد على حد تعبير المؤلف .

والطريف ان المؤلف يقول انه يؤثر ان يكون عمره اليوم سبعين سنة على الا يكون شابا فى شرخ الشباب فى عصر سابق من عصور الدنيا ويؤثر ان يكون كسيحا اصما الان على ان يكون السيبادس القائد والسياسى الرومانى الاثينى « ٤٥٠ـ٤٠٤ » ق.م الاسود الامرد على عهد بركليس فالعصر الذرى يحقق الان من الاحلام اكثر مما حققته الوف الاجيال التى تقدمته .

فمنذ سنوات طوال كان يتوقع للوليد ساعة يولد ان تمتد به الحياة خمسا وخمسين سنة اما اليوم فقد ارتفع مدى الحياة المتوقع الى نحو سبعين سنة واخذت الان شركات التامين على الحياة فى مراجعة جداولها وستنفسح صفوف المواطنين الذين جاوزوا السبعين من ستة ملايين ونصف مليون الى عشرة ملايين فى الخمس عشر سنة القادمة

وان عمال المصانع ينتجون فى الساعة ضعف ما كانوا ينتجون من قبل كما يحصل الزارع العصرى على انتاج فى الساعة يزيد بمقدار خمسين فى المائة او ستين على ما كان يحصل عليه منذ اربعة عشر سنة

واليوم يستطيع الانسان ان يحصل فى عشرات الميادين على انتاج فى اسبوع ذى عشرين ساعة يضارع ما كان يحصل عليه فى اسبوع ذى ثلاثين ساعة منذ اربعة عشر سنة فقط ولذا ترانا قطعنا شوطا كبيرا نحو بلوغ عهد يساوى فيه العمل نصف الوقت .

ومن هنا نستطيع ان ننتفع بالفراغ وقد كان الناس منذ عهد قريب يتساءلون عما يحملنا على اطالة الحياة ويقولون ان العمل والاسقام التى تبرى جسد الهرم وتدنيه من حتفه تجعل من سنواته الاخيرة اسوأ سنى حياته

ولكن اليوم اختلف الوضع فاكتشفت اقراص السلفا واصبحت دارجة بعد ما كانت منذ سنوات قليلة مجهولة لدى الكثيرين ولم يكن يسمع بها الا رجل او رجلان :

وكذلك الحال بالنسبة الى البنسلين فانه ينتج اليوم على نطاق واسع ويحوم الاطباء الان على شفا اختراع

عظيم يمكن المصانع من تحضير بنسلين صناعي وقد انقذ هذا العقار الالوف من الموت المبكر وقد يضيف الى حياة الملايين سنوات لا تقل عن عشر وقد تبلغ اربعين .

ويعدد تبكن انواعا مختلفة من الادوية مثل الستربتوميسين والجراميسيدين والكورار وغيرها من انواع الادوية التى تقهقر امامها المرض تقهقرا كبيرا .

وقد ارتبط العالم اليوم ارتباطا وثيقا واصبحت الطائرات تطير بسرعة تزيد على ٦٠٠ ميل فى الساعة وقد تصل الى سبعمائة ميل فى بعض الاحوال ولدينا اليوم طائرات جبارة تستطيع الوصول الى أبعد ركن فى هذا العالم الصغير فى غضون ثلاثين ساعة تقريبا .

وهكذا تغير عالم اليوم عن الامس فمن حق الانسان ان يعيش سعيدا فى حياته .

وينصح المؤلف الانسان بعد الخمسين بان يخصص لنفسه جزءا من الزمن يخلو فيه الى نفسه ويدبر اموره بنفسه ويمارس الهدوء ويتجنب ان يكيد له المتعجرفون او يضايقه المتظاهرون والدساسون .

واذا قضى الانسان « فى رأى المؤلف » خير سنى العمر فى عمل واحد حفر قبره بيديه فخير زمن لنشاط واحد هو ان تقتطع له بعض وقتك فالتغيير سنة النهار بل سنة الليل كما يعلم ذلك الطلاب الذين درسوا ظاهرة النوم فان اعمق الناس نوما يتقلبون فى فراشهم مرة كل سبع دقائق أو ثمان .

وقد اخذ الاطباء يقلقون على من ينامون كانهم خشب مسندة ويقول المؤلف ان على المرء اذا اوى الى فراشه ان يذكر لنفسه ويكرر العبارة الاتية :

« اذا اردت ان احيا حياة كاملة على ان اقوم بعدة اشياء لا يستغرق كل منها الا جزءا من وقتى »

وينصح المؤلف الشيوخ باللعب الى جانب العمل ويحدد ساعات اللعب بعد الستين باربع ساعات او خمس كما هو الحال بالنسبة اليهم ويقترح لعبة الكرة والصولجان او غيرهما من اللعبات الهادئة .

وينصح المؤلف بالقراءة ولكنه يعلق على ذلك قائلا قوله جون رسكين المشهورة

« لما كانت الحياة قصيرة جدا أو ساعات الهدوء فيها قليلة كان واجبا علينا الا نضيع شيئا منها فى مطالعة كتب لا قيمة لها »

فهذا القول صحيح بالنسبة للمؤلف ولذلك هو ينصح بتخصيص وقت للقراءة اذا كان المرء يعرف مايحتاجواذا كان يرغب فى ان يدرس بالجد موضوعا معينا فالكتب فى هذه الحالة أشبه بالعقاقير التى يعطيها الصيدلى الذى يتوجه اليه الانسان ليستحضر له دواء مفيدا فان المريض يسأله مفيد فى أى غرض ؟

فيجيبه ويستحضره المساعد ثم يكتب عليه الصيدلانى ثلاث مرات يوميا قبل الاكل . فيتعاطاه المريض وهو يرجو ان يشعر بتحسن منه .

وكذلك الحال اذا تعاطى الانسان قبل ان يأوى الى فراشه قصة مزعجة تدور حول الشئون المالية او التزوير او الدعارة فبعض الكتب تساعد على النوم العميق او تتعاطى بدلا من المسكنات وبعضها تثير القلق والمنغصات .

ويقول المؤلف ان اكبر العهود فى التاريخ الطويل للنشر انيتق هجره وقد كانت الكتب يقرؤها العشرات من الناس ثم المئات منهم ثم الالوف اما الآن فيقرؤها الملايين

ويعلق المؤلف على ذلك بقوله : « وما لم تدهشنى سيارة محملة بالفراولة وانا اتطلع الى اخبار تجارة الكتب فسأعيش لارى بضعة من الكتب يقرؤها عشرات الملايين » .

وبعد الستين ينصح المؤلف بعدم التعلق الشديد باسطورة التفكير ولا يمنع التفكير فى ذاته فهو حل لمشكلة فى الراس بمحض التذكر او المقارنة او الاستنتاج او بوسائل العقل الاخرى

فالتفكير عمل شاق واشق مما يستطيعه كثير من الناس وعلى المرء بعد الستين الا يضن نفسه به ولكن اذا كان له ميل للتفكير فلا غضاضة فيه . فاى شخص جاوز الستين ممن لهم عادات سليمة فى التفكير يستطيع ان يأتى بالعجائب اذا التزم المثابرة والصبر دون ان يشتط بعيدا عن الموضوع .

وخير للانسان ان يتقاعد وبه مسحة من الشباب تكفل له التمتع بالاشياء والانسحاب التدريجى خير من الانسحاب الفورى لان الانسحاب التدريجى هو الطريقة الطبيعية المعقولة التى تتجنب الارهاق والصدمات

وينصح الملف والتر بتكن بالمبدأ القائل « استخدمها او دعها » ويقول ان هذا القانون الطبيعى هو صاحب السيطرة المطلقة على جميع العادات التى هيأتها الظروف كما ان هذا المبدأ يجنب الانسان المتاعب فى الحياة .

وهناك فرق بين الاعمال الحقيقية والاعمال المفتعلة ويحدثنا المؤلف بانه زار احد الاطباء الاخصائيين فى الامراض العقلية فوجد لديه نموذجا للرسم الكهربائى للمخ وقد شاهد فى العيادة احد المرضى وتجاذب معه اطراف الحديث وتحدث معه فى شأن هذا الجهاز الحديث فقال المريض اننا لا نريد اعمالا للعلاج بل نريد علاجا فقط ، فليس المهم هو المظهر انما المهم هو الحقيقة وعلى الانسان ان يعرف كيف يستخدم الوسائل استخداما سليما يحقق النتيجة المرجوة او يترك الامر بعيدا

ويجب على المرء ان يتجنب متاعب الراحة فان للراحة متاعب كما ان للعمل متاعب ولا بد من استغلال الوقت فيما هو نافع ومفيد فاسعد الناس رجل عليه تبعات يحبها ويستطيع ان ينهض بها على وجه حسن واسعد الناس رجل عليه تبعات يحبها ويستطيع ان يعالجها علاجا مقبولا ولو ببذل بعض الجهد واقل منه سعادة هو الذى عليه تبعات يكرهها ولو انه ينهض بها بمهارة

وابسط تبعات الانسان هى ما كان منصبا على ذاته اذ ان عليه ان يرعى صحة جسمه وعقله رعاية دائمة وان يخصص لهما ما يحتاجان اليه من وقت ونشاط .

وهذا قليل من كثير مما تضمنه كتاب خير سنى العمر تأليف والتر تبكن وترجمة اللواء عبد المنصف محمود والسيد امين خيرت الغندور ومراجعة الاستاذ عبد الرحيم سرور وهو كما سبق ان اسلفت من الكتب النفيسة التى تعتبر من كتب العمر وتدور حول خير سنى العمر

حول مشروع قانون الأحوال الشخصية

الأستاذ على عزت القاضى

مقـدمة :

تطالعنا الصحف والمجلات بتعليقات متنوعة حول مشروع قانون الأحوال الشخصية المعروض على بساط البحث والذى تشرف عليه لجنة الأحوال الشخصية فى الجمهورية العربية المتحـدة والتى تتشرف بأن يكون رئيسها أستاذنا الجليل الفاضل الأستاذ السنهورى .

وقد تعددت الآراء وتنوعت فى هذا الصدد وهى قد تقترب من الحق أو تجانبه ، أو تسير فى طريق الصواب أو تتباعد عنه . وهى على كل حال تصل الى الخير والجادة كلما سايرت تعاليم الاسلام ، وسلكت منهجه القويم فى علاج أعمق المشاكل ، وأعقد الأمور . لأنها تعاليم السماء تلك التعاليم الربانية التى نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم وهو لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى .

ولأن الله سبحانه قد أبدع نظام الكون وصرف أموره . فلن يشق عليه أن ينظم أحوال الاسرة وهى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع وهى دعامتـــــه . وهى أبسط خلاياه وأصغرها فى نفس الوقت . ولكن الذين ضاقت عقولهم وأفئدتهم وعجزوا عن ادراك الحقيقة ، لم يفهموا معنى الاسلام ولا تشريعات القرآن الكريم بخصوص الاسرة ولو أنهم درسوها وفهموها حق الفهم ما أرادوا لها بديلا ولا لغيرها تنظيما ، مع العلم بأن طريق الاسلام على جوانبه الأضواء الكاشفة والمصابيح الربانية التى لاتنطفىء أبدا « انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

ويجب أن يتبادر الى الذهن بأنه مهما بلغت حكمة الانسان وفطنته فلن يمكنه أن يشرع جزءا يسيرا من تشريع الله بل الله سبحانه قادر على أن يذهب هـذا العقل وقد منحه لعبده .

لذلك فيجب ألا يقول انسان هذا رأى وهذا رأى الا بحجة من الشرع ، والا انقلب الكون وانفك عقد نظامه وضاعت هيبته . هذا لئلا يخلط بين الحرام والحلال ولكن المؤمن الحق يعرف طريق الصواب . فالحلال بين والحرام بين ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو بصير .

والنقاط الهامة فى هذا البحث هى :

أولا : موضوع تعدد الزوجات .

ثانيا : ايقاع الطلاق باذن القاضى .

ثالثا : بيت الطـاعة .

ونتناول أولا :

تعدد الزوجات
المبحث الأول

لقد أباح الشارع الاسلامى الحكيم تعدد الزوجات قال سبحانه « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » وقال « فان خفتم أن لاتعدلوا فواحدة » . وقال « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » .

ولله فى خلقه شئون وهو أدرى بحكمته فى تشريع التعدد ، مما لا يستطيع الانسان أن يتوصل اليه ولو كان فذا نابغا ذا فطنة . ولكن اذا حلق الانسان بتفكيره استطاع أن يعلم أن للتعدد حكمة ودوافع حتى أن الشرع قد أباحه ، من ذلك أنه قد تكون الزوجة مريضة مرضا لا يرجى منه الشفاء ، ولا يريد الرجل أن يطلقها لحبه لها وتقديرا لخدماتها وأخلاقها وعشرتها معه . وهومازال فى ريعان شبابه ، وهذا المرض مانع من الجماع أو هو مرض معد . فهل من الاصلاح أن يبقى الرجل بلا امرأة حتى يكون على هواه وبذلك تشيع الفاحشة ، أم يكبت جماح نفسه ولا يتزوج وليترك الامر لله .

ان الشارع الحكيم لا يكلف نفسا الا ما آتاها « وماجعل عليكم فى الدين من حرج » ولهذا فالتعدد ميزة من ميزات الاسلام استعماله للضرورة — والطلاق كذلك — ذلك أن الله قال فى التعدد — « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » — وقال صلى الله عليه وسلم فى الطلاق « أبغض الحلال الى الله الطلاق » .

وان كثيرا من القصص تفسر ذلك ولكن المجال لايتسع فكم يتمنى غير المسلم أن تحل عقدة نكاحه حتى يتخلص من المصائب التى منى بها وكم من ازواج يتعذبون بسبب امتناع الطلاق . بل ان الغيرة فى نفس المرأة تمنعها من الاستهتار بالرجل خشية الزواج بغيرها .. فاذا خشى الزوج الله — استقامت الأمور .

فهل يتعقل ذوو العقول وهل يتدبر أصحاب القلوب الكبيرة فى فهم ما شرعه الله !!

هذا وكثيرا ما لا تنجب الزوجة اولادا فيضيق بهما عش الزوجية وتدفع الزوجة زوجها عن رغبة أو مكرهة — — وان كان نادرا — الى الزواج للانجاب نظرا لأنها تجده يعاملها معاملة قاسية بسبب ذلك . والنسل من ضرورات الحياة بل هو الأثر المرتب على عقد النكاح لا مجرد قضاء الشهوة قال سبحانه « فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم » .

هذا الى آخر هذه الأمثلة التى لا حصر لها فى حكمة التعدد ودوافعه المشروعة وأظن أن ذلك ليس فيه شبهة حرمة أو ضرر .

أما اذا كان الناس لا يستعملون الشرع فى غير محله ولا يضعون الأمور فى نصابها فان ذلك بعيد عن الدين والاسلام منه برىء . ويلاحظ أن الشارع الاسلامى لم يترك ذلك التعدد للرجل كحق مطلق له ، بل منح فى مقابله للزوجة حق الطلاق من القاضى عند ايقاع الضرر بل أو اساءة عشرتها أو معاملتها بما لا يليق بها وبأمثالها . فهل هناك تشريع يفوق ذلك ؟! لا والله . أم على قلوب اقفالها !! أم هى الرغبة فى التجديد . ماذا نقول « انها تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

على أن النساء اللاتى يدعين التحرر والانطلاق — وهن يعلمن وربما يتجاهلن — أن الحرية المفرطة عادة ما تنقلب الى ضدها . وما فسدت الا بسبب ذلك الافراط أو التفريط ولكن الاسلام وسط بين الافراط والتفريط .

اخى واختى فى الاسلام ، ان تشريع السماء أسمى واجل فيه احترام لشخصية المرأة ومحافظة على شرفها دون اهدار لكرامتها ، ولكن المغرضين يبثون الدعايات السامة حتى تتدهور حالة الأسر ويضعف المجتمع . ونكرر ذلك مرارا ولكن لا أحد يعتبر ، ونسمع ولا نطيع ،فالحكم لله العلى الكبير .

ان الاستعمار لا يترك ثغرة الا نفذ اليها يضع السموم لتتاصل فى النفوس ثم يتركها تلتهم بعضها . فلماذا لا نتنبه لألاعيبه ونحن على بصيرة . ان الاسلام أعطى للمرأة من الحقوق ما لم يعطها غيره من الاديان أو التشريعات اذ جعل لها حقوقا شخصية وذمة مالية مستقلة ، أين ذلك بالنسبة لتشريع الرومان والقدماء والجاهلين . قال تعالى « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة »

وفى ذلك تنظيم اجتماعى سليم وادارى رفيع « تدرج رئاسى » دون أوامر جافة ولكن بالتفاهم وتبادل الرأى .

مع احترام شخصية الرجل ورأيه . فليتق كل ربه فى معاملته وعمله وعشرته قال صلى الله عليه وسلم أكثر ما يدخل الناس الجنة « تقوى الله وحسن الخلق » وقال عليه الصلاة والسلام « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى »

وقال الشاعر :

ألا بالصبر تبلغ ما تريد
وبالتقوى يلين لك الحديد
وتقوى الله خير الزاد ذخرا
وعند الله للاتقى مزيد

بعد ذلك نبحث موضوع ايقاع الطلاق أمام القاضى وباذن منه ...

المبحث الثانى

ثانيا :

ايقاع الطلاق باذن القاضى

ان تقييد الطلاق أمام القاضى ليس له دليل من الشرع ، بمعنى انه ليس للقاضى أن يضع شروطا تقيد من حق الطلاق دون مبرر من الشرع ، فالطلاق حق الزوج ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « الطلاق لمن اخذ بالساق » .

وأما اذا اختلقنا شروطا اخرى غير ما نص عليه الشرع — فهذا حرام ، لأن الشارع جعل من الطلاق حق ولكنه مقيد بحدود ذلك لأنه كما قال عليه الصلاة والسلام « أبغض الحلال الى الله الطلاق »

واذا جعلت ساحة القضاء ميدانا لبحث أسباب الطلاق ومبرراته فربما يكون ذلك مدعاة الى الافضاء بأسرار الزوجية والقيل والقال وقد يكون الكثير كذب وافتراء والقليل صدق وحقيقة لأن كلا من الزوجين وقد وجد أمام الحاكم « القاضى » فانه سوف يتجرد من عواطفه أملا فى الانتصار على خصمه والكيد له — كما يحدث ذلك فى قضايا النفقة وغيرها — حتى يفوز على خصمه فى ساحة القضاء وميدان المرافعة والخصام . دون تبصر أو تعقل ما دام الأمر قد وصل الى هناك وربما لو تم ذلك قد يزيد النفوس تعقيدا وعنادا ويملأ القلوب حقدا ذلك أن كلا من الزوجين قد أفضى ما فى نفسه أمام القضاء فى حين كان من الواجب عليه أن يحافظ على أسرار القلوب والأسر .

ولسنا من جانبنا نقول أكثر من ان الطلاق — كما يفتى البعض — لا يقع فى الحلف ، والطلاق الاول لايقع « الطلاق مرتان » والطلاق فى الحلف لا يقع لقوله تعالى : « من أراد أن يحلف فليحلف بالله أو ليصمت »

ويجب حضور شاهدين تتوافر فيهما شروط خاصة . وكل ذلك فيه تقييد الحق الذى منحه الشارع للزوج وهو الطلاق .

ويجب أن يراعى ما نص عليه الشارع « فامساك بمعروف أو تسريح باحسان » وقال سبحانه « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته » وقال جل شأنه « فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »

ورأس الأمر وسنامه ان يوجد الضمير الحى اليقظ وتقوى الله فى السر والعلن وحسن الخلق وحسن المعاشرة

وجمال الطباع . كما قال صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلى » .

ويجب على المسلمين أن يراعوا ما نص عليه القرآن الكريم « فان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما » .

وعلينا أن نفهم ما تريده الآية الكريمة بنصها « فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا انالله كان عليا كبيرا » وأن نراعى هذا التنسيق والترتيب المحكم المنظم المبدع .

واذا عملنا على انجاح المجالس العرفية - بين الأسر - فى المدن والقرى وهى تتكون من أصحاب النفوذ الادبى من أعضاء الأسرة الواحدة أو العائلة الواحدة أو عائلات بلدة معينة أو الأصدقاء المقربين لكان ذلك اجدى وأنفع - كما يقول أستاذنا السنهورى . - ذلك حتى يمكن أن يتفرغ القضاء لكبريات المسائل التى تحتاج الى الى البحث فى ساحات القضاء دون مساس بمشاعر الأسر . حتى يمكن أن نجعل أسرار الأسر فى طى الكتمان لا يطلع عليها الا الله والشريكان فى الاسرة الواحدةوالعش الواحد وأقرب الاقربين حتى نحقق قوله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

والله نسأل ان يهدينا سواء السبيل .

بعد ذلك نتحدث عن الموضوع الثالث وهو بيت الطاعة

المبحث الثالث

بيت الطاعة

كثر الحديث عن بيت الطاعة ، فمن سيدات يطالبن بالغائه ، ومن مؤيدين للاستمرار فى بقائه ، ومن اشخاص لا رأى لهم ويسيرون مع التيار دون اعتراض دون أى مبرر .

والحقيقة اننا لو تدبرنا الأمر والنصوص المحكمة لكان خيرا للجميع للرجال والنساء والأسر والمصلحة العامة ، قال عليه الصلاة والسلام فى وجوب طاعة الزوجة لزوجها « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها » . ولن تدخل الجنة امرأة عاصية لزوجها - فى غير حدود الدين والشرع - . بل اننا نجد فى القصة المشهورة التى يرويها التاريخ الاسلامى أن المرأة التى أطاعت زوجها حتى عند الضرورة بل أشد الضرورات فلم تخرج من بيت زوجها بدون اذنه حتى بعد أن علمت بوفاة أبيها . لذلك فقد غفر الله لأبيها من أجلها .

فهل بعد ذلك ثغرة ينفذ اليها النسوة للتحدث عن الغاء بيت الطاعة واعتباره فى كل الأحوال فيه اساءة للزوجات ، دون أن يعتبر مدعاة للاباحية الزوجية أو الاساءة للازواج .

ان الطاعة واجبة فى حدود الدين والشرع .

واننى أقرر القول بانه لو صلحت القلوب والافئدة ورجعت العقول الى رشدها وصوابها وروعى الشرع والدين أولا وقبل كل شىء لاستراح الجميع واهتدوا الى طريق الخير والصلاح . ولقويت العلاقة بين الأسر واعضائها ورجع ذلك بالخير الوفير على المجتمع الاسلامى بأسره . ولما احتجنا الى تشريعات وتنظيمات متكررة أو قوانين وضعية تقصر عن معالجة الامور علاجا جذريا وكما يقولون لا تكون جامعة مانعة .

وفى الختام لنا نداءات ورجاءات :

خاتمة

على أننا نوجه فى النهاية الى الرجال عموما وبالأخص ممن تعودوا أو اعتادوا النطق بالطلاق فى كل مكان فأساءوا الى أنفسهم وأساءوا الى تشريعهم والتشريع الاسلامى منهم برىء لانه لم يوجد الا للمصلحة وللضرورة « لا ضرر ولا ضرار » .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فعلى الرجل ان يتحرى الدقة عندما ينوى أن يطلق امرأته ويعمل بالشريعة الاسلامية ويتمشى مع منهجها القويم فى هذا الصدد فسوف يجد راحة نفسية لاحد لها . بل ان الافتراء على الزوجات والافتراء على الله كذب وضلال لا طائل من ورائه .

واذا كنا نذكر أنه حق مقدس للزوج وحده فيجب ان أن يكون فى علمنا أنه أبغض الحلال عند الله كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم .

واننى أرى أن المخالطة فى المجالس والتوغل فى الصداقات بين الرجال والنساء الى حد بعيد يهدم الاسر ويقوض دعائمها ويوجد الشقاق ويقضى على الصداقات . ولذلك يحسن أن تكون لصداقات الاسر حدود ولو كانت هناك صلة المودة والقربى .

ومن ناحية تقيد الطلاق باذن القاضى فهذا أمر لا أراه علاجا للمشكلة حفاظا على أسرار الاسر ودعائم العائلات لان أسرار الاسر ليست ككل الأسرار حتى نعرضها أمام ساحات القضاء ولو كانت الجلسة المخصصة لذلك سرية . وقد يتاسر ذلك .

ولو ترك الأمر لاهل الحل والعقد من المسلمين من أسرة الزوج والزوجة ورجال الدين لكان الأمر أنفع والدواء أنجع .

والقول بأن تعدد الزوجات حرام فهذا رأى ان وجد فهو ضعيف فى الاسلام لان آية التعدد لا تعنيه بل تخوف منه وتحذر خشية الوقوع فى المعصية لعدم تحقق العدالة بين الزوجات . ونحن لا نرى التعدد واجب الا فى الضرورات القصوى .

وأما فيما يخص بيت الطاعة والغائه فلا مبرر له فهو حق الزوج القائم على الأسرة وعلى القضاء أن يراقبه ويتحقق من صدق شروطه على الطبيعة ما امكن ذلك . وهناك ضمانات قررها الاسلام لحماية المرأة اذا اعوج الرجل - كالتطليق للضرر أو اساءة العشرة أو ما شابه ذلك . والله نسأل أن يبصرنا بديننا القويم واسلامنا الحنيف . ذلك ذكرى للذاكرين .

أثر الدين والقرآن فى :
تقدم البشرية

الأستاذ محمد محمد السباعى

بلغتنى كلمة محمومة يرددها بعض الجهلاء المفتونين الذين خلت قلوبهم من الايمان وعقولهم من التمييز والذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . وما دروا أنهم حينما يلغون عقولهم بمحض ارادتهم انما يتشبهون بالدواب الذين قال الله تبارك وتعالى فى شأنهم : ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون .

يقول هؤلاء الملاحدة الجاهلون « ان الدين هو سبب تاخر المسلمين » كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا .

كيف يكون الدين ـ وهم يقصدون الدين الاسلامى طبعا ـ سببا فى تاخر المسلمين وهو لم يشرع الا للهداية ولانارة الطريق وتوضيح الرؤية أمام السالكين ولتعريف الناس بخالقهم المعبود الحق الذى ليس كمثله شىء بعد أن التبس عليهم الأمر فمنهم من عبد النار ومنهم من عبد الشمس والقمر ومنهم من عبد الكواكب والملائكة ومنهم من عند الأصنام والحكام ومنهم من عبد الانسان . هذا فضلا عن تعريف الناس بحقوقهم وواجباتهم والتزاماتهم نحو هذا الخالق البارىء العظيم ونحو أنفسهم ونحو غيرهم من الناس .

ولقد خاطبهم الدين من ناحية العقل « لأنه لا دين بغير عقل » فى كل ما شرع لهم وفى كل ما أمر ونهى .

لم يقل الدين الاسلامى للناس . الغوا عقولكم وآمنوا كما آمن السفهاء ولم يقل لهم عطلوا تفكيركم أو اهملوا انفسكم او كفوا عن العمل وترهبنوا فى صوامعكم وفى بيوتكم وانتظروا الأرزاق تأتيكم رغدا حيث شئتم .

كلا وألف مرة كلا . لم يقل الدين ذلك ولم يأمر بذلك ولكنه حث على العمل للدنيا والآخرة . ان الدين الاسلامى الحنيف يسلك بالناس دائما طريقا واضحا لا لبس فيه ولا غموض نحو الحياة الشريفة التى ينبغى أن يحياها الناس ـ لم يدع طريقا الى الخير الا سلكه ولا بابا الى الرشد الا طرقه ولا سبيلا الى الشر الا حذر منه وأوصده ـ كل ذلك لكى يخلق من الانسان خليفة لله فى أرضه .

والذى يتلو القرآن الكريم ويتابع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستذكر ما كان عليه الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم يجد مصداق ذلك ويدرك من غير اعمال للفكر ولا كد للذهن لماذا انتشر الاسلام وعم الآفاق فى سرعة البرق وامتدت فتوحاته شمالا وجنوبا وشرقا وغربا .

لو كان الدين سببا فى تأخر المسلمين لما استطاع المسلمون الأوائل ان يفتحوا الأمصار ويعمروا الديار ويدقوا باب الأندلس حتى أصبحت أوروبا بجلالة قدرها يتهددها الفتح الاسلامى وحسب الفاتحين انهم نشروا حضارة الاسلام ونور الاسلام وعلوم الاسلام ومدنية الاسلام فى سائر البلاد التى وطئتها أقدامهم فكانت البلاد المفتوحة على نمط عظيم وقدر هائل من الرقى والسعادة والعزة والمنعة وما تقلص ظل الاسلام فى بعض هذه البلدان الا عندما انشغل الفاتحون بأمور دنياهم . نسوا الله فأنساهم أنفسهم وكانت عاقبة أمرهم خسرا ، وهذه سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

أفيظن الجهلاء إن المسلمين الأوائل لم يكونوا متمسكين بدينهم وبتعاليمه السامية وأنهم ما نجحوا هذا النجاح الا لأنهم تركوا الدين ورائهم ظهريا ـ ان كان ظنهم ذلك فقد اخطأوا خطأ شنيعا لأن التاريخ يشهد بانهم كانوا أهل دراية وحذق وفهم لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكانت تعاليم الاسلام متغلغلة فى نفوسهم قولا وعملا وكانوا يطبقون أحكام الدين تطبيقا صحيحا وهذا هو سر نجاحهم وسر تقدمهم .

كان أولى بهؤلاء الجهلاء أن يقولوا : ان سبب تأخر المسلمين هو بعدهم عن الدين وعزوفهم عن تطبيقه التطبيق الصحيح السليم ـ فهذا هو الواقع ولا محيص من الاعتراف به .

يخيل الى ان الغرض من هذه الدعاوى المفضوحة ومن هذه الكلمات المسمومة هو خدمة المستعمرين الذين كرسوا حياتهم للقضاء على المسلمين ووجدوا أن أيسر وسيلة لهدم دينهم هى التجنى على تعاليم الاسلام وبالاخص على

كتاب الله الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اذ هما المصدران الأساسيان لهذا الدين الحنيف فمتى أمكنتهما الفرصة من النيل منهما انهار الدين من أساسه . هذا زعمهم وهذا حلم الفرب من قديم ومن قبل قيام الحروب الصليبية التى دبرها الحانقون على الاسلام .

ولكن هيهات أن يتحقق حلمهم الخبيث وبيننا كتاب الله الكريم نتلوه ونتدبر آياته وقد تكفل الله تبارك وتعالى بحفظه اذ يقول جل شانه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

فليكف هؤلاء الحاقدون من غيهم فدون ما يريدون خرط القتاد .

أيها المحجوبون عن نور الاسلام ..

لكم أن تتشدقوا بمدنية الفرب ولكم أن تشيدوا بحضارة الفرب ولكم أن تتحدثوا عن علوم الغرب ولكن لا تنسوا بأى حال من الاحوال ان الفرب مدين بحضارته وبمدنيته وبعلومه لعلماء المسلمين الأوائل .

فبينما كانت أوروبا تعيش فى ظلام دامس وبينما كان أهلها لا عمل لهم غير القنص وصيد الأسماك كان الشرق يزهو بنوره الوهاج المنبثق من جزيرة العرب ويفخر بعلمائه المنكبين على دراسة علوم الطب والفلك والرياضيات والجغرافيا والفلسفة والهندسة وسائر العلوم الكونية ولما انتشر الاسلام هنا وهناك كان نصيب الفرب ما يفخر به اليوم ويدعى زورا أنه صاحب الفضل فيه .

أيها الجهلاء ... تالله لو أن عمرو بن كلثوم أدرك الاسلام لتشرف بالانضواء تحت لوائه ولقال فيكم ما قاله فى غيركم :

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ولكن الاسلام علمنا أيضا أن ندفع بالتى هى أحسن وان تدعو الى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة وان نقول لهم كما قلنا لأهل الكتاب :

تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله - فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون -

قل لى يا صاحب الكلمة المحمومة - من أى ناحية فى الاسلام جاء هذا التاخر المزعوم الذى تحاول عبثا اثباته والصاقه بالدين ..؟

أمن ناحية الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ؟

ان كان ذلك كذلك فاعلم أنه لولا هذا الركن لفسدت الضمائر ولانعدمت الموازين ولما كان هناك فارق بين الانسان والحيوان . لان نكران هذا الركن الاصيل معناه اهمال الاعمال وعدم الاقبال عليها اذ يراها الناس امثال هذا المكابر لا فائدة فيها ولا جدوى ترجى من ورائها ما دام قد وقر فى أذهانهم الا رقيب ولا حسيب فليرتكب كل منهم ما يشاء من الموبقات ولينزل كل منهم الى الدرك الأسفل من الرذيلة ومن الفواحش ما ظهر منها وما بطن وهذا هو غاية ما يسعون اليه ولكن الله لهم بالمرصاد .

أم من ناحية الصلاة التى تربط بين العبد وبه برباط وثيق متين وفيها يتجلى بوضوح خشوعه قائما وراكعا وساجدا لله رب الأرباب ؟ وهى تنهى عن الفحشاء والمنكر والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا .

أم من ناحية الصوم وقد كتبه الله على عباده لعلهم يتقون . فهو فضلا عن كونه عبادة : طهرة للبدن وللجسم من تراكم الفضلات والشحوم الزائدة ورياضة للنفس الجامحة وتعويد على الصبر واحتمال المشاق واشعار للفنى بما يحسه الفقير من ألم الجوع والمسغبة فينعطف قلبه ويرق شعوره ويسمو وجدانه نحو بنى جنسه .

أم من ناحية الزكاة وفيها ما فيها من المعانى الانسانية والتكافل الاجتماعى والتعاون الاشتراكى ما يزيل عوامل الحقد والكراهية ويوطد العلاقات الطيبة بين أفراد المجتمع فلا حسد ولا غل ولا شحناء ولا بغضاء ؟

أم من ناحية الحج حيث يجتمع شمل المسلمين الوافدين من مشارق الأرض ومغاربها فى صعيد واحد فتسمو روحهم وتثلج صدورهم وتسعد قلوبهم اذ يتعارفون ويتناصحون ويحلون مشاكلهم على هدى من كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وسيرة خلفائه وصحابته واتباعه رضوان الله عليهم اجمعين ومن سلك سبيلهم ؟

أيها المبعدون عن هدى الاسلام ...

ماذا عاد عليكم من جحودكم وانكاركم غير التورط فى العلاقات الجنسية والانغماس فى الشهوات البهيمية وترك الحبل على الفارب لنسائكم وفتياتكم وشبانكم يرتعون كالبهائم والسوائم ولا رابط لهم ولا ضابط ولا وازع ولا ضمير والنتيجة كما ترون رجال كالنساء ونساء كالرجال ولقطاء يعدون بالالوف وشرف مهدر وكرامة ضائعة ؟

أتريدون أن تقولوا للناس ان ما أنتم عليه هو النجاح وهو التقدم والفلاح .؟

أظننتم أنكم خلقتم هكذا كالسوائم تأكلون وتشربون وتسرحون وتمرحون وترتعون ثم لا تحاسبون على ماتفعلون؟

أفحسبتم أن الله خلقكم عبثا وانكم اليه لا ترجعون .؟ يخيل الى والله انكم المعنيون بقول الله تبارك وتعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها »
ثم لننظر معا ما هى مطالب الانسان فى هذه الحياة ؟
نعم ان مطالب الانسان فى هذه الحياة كثيرة ولكن أهمها :

١ - حفظ الحياة
٢ - حفظ الصحة
٣ - حفظ العقل
٤ - حفظ المال
٥ - حفظ النسل أى الجنس .

فأرونى اذن أى مطلب من هذه المطالب قد حرمها عليكم الدن الاسلامى . ها هو القران الكريم بين أيديكم فتصفحوه والدين الاسلامى قد اتضحت كل معالمه فراجعوه وانظروا وانعموا النظر فى جميع أركانه ووصاياه - أهو شىء معقول يحتاج اليه الناس ويستفيد منه البشر فى معاملاتهم وفى سلوكهم وفى معايشهم ؟ أو هو شىء لاحاجة فيه للبشر ؟ - أهو شىء لازم للحياة ؟ أم هو شىء معطل لسير الحياة ؟

يقول الحق تبارك وتعالى فى سورة البقرة مبينا أركان الدين الاسلامى :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمفرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب

والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا . والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

ولنستمع مرة أخرى للحق تبارك وتعالى وهو يقول فى سورة الأنعام موضحا بعض ما حرم على عباده :

« قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولاتقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون » .

لقد أباح الاسلام الطيبات ونهى عن المحرمات وفصل هذه وتلك فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ وبينت السنة النبوية ما أبهم على الناس وما استعصى عليهم فهمه من أمور دينهم الحنيف .

لقد قال صراحة : « لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم» وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا » «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق» «قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة» «قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون »

انظروا وتفكروا وتعقلوا ـ هل أغفل الاسلام حقا من حقوق البشر ؟ هل حرم عليكم زينة الحياة الدنيا ؟ هل منعكم من الزواج اذا شئتم ومن الطلاق اذا أردتم ؟ هل حرمكم من العلم ومن التجارة ومن السعى والجد والمشى فى مناكب الأرض طلبا للرزق ؟ هل حال بينكم وبين الكسب المشروع والتملك بحق دون أى استغلال هل منعكم من الجهر بحقوقكم والدفاع عن مصالحكم المشروعة ؟

أرونى ماذا حرم عليكم الاسلام غير « الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام .

ماذا حرم عليكم الاسلام غير الشرك بالله والاضرار بالناس وأكل مال اليتيم . وعقوق الوالدين ونقض العهود والمواثيق والجبن والتولى يوم الزحف ؟

ماذا حرم حرم عليكم الاسلام غير الغش والخديعة والمكر والكذب والنفاق وبخس الميزان وتطفيف الكيل والوقيعة بين الناس والربا والميسر والخمر ؟

ماذا حرم عليكم غير الكهانة والنصب والغيبة والنميمة وشهادة الزور واضاعة المال فى غير طائل والسخرية بالناس والتنابذ بالألقاب وافشاء الأسرار ؟ ماذا حرم عليكم الاسلام غير التعالى على الفقراء وظلم الناس ورشوة الحكام والتجسس واهمال الواجبات والتفريط فى الحقوق ورمى المحصنات الغافلات ؟

ماذا حرم عليكم الاسلام غير البخل والتبذير والاسراف وغير ذلك مما هو مبسوط فى صفحات الدين الاسلامى المشرق الوضاء .؟ فكل ما لم يرد ذكر بتحريمه فهو حلال مباح لا تثريب عليكم فيه وهذا من فضل الله بعباده ومن رحمته بهم أنه رؤوف رحيم .

أرونى بالله من قال غيركم هذه المقالة الشنعاء التى تسود لها الوجوه وتتفضح بها السرائر وتتكشف بها النوايا الخبيثة التى لا تخدم غير المستعمرين والصهاينة أعداء الحق وأعداء العروبة ؟

ان التاريخ العام والتاريخ الخاص يحدثنا كل منهما عن حالة العالم قبل الاسلام وعن حالته بعد الاسلام والفرق شاسع بين الحالتين . فما لكم لا تبصرون وما لكم كيف تحكمون . أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون ؟

ولنختم هذا الحديث الآن بآيات بينات وردت فى سورة الأعراف يصح اطلاقها على أمثال هؤلاء المكذبين .

يقول تبارك وتعالى :

« واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه . فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون . من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون . ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون »

صدق الله العظيم .

« للحديث بقية »

صحابى فى مصر

الدكتور حسين نصار

عنيت القبيلة العربية - فى جاهليتها واسلامها - بأيامها : أيامها التى انتصرت فيها ، فسجلتها بين مآثرها ومفاخرها ، وأشادت بها ، وجعلت من التحدث بها أغنية يشدو بها الشداة ، ويسمر السامرون ، ويرددها الرواة . وأيامها التى انهزمت فيها، حافظت على ذكراها بينها وبين نفسها لتكون الوقود الذى يشعل حماسها دواما ، والمحرك الذى يدفعها أبدا الى الاخذ بثارها ، وغسل عار هذه الهزيمة عنها .

وكان ذلك مبدأ التاريخ العربى .

فلا غرابة أن نجد العرب يعنون بالتاريخ والتدوين التاريخى خاصة ، منذ عهد مبكر بعد الاسلام ، فقد كانت لديهم هذه النواة التى غذاها ورواها الاسلام ، بل لا غرابة ان نجد بعضهم يعنون بالتدوين التاريخى قبل أن يعنوا بعلم آخر من العلوم التى عرفوها بعد . فقد قيل ان أول تدوين لروايات تاريخية كان فى عهد معاوية بن أبى سفيان (٤١-٦٠هـ) اذ أمر بتدوين ما يرويه عبيد بن شرية الجرهمى من أخبار ملوك اليمن والعرب .

وانقضى عام بعد عام ، فتغير وجه التاريخ العربى . اكتسى صورة جديدة فى تدوينه ، وطور ما عالج من موضوعات ، وطرق ميادين ما كان يدور فى خلد احد ان يطرقها . وصار علم التاريخ مفخرة من مفاخر العرب ، يضعونه اين شاءوا ، ومتى أرادوا ، فلا تقل قيمته ، ولا يفض منه شىء .

فقد ارخوا للعالم المعروف حينئذ كله ، ولأفراد الدول ، ولاعلام المجتمع الاسلامى جميعا ، ولفئات اختصت بعلم او ظاهرة منه ولافراد من رجاله ، وابتكروا غير ذلك من التواريخ التى نالت اعجاب العلماء فحاولوا أن يتتبعوها ، ويصنفوا مناهجها ، وكتبوا عنها ما طال وما قصر من تأليف .

وألف المؤرخون العرب الذين كتبوا عن الأقطار أو المدن الاسلامية أن يبدءوا تاريخهم لها بمقدمة عن فضائلها . فاول ما يطالعنا من كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وفتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ، والنجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة لابن تغرى بردى ، حديث طويل عن فضائل تلك البلدان .وسار على هذا الدرب بعض كتب الجغرافياوماثلها بعض المماثلة بعض كتب الحديث التى أفردت

فصولا جمعت فيها ما ورد فى فضائل البلدان من أحاديث .

وكانوا يعدون من فضائل البلدان : ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم من أحاديث تثنى على هذه البلدان واهلها ، سواء كانت احاديث صحيحة او ضعيفة ، وما فى البلدان من آثار وعجائب ، ومن دخلها من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان اهل كل بلدة يتفاخرون بذلك كله . بل كانت البلدتان فى القطر الواحد تتباهيان بمثل ذلك ، كما يحكى عما كان يقع بين اهل البصرة والكوفة فى العراق .

ونحن اليوم نستطيع ان نستفيد من هذه المفاخرات ، وهذه الفصول المعقودة لفضائل البلدان . اذ ننفى عنها ماجاء فيها عن عصبية وما شاع فيه انفعالات اقليمية ضارة ، ونستخلص منها الحقائق التى تقيم عليها أسسا لتواريخ مختلفة .

فنحن نحاول أن نتتبع من دخل مصرمن الصحابة لا لفخر أو مباهاة أو عصبية ، وانما للمعرفة وحدها . اذ نتعرف على من دخل من هؤلاء الذى رأوا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وعاشوا معه واخذواعنه دون واسطة . فقد كان لبعضهم آثار بعيدة المدى فى المدن التى حلوا بها ، لأن كلا منهم كان له قدراته ، واتجاهه ، وآراؤه فاشاعوا ذلك فى تلك المدن ، وتأثر بهم من اختلط بهم من اهلها . فكانوا البذور الاولى لمدارس غلب عليها الفقه أو الحديث أو القراءة ، بل ربما غلب عليها فرع واحد من فروع الفقه أو الحديث أو اتجاه واضح فى التفكير .واقرب الأمثلة على ذلك ما خلفه عبد الله بن مسعود فى الكوفة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص فى الفسطاط من تراث .

ولكن الذى يتصدى لتاريخ الصحابةيواجه عقبات جمة . فقد كان منهم السابقون الى الاسلام ، والكبار الذين اضطلعوا بأعمال هامة ، فلفتوا اليهم انظار المؤرخين وارغموهم على العناية الشاملة بهم ، فبقيت صورهم واضحة أو قريبة من الوضوح وكان منهم المتأخرون فى اسلامهم ، ومن لم تصدر عنهم أعمال كبار ، ففغلت عنهم الانظار أو كادت ، على الرغم من عناية المؤرخين بالتعرف على الصحابة جميعا أضف الى ذلك أن أصحاب مصطلح الحديث عدوا جميع الصحابة عدولا، فلم يحاولوا أن يتحروا أمورهم أو لم يعطوهم من التحرى ما أعطوا من بعدهم من رواة . فلم تصل الينا الا أسماء كثير منهم مجردة عن الاخبار ، وأسماء كثيرين آخرين مع أحداث قليلة لا تكاد تشفى غليلا ونحن مضطرون الى الاكتفاء بهذا النزر الذى وصلنا اذ لا حيلة لنا فى تكملته فى وقتنا الحالى . ولعل الباحثين يعثرون على مراجع غير التى بين ايدينا فيضيفون الى ما نعرف حقائق أخرى أكثر اهمية .

ومن الصحابة الذين أتوا الى مصر ، ولا نعرف عنهم غير القليل ، من يأتى ذكرهم :

اجمد بن عجيان الهمدانى

جعله ابن العربى احمد بالحاء ، ولكن ابن حجر وهمه . واتفق ابن حجر وابن عبدالبر وابن الاثير والسيوطى انه بالجيم . وضبط ابن الفرات عجيان فجعله على وزن عثمان ، ولكن غيره جعله على وزن عليان . وقداعتمد من ترجم له على عبد الرحمن بن يونس الصدفى المؤرخ المصرى ، وعلى الدار قطنى فذكروا انه وفد على النبى صلى الله عليه وسلم . ولعل ذلك كان منه مع وفد قومه من همدان الذين جاءوا الى المدينة بعد غزوة تبوك فى العام التاسع للهجرة . ثم انخرط فى جيش عمرو بن العاص الذى فتح مصر ، واستقر بها . وكان منزله مع قومه بالجيزة بعد ان رخص لهم عمر بن الخطاب بالاقامة فيها ، وتشييد حصن ليحميهم من المغيرين وبالرغم من ذهاب الباحثين الى انه صحابى ، لم يرو احاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم .

الأحب بن مالك بن سعد الله

ذكره ابن حجر وابن الأثير ، ولكن الصواب أن اسمه : لاحب .

احمر بن قطن الهمدانى

ذكره ابن الاثير ، وابن حجر فى القسم الاول الذى افرده لمن وردت صحبته بطريق الرواية عنه أو عن غيره ، سواء كانت الطريقة صحيحة او حسنة أو ضعيفة ، أو وقع ذكره بما يدل على الصحبة باى طريق كان وصرح المؤرخ المصرى ابن يونس انه شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص .

ادهم بن حظرة اللخمى

ذكره ابن حجر فى القسم الاول ، واعتمد فيما قال على ابن يونس ، الذى اخذ معلوماته عنه من العالم النساعر المصرى المعروف سعيد ابن عفير . فقال انه كان من بنى راشدة احد بطون قبيلة لخم ، التى لحقت بجيش عمروبن العاص ، ونزلت بعد الفتح بالفسطاط والفيوم والشرقية .

الأرقم بن حفينة التجيبى

ذكره ابن الأثير ، وابن حجر فى القسم الأول ، عن ابن منده ، الذى اعتمدفى معلوماته عنه على ابن يونس ، وقد عده ابن يونس فى الصحابة وقال : انه شهد فتح مصر . ولكن أبا نعيم شك فى كونه صحابيا لأن أحدا من المتقدمين لم يذكره ، ولا تعرف له رواية فى الحديث . وانما ذكر العالم المصرى المعروف يزيد بن أبى حبيب عن عبد الله بن الارقم انه تخاصم الى عمر بن الخطاب هو وأبوه .

أسعد بن عطية القضاعى

ذكره ابن الاثير ، وابن حجر فى القسم الأول ، عن ابن يونس . فذكروا أنه كان من الذين اشتركوا فى بيعة الرضوان تحت الشجرة فى الحديبية على الموت ، عندما ظن المسلمون أن المشركين قتلوا عثمان بن عفان ، سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قريش . ثم شهد فتح مصر ، ولكنه لا رواية له . ولعله نزل مع قومه من بنى بلى بالفسطاط .

حياة المعز الشهابي
ابن فضل الله العمري

مؤلف أكبر موسوعة عربية إسلامية فى الجغرافيا والتاريخ والأدب

للأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

فاتحة ابن فضل الله العمرى :	١
خطته ، تدقيقه فى النقل ، فذلكة عامة عن محتويات الموسوعة ، اقتصاره على ممالك الاسلام ، شدة احتراسه فى نقل العجائب ، سبب ابتدائه بالمشرق ، تعبه فى خدمة الموسوعة ، وانقطاعه فى تاليفها عبر الايام والليالى ، التنويه بسلطان عصره الناصر محمد بن قلاوون ملك مصر ، ألقابه	٢ – ٥
منهاج الموسوعة والاشارة الى محتوياتها بالتفصيل الوافى الشامل	٦
ابتهال ابن فضل الله العمرى الى الله ، ورجاؤه للقراء	١٤
(الباب الأول) فى مقدار الأرض ، وفيه ستة فصـــول : الفصل الأول – فى كيفية الأرض ومقدارها :	
كريتها والبرهان عليه – استقرارها فى جوف الماء	١٧
العرش والكرسى ، فى راى فلاسفة الاسلام	١٨
حركات الأفلاك وتقسيم الأقاليم ، الفلك الأطلسى وحركته : وعنده ينتهى الادراك البشرى ، ورأى ابن فضل الله العمرى	١٨
نظرية فى الكواكب الثابتة والمتحركة والبرهنة عليها ، تشكك ابن سينا فى محل وجود الثوابت تشبيه العالم لتقريبه الى الأفهام ، اعتراض ابن فضل الله العمرى على هذا التشبيه	١٩
نظرية العالم العربى الجغرافى الشريف الادريسى فى استقرار الأرض فى جوف الفلك فى كتابه : « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق »	١٩
تقدير الشريف الادريسى لأبعاد الأرض على رأى الهنود وعلى رأى هرمس	٢٠
مناقشة ابن فضل الله العمرى لهذين التقديرين	٢٠

تقدير الحكيم اردستناس (صوابه : « ارتستاس » أو « ارتستناس » وقد ولد سنة ١٧٦ وتوفى سنة ٢٩٦ قبل الميلاد . أصله من المستعمرة اليونانية التى كانت ببلاد برقة ، ثم اشتهر فى بلاط الملك بطليموس الثالث المعروف باسم « الرجيت » بمدينة الاسكندرية ، لأن هذا الملك دعاه منذ سنة ٢٢٦ ق م لتولى ادارة المكتبة النفيسة التى كانت بالاسكندرية . وبقى الرجل فى هذه الوظيفة الى أن كف بصره فى آخر عمره ، فانقطع عن الطعام حتى وافاه الحمام . كان عالما بالفلك والهندسة ، ينظم القريض ويتعاطى الفلسفة . وهو الذى قاس بمدينة اسوان محيط الأرض ، برصده للشمس فى بئر هناك . وقد قال انه ٢٥٢،٠٠٠ استادة (اشتاديو) والاشتاديو يساوى ثمن ميل ، والميل يساوى ٤٠٠ ذراع ، كما قاله ابن فضل الله . تحقيق أستاذنا المرحوم احمد زكى باشا) ... ... ٢٠ – ٢١

تقدير بطليموس ٢١

تقدير ابن الشاطر الدمشقى ٢١

تقدير صاحب كتاب الكمائم ٢١

ما صنعه المأمون الخليفة العباسى لتحقيق أبعاد الأرض ٢١

استنتاج ابن فضل الله العمرى ٢٢

استدلال ابن الشاطر الدمشقى ٢٢

مقدار الدرجة بحساب المأمون وغيره ٢٢

ترجيح ابن فضل الله العمرى لنتيجة المأمون واعتماده عليها فى موسوعته ٢٢

الفرسخ والميل والذراع على حساب الخليفة المأمون ، وهو المعتمد عليه فى موسوعة ابن فضل الله ٢٣

طول الفرسخ القديم ، وطول البريد ٢٣

اختلاف الآراء فى تقدير العمران ٢٣

تحرير العلامة قطب الدين الشيرازى لمقدار العمران ٢٣

نقد ابن الشاطر الدمشقى لنظرية الشيرازى ٢٣

رأى العلامة الجغرافى الشريف الادريسى فى أسباب العمارة فيما بين القطبين ٢٤

نقد ابن فضل الله لنظرية الادريسى وبرهنته ٢٤

لوح الرسم المذكور فى كتب الجغرافية قديما ، هو المعروف الآن بالخريطة الجغرافية ٢٤

الشمال أكثر عمارة من الجنوب ٢٥

العمارة فى الجنوب بقسم المشرق (جزائر البحر الهندى وبلاد الصين) ٢٥

قبة أزين المعروفة عند علماء الجغرافيا قديما على خط الاستواء والجزر العامرة المكونة فى البحر الهندى ... ... ٢٥ – ٢٦

عدم العمارة فى الجنوب من جهة الغرب ٢٧

العمارة وراء الاقليم السابع ٢٧

بلاد الروسية والمجر ٢٨

نيل السودان المعروف الآن بنهر النيجر ٢٨

نيل مصر ٢٨

السبب فى عمارة ما وراء خط الاستواء من القسم الشرقى ، وعدمها فى القسم الغربى ٢٨

سبب العمارة فيما وراء الاقليم السابع ٢٩

لماذا كان الشمال أعمر من الجنوب ٢٩

رأى العالم الجغرافى الشريف الادريسى فى ذلك ٢٩

رأى العالم الجغرافى المؤرخ أبى عبيد البكرى الأندلسى ٢٩

لوح الدائرة المعروف قديما عند علماء الجغرافيا العرب هو الخريطة الجامعة التى نسميها الآن « مابموند » ٢٩

جملة المعمور على رأى بطليموس والشيرازى ، وتوفيق ابن فضل الله بينهما ٢٩

احتراز ابن فضل الله ٣٠

تشبيه الحكماء الأرض بجسد آدمى ٣٠

عدم رضا ابن فضل الله بهذا التشبيه ٣٠

رأى العالم الجغرافى الشريف الادريسى بأن الأرض غير صادقة الاستدارة ٣٠

تخيل فريد دهره ، ووحيد عصره العالم العربى الجغرافى أبو الثناء محمود بن أبى القاسم الأصفهانى شيخ ابن فضل الله لوجود أمريكا قبل اكتشافها بقرن ونصف ... ...

قال أستاذنا العالم الباحث المحقق المدقق المرحوم احمد زكى باشا : « للأصفهانى (وهو بمصر) فضل السبق على كرستوف كولومب (وهو بالأندلس) لأنه قال بهذه النظرية قبله بقرن ونصف قرن . وللأصفهانى فضل أكبر على مكتشف أمريكا : لأنه تخيل وجودها بقوة الفطنة فى سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) . وأما كولومب فقد اجتهد فى اقناع فردينند وايزابلا صاحبى الأندلس بصدق نظريته فى سنة ١٤٩٢ ميلادية (الموافقة لسنة ٨٩٨ هجرية » ٣١

أسماء الأرض وصفاتها من حيث اللغة ٣١

أسماء التراب وصفاته من حيث اللغة ٣٢

٢٧

أسماء الغبار وصفاته من حيث اللغة ... ٣٩
أسماء الرمال وصفاتها ... ٤٠
أحـوال الارض ... ٤٣
الارتباط بين الكائنات الحية وبين الأرض ... ٤٣
تمام ارتباط الانسان بالأرض ... ٤٣
السـمندر والنـار ... ٤٤
الأرض أم البشـر ... ٤٤
قلة النار فى الحيوان ، ولماذا كانت العذاب الموجود به ... ٤٥
الانسان أرضى ترابى وأسباب معاشه من الأرض ... ٤٥
الانسان مفطور على طلب البقاء ... ٤٥
أحوال الأرض على الاجمال ... ٤٦
البحار والسبب فى افراد الكلام عليها ... ٤٦

(كلمة عن الجبال)

كلمة عن الجبـال ... ٤٦
نظرية فى اتصالها ظاهرا أو باطنا ... ٤٦
ما هو جبل قاف عند جغرافيى المسلمين ، هو أم الجبال ... ٤٧
ما هو الجبل المحيط وكيف سيره ... ٤٧
جبل القمر (بضم القف وسكون الميم كما فى تقويم البـلدان لأبى الفداء طبع باريس صفحة ٦٤ ، وضبطه بعض أهل الجغرافيا بفتح القاف والميم وهو خطأ) ... ٤٨
الجبلان المكتنفان نهر النيل عند منبعه ... ٤٩
جبل (كرسقانة) ووراء هذا الجبل هناك سودان يقال لهم تمتم (صوابه نمنم بنونين) يأكلون النـاس ... ٤٩
جبـال الربع الأول ... ٥٢
جزيرة القمر (بضم القاف وسكون الميم) العظمى ... ٥٢
جبل قدم آدم . (يقال ان آدم عليه السلام أهبط عليه . وهو جنوبى جزيرة سرنديب) ... ٥٢
جبـل الديلم ... ٥٢
جبل الربع الثـانى ... ٥٤
به من الجبال تحت الأم الخارجة من شعبتى البحر المشبهة بتفصيل السروايل ، ثلاثة جبـال : (الأول) منها وهو الشرقى « جبلى » آخذ عن الأم على جانب فرجة بينهما ، ممتدا الى خط الاستواء حتى وقع عليه وينقطع عنده . وتقع مدينة لقمرانه فى ذيله على شرقيه . وبوشة فى ذيله على غربيه ... ٥٤
ويليه (الثانى) على غربيه ، وهو جبل « آخذ » الى مدينة نسويه . وينقطع هناك ... ٥٤
ويليه (الثالث) وهو جبل يعرف « بجبل خافونى » . (لعله يريد « خافونى » وانظر « نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر » للمدشقى المعروف بشيخ الربوة » ذكر صـاحب جغرافيا فى لوح الرسم انه معروف عند المسافرين . يأخذ على شرقى النيل حتى ينتهى الى مدينة قرقوة حيث آخر فرجة البحر الهندى ... ٥٤
وعن يسرته جبل آخذ على شرقى النوبة ... ٥٤
ومن ذلك جبل يقع منه جنوبا مع تغريب كثير كأنه « لا » معلقة بالخط المغربى « ملا » ... ٥٤
ومن ذلك جبل آخر منقطع ما بين خوخة وجيمى ... ٥٤
ومن ذلك دونهما جبلان آخران أحدهما يأخذ على الواحات ، والآخر يأخذ وراءه غربى بحيرة نافرن ، وشرقى بحيرة كوكورة ... ٥٤
ومن ذلك وراءه فى غربية جبل كأنه رأس صاد بالخط المغربى (ص) وسطه بطحاء سهله ، لا وصول اليها من كل جهة ، الا بعد صعود الجبل والنزول اليها جانبه الداخل . يجرى منه النهر الواصل الى القيروان المنتهى الى البحر الشامى ... ٥٥
الجبل اللماع . ويليه جبل يعرف باللماع كأنه فردة صولجان . عليه حصن الملح وجزوله . وتنصب منه أنهار الى المحيط ... ٥٥
ومن ذلك جبل يأخذ بين فاس وسجلماسة وينصب منه نهر بين أسفى والمزمة حتى يصب فى البحر المحيط ، شرقى طنجة ... ٥٥
ومن ذلك جبل منقطع ينشأ فى أواخر خط الاستواء غربا ، حيث الطول من الغرب خمس عشرة درجة ، علم عليها فى لوح الرسم (به) من حساب الجمل . ويأخذ جنوبا الى البحر المحيط ... ٥٥
ومن ذلك جبلان يعرفان بجبل كرسقانة وجبل وحشية . وذلك كله خارج عن الأم ، منقول من لوح الرسم ... ٥٥

« جبال الربع الثالث الغربى الآخذ الى الشمال »
« وهى جبـال الأندلس »

به من الجبال جبل فى جزيرة الأندلس ، فى جنوبيها من البحر الشـامى من اشبيلية الى بطليموس ، وانصب منه نهران : أخذ أحدهما على اشبيلية مارا بينها وبين مالقة حتى صب فى البحر الشامى ، والثانى منهما اخذ على البيرة وصب فى البحر المحيط ٥٦

وهى شرقيه جبل آخذ من قورة الى وادى آش ، عليه هيكل الزهرة ، وانصب منه نهر مر على وادى آش وأخذ شرقى غرناطة الى قرطبة ، وصب فى البحر الشامى ٥٦

وهى شرقية جبل خرج من البحر المحيط ، من شمال مغربا ، وأخذ مارا فى الأندلس الى بلنسية وانتهى الى البحر الشامى ٥٦

وهذه الجبال كلها وراء وصلة الأم الخارجة على شرقى رومة الكبرى . ولولا مخرج الأم هنا ؛ لما امتنع سـبيل الأندلس فى البر الى بلاد القسـطنطينية الكبرى واللان والأص والصقلب ، ولوصل منه الى جميع الأرض ، شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، من غير بحر حائل ولالج مانع ، فلما لم يبق للأندلس سبيل الا من البحر ، بقيت كأنها داخلة هذا الجبل المحيط بالمعمور ، وان كان موقعه وراءه من غربية ٥٦

ومن ذلك جبل يأخذ على بحر بنطس (فى الأصل : « نيطش » والتصويب عن تقويم البلدان لأبى الفداء . واعتمدنا ضبط ياقوت فى معجم البلدان) المتصـل بالبحر الشامى ، من شرقى هرقلة ويمتد الى أنطاكية وحلب ، ويمتـد فى الشام على شـمال بعلبك ودمشق . ويحصر هذا الجبل البحر الشامى آخذا معه الى الجنوب ، على فرجة بينهما تلك الفرجة هى موقع مدائن الروم ، وهى المسماة الآن (عصر ابن فضل الله العمرى) ببلاد الروم ، مثل قونية وقيصرية وأنطاكية ٥٧

ومن ذلك جبل يمتد على ماردين وشهرزود وأخلاط . ينقطع ويتصل بجبل أذربيجان . وتنصب منه أنهار كبيرة : منها ما يصب فى البحر الشامى ، ومنها ما يصب فى بحر بنطس . ومنها ما يصب فى البحر الهندى ، ومنها ما يصب فى البحيرة البلاعة المقاربة السد . ويتصل هذا عن فرجات بجبل طبرستان المار بين أذربيجان وغزنة . وكذلك يتصل به جبل طوس الآخذ منها وسن جرجان ، حيث يخرج خط أخذ العرض ٥٧

ومن ذلك جبلان منقطعان ، وراء بحر بنطس ، من شماله بشرق . آخذان على بحيرة الجارس عن شرقها وغربيها . وذلك كله خارج عن الأم ، منقولا من لوح الرسم ٥٧

(جبـال الربع الرابع)

« وهو الربع الآخذ الى الشمال ، وبه تمامها » به من الجبال ، جبل منقطع ما بين بلاد السند وبين بوار . وشمال القموج (أظن كثيرا أن الميم وقعت فى هذا الاسم بدلا من النون بطريق السهو . فهذا المكان مشهور باسم قنوج ويسمى عند الفرنسيين Canogé تحقيق أستاذنا المرحوم زكى باشا) يجرى نهر مكران (سماه أبو الفداء : نهر مهران وكذلك ابن فضل الله فيما يأتى من هـذا الجزء وهو المشهور بنهر السند وعند الفرنسيين Indus تحقيق أستاذنا المرحوم زكى باشا) حيث يقطع مدى الصحراء على ذيله ويخرج هناك ٥٨

ومن ذلك جبل ينزل به غرغر النار (لعلها : التتار) . به باب الصين ٥٨

ومن ذلك جبال الخطا المحيطة بها على باش بالق (معناه عند الترك : « المدائن الخمس » . وعلى ذلك جرى اليونان فى قولهم Rentaple أى « المدائن الخمس » فى تسمية احد المدائن الشهيرة بناحية برقة ، وهى التى اختزل العرب اسمها فجعلوه « أنطابلس » تحقيق الاستاذ المرحوم أحمد زكى باشا) ، وال بالق (معناه بالتركية : « المدينة الحمراء » لأن آل معناه الأحمر . وهى باكين عاصمة الصين . تحيقق المرحوم زكى باشا) وخان بالق ٥٨

ومن ذلك جبل منقطع ، كأنه صليب ذهب أحد شعبه . ومدينة ظفار فى ذيله المغرب . وشعبته الخارجة تقع بلاد الياش (لعلها : الشاش) فى ذيلها ٥٨

ومن ذلك جبل منقطع متلو كالأرقم ، من غربى بلاد أسحرت الى نهاية العمارة فى الشمـال . ومنه ينصب فرع نهر جيحون ٥٨

ومن ذلك جبل فى صحراء القبجاق ، آخذ على منعطف النهر المتصل بالبحيرة الجامدة من شـدة البرد ٥٨

ومن ذلك جبل منقطع ينصب منه فرع الى نهر آتيل (هو المعروف الآن فى الجغرافيا الحديثة بنهر فولجا Volga ومعنى آتيل بفتح الالف أو بكسرها : النهر فى لغة الاتراك : وهو ببلاد الروسيا ، وأكبر أنهار أوربة . تحقيق أستاذنا المرحوم زكى باشا) فى شرقى صحارى القبجاق آخذا بشرق مدينة أوتنا . ووراءها عبدة الشياطين ، على ما رسم صاحب جغرافيا فى لوح الرسم ٥٩

ومن ذلك شعبة آخذة من الأم الى جنوب مغرب ، ينصب منه ماء النهر المنتهى الى البحيرة الجامدة ٥٩

(جبال الشام واتصالاتها)

فمن ذلك الجبل الممتد على الشام ، وأوله بالمشرق من الصير من البحر المحيط . فيقطع بلاد التتر على معادنها الى ان يأتى فرغانة الى جبال البتم الممتد بها نهر الشغد الى ان يصل الجبل بها الى جيحون فينقطع ، ويمضى فى وسطه شعبتين منه ، وكأنه قطع ثم وصل فى وسطه . ويستمر الجبل الى الجوزجان ويأخذ على الطالقان الى أعمال مرو الروذ الى طوس . فتكون جميع مدن طوس فيه . ويتصل به جبال اصبهان وشيراز الى أن يصل الى البحر الهندى . وينعطف هذا الجبل ويمتد الى شهرزور الى سهرورد . فيمر على جباله بسائر دجله . ثم يتصل بجبل الجودى ، موقف سفينة نوح (عليه السلام) . ولا يزال هذا الجبل مستمرا من أعمال آمد وميافارقين حتى يمر بثغور حلب . ويسمى هناك : جبل اللكام .ويستمر جبل اللكام الى أن يعدى الثغور فيسمى بهذا حتى يجاوز حمص فيسمى لبنان . ثم يمتد على الشام حتى ينتهى الى بحر القلزم من جهة : ويتصل من الجهة الأخرى ويسمى المقطم . ثم يتشعب وتتصل أواخر شعبة بنهاية المغرب .
(قال ابن فضل الله) : ونحن وان كنا قد ذكرنا هذا الجبل ، كلية وجزئية ، مما تقدم على ما اقتضاه الايضاح فى موضعه على ما صور فى لوح الرسم فى أماكنه ولكنا أردنا هنا اتصال لحمته ليعرف كيف هو بأسمائه فيما يمر عليه فى الأرض من شرقها الى مغربها ٦٠

(جبـــال مكة المشـــرفة)

جبـــال مكة المشرفة ٦١

جبل عرفات (موقف الحجيج الاعظم ، وركن الحج الاكبر) ٦١

جبل أبى قبيس (ولونه أدكن الى البياض قليلا ، وانما قيل له : ابو قبيس لأن الحجر الأسود اقتبس منه . وقيل : هو اسمُ رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس ، عرف به لأنه اول من بنى فيه . كذا قال الزمخشرى . وقال أبو القاسم السهيلي : عرف برجل من جرهم ، كان قد وشى بين عمرو بن مضاض ، وبين ابنة عمه مية فنذرت أن لا تكلمه ، وكان شديد الكلف بها ، فحلف ليقتلن قبيسا ، فهرب منه فى الجبلالمعروف به ، وانقطع خبره ، فاما مات ، واما تردى ، فسمى الجبل ابا قبيس . وقال ابن عباس : هو أول جبل وضع على الارض . رواه ابو عروبة وابو بكر بن ابى شيبة . وقال الزمخشرى : كان يسمى فى الجاهلية : الأمين ، لأن الركن كان مستودعا فيه ، عام الطوفان . وفى أعلاه منار ابراهيم عليه السلام . وقد جاء فى بعض الآثار ان ذلك المنار على الموضع الذى نادى منه ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بحج بيت الله الحرام . والاكثر انه نادى من أعلى المقام . وفى أصله الصـفا . ومنه يصعد اليه من ناحية المسجد . ويصعد اليه ايضا من شعب أجياد الصغير . وابو قبيس احد الأخشبين . وهو أقرب الجبال الى المسجد الحرام . وهو بازاء الركن الأسود من الكعبة ٦١

جبل الخندمة وهو على أبى قبيس من ناحية المشرق . وهو جبل أحمر محجر . فيه صخرة كبيرة شديدة البياض كأنها معلقة ، تشبه الانسان اذا نظرت اليها من بعيد تبدو من المسجد من باب السهميين الصغير . وفى الجبل تحصن اهل مكة ، اذ أحاط بهم القرامطة وقلعوا الحجر الأسود ، وأخذوا الشمسة وجميع ما كان فى الكعبة ، الى أن رده الله الى موضعه ، على يد ولد الذى قلعه . وتحت هذا الجبل شعب على بن أبى طالب رضى الله عنه ... ... ٦١ - ٦٢

الجبل الأبيض ، هو الذى على الأبطح الى باب المعلى ، ويسمى : (عاضرة) ٦٢

والجبل الآخر ، على الحجون ووجهه الى قعيقعان ، على قبر عبد الله بن الزبير ٦٢

الأخاشب والجباجب . جبل مكة . وفيه الثنية ، وهى العقبة . وعند أصله بقيع مكة . ومن هذا الجبل الى الجبل الأبيض بنى المقتدر السور ، وجعل له بابا من حديد ، وهو المعروف بباب منى ، وشعب المحصب ٦٢

جبل قعيقعان (يسمى الآن : « الجبل الهندى » . وبه مدرسة عربية فى موضع مستشفى صغير ، كان للترك قبل الحرب العظمى . تحقيق استاذنا المرحوم احمد زكى باشا) وهو يقابل أبا قبيس من ناحية الشمال . وهو جبل أخضر يقابل من الكعبة ما بين الركن العراقى والميزاب وهو حد أخشبى مكة ٦٢

جبل اجياد . انما سمي باجياد لان الله تعالى لما أذن لابراهيم واسماعيل برفع القواعد من البيت ، اعطى كل واحد منهما كنزا من كنوزه . فاوحى الله الى اسماعيل : « انى معطيك كنزا من كنوزى ، لم اعطه لاحد قبلك . فاخرج فناد بالكنز ، ياتك » . قال : فخرج اسماعيل – وما يدرى ذلك الكنز ولا يدرى كيف الدعاء به – حتى اتى اجياد . فالهم الله اسماعيل الدعاء بالخيل : « يا خيل الله ، اجيبى ! » فلم يبق فى بلاد العرب كلها فرس الا آتاه وذلله الله ، وامكنه من نواصيها . قال ابن عباس : فلذلك سمى ذلك الموضع باجياد. وكانت الخيل قبل ذلك كسائر الوحوش. فقال الشاعر قصير يرتجز (لعله : يفتخر) بذلك :

أبونا الذى لم تركب الخيل قبله

ولم يدر خلق قبله كيف تركب ! ٦٢

جبل ابن عمران . وهو الجبل الأسود الذى بين ابى قبيس واجياد . وهو خلفها ، يظهر على بعد كانه بينهما . يقابل من الكعبة الشق اليمانى ٦٢

فهذه الجبال المحيطة بالمسجد الحرام .

جبل البكاء . ثم فى العطف فى آخر ذى طوى فى طريق التنعيم جبل البكاء . وقربه على يسار المار الى التنعيم ، الحجر الذى قعد عنده رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مستريحا عند اقباله من العمرة ، فلان فيه موضع رأسه ، حتى (لعله حين) استند اليه . وهو مشهور يقعد الناس عنده ، عند انصرافهم من العمرة ، وعند جبل البكاء مما يلى الغرب ٦٢

(سقايات مكة)

قال الفاكهى وبمكة فى فجاجها وشعابها من باب المسجد الى منار مسجد التنعيم وجميعه (هكذا فى الاصل) نحوا من مائه سقاية . وفى أصله مما يلى الشمال مياه ، وكانت قديما بساتين . والوادى أسفل منها فى المحجة . كل ذلك على يمين المار الى التنعيم جبلا شامة وطفيل . وشامة وطفيل . تحت الثنية السفلى غربى ذوى طوى ٦٢

جبل ثبير . ومن ناحية الشرق فى طريق منى جبل ثبير . وهو جبل عظيم مرتفع اسود كثير الحجارة فى عطف وادى ابراهيم (عليه السلام) من يسار المار الى منى . قال السهيلى : « عرف برجل من هذيل . مات فدفن به فعرف به الجبل » . وقال الزمخشرى : « ثبيران جبلان مفترقان تصب بينهما أفاعية ، وهى واد يصب من منى ، يقال لاحدهما ! ثبير غينا ، وللآخر : ثبير الأعرج » ٦٣

جبل حراء . ثم جبل حراء . وهو على يسار المار الى منى ايضا وهو الجبل الذى كان حبب الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الخلوة فيه ، حتى اتاه الوحى ، وليس فيه غار . انما كان فيه موضع منهل شبيه بالحوض فى أصل صخرة عظيمة فى أعلى الجبل ٦٣ – ٦٤

جبل ثور . وجبل ثور ليس فى جبال مكة اعلى منه ولا أوعر . وهو خلف مكة على طريق مكة . يسمى ثور اطحل . والغار فى جانب منه ، فى اعلاه دون الثنية قليلا . وفيه نزل جبريل على النبى (صلى الله عليه وسلم) . والغار الذى اختفى فيه عليه السلام مع ابى بكر صخرة واحدة مقبية ، ومدخلها ضيق طوله خمسة اشبار الا ثلثا . وعرضه فى اوسع مكان فيه . شبر وأربعة أصابع ٦٤

غار حراء . وصفه الغار انه مستطيل من ناحية الغرب الى الشرق ، وليس بغائص الى اسفل . طوله ثلاثة وعشرون شبرا ، وعرضه تسعة أشبار الا ثلثا . وله باب ثان فى آخره ، من ناحية الشرق . وهو الذى فتحه جبريل عليه السلام حين ضربه بجناحه الى الصخرة ، فانفتح هناك باب طوله ستة أشبار وعرضه أربعة . ومنه خرج عليه الصلاة والسلام ، يوم خرج الى المدينة ٦٤

(جبال المدينة المنورة)

واما جبال المدينة الشريفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ، فاشهرها : « جبل احد » وهو جبل احمر اعلاه دكدك . بينه وبين المدينة ميل وافسح قليلا . فى شمالى المدينة . وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم : « احد جبل يحبنا ونحبه » وفى الحديث : انه يكون يوم القيامة احد ركنى باب الجنة . ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم : « المرء مع من احب » . كذا قال السهيلى ٦٤

جبل سلع . وهذا اشهر الجبال هناك ٦٤

وجبل ثور . وغلط فيه بعضهم ٦٤

وجبل عير . والحرم ما بينه وبين أحد ٦٤

قال ابن فضل الله العمرى : « فهذه هى جميع الجبال الشهيرة ، والاعلام الظاهرة فى جميع المعمورة وما قاربها . لم نخل منها الا بما لعل صاحب جغرافيا لم يصوره فى لوح الرسم ، وان كان ، فهو القليل . وفيما ذكرناه كفاية ٦٥

وأما الانهار المعروفة التى تنقسم على اربعة اقسام تتجزأ بها المعمورة طولا وعرضا ، فالى المقال التالى – ان شاء الله تعالى – وبالله التوفيق .

المؤسسة المصرية العامة للتجارة

شركة مصر
لتجارة السيارات

١٢ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون ٤٩٧١٠ - ٤٥٥٩٨

إدارة التسويق والاستيراد : ٢٨ شارع
طلعت حرب القاهرة تليفون ٤٣٨٠٧

توكيلات عالمية

• مصانع سيارات فولكس واجن • مصانع أوناش بيل
• مصانع سيارات مرسيدس • مصانع موتورات كمنز
• مصانع سيارات فولفو • مصانع موجارت بالجر
• مصانع س. أ. ف ولوكاس • مصانع موتوكوف بتشيكوسلوفاكيا
• مصانع جرارات دافيد براون

MERCEDES-BENZ

محطات الخدمة :

ورشة مرسيدس
١٠ شارع الجلاء ت ٧٣١٣٢ / ٧٣٠٢١
بالقاهرة

محطة خدمة سيارات نصر
بالقاهرة
١٢ شارع عبد الخالق ثروت ت ٤٩٧١٠

ورش فولكس فاجن
٥ شارع النيل بامبابة ت ٨٠٠٦٨٢ / ٨٠٩٨٤٩
٤ شارع الادريسى بمنشية البكرى
بمصر الجديدة تليفون ٦٠٤٠٦
٧ شارع كلية الطب محطة الرمل
ت ٢٤١٩٥ / ٢٣٣٨١ بالإسكندرية

الاسلام في الأدب العربي

الأستاذ ابراهيم عوضين

علينا قبل بحث هذا الموضوع أن نضع نصب اعيننا حقيقتين اصبحتا من البديهيات ولم تعد واحدة منهما مجال مناقشة أو دراسة فى هذا العصر الحديث .

غير أن تذكرهما ضرورى يستلزمه بحثنا فى كل مجالاته ، ولذا كان من الضرورى التذكير بهما ..

أما الحقيقة الاولى فهى أن الاسلام قد أثر فى الكيان الانسانى عموما ، وفى الكيان العربى على وجه التخصيص .

لقد قلب الاسلام نظم الحياة الاساسية راسا على عقب ، فتغيرت قيم الاشياء ، واختلفت نظرة الانسان الىالوجود والكون ، مما استلزم مفاهيم غير المفاهيم التى استقرت فى وعيه ، وخلق افكارا غير الافكار التى سيطرت على عقله ، وخلف مشاعر غير المشاعر التى انطوت عليها عواطفه .

فليس هناك انسان واحد منصف يتشكك ـ مجرد التشكك ـ فيما أحدثه الاسلام من تغيير ، أولا فى نفس العربى وعقله ووجدانه ، وثانيا فى نفس كل انسان وعقله ووجدانه .

ولا يعنى ذلك أن كل ما جاء به الاسلام كان جديدا أو غريبا على الانسان ، وانما هو عقيدة هادفة ، ومبدا قاصد ، أقر من عادات الانسان الجاهلى واخلاقه مايوائم منهجه ، وعدل فيما ينحرف منها عن طريقه ، وهدم ما يتنافى منها مع قيمه ومثله ، ليقيم مكانه مبادىء تحقق ما يهدف اليه ، وتقرر ما يريده الانسان من كرامة وعزة .

جاء الاسلام فلم يكن مغايرا لما كان عليه العرب فى حياتهم من كل الوجوه ، وانما هو دين جادت به السماء فى اللحظة المناسبة ، بعد أن اعدت لاستقباله النفوس ، واحست بالحاجة اليه المشاعر ، وبحثت عنه العقول فضلت ، ودعت اليه دواعى الفطرة المتبلورة فى الاحياء من بنى البشر .. فهو دين الفطرة المستقيمة .

ومن ثم لم يكن مجىء الاسلام غريبا على المفكر العاقل ، ولم يكن مفاجاة للمتعمق الخالص ..

لفت الناس الى الروحانية .. وكانوا مستسلمين لاوهام وعادات جمدت مشاعرهم ، وألفت عواطفهم .

ودعاهم الى الوحدة .. وقد كانوا فى مسيس الحاجة اليها .

ودعاهم الى الرشد .. وكان حكماؤهم قد ضجوا من الغواية ، وتبرموا بالانحراف ، وملوا حياة الفساد .

ودعاهم الى السلم .. وكانت الحرب تطحنهم فى الخارج طحنا ، والصراع يفتك بنفوسهم فى الداخل فتكا ، فقد كانت ابغض شىء الى نفوسهم الثارات التى أجرت فى الارض الدماء ، ولكنها التقاليد والعادات التى لا يستطيعون منها فكاكا .

فشرب الخمر كان قد لبس ثوب العادة الملازمة ، والخلق الشائع الواسع الانتشار بينهم ، فامتلات بالحديث عن الخمر ومجالس الخمر اشعار الشعراء ، واحاديث السمار وغير السمار ، وكثرت أسماؤهم وصفاتها فى لغتهم ، وكثر فيها التدقيق والتفصيل كثرة تدعو الى الدهشة والتعجب .

وكانت حوانيت التجار مفتوحة دائما ، وقد اتخذوا لتلك الحوانيت سمة تميزها عن غيرها ، لتكون أقرب الى الرائى ، وادنى من القاصد ، فجعلوا لها علما خاصا سموه « غاية » .

وفى تسمية علمها الخاص بهذا الاسم ما يشير الى حقيقة علاقة القوم بالخمر .

قال لبيد فى معلقته :

قد بت سـامرها ، وغـاية تاجر
وافيـت اذ رفعت وعـز مدامها

بل أن أمرها لديهم فاق أن يطلق على علمها اسم « غاية » فقد اصبحت كلمة التجارة مرادفا لبيع الخمر كما ترى فى قواليب « وغاية تاجر » .

والقمار لم يكن أقل من الخمر تغلغلا فى نفوس الجاهليين ، وسيطرة على سلوكهم ، فقدكان منمفاخرهم التى يعتزون بالاتصاف بها .

قال الشاعر الجاهلى :

نحـابى بها اكفاءنا ، ونهينهـا
ونشرب فى أثمانهـا ، ونقامـر

بل ان عدم المشاركة فى مجالس القمار أصبح عارا يحذر العربى ويتابى على الواقع فيه .

يقول شاعرهم :

واذا هلـكت فلا تريدى عاجـزا
غـسا ولا برمـا ولا معـزالا

وقال قتادة :

كان الرجل فى الجاهلية يقامر على اهله ومـاله فيقعد حزينا سليبا ، ينظـر الى مـاله فى يد غيره ، فكانت تورث بينهم عداوة وبغضا . والتعامل الـربوى أصبح دعامة من أهم دعاماتهم الاقتصادية ، شأن التجارة الطبيعية لديهم .. مما جعل ألسنتهم تفوه بقولهـم « انما البيع مثل الربا » .

ولقد افتنوا فى استنزاف أموال المدينين ، فاسسوا فى النفوس احقادا ، وظلوا يعملون على تاريث نيرانها .

ولم يكن الزنا خلقا مستنكرا .

فقد كان من العادات أن يتخذالرجلخليلات ، ويتخذ النساء اخلاء بدون عقد .

وكانوا قد يكرهون بعض النساء على الزنا ..

قال ابن عباس :

« كانوا فى الجاهلية يكرهون اماءهم على الزنا .. يأخذون أجورهن »

وقالت عائشة أم المؤمنين :

ان النكاح فى الجاهلية كان على أربعة انحاء ..

فنكاح منها نكاح الناس اليوم .. يخطب الرجل الى الرجل وليته أو ابنته ، فيصدقها ثم ينكحها .

والنكاح الآخر .. كان الرجل يقول لامرأته اذا طهرت من طمثها ارسلى الى فلان فاستـضعى منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه ، فاذا تبين حملها أصابها زوجهـا اذا أحب . وانما يفعل ذلك رغبةفىنجابة الرجل ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع .

ونكاح آخر.. يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، فاذا حملت ووضعت ، ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها ارسلت اليهم فلميستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها .. تقـول لهم : قد عرفتم الذى كان من أمركم وقد ولدت ، فهو ابنك يا فلان . تسمى من أحبت باسمه ، فيلحق به ولدها ولا يستطيع أن يمتنع منه رجل .

والنكاح الرابع .. يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها . وهن البغايا ، كـن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما ، فمن ارادهن دخل عليهن ، فاذا حملت احداهن ووضعت حملهـا جمعوا لها ، ودعوا لهم القافة ، ثم الحقواولدها بالذى يرون فالتاطه ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك .

وكانت قسوتهم فى وأد البنات وقتلهن نادرة ..

فقد يتاخر وأد البنت لسفر لوالد وشغله ، فـلا يئدها الا وقد كبرت وصارت تعقل .

وقد حكوا فى ذلك عن أنفسهم حكايات تثير البكاء ، وكان بعضهم يلقى الانثى من شاهق .

بل قد يدفعهم الفقر الى التخلص من أولادهم ، مما جعل بعض سراة العرب وأشرافهم يرصد الامـوال لاشترائهم .

قال صعصعة بن ناجية : جاء الاسلام وقد فديت ثلثمائة موؤدة ..

وبلغ من استبداد العصبية القبلية بهم أن أصبحوا يتطلعون الى لحظة أمن ، يتنسمون فيها شيئا من راحة النفس ، واستقرار الروحولكنهم لم يستطيعوا التفلت من مخالب تلك العصبية المستبدة ، فكانت الحروب الطاحنة الممتدة تنشب بينهم لاتفه سبب ، مثال ذلك حرب البسوس التى مكثت اربعين سنة بين بكر وتغلب ابنى وائل لان كليبا رئيس معد رمى ضرع ناقة لبسوس بنت منقذ فاختلط دمها بلبنها . وحرب داحسوالغبراء التى نشبت لان داحسا فرس قيس بن زهير كان سابقا فى رهان بين قيس وحذيفة بن بدر فعارضه أسـدى بايعاز من حذيفة فلطم وجهه وشغله ففاتته الخيل .

وكان نتيجة ذلك أن انحرف بعض الطباع فأصبحت الحرب لهم مسلاة وملهى يثيرون اسبابها اذا خمدت.. قال قائلهم :

وأحيـانا عـلى بكر أخينـا
اذا مـا لم نـجـد الا اخـانا

على حين كانت هناك النفوس الخيرة التى تهفو الى السـلم ، وترصد من اموالهـا ماتضـن به نفوس كثيرة ..

ولعل فيما حدث بين عبس وذبيان فى ذلك الحين ما يشهد لذلك ، فقد كثرت الايام ، وتوالت الحروب بين ابناء العم ، وزادت نيران البغضاء والنفور بينهمـا اشتعالا ، حتى انتشر القحط ، وعم البؤس ، وكـادت الحرب تلتهم رجال الحيين ، فسعى بعضالاشراف بينهما بالصلح حقنا للدماء ، وأملا فى راحة النفوس المكدودة المرهقة

وحمل الدية الحارث بن عوف ، وهرم بن سنان .

وما ان حققا ذلك الامل حتى احسوا بثقل ثقيـل ينزاح من فوق صـدورهم ، فـراحوا يتنسمون عبير الحياة والامن فى نشوة وفرحة صورها الشاعر العربى زهير بن أبى سلمى فى معلقتـه ، مسجلا صنيع هـذين الشريفين ..

سعى ساعيا غيـظ بن مرة بعد ما
تبـدل ما بين العشيرة بالـدم

فاقسمت بالبيت الذى طاف حـوله
رجال بنوه من قـريش وجـرهم

يمينا لنعم السيدان .... وجدتما
على كل حـال من سحيل ومبرم

تداركتما عبسـا وذبيـان بعد ما
تفانوا ، ودقـوا بينهم عطر منشم

وبعد تلك الصورة الزاهية الفرحة يواصل الشاعر حديثه ، فيصور الحرب وما اضفته على الحياة من بؤس فى صورة قاتمة معتمة تبغضها الى النفوس ، وتنفر من العودة اليها .. فما زال شرها ماثلا امام عينيه يخيفه ويثير الرعب فيه . .

وما الحـــــرب الا ما علمتم وذقتم
وما هـــو عنها الحـــديث المرجم

متى تبعثـــوها تبعثـــوها ذميمـــة
وتضر اذا ضريتموهــــــا فتضرم

فتعرككم عـــرك الرحى بثفالهـــا
وتلقح كشـــافا ، ثم تنتج فتتئم

ومن ثم كان هناك رجال ممن ينكرون ما وصل اليه حالهم يتطلعون للمنصب الجليل ، ويتمنون لو اختيروا له .. مثل امية بن أبى الصلت الذى حفل شعره بالتحدث عن الله وما يجب له من محامد حتى قال فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « كاد امية أن يسلم »

فهو القائل :

حنانيك ان الجـن كانت رجـــاوهم
وانــــت الهى ربنا ورجائيـــــا

ومثل زبير بن عمر بن نفيل القائل :

اربا واحــــدا ام الــــف رب
ادين اذا تقسمــــت الامـــــور

تركـــت اللاة والعــــزى جميعـــا
كذلك يفعــــل الجلد الصبـــور

وذكروا ان قريشا اجتمعت يوما بنخلة تحيى عيد العزى فخلص منهم اربعة نجيا .. هم زيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث ، وعبيد الله ابن جحش ، وورقة بن نوفل . فقال بعضهم لبعض :

« تعلموا والله ما قومكم عـــلى شىء ، وانهم لفى ضلال ، فما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ، ومن فوقه يجرى دم النحور !

« يا قوم التمسوا لكم دينا غير هذا الدين الذى أنتم عليه » .

لقد سبق مجىء الاسلام حقبة حائرة بين القيم والعقائد والعبادات ، ولم تكن عبادة منها لتستأثر بضمير صاحبها أو تغنيه عن النظر فى غيرها .

وقد كانت هذه الحيرة فى جانب من جوانبها على الاقل اثرا من آثار الشوق الى ديانة جامعة غير ديانة الاصنام المتفرقة لكل قبيلة من القبائل صنم تنفرد به ، او تميزه بين زمرة الاصنام المشتركة .

فقد كانت القبائل تعبد اصنامها ، ولم تكن بها حاجة الى الاشتراك فى عبادة واحدة تشملها ، فلما وجدت هذه الحاجة لمسوا النقص فى كل عبادة من عباداتهم ، وذهب اصحاب النظر منهم يبحثون عن الدين الصالح .

وهكذا جاء الاسلام قوما - أول ما جاء - هيأتهم الحياة لاستقباله ، فسار بهم - حين تابعوه - مبتعدا بهم شيئا فشيئا عما الفوه واستبد بهم من اعراف وعادات ، حتى تلفتوا بعد حين فوجدوا الطريق غير الطريق ، والحياة غير الحياة ، ونظروا فراوا كل شىء قد تغيرت معالمه وتبدلت الوانه وظلاله .. واختلفت مذاهبه واتجاهاته . .

وهكذا كان الاسلام تغييرا جذريا وعرضيا لمجرى التاريخ الدينى والادبى والاقتصادى والاجتماعى والسياسى والثقافى .. وغير ذلك من الجوانب التى تواجه الانسان .

ولكنه مع كل هذا قد لقى مقاومة عنيفة ، وحربا لا هوادة فيها ، شملت الحرب النفسية والمادية والمعنوية ، وكل ما يمكن ان تقع به حرب من قوم استبدت بهم الشهوات فاضلتهم عما هم فى حاجة اليه . .

وكان هذا التغيير المنتظم ، وتلك المقاومة العنيفة سر اقبال الشعوب الاخرى - غير العربية - عليه فى مدى بضع عشرات من السنين .

تلك كانت الحقيقة الاولى ، وفى لقاء آخر ان شاء الله سنعرض الحقيقة الثانية

نعمة الحب في الإسلام

الأستاذ منصور نسيم

الحب نعمة من نعم الله الكبرى التى يمنحها من أحب من عباده ، والقلب العامر بالحب هو قلب عامر بالايمان، وما اتصف به قوم الا وشاع بينهم الرخاء وعمرت حياتهم بالهدوء والاستقرار .. والحب فى حقيقته كلمة لها من المعانى ما يغوص فى حنايا النفس البشرية فيخلق منها الانسان المكتمل فى ذاته وصفاته وعقيدته وولائه ، وهو فى الوقت نفسه الدافع لها للتخلق بكل جميل ومحبوب ، لأن الحب بمعناه الصحيح هو أكسير الحياة السليمة ، وطريق نموها وازدهارها ، وسبب بقائها ورقيها ، وهو الملاذ من عواصف الدهر ونكبات الزمن ، وما تخلق به امرؤ الا وكان فى مكانة مرموقة من كل من يعرفه أو يتعامل معه ، وسما الى أرقى الدرجات ، وكان صاحب حظوة كبرى لدى الجميع ..

من كل هذا نفهم أساس الحب وموطنه الأول فى نفس الانسان ، فلقد دعا اليه الاسلام ، وجعله منهجا سليما للايمان بمعناه الواسع الشامل ، وعليه قامت الدعوة الاسلامية متماسكة يترابط أصحابها بأقدس رباط جمع القاصى والدانى ووحد بطريقته النابعة من القلوب بين النوازع والميول ، وحدد بمنهجه سلوك الأفراد والجماعات فى اطار من التعاون والتفانى لخدمة الدعوة الجديدة ، والحرص على تنفيذ تعاليمها دون تردد أو ارغام ..

ومن هنا جاء مبدأ التضحية والايثار . وعمقت مفاهيمها بين أذهان المسلمين حتى اذا ما علم كفار مكة بايمانهم أذاقوهم صنوف العذاب وأحالوا حياتهم جحيما فلم يزدهم ذلك الا صلابة وعمقا بما آمنوا به ، يدفعهم الى ذلك تغلغل معنى الحب وتفاعلهم الحسى والمعنوى حيال عقيدتهم الجديدة ، لم يثنهم عنها وعد ولا وعيد ولم ترهبهم سياط أعداء الاسلام ، نالوا ما نالوا وكان فى وسعهم أن يعيشوا فى صفاء ووئام لولا الحب الذى ملك عليهم مشاعرهم وأحاسيسهم فجعلهم يتقبلون كل أذى عن طيب نفس وصفاء روح .. تركوا ديارهم وأوطانهم ورحلوا الى الحبشة تارة والى المدينة تارة أخرى فارين بدينهم ، وقد خلفوا وراءهم كل ما يملكون من متاع وولد عن طواعية ورغبة فى سبيل الاحتفاظ بمبدئهم الذى ارتضوه يدفعهم الحب الخالص لعقيدتهم الجديدة وتفانيهم فى التمسك بها ..

ولم تزل عقيدة الحب وصفاء اريحيته تتبلور فى نفوس ذويه ومعتنقيه وتعمق فى حنايا الأفئدة حتى بات الواحد منهم وهو يحس أن عقيدته ومستقبل دينه شغله الشاغل دون مغالاة أو تكلف ، وها هو صهيب سابق الروم الى الاسلام وكان من عداد أثراء مكة مالا وتجارة يحاول الهرب بدينه ، فتقف له قريش ومن لاذ بها من الكفار يحولون بينه وبين تحقيق أمنيته ، ويقول له ابو جهل : حينما عرض تنازله عن كل ماله على أن يخلى بينه وبين اللحاق بمحمد صلى الله عليه وسلم .. أتيتنا صعلوكا فقيرا فأثريت عندنا ، ليست حاجتنا الى مالك باقل من حاجتنا الى نفسك والله لن نخلى بينك وبين الهجرة أبدا » وتحبسه قريش ويعيش وهو الثرى على فتات ما يقدم له ليحفظ حياته حتى تضبق نفسه فيعود لدينه القديم ، لكنه ينسل من محبسه ويركب راحلته وكل أمله اللحاق بصاحب الدعوة وتخرج قريش فى طلبه ويدركه فرسانها فيعرض عليهم ماله ويدلهم على مكانه ويخلوا بينه وبين سبيله ، ويقدم على النبى صلى الله عليه وسلم وقد نال منه الجهد والتعب فيعاتب النبى بقوله : وعدتنى الصحبة يا رسول الله ثم تركتنى ، ثم يعاتب ابا بكر فيقول : وعدتنى الصحبة يا ابا بكر ثم تركتنى ، والله ما خلصت اليكم حتى اشتريت نفسى بمالى اجمع فيجبيه الرسول صلى الله عله وسلم « ربح البيع ربح البيع » والحقيقة لسنا فى حاجة للوقوف امام هذه الروح العاليه وتلك التضحية التى لا تعد لها تضحية أخرى فهناك من الأمثلة الكثيرة ، دفع اليها الحب والحب الخالص للدعوة الجديدة ولفائدها .

وما أدل على صفاء روح المحبة الاسلامية فى أجلى صورها من موقف الأنصار وقد هاجر اليهم اخوانهم من أهل مكة فلم يدخروا وسعا فى سبيل الترحيب بهم واحلالهم منهم محل أشقائهم ، يربطهم رباط الاخوة الاسلامية فى حب صادق وصفاء عارم .. قال تعالى : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »

وهكذا يفعل الحب بالنفوس فعل السحر فالمال وهو أحب الأشياء الى القلوب يبذل بفعل الحب عن طيب نفس من أجل الأخوة وتحقيقا لمبادىء الاسلام التى احتلت من قلب كل مسلم مكانا راسخا لم يقتصر على التضحية فحسب بل تعداها الى الايثار وتفضيل الغير على النفس .

يأتى الى النبى جماعة من المسلمين وقد لاحت أمارات الفاقة والحاجة عليهم فهم قوم حفاة عراة ، فيدعو النبى بلالا فيؤذن ثم يقوم فيصلى ثم يخطب الناس بقوله تعالى: « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » واذا بالمسلمين وقد تباروا فى التبرعات وتقديم المساعدات لاخوانهم حتى اجتمع أمام النبى صلى الله عليه وسلم كومين من طعام وثياب ، وهنا يتهلل وجه النبى وتظهر عليه علامات الرضا ويخرج القوم وقد نالوا اكثر مما توقعوا ، لم يكن النبى صريحا فى طلب المساعدة ولم يكن جافا آمرا ، ولم يطل الأخذ والرد بينه وبين المسلمين فهل هناك عامل غير الحب الذى دفع بهؤلاء لتقديم العون لاخوانهم وهل كان التخويف أو الوعيد بمؤد الى تلك النتائج دون أن يكون الحب ودوافعه هو الأساس الأول فى التجاوب والاحساس بالواجب .

من كل هذا نخلص الى حقيقة يجب تأكيدها فى الأذهان وتنمية أهدافها لدى النشء من أبنائنا لتترعرع نفوسهم على مبادىء الحب وتسمو أرواحهم على الاحساس بأن المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم وبلادهم ككل واحد دماؤهم هى الحب وكما لا غناء للجسم عن الدماء لا غناء للمسلمين عن الحب »

السفارات الثقافية الإسلامية في إفريقيا وآسيا

الأستاذ حسن فتحي الباب

لا غرو أن تتجه الدبلوماسية الاسلامية فى عصر الثورة الى خدمة قضايا الدول الافريقية النامية المتطلعة الى تثبيت حريتها وتأكيد سيادتها وكذلك الدول الآسيوية التى استردت حديثا كيانها الدولى بحصولها على استقلالها ذلك أنه تربط العالم العربى الاسلامى بالكثرة الغالبة من أبناء هذه البلاد كثير من الوشائج والروابط التاريخية الوثيقة ولا سيما تلك التى تقع منها فى افريقيا الاستوائية مثل الصومال فى شرق افريقيا ونيجيريا فى غربيها اذ يدين الملايين من اهلها بالاسلام وتبلغ نسبتهم الأغلبية فى بعضها. فقد تغلغل المسلمون الأوائل فى هذه المناطق عن طريق التجارة عبر الساحل الممتد ، فحملوا الى سكانها تعاليم دينهم ومبادئه القويمة ، ونقلوا اليهم حضارتهم الزاهرة فى مختلف مراحلها . وقد كتب جغرافيو العرب فى ذلك مؤلفات ضخمة تعد من ألمع الصفحات فى التراث العربى العريق . وهكذا تعمقت الصلات الدينية والسياسية والاقتصادية والثقافية بين العالم العربى والاسلامى وبين الشعوب الافريقية منذ أقدم العصور .

وكان من ثمرات النشاط الدبلوماسى الذى نهضت به الجمهورية العربية المتحدة فى ربوع افريقيا وآسيا عقد كثير من الاتفاقات والمعاهدات التى تنص على ارسال السفارات الثقافية من قاعدة العروبة وقلبها النابض الى تلك الدول لنشر رسالة النور والمدنية بين أهليها ، وكذلك تتناول هذه المواثيق الدولية تنظيم استقبال بعض ابناء الدول الافريقية والآسيوية الى بلادنا ليرووا من مناهل العلم والثقافة فيها ومما بلغته أجهزتها ومعاهدها وجامعاتها ومؤسساتها من درجة كبيرة فى الكفاية والخبرة . وقد احاطت الدولة مبعوثى هذه الشعوب بخالص رعايتها ، فيسرت لهم السبل ، واقامت لهم مدينة خاصة ومعاهد يتلقون فيها أسباب المعرفة ويحيطوا بمناهج العلم الحديث فى كافة فروعه ، فثمة مدينة للبعوث الاسلامية ، وهناك معهد حديث انشىء للدراسات الافريقية.

كذلك تنظم الجمهورية العربية المتحدة كثيرا من السفارات الثقافية بالتعاون مع المنظمات التى تعنى بهذه الشئون سواء اكانت قومية أم دولية وفى مقدمتها منظمة التضامن الافريقى الاسيوى التى تتخذ امانتها العامة مركزها الدائم فى القاهرة . كما أن الجامعة العربية ـ وهى منظمة اقليمية تضم شمل الدول العربية ـ تعمل على تنسيق الجهود التى تبذل فى هذا الميدان بين الدول الأعضاء واخراجها الى حيز التنفيذ . وتسهم جمهوريتنا بالنصيب الأوفى من هذه الجهود ، وتستعين فى بعضها بالهيئات المتخصصة فى الأمم المتحدة .

وقد تضمن كثير من المعاهدات الثنائية والجماعية التى عقدت بين الجمهورية العربية المتحدة والدول المستقلة النامية فى آسيا وافريقيا النص على التبادل الثقافى بين الجانبين لدعم العلاقات الودية بينهما وتوثيق التعاون .

ولا شك أن الدور التاريخى الكبير الذى قام به مؤتمر باندونج الذى عقد فى اندونيسيا ـ وهى من كبريات الدول الاسلامية فى العالم ، فى ابريل عام ١٩٥٥ ـ قد انعكس صداه على الروابط الثقافية عن طريق التبادل الثقافى بوصفه اداة فعالة فى جمع شتات الشعوب وتعزيز العمل المشترك من اجل تحقيق القيم الانسانية التى نشرها الاسلام فى عصوره الزاهرة من حرية ومساواة وسلام وتقوى وتعاون فى ظل الايمان .

ومن أهم النتائج الايجابية التى حققتها الجمهورية العربية المتحدة فى هذا الصدد ، تلك القرارات التى أسفر عنها مؤتمر الدار البيضاء الذى عقد فى المغرب عام ١٩٦١، وكان انعقاده على مستوى رؤساء الدول الأعضاء فيه وهى الجمهورية العربية والمغرب والجزائر وغانا وغينيا . فقد انشئت بمقتضى الميثاق الذى انتهى اليه الأعضاء بالاجماع والذى يعد حدثا تاريخيا ضخما فى تاريخ القارة الثائرة ـ انشئت عدة لجان للعمل على دعم الروابط بين البلاد الافريقية ، ومن هذه اللجان لجنة ثقافية .

وقد اجتمعت تلك اللجنة فى آخر يوليو سنة ١٩٦١ ، فوضعت الخطوط الرئيسية للعلاقات الثقافية بين مجموعة دول مؤتمر الدار البيضاء ، وحددت الدور الذى تقوم به كل دولة ممثلة فى المؤتمر ، وذلك بالعمل على احياء الحضارة الافريقية عن طريق دراستها ونشر المعلومات عنها بالوسائل التى تكفل تحقيق هذا الغرض من انشاء للمعاهد وتبادل للطلاب والأساتذة والقيام ببحوث عن قارة افريقية وثقافتها ومدنيتها . وأقرت هذه اللجنة فى الدور الأولى التى عقدت فى مدينة طنجة بالمغرب فى شهر أغسطس من العام المذكور اتفاقا خاصا بالتعاون بين الدول الافريقية التى اشتركت فى التوقيع على الميثاق فى ميادين الثقافة والفنون ووافقت على عقد مؤتمر افريقى للعلوم واقامة مهرجان للفنون . وعقدت اللجنة دورتها الثانية فى أكرا عاصمة غانا خلال شهر ابريل سنة ١٩٦٢ .

وتنهض الجامعة الأزهرية بنصيب كبير فى ايفاد السفارات الثقافية الى الأقطار الافريقية والاسيوية واستقبال بعوثها الاسلامية تمكينا لمبادىء الشريعة ونشرا لأصولها وأحكامها الرشيدة ودعما للاواصر التاريخية والروحية التى تربطنا بالمسلمين من أبناء هذه البلاد . وثمة رعيل من علماء الازهر يقيمون فى أعماق افريقيا واصقاع آسيا يبثون التعاليم الاسلامية ويقومون بتدريس الدين الاسلامى واللغة العربية ، ومنهم من يجيد اللغتين الانجليزية والسواحلية ، واللغة الأخيرة هى اللغة القومية التى تنتشر فى الدول الواقعة على الساحل الافريقى الشرقى وهى تتضمن كثيرا من الألفاظ ذات الأصول العربية بحكم الظروف التاريخية لهذه البلاد .

ولقد كان من مآثر الازهر ومن نتائج التطوير العلمى الشامل فى مناهجه وفقا لقانون تنظيمه الأخير ، أن فتح الأزهر أبوابه لاستقبال فتيات من العالم الاسلامى على اختلاف دوله لاتاحة الفرصة لهن لتلقى الدراسات الدينية العميقة الى جانب الدراسات العلمية الحديثة .

وفى مقدمة التدابير التى اتخذتها الثورة فى الميدان الثقافى الدولى تلك المراكز الثقافية التى أنشأتها الدولة فى الخارج ، ومنها المركز الثقافى العربى الذى افتتح فى غانا فى يونيو عام ١٩٥٩ بمقتضى اتفاقية ثقافية عقدت مع حكومتها ومقره أكرا العاصمة . وقد أنشىء لتعليم اللغة العربية للراغبين من أبناء غانا . وقد التحق به فى خلال الشهر الأول من افتتاحه ٦٥٠ طالبا ، وأحرز نجاحا كبيرا فى تحقيق رسالته الثقافية ، وانتظم به كثير من ابناء غرب افريقيا من بلاد أخرى خلاف غانا ، فانشأت الجمهورية العربية المتحدة مركزا اضافيا فى مدينة خماسى .

وها هو ذا المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ وقد أنشىء لتوثيق عرى التضامن بين المسلمين فى العالم اجمع ـ ينهض بعبء كبير فى سبيل تأدية رسالته . ومن أهم الوسائل التى يستخدمها لتحقيق هذه المقاصد الاشراف على السفارات الثقافية الاسلامية التى توفد الى الدول التى ينتشر فيها الدين الاسلامى والبعثات التى نستقبلها من مسلمى هذه الديار للزيارة أو الدراسة .

وثمة هيئات أخرى تقوم بدورها فى تدعيم العلاقات الثقافية بين المسلمين عن طريق السفارات مثل المجمع العلمى الاسلامى الذى ينتظم أئمة المسلمين وعلماءهم على اختلاف بلادهم . ولا تخفى أهمية الجهود التى يضطلع بها المجمع اللغوى وغيره من المجامع والمراكز العلمية والثقافية فى القاهرة وفى بعض العواصم العربية الأخرى فى سبيل تقوية الأواصر العلمية والروحية فى العالم الاسلامى بتبادل السفارات الثقافية وغير ذلك من الوسائل التى تحقق هذه الغاية .

ولا ريب أن المستقبل القريب سوف يشهد مزيدا من البعثات العلمية الاسلامية على اختلاف أنواعها ، توفد الى البلاد الافريقية والاسيوية التى تجاهد بعضها للحصول على استقلالها وبعضها لاستكمال حريتها والأخرى للتخلص من التبعية الاقتصادية للدول الغربية. فثمة عدد كبير من المسلمين العرب وغيرهم حتى فى تلك الأقطار التى تنتشر فيها الاديان الأخرى مثل سيراليون التى تقع على المحيط الأطلسى فى غربى افريقيا ، ومثل غانا وليبيريا وكلها دول حديثة العهد بالاستقلال وتربطها بالشعوب العربية أوثق الصلات . وغنى عن الذكر أن الحبشة ـ وهى من أقدم الدول الافريقية وأقدمها صلة بالعرب والمسلمين اذ ترجع هذه الصلة الى عهد النبوة ـ تتعاون مع العالم العربى .

وكذلك الأمر بالنسبة للشعوب الأسيوية وبخاصة تلك التى تقع بلادها فى جنوب غربى آسيا حيث نزل البحارة المسلمون قديما على شواطئها عبر المحيط الهندى الذى كان بمثابة محيط عربى فى ذلك العهد ، ووصلوا الى الهند والصين واليابان واندونيسيا التى كانت تسمى جزر الهند الصينية والملايو وما يجاور هذه الأقطار من دول أخرى مثل سيلان وسنغافورة وغيرهما . ولقد تعمقت فى السنوات الأخيرة روابط المودة والاخاء التى تصلنا بهذه الشعوب فى تلك الدول وغيرها مثل باكستان حيث الدين الاسلامى هو دين الدولة ، ومثل أفغانستان وهى دولة اسلامية كذلك .

ولم يقتصر الأمر فى ذلك التبادل الثقافى بيننا وبين هذه الدول على السفارات بل امتد فشمل كافة وسائل نشر العلم والمعرفة كتبادل الكتب والصور والمعارض وأجهزة الاعلام على اختلاف أنواعها .

ولقد امتدت رسالة الدبلوماسية الثقافية فى عهد الثورة فاصبحت أكثر شمولا وانطلاقا فى سبيل تحقيق أغراضها القومية والانسانية ، فتجاوزت العالم العربى والعالمين الافريقى والاسيوى الى العالم الغربى ، وامتدت الى جميع القارات ، ووضعت نصب عينها الاسهام فى تقدم المسلمين حيثما وجدوا . فثمة سبع مراكز اسلامية فى أمريكا الشمالية أهمها المركز الاسلامى فى واشنجتن . ولهذه المراكز نشاط ثقافى كبير فى هذه الربوع . فهى تتولى توضيح الحقائق وشرح القضايا العربية للشعب الأمريكى فى الولايات المتحدة وكندا ، ومقاومة الدعاية الصهيونية المضللة ضد العرب والمسلمين . ويشكل المغتربون فى هذه البلاد جماعات عربية واسلامية كبيرة أصبحت لها جهودها المحمودة فى سبيل رفع لواء القومية العربية والاسلام . وما زالت ملء الاسماع تلك الزيارات التاريخية التى قام بها ممثلو اتحاد الجاليات الاسلامية بالولايات المتحدة وكندا للجمهورية العربية المتحدة للمشاركة فى أعياد الثورة .

وهذه الصور والملامح التى تبرز اسهام جميع منظماتنا وهيئاتنا المختصة فى نشر الثقافة الاسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها لتكون لنا سفارات فى مختلف البلاد تحيى تراثنا العريق وتعيد فى ظله نهضة المسلمين ورفاهية شعوب الأرض جميعا . ان هذه الصور تؤكد بصفة خاصة ادراكنا لعظم مسئوليتنا تجاه اخواننا هؤلاء الذين يتطلعون الينا فى احساس وجدانى عميق وينتظرون منا مواصلة العون والتأييد لهم فى قضايا شعوبهم العادلة ، ومدهم بما تفيض به حياتنا الفكرية من ثراء ثقافى وتراث حضارى عريق . ومن هنا تؤدى البعثات الثقافية بيننا وبين الشعوب الافريقية ـ فى المقام الاول ـ أجل التزام روحى نحوها بمعاونتها فى مرحلة التطور الحاسمة التى تجتازها فى الظروف العالمية الراهنة لاقتلاع جذور الاستعمار القديم والجديد من أراضيها ، وانتزاع أعشاب التخلف الحضارى الضارب باطنابه فى بعض أقطارها ، واغناء تربتها العذراء بالبذور الطيبة ، وتعهد غراسها بالسهر عليه حتى تنضج ثماره ويجتنيها هؤلاء الاخوة الذين يرتبطون بنا بأوثق الوشائج وأعمق الصلات .

وتبرز الحاجة الماسة الى سفاراتنا الثقافية فى تلك الدول الناشئة حين نذكر ما جنته بعثات المبشرين الاستعماريين على شعوبها ـ باسم الرسالة الأبوية للاصلاح والتمدين ـ من تزييف لتاريخها واهدار لقوميتها وانكار للغاتها حتى تسهل اذابة أبنائها فى بوتقة المستعمر الغاشم أو ادارتهم فى عجلته . وما من شك فى أن توالى الاجتماعات بين ممثلينا الدبلوماسيين وعلمائنا وبين سفراء هذه الدول وزعماء العالم الاسلامى بقصد التمهيد لعقد مؤتمر اسلامى عام لتقوية روابط التعاون بين البلاد الاسلامية وتسوية ما قد ينشب بينها من خلافات ـ ما من شك فى توالى هذه الاجتماعات ـ فضلا عما يؤدى اليه من تعزيز السفارات الثقافية ـ كفيل بتحقيق وحدة المسلمين فى الفكرة والهدف وقيامهم كأمة واحدة بدورهم الكبير فى اقرار السلام العالمى .

ولا يخفى أن الغاية التى تنشدها دبلوماسية الثورة من سفاراتنا الثقافية الى المسلمين فى قلب افريقية وغيرها من القارات انما تنبع من رسالة الاسلام وتستهدى بأصولها . فالمسلمون أمة واحدة مهما اختلفت أوطانهم وأجناسهم وألوانهم وألسنتهم ولغاتهم ، تربطهم عقيدة واحدة وتؤمهم قبلة واحدة . وتعد رابطة الدين الاسلامى بمثابة الجنسية لكل من تظلهم شريعته وينضوون تحت رايته ، فلا عصبية ولا شعوبية فى الاسلام ، ولاقبلية ولا عنصرية ، وانما دين واحد واله واحد ، دين ذو قيم انسانية ثابتة ومبادىء روحية خالدة ، واله بظل برحمته العالمين .

ولقد شرع الاسلام الحج وجعله ركنا من أركانه الخمسة تحقيقا لهذه الغاية وهى اجتماع المسلمين من أقصى الديار وأدناها للتشاور فى أمورهم وجمع كلمتهم والتعاون على البر والتقوى . فالاسلام عقيدة روحية ودعوة عالمية تؤمن بالتعاون والتضامن سبيلا الى الوحدة الشاملة للبشر أجمعين . وفى هذا المؤتمر الحافل فى موسم الحج تتلاقى الأفكار وتذهب الشحناء وتتقارب وجهات النظر ، ويتبادل المسلمون الآراء فى العلم والثقافة فى أمور الدنيا والدين . قال تعالى فى كتابه العزيز :

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير »

ولا شك أن الحج مؤتمر ثقافى عالمى ينطوى على سفارات اسلامية وهو لا يختلف عن السفارات الثقافية التى تنظمها الدول من حيث المقاصد الانسانية العليا وانما يختلف فقط فى أنه مؤتمر يخص المسلمين وينعقد بينهم ، ولا تدعو اليه الدولة بل الدين ، ويؤمه الافراد والجماعات بدافع من ايمانهم وبغير انابة رسمية من دولهم .

والمسلمون يد واحدة . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » .

فلا عجب أن توجه الدبلوماسية الثقافية الحديثة نشاطها الى كل موطن من الارض يقيم فيه المسلمون مهما كلفها ذلك من جهد وحملها من مشقة ونفقة .

ونرى هذه الروح فى فلسفة الثورة اذ يقول الرئيس جمال عبد الناصر وهو يحلق بفكره فى أفق رحيب يتناول العالم الاسلامى : .

« وحين أسرح بخيالى الى الثمانين مليونا من المسلمين فى أندونيسيا ، وخمسين مليونا فى الصين وبضعة ملايين فى الملايو وسيلان وبورما ، وما يقرب من مائة مليون فى الباكستان ، وأكثر من مائة مليون فى منطقة الشرق الأوسط ، والأربعين مليون داخل الاتحاد السوفيتى ، وملايين غيرهم فى أرجاء الارض المتباعدة ـ حين أسرح بخيالى الى هذه المئات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة أخرج باحساس كبير بالامكانيات الهائلة التى يمكن أن يحققها التعاون بين هؤلاء المسلمين جميعا ، تعاون لا يخرج عن حدود ولائهم لاوطانهم الاصلية بالطبع ولكنه يكفل لهم ولاخوانهم فى العقيدة قوة غير محدودة »

وهكذا يشهد عصر القومية العربية التى امتدت شرارتها المقدسة الى البلاد العربية جمعاء ما تحرر منها وما لم يزل يكافح فى سبيل حريته من المحيط الى الخليج ـ يشهد هذا العصر سفارات ثقافية اسلامية لم تنقطع منذ كان البعث الثورى . كما يشهد عصر الشعوب الافريقية المتحررة بزعامة الجمهورية العربية المتحدة كثيرا من العهود والمواثيق الدبلوماسية التى تعقد لانشاء التبادل الثقافى بين تلك الدول بعضها وبعض . ولا ريب ان هذه السفارات هى اشارة البدء الى تكوين اتحاد فكرى عربى يشمل جميع العرب ، كما أنها نقطة الانطلاق الى اتحاد سياسى كبير يجمع شتات هذه الشعوب المكافحة بعد أن تعصف طلائعها الزاحفة بآخر معاقل الاستعمار وعملائه وتؤلف بينها ثقافة مشتركة تشد من عزمها وتشحذ صلابتها فى مقاومة الاحداث والتضحية فى سبيل غد مشرق فى القارة السمراء وفى كافة بقاع الارض للمسلمين ولابناء الانسانية جميعا .

حل الأزمات في الإسلام

د. محمد فؤاد فخر الدين

في حديثنا السابق تكلمنا عن الوقاية الوقائيـة التي تحفظ المرء عن الوقوع في الشرور ، وعن اقتراف الأزمات ، وعن التورط في الأسباب المؤدية اليها والمسببة لحدوثها . والوقاية بهـذا المعنى أمر ديني أساسي يحثنا الله على القيام بها والوقوف عليها ليكون المسلم وقائيا ، ولهـذا أمر الله باتباع الوقاية سواء لأنفسنا أو لأهلينا أو غير ذلك ، فقال سبحانه : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ، وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » .

فالوقاية من النار هي الوقاية من الأسباب التي تدخل النار ، والتي تغرى المرء ، وتسلب عقله وعقيـدته وشخصيته حتى يصبح آلة تداعبه الاهواء ، وتلاعبـه الشهوات ، فالوقاية تخلية النفس من اقتراف الذنوب ، والبعد عن الآثام والمآثم ، وايجاد منفذ للخروج من مأزق نفسي أو عقلي أو روحي بالرجوع الى الله ، وبالتوبة عما فعل ، وباللجوء الى أوامره ، ويقول كما قال سبحانه : « قل حسبي الله ، عليه يتوكل المتوكلون » .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ان لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا : « هلموا الى حاجتكم ، فيحفونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا ، فيسألهم ربهم ، وهو أعلم : ما يقول عبـادى ؟ قال : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك ، فيقول : هل رأوني ؟ فيقولون لا والله ما رأوك ، فيقول : كيف لو رأوني ؟ قال : يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيدا ، وأكثرلك تسبيحا ، فيقول: فماذا يسألون ؟ قال : يقولون يسألونك الجنة ، قال : يقول وهل رأوها ؟ قال : يقولون لا ، والله يا رب ما رأوها . قال : يقول فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون لو أنهم رأوها، كانوا عليها أشد حرصا ، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيهـا رغبة ، قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يتعوذون من النار . قال : فيقـول وهل رأوها ؟ قال : يقـولون لا ، والله ما رأوها ؟ قال : يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة . قال فيقول : فاشهدكم انى قد غفرت لهم ، قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم ، وانما جاء لحاجة ، قال : فيقول : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم » .

ان الوقاية في حد ذاتها البعد عن الكراهية لأمر من الأمور، لأن الكراهية هي منشأ التهاون في المسائل الحيوية منها وغير الحيوية ، وهي عدم المبالاة بالروابط القائمة بين الانسان وروحه ، وبينه وبين دينه ، وبينه وبين ربه ، بينه وبين الانسان على وجه الاطلاق ، بل وبينه وبين الدنيا ، ولهذا السبب المباشر يدعو الاسلام الى الحب كوسيلة للترابط الانساني في حيز الامكانيات القائمة في نفسية الفـرد وتهيئتها لقبول التوسع فيها الى مدى أوسع مجال في حياة العامة لان الحب مبدأ انساني فاصل يرتكز عليه كل من على وجه البسيطة على وجه العموم وعلى السواء .

والحب - كمبدأ - يجعل المرء يتفانى في اخلاصه وفي عمله ،وقد ينسى نفسه لحبه ، ولأجل الحب وفي سبيله يتنازل المرء عن كثير من حقوقه أو عنها كلها ، وقد يتجاوز عن واجباته الفردية ولا يبالي في الاكثار منها والتضحية في سبيلها . وقد أمر الاسلام أن يبنى المرء حياته على الحب كأساس للسعادة وراحة الضمير ، فيحب نفسه ولا يتهاون فيها ، وحبه لنفسه هو حبه لله الذى خلق هذه النفس

وسواها والهمها فجورها وتقواها . فالاحتفاظ بالنفس احتفاظ لحق الله فيها ، واحترام لخلقه واعتراف بوجوده . وقد نهى الاسلام عن اهلاك النفس وافنائها فقال سبحانه : « وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ، واحسنوا ان الله يحب المحسنين » . ولاجل الحب السائر مع طبيعة الحياة ونظام الكون وتعمير الارض ومع أوامر الله وأوامر الرسول فى الزواج والتناسل حرم الاسلام قتل النفس بغير حق فقال تعالى : « يايها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ، ولاتقتلوا انفسكم ، ان الله كان بكم رحيما » وقال سبحانه : قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به ، لعلكم تعقلون » وقال عز وجل : ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا » .

ومن هذا النمط ، ولذلك السبب حرم الاسلام الانتحار لأنه اضاعة للحب المتعلق بالنفس والحياة ، واضاعة لحق الله فى هذه النفس وتلك الحياة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا فيها أبدا . ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأبها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا »

فليس من حق الانسان القيام بمثل هذه الاعمال التى تضع الله ظهريا بينما الله القائل : « والله خلقكم وما تعملون » ومعناه ان الله خلق عملكم الذى يرضيه اذ حدد نوع هذا العمل الذى يجب أن تقوموا به ، فهو الخالق الحكيم ، وقد خلقنا وخلق معنا العمل الذى يتماشى مع المهمة التى خلقنا من أجلها وفى سبيلها ، والعمل الذى يحبه الله هو العمل القائم على الحب ، والمبنى على المشاركة الوجدانية .

ومن الحب العام الخالد الذى يجب ان يقوم به المرء هو حبه لوالديه ، فهما المصدران المباشران لصورة وجوده فى هذه البسيطة ، وهما الحب الخالص المقيم له ، به يربيانه ، وبه يثقفانه ، وبه يلاحظان كل صغيرة وكبيرة فى حياته ، وبه يسهران على راحته ، واذا مرض كانا العيون الساهرة التى لا تنام ، والمسامع التى لا تصم عن الاستماع الى خفقات قلبه ، وأنات آلامه ، وخلجات نفسه . فهما له قلبه وروحه وعقله وشعوره . وهذا الحب هو مبدأ الحياة للفرد فى حياته العامة ، اذ يعرف عن طريقه مدى صلاحيته للحياة ومدى حبه للدنيا ، ومقدار حبه لله . ولهذا وفى هذا يلاحظ الاسلام تربية الاولاد منذ الصغر ، فيأمر بتربيتهم على المبادىء الاسلامية الصحيحة وعلى الأخلاق القويمة ، وعلى الصفات الحميدة ، فهذه مهمة الوالدين الذين طرح الله فى قلبيهما حبا خالصا لاولادهما وفى يدهما سلامتهم وقال رسول الله مشيرا الى هذا المعنى : « ما من مولود الا ويولد على الفطرة ، فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة عجماء ، هل تحسون فيها من جدعاء »

فهذا انذار وقائى من الرسول — صلى الله عليه وسلم — بملازمة الأولاد ومتابعتهم منذ الصغر دينا وخلقا ، لان الاولاد اكثر انطباعا لمثل الامور التى يرونها فى حياتهم المنزلية ولاسيما الابوان اقرب الناس اليهم والى نفوسهم، واكثر الناس لصوقا بهم وبحياتهم ، وأعظم الناس عطفا لهم وحبا . ولذلك أمر الرسول عليه أفضل السلام بتدريب الأولاد على الصلاة منذ السابعة من عمرهم وضربهم عند العاشرة ، لان الصلاة عماد الدين ، وانها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وانها ابقاء الصلة بين الله وعبده .

وحب الولد لوالديه أمر محتم من ناحية الاعتراف بالجميل الذى قاما به نحوه فقال — صلى الله عليه وسلم — : « طاعة الله طاعة الوالد ، ومعصية الله معصية الوالد » . وقال : « الصدقة على وجهها ، واصطناع المعروف ، وبر الوالدين ، وصلة الرحم تحول الشقاء سعادة ، وتزيد فى العمر ، وتقى مصارع السوء » . وقال أيضا : « احفظ ود أبيك لا تقطعه فيطفىء الله نورك » . وقال صلوات الله عليه عن حب الولد لوالدته : « الجنة تحت أقدام الأمهات » .

وحب الانسان أخاه الانسان هو الصلة العامة فى حياة الاسلام الدنيوية وهو الصلة الخاصة بالاسلام فى الحياة الدينية التى تؤدى الى تنظيم العلاقات ، والصداقات فى العائلات والمجتمعات وبين الشعوب والامم . وهو حب يشمل كل ما يرمى اليه الانسان فى حياته سواء فى نيل مراده أو فى الوصول الى هدفه أو فى توطيد الاخوة ، وهو فى هذا المجال انما يرمى الى اسعاد روحه والاطمئنان على نفسه وعقله وماله ، وذلك هو منبع السلامة التى تسعد البشر فى رفع شأن حياته وفى تنسيق أموره ، وفى تكوين شخصيته ، وفى بلوغ مناه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الاعمال بعد الايمان بالله التودد الى الناس » ، وقال صلوات الله عليه وسلامه : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . وقال : « لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاثة ايام ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » .

وحب الانسان زوجه من المسائل الطبيعية العميقة الأثر والتى يحث عليها الاسلام ، والحق ان هذا الحب هو دوام المعاشرة ، وسلامة الحياة الزوجية ، لان فى الحب علاقة قلبية سائدة وبه يسير موكب الحياة وسير الامور . وقد لاحظ الاسلام وجود الحب منذ بداية الحياة الزوجية فسمح للرجل رؤية زوجه المنتظرة حتى يدرك مدى صلاحيتها له فى حياته ، ومدى حبه لها لتكون شريكة حياته ، وسمح الاسلام للمرأة أن تبدى رأيها فى الزوج المنتظر ، وان تختاره لنفسها ليكون أب أولادها ، ومصدر سعادتها ، وقوام حياتها ، ومدفن حبها واخلاصها ، وحبيب قلبها وسر نجواها .

وحب الوطن من الأمور السائدة التى تربط الانسان بالمكان الذى وجد فيه ، ونبت فى أرضه ، وعاش تحت سمائه ، ويتصل به فى ذكريات منذ ان كان فى المهد صبيا ، وحين يداعب الأطفال ولم تقلم بعد اظافره ، وحين يشب على العود ليصبح رجلا يعرف ما له وما عليه ، وليقيم أوده فى الحياة رافعا رأسه بالعزة والكرامة . وقد عبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن حبه لوطنه بقوله : « والله انك لأحب أرض الله الى ، وانك لاحب ارض الله الى الله ، ولولا أن قومك أخرجونى ما خرجت »

هذا الحب هو الكنز الدفين فى القلوب المؤمنة ، والتى تؤمن وتعرف بأن حياة الدنيا متاع غرور تغرى المرء بمباهجها وبزينتها ، والانسان الخالى من مشاعر الحب لم يجد له مجالا فيها ، وفى الحياة عليها ، وفى البقاء دونه .

والحب — من أسسه — يبعد الناس عن الحروب وويلاتها ، وعن المعارك وأوارها ، وعن الأزمات وآلامها ،

وعن المنازعات وعواقبها ، وعن الضغائن وآثارها ، فارتباط الاسلام بالحب كارتباط السلام بالاسلام ، لأن الحب سلام نفسى ، وسلام عائلى ، وسلام اجتماعى ، وسلام وطنى ، وسلام عام ، وعندما قال المرء « السلام عليكم » انما يقول حبى لكم ، واطمئنوا فأنى لا أضركم فى شىء ، اذ لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أطب الكلام ، وافش السلام ، وصل الارحام ، وصل الليل والنـــاس نيام ثم ادخل الجنة بسلام » .

اذا حفظ المسلم على حبه فى كل خطوة من خطواته فانه يشعر براحة قلبية ، وباطمئنان نفسى ، وعنـــدئذ يكون مسلما حقيقيا قد أدى الروح الاسلامية فى صورتها الجلية ، وفى معناها القويم .

ان التحلية التى يحتاجها المسلم بعد هذه الصـــفات العامة الشاملة وذلك الحب الخالص الذى يتمثل فى قلبه وروحه ، وفى قوله وفعله ، هى السماحة التى يجب أن يتصف بها المسلم كصفة أساسية وهى من صفة الاسلام الذى يقال عنه « الحنفية السمحة » . وقد حث الاسلام ان يكون المسلم سمحا فقال صلوات الله وسلامه عليه : « أحب الله تعالى عبدا سمحا اذا باع ، وســـمحا اذا اشترى ، وسمحا اذا قضى ، وسمحا اذا اقتضى » .

والسماحة الاسلامية تشمل نواحى عدة فهى تدخل فى كل عمل يقوم به المرء ، وفى كل صورة من صور الحياة ، وفى كل مسألة من مسائل الدنيا . وقد نظر الاسلام الى السماحة ووضع فيها الاهتمام وجعلها من الصفات العـامة الهامة التى يجب أن يتصف بها المسلم حتى يكون واسع الافق فى تفكير عواقب الأمور ، وفى تصوير نتائج الأعمال ، وفى تدبير مشاكل الحياة حتى لايقع فى شرور من غضب مثلا ، فان الغضب بدء المشاكل ، وأس الفساد ، فقـــال عليه الصلاة والسلام : « ان الغضب من الشيطان ، وان الشيطان خلق من النار ، وانما تطفأ النار بالماء ، فاذا غضب احدكم فليتوضأ » . وقال عليه السلام : « ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد الذى يملك نفســـه عند الغضب » .

واذا تأمل المرأة فى سماحة الاســـلام ومراميها ، وفى الغرض منها يجدها أكثر ملاءمة للانسانية الشاملة لمعنى العطف والمحبة والود والاخلاص وما شـــاكل ذلك من الصفات الرابطة للنفوس ، بل هى أكثر أثرا فى النفوس البشرية لأن الانسان محب للمعاملة الطيبة التى يتنـــازل المرء عن تسامح ، وقد تسامح الاسلام فى المعاملة ، وبنى اساسه على السماحة حتى لألد الأعداء وأعدى الخصام ، فالاسلام له موقف مع الشيطان ، والشيطان له قصص مع الانسان ، وقد ذكر القرآن أعمال الشيطان فى التضليل والاغواء والافساد ، وفى الايقاع بين الاخ واخيه ، وبين الابن وأبيه ، وقد أخرج آدم عليه السلام من الجنة ، وقد أغوى كثيرا من الناس ، وما زال يتوعد الانسان الى قيام الساعة . فهذا العدو اللدود قال الله عنه : « ان الشيطان للانسان عدو مبين » .

مع هذا كله ، ومع كل هذا ، رغم كل الأعمال الخاسرة التى قام بها ، رغم كل الايذاء الذى أداه افسادا للناس والبشرية جمعاء ، رغم كل هذا ورغم عصيانه لله وخروجه عن طاعته ، راعى الاسلام فى معاداته ، فلم يسمح الاسلام اظهار هذا العداء فى صورة بغيضة ، ولم يأمر المسلمين فى اشفاء غليلهم عند الانتقام وأخذ الثأر ، ولم يسمح الاسلام عند رمى الجمرات الا استعمال حصوات صغيرة فى حجم معين على أن تكون نظيفة لتؤدى المعنى المراد فحسب ، وللدلالة على طهارة الاسلام وطهارة نفسية المسلم ، وللبرهنة على سماحة الاسلام وسماحة المســـلمين حتى مع ألد خصومهم . واذا تتبعنا رمى هذه الجمرات فى أيام التشريق الثلاثة وجدناه يحتوى على سماحه عالية ، وعلى تسامح اسلامى من الطراز الاول فى المثالية الذى لا يحركه الوضع الانسانى المليء بالضغائن والاحقاد والانتقام والأخــــذ بالثأر وما شاكل ذلك من الصفات التى أدت الى تشتيت كلمة المسلمين ، والى تمزيق صفوفهم ، والى تبـــديد قوتهم والاسلام بهذا لا يعادى من عاداه انما يرتفع عمن سواه ، وينادى الى كلمة سواء ، فيها السلام ، فيهـــا الوئام ، فيها الاخاء .

« يتبع »

دراسات فى التاريخ الإسلامى

الفتوح الكبرى فى عهد الفاروق عمر بن الخطاب

فتح الشام

معركة اليرموك

الدكتور أحمد ابراهيم الشريف

ظل القتال مركزا بعد واقعة أجنادين عاما كاملا على المنطقة ما بين اليرموك ودمشق ، فلما سقطت دمشق فى يد العرب ظن هؤلاء أن مقاومة البيزنطيين قد انتهت . ولذلك عاد كل جيش من جيوش المسلمين الى المنطقة التى وجه اليها فى بداية الحملة على الشام : تقدم جيش عمرو ابن العاص فى فلسطين وفرض الحصار على القدس التى احتمت بحصونها فلم يستطع اقتحامها عنوة . واتجه شرحبيل بن حسنة بقواته الى الأردن حيث استسلمت له طبريا وبيسان . وتقدم أبو عبيدة ومعه خالد بن الوليد الى الشمال فاستولى على بعلبك وحمص وحماه ، حيث اقام خالد قيادته فى حمص التى اضطر هرقل الى الانسحاب منها الى أنطاكية تحت قوة الضغط العربى. وعاد يزيد بن أبى سفيان جنوبا ليستولى على منطقة الجبال فى البلقاء ، فاستسلمت له منطقة الكرك كلها ، وجبال الشراة والبلقاء.

ولم تصمد فى وجه العرب الا القدس وقيسارية فى فلسطين ، والا مدن صور وصيدا وبيروت وطرابلس الساحلية فى الشمال اذ كانت قوات الروم البحرية تحميها وتمدها بالمؤن والنجدات . وبذلك أصبح العرب يحتلون جميع انحاء سوريا وفلسطين تقريبا . ولم يبق فى حوزة الروم الا رقعة ضيقة من الأرض فى منطقة أنطاكية فى الشمال الغربى من سوريا . والا المنطقة الساحلية التى اعانتها سيطرة الروم على البحر على الصمود .

وبعد عامين من الهزائم المتلاحقة، اخذ هرقل «امبراطور الروم» يعد جيشا جديدا وضع فيه كل أمله فى استرداد سوريا . وقد كان هذا الجيش الجديد يتكون من عدة فيالق مختلفة الجنسية والميول . كان الفيلق الرئيسى فيه يتكون من الروم بقيادة القائد الرومى ثيودوروس « الذى يسميه العرب تودز » وهو صاحب القيادة العامة على الجيش كله . والى جانب هذا الفيلق ، فيلق آخر مكون من أهل أرمينيا تحت قيادة زعيمهم بانيس « ويسميه العرب شنس » ، وكان الأرمن ذوى خصال حربية توحى بالتوقير والاحترام ، وهم قوم شديدو المراس فى الحرب وبخاصة عندما كانوا يقاتلون فى وديان بلادهم الجبلية . وحينما كان الصراع المرير الطويل محتدما بين الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ، اتجهت عواطف الأرمن نحو الفرس، ولكن تحولهم الى المسيحية منذ القرن الرابع الميلادى أدى الى ابتعادهم عن الفرس ، ولكن الروم لم يجنوا من وراء ذلك التحول فوائد سياسية كبيرة ، اذ أن الكنيسة الأرثوذكسية « الرومية » ظلت تنظر الى الكنيسة الأرمنية كنظرتها الى النساطرة العرب ، على أنهم هراطقة . ولذلك كانت عواطف الأرمن وعواطف الروم متنافرة ، الأمر الذى جعل الوحدات الأرمنية تبدو وكأنها جيش منفصل ضمن الجيش البيزنطى الكبير . تخضع لقيادتها الذاتية وكأنها لا تعترف اعترافا فعليا بالقيادة البيزنطية العليا . وانضم الى جانب هؤلاء فيلق آخر من عرب الغساسنة المسيحيين

تحت قيادة جبلة بن الأيهم الغساني . وكان الغساسنة يحمون نيابة عن الروم الاقسام الجنوبية من سوريا وشرق الاردن ، وقد لعبوا فى الصراع بين الفرس والروم دورا هاما وشاركوا فى معارك كبيرة الى جانب الروم ، كما حموا حدود الامبراطورية الرومية من ناحية الصحراء العربية ، لكن الروم كانوا قد غيروا سياستهم نحو الغساسنة ، وألغوا فى عام ٥٨١م ملك الغساسنة فى الشام، يضاف الى هذا أن اضطهاد الكنيسة الأرثوذكسية الرومانية لنصارى العرب من النساطرة قد جعل هؤلاء يقفون منها موقف العداء . ومن هذا يتبين لنا أن ثلثى هذا الجيش الجديد كانوا اما من الأرمن أو من العرب ، والفريقان لا يحسان بمشاعر الولاء نحو الامبراطورية البيزنطية . اما الثلث الباقى فقد ضم المجندين من فلاحى آسيا الصغرى، وهم أقوام لهم فضائلهم العسكرية ولكن النظام الاجتماعى فى ذلك الوقت لدى الروم كان يقسم المجتمع تقسيما طبقيا ، وكانت الهوة كبيرة بين الفلاحين وبين سادتهم من نبلاء الروم .

وهكذا تباينت العواطف والميول بين فيالق هذا الجيش وأفراده ، من اختلاف المذاهب الى اختلاف الأجناس الى فوارق الطبقات .

كان جيش الروم الجديد هذا يفوق الجيش العربى اضعافا مضاعفة فقد قدر مؤرخو العرب هذا الجيش بمائتين واربعين ألفا بينما كان جيش العرب لا يزيد على الأربعين ألفا ، ومهما يكن الشك فى تقدير مؤرخى العرب، فان الذى لا شك فيه أن جيش الروم كان يتفوق فى العدد تفوقا هائلا . ولم يكد هذا الجيش ينزل الى الميدان حتى أخذ العرب يجلون عن معظم المناطق التى فتحوها، فلقد جلا خالد عن حمص ، وانسحب أبو عبيدة من دمشق ، ورابطت قوات المسلمين من جديد وراء نهر اليرموك . وأسرع الروم فاحتلوا فجوة درعا ، وهى بوابة سوريا التى كانوا قد طردوا منها فى عام ٦٣٤م. أى قبل ثمانية عشر شهرا .

ولم يكن انسحاب العرب احجاما منهم عن مواجهة الروم ومقاتلتهم ، ولكنهم كانوا يسيرون على خطة لم يغيروها فى كل حروبهم ضد الروم والفرس فى هذه الفترة، وهى أن يقاتلوا فى الصحراء أو فى السهول المنبسطة . وأن يجعلوا الصحراء المكشوفة دائما وراء ظهورهم ليجدوا فى فيافيها ملجأ لهم اذا قدر لهم التراجع أمام عدوهم ، فلا يقوى على ملاحقتهم وسحقهم ، فهم أعلم بها واقدر على الصبر عليها والانتفاع بخصائصها . وكان العرب فى تراجعهم هذا يؤثرون أن يستدرجوا الجيش الرومى الى الجنوب من اليرموك ليقاتلوه فى منطقة مكشوفة بدلا من أن يخوضوا معه معركة ثابتة عند فتحة درعا ذات الحصون . ولكن لم يكد العرب يمرون من هذه الفتحة مخلفينها وراءهم حتى كان الروم يعيدون احتلال هذه الحصون الدفاعية القديمة ويغلقون بذلك أبواب سوريا وراء ظهر العرب المتراجعين . وتركزت خطة هرقل الآن على الاحتفاظ بهذا الخط الدفاعى ، فطالما أن هذه الحصون صامدة فى وجه العرب فان سوريا ستظل بمنجاة من غزوهم ، ولن يكون فى استطاعتهم ـ بما عرف عنهم من عدم الميل الى حرب الجبال والمناطق المقلقة ـ أن يغامروا بغزو سوريا عن طريق طبريا . واذا كان خالد بن الوليد قد هدد حمص وحماة ودمشق من ناحية الشرق اى من الصحراء عند قدومه من العراق منذ عامين ، فان قواته فى ذلك الوقت كانت صغيرة ، ومع ذلك فقد تعرضت للفناء عطشا فى لهيب الصحراء . وعلى ذلك فلم يكن فى الامكان القيام بغزو جدى عن ذلك الطريق حتى ولو قام به خالد نفسه وبنفس الصورة التى قام بها من قبل . وتنفس هرقل الصعداء عندما علم باحتلال قواته فتحة درعا ، واعتقد أن سوريا باتت فى مأمن من الخطر .

واذا كان أبو عبيدة هو القائد العام ، فانه كان يقدر عبقرية خالد الحربية حق قدرها ، ولما كانت مظاهر الجاه الدنيوى ضئيلة الشأن فى نظر هؤلاء المؤمنين الاوائل ، فان الأمر كان يلقى الى من يستطيع ان يحقق الهدف ويكفل الوصول الى النصر . لذلك فقد ألقى ابو عبيدة مقاليد القيادة فى المعركة الى خالد بن الوليد ليعالج الامر بما توحى به عبقريته .

واستمرت فترة الركود فى فتحة درعا زهاء اربعة اشهر، فقد رفض الروم أن ينصاعوا لاغراء العرب بالخروج من حصونهم التى كان العرب راغبين عن اقتحامها. لكن هذه الفترة كانت فى صالح العرب أكثر مما كانت فى صالح عدوهم ، فقد جاءتهم فى خلالها امدادات قوية من المدينة زادت من قوتهم وضاعفت من نشاطهم ، كما أنهم اظهروا قدرة فائقة على الحركة ، وبينماكان عدوهم جامدا فى حصونه ، كانوا هم يبذلون نشاطا كبيرا لتطويق مواقعه وقطع خطوط تموينه ، فقد أخذت جماعات من جنودهم تتسلل عبر الصخور البركانية التى تغطى السهل الشرقى، وتلتف حول الجناح الشرقى لمواقع الروم ، وباتفى وسعهم أن يقطعوا تموين العدو أو يهددوه تهديدا خطيرا ، وقد نجح فصيل من الجنود العرب فى احتلال الجسر القائم على وادى الرقاد وراء جيش الروم ، وهو الجسر الذى يمر عليه طريق مواصلات الروم الرئيسى ، وبذلك أصبحوا يحيطون بمواقع الروم تقريبا ، أو أنهم قطعوا مواصلاتهم من ثلاث جهات على الاقل .

وكان الأجدر بتودز قائد الروم أن يخوض مع العرب معركة حاسمة عندما التقى الجيشان ، اذ أن عدد جنوده كان يتفوق على جند العرب تفوقا هائلا ، ولكنه آثر القيام بحركات محلية ضئيلة بتوجيه هجماتضيقة صدهاالعرب جميعا بقوة ، فانكمشت قوات الروم فى حصونها ، وتركت للعرب فرصة لاستجلاب الامداد وللعمل بحرية لتطويق الروم . ولا ريب فى أن اطالة مكوث الروم فى حصون اليرموك قد أثرت على معنويات جند الروم . فان الأرمن كانوا متعودين على أجواء أكثر برودة وعلى مناخ جبلى ، كما أنهم كانوا من المرتزقة وليس دافع الوطن أو حماية الأهل هى التى تحفزهم الى القتال ، كما أن سكان منطقة حوران معادين للروم لاختلاف العقيدة أو هم على الأقل غير آبهين بمصير الروم . وظهر احتكاك خطير بين الأرمن وجند الروم حتى أن شطرا من الجيش قد انتخب«شنس» القائد الأرمنى قائدا عاما خلفا لتودز ، استغل خالد بن الوليد هذا الخلاف فنشط للاتصال بشنس كما نشط للاتصال بجند العرب فى جيش الروم .

واذا كانت قوات الغساسنة تؤلف جزءا من جيش الروم، وكان جبلة بن الأيهم يقود مقدمة الجيش الرومى ، فان فترة الركود هذه قد أضاعت على قيادة الروم فرصة استغلال قوة الفرسان العربية فى مواجهة المسلمين ، وقد كانوا يشكلون غطاء رائعا من الفرسان للجيش الرومى ، فذهبت فترة الركود بحماسهم وأتاحت لخالد فرصة الاتصال بهم واثارة النزعة القومية فيهم ، وبذلك قلت فاعليتهم فى جيش الروم ولم يقوموا الا بدور صغير فى القتال بعد أن تحول الى معركة ثابتة . وقد أدتالمنافسات المستمرة بين الوحدات المختلفة فى الجيش الرومى ، وما نجم عنها من تدهور فى الانضباط ، بالاضافة الى الخمول الذى أصاب الجند فى مدة الاقامة الطويلة فى الحصون ،

الى استكمال انحطاط الروح المعنوية في جيش هرقل . هذا بينما كان الجيش العربي دائم النشاط ، وكان يتلقى تعزيزات جديدة قوية ويتحول يوما بعد يوم الى الهجوم حتى أصبح يحيط بمواقع الروم ، الأمر الذى جعل عمرو ابن العاص يقول « حصرت ، والله ، الروم وقلما يأتى محصور بفائدة » .

وفى مساء يوم من أيام أغسطس سنة ٦٣٦م ، هبت عاصفة رملية أوحت الى خالد بن الوليد أن يرسم خطته بهجوم عام يسحق به جيش هرقل مستعينا بهجوم الطبيعة القاسى ، وبطبيعة الأعراب فى القتال . ولا ريب فى أن القتال ، فى مثل هذه الظروف الطبيعية العاتية التى تصعب فيها الحركة ويقل مدى الرؤية فى العواصف الرملية القاسية ، سيكون فرديا أكثر منه جماعيا . فالجيش المتعود على الحرب فى صفوف منتظمة تلبية لأوامر قادته يصبح فى وضع يائس فى مثل هذه الأوضاع . أما العرب فهم فرديون بطبيعتهم فى القتال ، وكل جندى منهم صورة مجسدة للنشاط والجرأة وهو على استعداد وتلهف للقتال وحيدا . وقد يكون الجنود العرب أقل قوة فى معركة نظامية ضارية فى صفوف متسلسلة ، ولكنهم يكونون فى أحسن حالاتهم فى أى هجوم عنيف يشنه كل واحد منهم على انفراد . وحين بدأ القتال فى جو العاصفة المعتمة من الرمال ، انطلق الجنود العرب كالعقبان ينقضون على أعدائهم ، وبدأت فصائلهم تتحرك كالأشباح عبر الرمال المندفعة متدفقين على مواقع الروم . ولما كان العرب قد قطعوا من قبل خطوط تراجع العدو ، فقد وقعت مذبحة هائلة ، قتل فيها القائد الرومى العام نفسه ، وأصبح الجيش الرومى ، الذى قضى هرقل عاما كاملا فى اعداده وبذل كل جهد فى تكوينه ، أثرا بعد عين ، لم يبق فيه الا حطام هالك ، فلم يكن هناك انسحاب أو عمليات تغطية خلفية للناجين من القتال ، لم يكن هناك شىء اطلاقا ، فلم يبق من جيش الروم أحد . وبهذه النتيجة انتهت معركة اليرموك . وكانت من القوة بحيث اعتبرت نصرا يشبه كل نصر كبير به بعد ذلك .

وحينما سمع هرقل وهو فى أنطاكية أن جيشه قد أبيد عن آخره أدرك ان الموقعة حاسمة ولا حيلة غير الفرار فراح يودع البلاد المقدسة التى حارب طويلا لاسترجاعها من الفرس . وقد ضاعت منه الى الأبد وانتقلت انتقالا نهائيا الى العرب . فقال « سلام عليك يا سوريا سلاما لا لقاء بعده » وبانتهاء معركة اليرموك انتهى القتال النشيط فى جبهة الشام وعاد العرب الى المدن التى أخلوها ثم أتموا فتح الباقى .

« يتبع »

المنابع القرآنية لأخلاق الصوفية

الأستاذ

محيى الدين الألوائى

لا بد للباحث عن المنابع القرآنية لاخلاق الصوفية ان يتامل قليلا - أولا وقبل كل شىء - فى وجه العلاقة بين أهداف التعاليم القرآنية وأهداف التصوف الاسلامى من حيث هو علم خاص ، يقف قليلا لينظر فى وجه الاتصال بين المبادىء الاخلاقية للصوفية ، والمبادىء التى قامت عليها دعوة الاسلام .

ومن أهم المبادىء التى قامت عليها التعاليم القرآنية - أولا - صقل العقول الانسانية بصقال الايمان بوجود صانع لهذا الكون وبصقال التوحيد لهذا الصانع الخالق العالم بجميع الامور فلا يجرى أمر فى هذا الكون الا بقضائه وأمره ومشيئته وارادته ، وهو علام الغيوب ، وبتطهيرها من أدران الخرافات والخزعبلات ، ونبذ كل ظن فى انسان أو أى مخلوق آخر ، علويا كان أو سفليا ، بأن يكون له أثر فى الكون من نفع أو ضرر .

وثانيا ـ فتح باب الكرامة والسمو والشرف للانفس كلها ، فلكل نفس حق السمو الى الكمالات الانسانية ما استطاع اليها سبيلا ، فلا تفاضل بين الافراد والجماعات الا بالعمل الصالح العام لخير الانسانية كلها : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ثم يحدد فضل الانسان ، مهما بلغ فى الكمال النفسى والمالى والعلمى وغيرها ، فى دائرة سعيه ، فيقول الله تعالى « وأن ليس للانسان الا ما سعى » .

وثالثا ـ تقويم الانسان بالكمال الروحى والكمال النفسى معا ؛ فلا يكتفى الاسلام بأحد الكمالين بدون الاخر ، بل يوجب على الانسان أن يصل الى كمالى الروح والنفس ، فلا تكمل الانسانية الا بكماليهما معا .

رابعا ـ تثقيف الافراد والجماعات ، وتنوير عقولها بالعلوم والمعارف ، والمثل العليا من الاخلاق الانسانية . ويقول الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم معلنا هدف بعثته الى البشر بقوله : « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » فيبين من كل هذا وذاك أن الهدف المنشود من التعاليم القرآنية ، أولا وبالذات ـ تثقيف العالم الانسانى بثقافات فاضلة ، وتربية عالية ، وتعويده على الاخلاق المحمودة ، فيعلن القرآن الكريم غرض بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بدستور الهى الى العالم بقوله . « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » . وعلى هذه الاركان الاربعة بنى القرآن صرح دعوته الكبرى .

واما القرآن فيخاطب ضمير الانسان ، فانه مسئول أمام الله بضميره ، لا باعماله وصوره ، فان الله لاينظر الى أعمالكم وصوركم ، بل ينظر الى قلوبكم ، وأن وازع الضمير يوجه الانسان الى طريق الخير والصلاح ، وقد تخادع القوانين الوضعية ويمكن الافلات من سلطانها اذا لم يكن هناك هذا الوازع . واذا تتبعنا التشاريع السماوية ، وكتب الاديان المختلفة ، وأصول المذاهب المتعددة ، لا نجد تشريعا يؤاخذ المرء بضميره ، ولا دينا يهتم باصلاح ضمير الفرد ، ولا مذهبا يعلق كل آماله على ضمير أتباعه ، مثل الدين الاسلامى .

وقد صرح الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم مبينا هذه الحقيقة الواضحة بقوله : « التقوى ها هنا » مشيرا بيده الى صدره .

فالضمير يقيم حارسا على كل انسان من نفسه ، فى السر والعلن ، لئلا يندفع الى تيار الاهواء النفسية والمطامع الشخصية ، فان النفس لامارة بالسوء ، ولايرد من جماح غوايتها الا حارس الضمير ، فلا يمنع نوازع الفساد من أن تسيطر على زمام أموره ، فضمير الانسان منبع الاخلاق الفاضلة ، ومصدر المثل العليا ، فجعل القرآن الضمير معيارا للاخلاق الفاضلة ، أو الرذيلة ، التى تؤدى الى تقدم الافراد والجماعات ، أو تاخرها ، اذ قال

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مابانفسهم » .

***

نظرة القرآن الى الحياة الدنيا

واذا تتبعنا وجهة نظر القرآن نحو الحياة الدنيا نرى وجه العلاقة بينا بين نظرة الصوفية اليها والنظرة القرآنية ، فيقول القرآن الكريم : « كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح » .

فليس فى استطاعة اى بليغ ماهر ، ومصور مبدع ، وكاتب ملهم ، مهما أوتى من قدرة الاجادة ، والدقة فى التعبير أن يحيط بوصف الحياة الدنيا فى غرورها الخلاب ، وسرابها البراق ، ونفاقها المكشوف ، باحسن من هذه الاية القرآنية ، فانها لم تكتف بذكر الماء يخالط الارض ، فيوقظ فيها النبت والخضرة والازدهار والاثمار والقطاف ، دون أن يجعل ذلك رواية تمثيلية يقبل عليها المتفرجون بشغف وشوق بالغين ، ثم ينتهون الى اسدال الستار على نهاية ازمة ، ومصير محتوم ، وعلى الرغم من أن الله تعالى لم يتركنا لاحلام اليقظة ، تلعب بعقولنا ، وتعبث بافئدتنا ، وتتصرف فى خيالنا كما نشاء ، اقام لنا من عالم الادراك ألف دليل على أنها وشيكة الزوال ، سريعة الانتهاء ، مطلية بالغرور ، مملوءة بالمحن ، ولا تزال ـ كلما تتاح لنا الفرص للترامى على أعقابها ، والتعلق بأذيالها ، والتكالب على حطامها ، والتفانى فى متاعها ـ نرتكب فى سبيل الوصول الى اهدافنا الذاتية ، أشنع الاساليب ، حتى اذا ما أخلدنا الى خلوتنا ، وانقطعنا الى رويتنا ، لم يلبث ذلك الانعاظ أن يتبخر فى رءوسنا ، وأن هذا القدار من الايمان يستوى فيه المؤمن والملحد ، والجاهل والعالم ، ولا شك فى حقيقته صغير أو كبير ، فرسالة كل واحد منا ، فى نظر القرآن ، لا تتجاوز الاصلاح الذى نعود فائدته عليه وعلى الناس فى حدود العمران والنهوض والتقدم ، مع كبح ما عساه أن يكون من طغيان الغرائز ، وطيش المطامع ، وثورة الشهوات ، ولكن مع التقوى والاحسان والايثار والتآلف والمحبة ، نطفىء فينا تلك الحدة التى تدفعنا الى الافتتان بهذا الزخرف الكاذب ، والمتاع الخادع ، والظلال السريعة الانتقال ، فتكف عن الشرور والآثام ، والتكالب والطمع فى حطام الدنيا البراق .

***

تزكية النفس فى القرآن

فأما « تزكية النفس » فاحدى الدعائم الكبرى التى قامت عليها الدعوة الاسلامية ، وكما أنها مهمة رئيسية من مهمات النبوة المحمدية ، وركن من الاركان الكبرى التى بعث الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم لتحقيقها وتكميلها ، كما يقول القرآن : « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

وان هذه التزكية التى هى شعبة من شعب الدين ، وهدف منشود يدعو الى تحقيقه القرآن ، نجد لها أمثلة رائعة فى نصوص القرآن وحياة النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، وايضاحا لفكرة التزكية القرآنية ، نستطيع أن نقسم التعاليم القرآنية الى قسمين : القسم الاول أفعال وهيئات وأمور محسوسة كقيام وقعود ، وركوع وسجود ، وتلاوة وتسبيح ، وأدعية وأذكار ، وأحكام ومناسك .

والقسم الآخر : هو كيفيات باطنية تصاحب هذه الافعال والهيئات المحسوسة عند الاداء ، من الاخلاص والاحسان ، والصبر والتوكل ، والزهد والخشوع والحياء ، والتضرع والابتهال ، والشوق الى لقاء الله ، والاخوة الانسانية ، والشعور الاخوى ، وايثار الآخرة على العاجلة ، وغير ذلك من كيفيات باطنية ، وأخلاق

نفسية . وهذه الكيفيات الباطنيـة بمثابة الروح لتلك العبادات المحسوسة ، والافعال الظاهرية .

ونجد آيات قرآنية عديدة تدعو الى التحلى بهـذه الأخلاق الباطنية ، وبعبارة أخرى اننا نستطيع أن نتبين من تلك الآيات أنهـا تطلب من الانسان أن يتخـذ تلك الهيئات المحسوسة ، من العبادات والاذكار والادعيـة وسائل تؤدى حتما الى تحصيل هذه الكيفيات الباطنية التى هى روحها وهدفها المنشود . وجعلت تلك الايات هذه الصفات الباطنية بمثابة القلب النابض ، وشريان الحياة للعبادات المفروضة كلها ، فترمز الاية الكريمة الى الناحية القلبية فى الصلاة : « قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » وتشير الاية الى أن الخشوع الذى هو من صفات القلب هو الذى يأتى بالفلاح بالصلاة فى الاخرة فالذى يقيم الصلاة بدون خشوع لا يكون أهلا للفلاح بنص القرآن ، وفى صـدد الكلام عن الصلاة الخالية من روحها يقول القرآن « ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم سـاهون » .. ويقول : « واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى » .

وفى معرض بيان الهـدف المنشود من الصـلاة يقول القرآن : « وأقم الصلاة لذكرى » ، وكما أنه يبين الاثار المترتبة على الصـلاة الحقيقية التى استوفت شروطهـا الظاهرية والباطنية بقوله : « ان الصـلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » و « آلا بذكر الله تطمئن القلوب » .

وان العبادات الاخرى من الزكاة والصدقات والصيام والحج وغيرها تشبه الصلاة فى هذه القاعدة القرآنية ، أى أنها لا نجدى نفعـا مطلوبا الا اذا كانت مصحوبة بتلك الحالة القلبية التى ذكرها القرآن مقرونة بها ، وأما الامتثال للشريعة الظاهرية ، والخضوع لاحكامها ، فهو الخطوة الاولى الى تزكية النفوس وتهذيبهـا وتحليتها بالفضائل ، وتلخيتها من الرذائل ، فالهيئات الظـاهرية وسيلة ، والكيفيات الباطنية غاية ، ولا غاية بدون وسيلة ولا فائدة من الوسيلة اذا لم تؤد الى الغاية المنشودة وغاياتها المنشودة هى تزكية النفس ، وسـلامة القلب ، والتقوى والمحبة ، والايمان الراسخ والرضا التام .

وكما جعل القرآن هـذه العبادات المحسوسة وسيلة لتزكية النفس دعا الانسان الى اتباع أعمال باطنيـة لتحقيق هذه الغاية السامية ، مثل المداومة على ذكر الله ، وشكره ، والتفكير فى آلائه ونعمه وعظمته ، ومنها قوله عز وجل : « فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون » .

وقوله : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » وقوله : « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات » الاية . وقوله : « لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » . وقوله : « واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا » .

واما الذكر الوارد فى هـذه الايات كلها أو جلها ، فيشمل الذكر اللفظى والقلبى أيضا ، بل فيها اشارة الى أن الذكر القلبى أعظم درجة من الذكر اللفظى ، لان الانسان لا يستطيع أن يداوم على الذكر اللفظى بينمـا يشتغل بالتجارة والبيع مثلا ، فان الذكر المتصل بهما الوارد فى الاية لهو ذكر القلب ، وكذلك لا يستطيع الانسان أن يجمع بين مداومة الذكر واقفـا وقاعدا ومضطجعا فى الهيئات الثلاث التى لا يخلو منها الانسان فى حياته ، وبين اشتغاله بشئون أخرى ، مع أن كلمة « وعلى جنوبهم » تشمل النوم أيضا . ومما يدل على سمو درجة الذكر القلبى قوله تعالى : « آلا بذكر الله تطمئن القلوب » .

وقوله : « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » .

فالتزكية التى يهدف اليها القرآن تتطلب أعمـالا ظاهرية وأعمالا باطنية ، ولكل منهمـا تفاصيل وآداب وأحكام ، ومفاهيم دينية ثابتة من القرآن ، ومعـان واضحة . ويشير الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم الى القسمين معا ، اذ قال فى جواب لسؤال وجه اليه عن الاحسان : « أن تعبـد الله كأنك تراه فان لم تـكن تراه فانه يراك » .

ومن هنا نستطيع أن نقول . ان لكل حكم من احكام القرآن ظاهرا وباطنا ، فظاهره كيفيته المحسوسة ، وباطنه كيفيته القلبية والنفسية . ومجموعهما يؤدى الى التزكية القرآنية أو النبوية - ان صح هذا التعبير- المعنية بقوله عز وجل : « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

وقوله « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة » .

ونظرا لاهميـة هـذين الجانبين اللازمين للاحكام القرآنية كلها أى الجانب الظاهرى والجانب الباطنى . قام العلمـاء والمصلحون الذين تشبعوا بروح القرآن الحق ، وتبحروا فى التعاليم النبوية الخالصة ، بشرح وايضاح وتفصيل لهما .

المخلّفون وإسرائيل

الدكتور الحسينى هاشم

لقد حدد الله تعالى موقف الذين يتخلفون عن الجهاد وجزاءهم وعاقبتهم من الخسران المبين والفشل الذريع . حدد ذلك لقوم ضعفت عزيمتهم وخارت قوتهم واضمحل تفكيرهم وذهب ايمانهم فشق عليهم الجهاد فأمروا بالقعود عنه واستمرأوا الدعة . كما فعل الحبيب بورقيبه فقال تعالى فيهم

فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل : نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون »

كان ذلك فى غزوة تبوك وتخلف هؤلاء القوم فى المدينة وقالوا لبعضهم لاتنفروا فى الحر وما دروا من سخافة عقولهم أن نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون وما درو أن فرحهم مؤقت وعاقبتهم الخسران المبين والبكاء الكثير حسرة على حالهم وندما حيث لاينفع الندم .

والله لايغفر لمثل هؤلاء هذه الذلة لانها خيانة كبرى للمجتمع الانسانى الاسلامى فحق عليهم أن يسقطهم الله من حساب المؤمنين . لما أسقطوا أنفسهم من صفوف جهادهم ولا يقبل الله لهم عهدا بعد ذلك فليسوا جديرين بشرف الجهاد

ويبين الله الأسلوب اللائق بمعاملتهم فيقول لنبيه المنزل عليه الوحى والممثلة شخصيته المعنوية الآن فى تعاليمه الاسلامية القانونية يقول له فى حزم حاسم

« فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا . انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين »

ثم يعتبرهم الله منافقين وغير مسلمين فيمعن فى عقابهم فلا يصلى عليهم عند الموت ولا تشيع جنازتهم ولا تزار قبورهم وقد قطعت العلائق والصلات بينهم وبين المسلمين فى الحياة والموت فعلى الشعوب المسلمة وعلى شعوبهم أن تقطع صلتها به فى الحياة والموت

ولهم فى الآخرة الجزاء الأليم يقول الله لنبيه « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا • ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون »

ولاية الكفار أعداء الاسلام :

والقرآن ينعى على من يترك صفوف المسلمين ويوالى الكفرة المحاربين للاسلام طمعا أن يجد فى رحابهم العزة لأنه بذلك تخلى عن عقيدته وما درى بأن العزة لله جميعا واعتبر الله الموالين للكفار من دون المؤمنين منافقين وبشرهم بالعذاب الأليم قال تعالى : « بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا » .

وليس غريبا هذا الموقف الشاذ من حبيب اسرائيل أبى رقيبه ضد الاسلام ولكن تاريخه مع الدين كله ملطخ بالسواد ومن هذه النقط السوداء محاربة الدين والحقد عليه وعلى علمائه

موقف أبى رقيبه من الجامعة الدينية « الزيتونه » :

جامعة الزيتونه لها تاريخ مجيد عتيق تحمل رسالة الاسلام كتابا وسنة فى المغرب وخرجت الأفذاذ من العلماء كالازهر منار هداية ولها مجلة دينية هى مجلة جامعة الزيتونه تحمل راية الثقافة الاسلامية وتنطق بلسان الدين والعلماء - ولم يجرؤ الاستعمار الفرنسى أن يلغى المجلة والتعليم الدينى بجامعة الزيتونة فجاء بالعوبته الحبيب بورقيبه فشرد علماء الزيتونة وأغلق مجلتها وحولها الى تعليم مدنى وأخرجها عن رسالتها الدينية المقدسة وهذا عمل يسر الاستعمار والمبشرين وأعداء الدين وقد شاهدت أثناء بعثتى بالتعليم الدينى بليبيا أن الطلاب التونسيين يفرون بدينهم يبكون على اغلاق جامعة الزيتونه فى وجه الدين وتحويلها الى تعليم مدنى ورحلوا ليتلقوا علينا العلم فى ليبيا وبعضهم فر الى أزهرنا المعمور بمصر • وهذه نقطة سوداء يسجلها التاريخ لبورقيبه •

تحديه لشعور المسلمين فى رمضان :

والمتصلون بأحوال تونس البلد العظيم وبعلمائها الثقات وشعبها الكريم الذى يمقت بورقيبه يعلم الحقد من أبى رقيبه للدين الاسلامى ولشعائره ، فبدلا من أن يحتفل بشهر الصيام بالقرآن والسنة والشعائر الدينية يأمر بنشاط الخمارات وينزل فى الشوارع بنفسه ليجبر المقاهى على فتح أبوابها فى نهار رمضان وتقديم مشروباتها ولكن الشعب التونسى يحتقره ويعلم أنه تافه عميل للاستعمار • حدث مرة أن قال لصاحب مقهى فى رمضان انى آمرك أن تفتح القهوة فرد عليه بجرأة المؤمن ولكن ماقيمة أمرك وقد أمرنى الخالق وأمر المسلمين بالصيام فى شهر رمضان ؟

وإذا كانت هذه هى روح الحبيب بورقيبه من الدين فلا غرابة فى أن يصادق أعداء الدين فيدافع عن اسرائيل ويعقد المؤتمرات مع حاخاماتها لحساب الكفر ضد الحق والايمان وعزاؤنا أن الحبيب واسرائيل وشأن كل المخلفين أنهم لايمثلون الا انفسهم ومكروهون من بلادهم وشعبهم وأصدقاء شعوبهم وكل مدافع عن الحق • والمخلفون مكروهون ومن الخير للمسلين بترهم من صفوفهم حتى لاتلوث بهم ، كره الله انبعاثهم فطهر المؤمنين منهم ونختم الكلمة بالآية القرآنية الكريمة •

ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين • لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين •

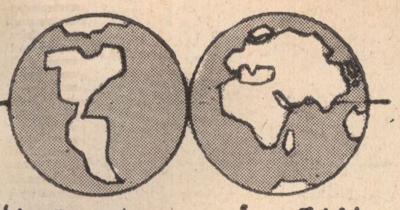

ماذا تعرف عن العالم الإسلامى دوله وشعوبه ؟

دولة الجزائر

الدكتورة عنايات الطحاوى

التعريف بموقع الجزائر وطبيعة سطحها ومناخها :

تقع الجزائر فى شمال أفريقيا بين تونس من الشرق ومراكش من الغرب وتطل على البحر المتوسط بساحل يبلغ طوله ١٢٠٠كم كما أنها تمتد من خط عرض ١٩ درجة فى قلب الصحراء الكبرى حتى خط عرض ٣٧٫١٥ درجة شمالا على شاطىء البحر المتوسط ومن خط طول ٢ درجة غربا الى ١٠ درجة شرقا .

وتبلغ مساحة الجزائر ٢٫١٩١٫٠٠٠ كم² تشغل السهول والهضاب الشمالية منها حوالى ٢٠٠٫٠٠٠ كم² والباقى صحراء .

والسهل الساحلى فى الجزائر ضيق لايزيد اتساعه فى أى منطقة عن ٥٠ كم تعقبه سلاسل جبلية تسمى أطلس التل وتعتبر امتدادا لجبال المغرب من ناحية وجبال تونس من ناحية أخرى .

ويتفاوت ارتفاعها مابين ١٠٠٠ ، ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر وتحصر فيما بينها أودية وهضابا .

ثم ننتقل بعد ذلك الى هضبة الشطوط التى يزيد متوسط ارتفاعها عن ألف متر وتتخللها أودية ومنخفضات وبحيرات ضحلة والى جنوبها نجد جبال أطلس الصحراوية التى يزيد ارتفاعها عن ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر . وأخيرا نصل الى الصحراء بما فيها من كثبان رملية وواحات .

وعليه فيمكن تقسيم الجزائر الى الأقاليم الطبيعية الآتية :

١ ـ اقليم التل : ويشمل السهل الساحلى وجبال أطلس التل

٢ ـ اقليم الهضاب وهو عبارة عن سهول واسعة مرتفعة تمتد بين أطلس التل وأطلس الصحراء .

٣ ـ اقليم أطلس الصحراء : وفيه جبال مرتفعة أهمها أوراس وعمور وأولاد نايل ونظرا لارتفاعها تنمو عليها الغابات وخاصة فى الجانب المواجه للساحل وللرياح والأمطار

٤ - اقليم الصحراء : وهو كبير المساحة ويقع فى جنوب الجزائر وتغطيه الرمال والصخور وتتخلله الواحات

والأنهار فى الجزائر لا تلعب دورا مهما فى اقتصادياتها فهى تجف صيفا وتمتلىء بمياه الأمطار شتاء وأهم هذه الأنهار شليف والحبرا والساحل والرمل • كذلك تنتشر فى الهضاب الوسطى بحيرات ملحية ضحلة •

اذا انتقلنا الى **وصف المناخ** لوجدنا أنه يمكن التمييز بين أنواع مختلفة من المناخ • فشمال الجزائر يتمتع بمناخ البحر المتوسط المعتدل الحرارة فأبرد شهور الشتاء يصل متوسطها الى ما بين ٥ درجة ،١٠ درجة مئوية بينما تصل متوسط درجة حرارة الصيف الى ٢٢ درجة مئوية •

والأمطار شتوية نتيجة لهبوب الرياح العكسية الغربية - ويسقط ٨٠٪ من الأمطار فى أشهر الشتاء ويصل متوسط المطر السنوى الى ٤٥٠ مليمترا •

أما هضبة الشطوط فان أمطارها أقل من السهل الساحلى ويبلغ متوسطها من ٢٠٠ - ٣٥٠ مليمترا •

ونظرا لارتفاع جبال أطلس الصحراء فان حرارتها تميل للبرودة شتاء بينما يلطف هذا الارتفاع من شدة الحرارة صيفا • وتعتبر جبال أطلس الصحراء حدا فاصلا بين مناخ البحر المتوسط شمالها والمناخ الصحراوى جنوبها فالى جنوبها تمتد الرمال الصحراوية وتقل الأمطار حتى تصل الى أقل من ٢٠٠ ملبمتر ويوصف المناخ هنا بالقارية •

وتنمو غابات البلوط والفلين والغابات الصنوبرية والنفضية على سفوح الجبال المرتفعة بينما تنمو الحشائش والاشجار الشوكية فى الهضاب والجهات الاكثر جفافا حيث ينتشر نخيل البلح بكثرة •

الاهمية الاقتصادية للجزائر :

أولا - الانتاج الزراعى :

الجزائر بلد زراعى يعيش سكانه على الزراعة الى جانب الرعى • وتقدر جميع المساحات الصالحة للانتاج الزراعى بحوالى ٢٥ مليون فدان • ويعتبر اقليم التل هو اقليم الزراعة الأول بالجزائر وهو الأقليم الذى يزدحم بالسكان ومن أهم مظاهر الزراعة به زراعة المدرجات •

ومما يلفت النظر من حيث توزيع الملكية الزراعية هو أن الأوربيين كانوا يمتلكون حوالى ٥ مليون فدان من أخصب الاراضى الزراعية بالسهول والاودية الخصبة الواقعة على مقربة من الساحل - هذا بينما كانت ملكية الاهالى الوطنيين لا تزيد عن مليونين من الافدنة الزراعية • أما بقية الاراضى الزراعية فكانت تستخدم فى الرعى •

وكان الاوربيون يستغلون أرضهم استغلالا كاملا ويستخدمون فيها وسائل الرى المختلفة من استعمال الآلات الميكانيكية الى حفر القنوات والمجارى المائية واقامة السدود• كذلك وجهوا عنايتهم الى زراعة المحصولات التى تدر أرباحا كبيرة كالكروم والحبوب •

وقد استردت الجزائر أراضيها الزراعية من الاوربيين بعد نجاح ثورتها واستقلالها ووزعت الارض على الفلاحين الجزائريين وقضى على الاقطاعات الكبيرة وأنشىء نظام المزارع الجماعية • كما حددت ملكية الاراضى بحيث لا تزيد مساحة مايملك الفرد عن ٦٠ هكتارا (الهكتار يساوى ٢ر٤ فدان)

وأهم الغلات الزراعية بالجزائر مايلى :

١ - **الحبوب** : ويعتبر القمح أهمها وتبلغ مساحته حوالى ٣ر٥ مليون فدان والقمح الجزائرى نوعان يابس ورخو • ويلى القمح الشعير فى الأهمية ونوعه من أجود الانواع الصالحة لانتاج الجعة ولذا يصدر فائضه الى الخارج • والى جانب القمح والشعير يزرع الذرة والشوفان بكثرة • وكل هذه الغلات الزراعية شتوية فيما عدا الذرة ويستهلك معظمها محليا •

٢ - **الكروم** : تعد زراعة الكروم التى تمتاز بارتفاع نسبة مادتها السكرية اكبر مورد مالى للثروة المحلية فهى تزرع على نطاق

واسع وذلك لاستخراج النبيذ الذى تستهلك نسبة منه فى الداخل بينما يصدر معظمه الى فرنسا التى تعد من أكبر الدول فى العالم انتاجا للكروم والنبيذ ولذلك فهى تصدر الفائض منه الى سويسرا وبلجيكا والسويد وكندا والولايات المتحدة ·

٣ ـ **أشجار الزيتون** : والجزائر غنية أيضا بأشجار الزيتون ولهذا كان انتاجها من زيت الزيتون كبيرا وقد وجهت عنايتها أيضا لزراعة أشجار التوت لتربية دود القز وانتاج الحرير

كما تزرع بها **أشجار الفاكهة** بكثرة فبساتين الموالح بأنواعها المختلفة تنتشر فى أنحاء الجزائر فضلا عن أشجار الرمان والموز واللوز · كذلك يوجد النخيل بكثرة فى جنوب الجزائر وتصدر كميات لا بأس بها من البلح الى الخارج ·

هذا **والخضروات** لها أهميتها وخاصة فى السهول الشمالية فانتاجها وفير يسد حاجة الاستهلاك المحلى ويسمح بتصدير فائض كبير الى الخارج ·

وتربة الجزائر غنية بالنباتات **العطرية** والطبية التى تستخرج منها أنواع كثيرة من العطور والأدوية المفيدة ·

أما بالنسبة للغلات التجارية كالقطن مثلا فان زراعته فى الجزائر لاتزال فى المهد وتوجد فى السهل الشمالى وأودية الانهار ·

أما الطباق فيزرع فى مساحة كبيرة تبلغ أكثر من نصف مليون فدان ويستعمل بعضه محليا ويصدر جزء منه للخارج ·

ولما كانت الزراعة هى العمود الفقرى فى اقتصاديات البلاد كان لابد من العمل على تنميتها وتقدمها وهذا لايتأتى الا باستخدام الاساليب الحديثة للزراعة فى المناطق التى ما تزال تغلب عليها الطرق البدائية وتمهد الطرق فى المناطق الجبلية · وتيسير وسائل المواصلات اليها وغيرها هذا بالاضافة الى اقامة السدود والخزانات اللازمة لرى الاراضى والانتفاع بزراعتها ·

ثانيا ـ الغابات ·

تعتبر الجزائر من الاقاليم الغنية بغاباتها وهى تضارع الى حد ما سويسرا فى جمال مناظرها وفى تدرج غاباتها على سفوح الجبال وتشغل الغابات مساحة تقدر بحوالى عشرة ملايين من الأفدنة من البلوط والصنوبر والفلين والسدر والزان · ويحتل القطر الجزائرى المرتبة الثالثة بالنسبة لانتاج الفلين فى العالم بعد البرتغال وأسبانيا ·

ويصدر معظم الانتاج خاما أو مصنوعا الى فرنسا والولايات المتحدة وأوروبا · ويستخدم الأهالى الاخشاب فى الاغراض الصناعية وفى عمل أعمدة التلغراف · هذا فضلا عن استخدام لحاء الاشجار فى الدباغة ·

ويلاحظ أن مساحات كبيرة من أراضى الغابات تستغل فى الزراعة أو الرعى ·

ثالثا ـ الثروة الحيوانية :

مساحة المراعى بالجزائر كبيرة فما زالت توجد بها مساحات واسعة من الحلفا البرية ولاسيما فى ولاية وهران حيث تسود حرفة الرعى ـ وتوجد الماشية فى السهول الشمالية أما على الهضاب وفى الجنوب حيث المناطق شبه الجافة فتوجد الاغنام والماعز والجمال ·

وتعتبر الاغنام أقوى عنصر من عناصر الثروة الحيوانية بالجزائر فبعضها يصدر حيا والبعض الآخر يصدر صوفه ·

اذا انتقلنا بعد ذلك الى **الثروة السمكية** فاننا نجد أنه على الرغم من طول الساحل الجزائرى الا أننا نجد أن الاسبان والطليان كانوا يحتكرون عملية الصيد ثم أخذ الجزائريون خلال السنوات الاخيرة ينافسونهم فى هذا العمل · وتوجد الآن مصايد واسعة لأنواع السردين والانشوجة والتونة والرنجة والمحار وما الى ذلك ·

رابعا ـ الثروة المعدنية :

تشمل الثروة المعدنية طائفة هامة من المواد الخام التى ينطوى عليها جوف التربة

الجزائرية وأهم هذه المواد الفحم والحديد والمنجنيز والكروم والنيكل والرصاص والزئبق والنحاس والكبريت وفوسفات الجير والبوتاس والجبس والرخام والمرمر والفخار وأحجار البناء .

ثم **زيت البترول** الذى استخرج حديثا وصارت له الأهمية الكبرى فى الثروة المعدنية ويرجع اكتشاف البترول فى الجزائر الى سنة ١٩٥٦ م وقد سبقته أبحاث ترجع الى سنة ٩٤٦ م وكان أول حقل تم اكتشافه فى سنة ١٩٥٢م هو بئر حاس مسعود ثم اكتشف بعد ذلك آبار حقل عجلة وتقفطرين ثم حقل زرزتين وهكذا .

وبدأ الانتاج سنة ١٩٥٨ م بحوالى ٨٠٠٠ طن ثم أخذ يزيد حتى بلغ أكثر من ٢٠ مليون طن فى سنة ١٩٦٢ م ومن المتوقع أن يرتفع هذا الرقم ويصل الى نحو ٥٠ مليون طن سنة ١٩٦٥ م

ويقدر احتياطى البترول الجزائرى بحوالى ٥٠٠ مليون طن وهذا تقدير مبدئى قابل للزيادة .

وتنتج الجزائر أيضا الغاز الطبيعى وتجرى أبحاث بشأن مد خطوط أنابيب لنقل الغاز الى أوربا .

وأهم مشكلة واجهت التوسع فى استخراج البترول بالجزائر عدم وجود وسائل كافية لنقله الى موانى التصدير ثم بدأ انشاء شبكة من خطوط الانابيب الى موانى التصدير والى مصانع الصلب وكذلك للاغراض المنزلية

كذلك اهتمت الحكومة بانشاء معمل التكرير فى حاس مسعود وفى مدينة الجزائر .

خامسا ـ الانتاج الصناعى :

توجه الحكومة الجزائرية اهتماما كبيرا الى التصنيع وتستفيد بالخبرة الفنية من الدول الصديقة التى سبقتها فى هذا الميدان كالجمهورية العربية المتحدة . ومما يساعد على نجاح التوسع الصناعى عوامل منها وفرة الأيدى العاملة والتحول فى الانتاج الزراعى الى التوسع فى انتاج الغلات التى تستغل فى الصناعات المختلفة

ثم وفرة الثروة المعدنية كالحديد والزنك والمنجنيز والفوسفات ثم زيت البترول الذى يعتبر عماد الصناعة .

ومن العوامل الهامة فى توجيه الصناعة الى افادة الاقتصاد القومى هو الاخذ بالاسلوب الاشتراكى والحد من سيطرة أصحاب رءوس الاموال على العمال .

وأهم الصناعات التى تقوم فى الجزائر هى عمل النبيذ والزيوت والسكر وغزل ونسج القطن والصوف وطحن الغلال وعمل الآلات الزراعية والسماد والاسمنت وصهر الحديد . وجميع هذه الصناعات لسد حاجة الاستهلاك المحلى . ومما يلاحظ على هذه الصناعات أنها كانت مركزة فى المناطق الساحلية حيث تقيم العناصر الاوربية وبخاصة الفرنسيين ولذلك فقد اهتمت الحكومة الجزائرية بعد أن نالت استقلالها بدعم وانشاء بعض الصناعات باقامة المصانع لغزل ونسج القطن وعمل الصلب والآلات المعدنية والصناعات الغذائية والكيماوية والعمل على تصدير مايمكن تصديره للخارج .

هذا وقد كانت فرنسا تسيطر على صادرات الجزائر سيطرة كاملة فكان نصيبها وحدها ٧٠٪ من مجموع الصادرات التى كان معظمها عبارة عن مواد نباتية وحيوانية ومعدنية .

أما الواردات فكان معظمها من المواد المصنوعة اللازمة للاستهلاك المحلى وتبلغ قيمتها ٤٠٪ من فرنسا وحدها وبذلك يتضح لنا مدى الاستغلال الذى كانت تقوم به فرنسا فى الجزائر مما سبب عجزا كبيرا فى الميزان التجارى الجزائرى .

ولكن بعد أن نالت الجزائر استقلالها وتمكنت من التخلص من الكابوس الفرنسى اتجهت الى سياسة التصنيع وخاصة بعد أن أصبح البترول يشغل مركزا طيبا فى منتجاتها واعتمدت على الكثير من صناعاتها المحلية وبذلك قلت وارداتها من الصناعات المماثلة .

جمهورية الجزائر

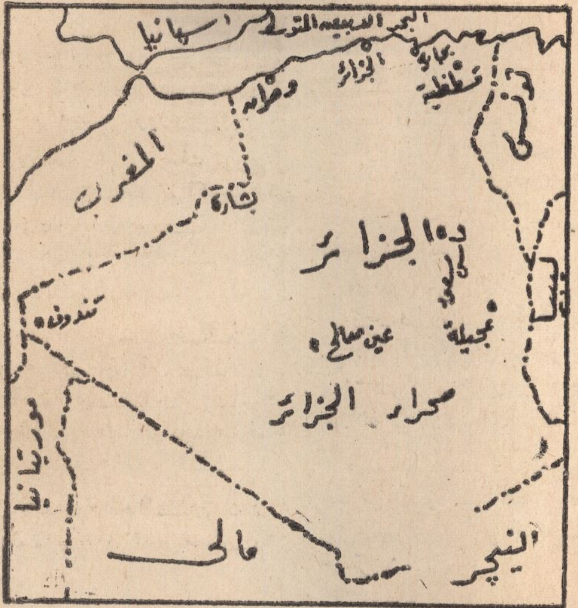

كذلك اتجهت الجزائر الى تنويع أسواق الاستيراد والتصدير كأسواق البلاد العربية والافريقية ودول الكتلة الشرقية بعد أن كانت وقفا على فرنسا .

وقد تحققت سيطرة المجتمع الجزائرى على أدوات الانتاج بخلق قطاع عام قادر على تحمل مسئولية التنمية الاقتصادية واستثمار موارد البلاد الطبيعية والمادية وطاقاتها البشرية وذلك تطبيقا للفلسفة الاشتراكية التى استقر الرأى عليها فى تنظيم المجتمع فشكلت لجان التيسير الذاتى ووضع تحت ادارتها الكثير من المنشآت التجارية والاراضى الزراعية والعقارات .

ولما كانت التنمية الاقتصادية لا تؤتى الغرض منها الا بتقدم وسائل المواصلات وتحسينها فقد اهتمت دولة الجزائر المستقلة بهذه الناحية اهتماما كبيرا وأخذت تعمل على تقدم النقل البرى من انشاء وصيانة الطرق المختلفة والسكك الحديدية . كما أولت عنايتها بالطرق البحرية والصيد البحرى وذلك بتكوين أسطول تجارى جزائرى واعداد وتجهيز الموانى .

وبالاضافة الى ما تقدم تبذل الجهود الكبيرة فى مجال النقل الجوى وتنظيم وتجهيز المطارات .

والجزائر بلد سياحى فالبحر المتوسط يكسبها مناخا معتدلا شتاؤه رائع وصيفه طويل وجبالها تتراكم عليها الثلوج وتعتبر مكانا مثاليا للتزحلق .

ثم الصحراء بواحاتها الرائعة وهدوئها وامتدادها تعتبر مكانا جذابا بالنسبة للسائحين وتمورها مشهورة فى جميع أنحاء العالم .

وتحمل كل منطقة طابعها الخاص بها وصناعاتها التقليدية كصناعة السجاد والنحاس والفضة المطعمة ذلك الى جانب الفنون الشعبية مما يبشر بمستقبل طيب فى السياحة

وأهم المدن مدينه الجزائر وتعزى أهميتها الى أنها عاصمة وميناء هام يتوسط ساحل الجمهوريه الجزائريه واتصالها السهل السريع بالداخل وأهميتها فى تجارة المرور عظيمة ٠

ويلى الجزائر فى الاهميه ميناء **وهران** الهام فى غرب الجزائر ثم ميناء **عنابة** وهى الثالثة فى الأهمية ٠ أما ميناء بجاية فتصل اليها أنابيب البترول من حقول استخراجه ولذلك زودت بمرفأ كبير لاستقبال ناقلات البترول ٠

أما فى الداخل فاهم المدن **قسطنطينة** وموقعها على ربوة عالية وبحكم هذا الموقع المنيع فهى تسيطر على جهات التل الشرقى فى الجزائر ٠ ولذلك اتخذها الحكام والغزاة القدامى مركزا حصينا لهم ، كما

اتخذها أهل الجزائر الحاليون معقلا للوطنيين نظموا منها حركة المقاومة ضد الاستعمار الفرنسى ٠

الشعب الجزائرى - عناصره وتقاليده الاجتماعية :

يتكون الشعب الجزائرى من عناصر هامة هى البربر والعرب والمغاربة والاتراك والمولدين واخيرا السودانيين ٠

أما البربر فقد استقروا فى شمال افريقيا منذ عهد قديم وقد امتزجوا بالشعوب التى غزت شمال افريقيا كالفينقيين والقرطاجنيين واليونانيين ولكنهم لم يتأثروا بهم الا قليلا ٠

ثم جاء الرومان وظلت سيادتهم تعم افريقيا حتى القرن الخامس الميلادى ثم البيزنطيين الذين سيطروا على شمال أفريقيا قرنا من الزمن ٠

وقد امتص المغرب العربى كل هذه الاجناس الوافدة دون أن يتأثر بأساليبه أو نظمه الاجتماعية الا قليلا ٠

أما العرب فحينما وصلوا الى بلاد المغرب استطاعوا أن يصبغوها بالصبغة العربية وذلك على طريق اللغة والدين والعادات والتقاليد وما من شك فى أن دخول سكان المغرب العربى فى الاسلام كان له أعمق الاثر فى سلوكهم الاجتماعى وفى تطورهم ٠

بالنسبة **للعنصر المغربى** فى كيان سكان الجزائر فنجده منتشرا فى المدن الكبيرة وفى المناطق الشرقية على حدود تونس وكذلك فى المناطق الغربية على الحدود المراكشية ٠ ويمتاز العنصر المغربى ببعض اللهجات الخاصة وبعض التقاليد ٠

أما المولدون وهم من آباء أتراك وامهات جزائريات فقليلون ذلك لان معظم الاتراك رحلوا عن الجزائر عند الغزو الفرنسى ولم يبق من العهد التركى سوى بعض الألقاب التى تحتفظ بها قلة من الاسر الجزائرية ٠

فيما عدا ماتقدم فانه لا يوجد سوى القليل جدا من السودانيين الذين وفدوا على الجزائر فى عهود الرقيق ثم أصبحوا وطنيين جزائريين ٠

وهذا التقسيم فى عناصر السكان لم يعد له أثر يذكر فامتزاج هذه العناصر أصبح تاما لدرجة أنه أصبح من المتعذر تمييز أحدها عن الآخر فالبربر والمغاربة والاتراك استوعبتهم العروبة فأصبحت اللغة والعادات والتقاليد واحدة يجمعها الدين الاسلامى المجيد ٠

ويبلغ عدد السكان فى الجزائر حوالى ١١ مليون نسمة منهم مليون شهيد فى حرب الاستقلال منذ سنة ١٩٥٤ م حتى سنة ١٩٦٢ ويوجد حاليا حوالى ربع مليون أجنبى أغلبهم من الفرنسيين وقد كانوا مليونا قبل الاستقلال حيث كانت هجرة الفرنسيين الى الجزائر على نطاق واسع وذلك بعد عام ١٨٣٤م وهو العام الذى أعلنت فيه فرنسا أن الجزائر من ممتلكات فرنسا ٠

كما هاجر الأسبان والايطاليون أيضا بأعداد كبيرة واتخذوا من الساحل الجزائرى مقرا لهم حتى كان عام سنة ١٨٨٩ م وتدخلت

فرنسا بوضع التشريعات التى تدمج الاوربيين فى جنسيتها من جهة وتحد من هجرتهم الى الجزائر من جهة أخرى ·

كذلك شجعت فرنسا هجرة الجزائريين اليها ·

حتى يتشبعوا بالروح الفرنسية وتقل خطورة العناصر المناوئة فى الجزائر ولامتصاص العناصر النشيطة الرخيصة الاجور فى مصانعها خاصة وأن فرنسا فى حاجة الى عمال ·

وقد طرد الفرنسيون الوطنيين الجزائريين من المناطق الخصبة الساحلية فى الشمال التى احتلوها وامتلكوا أرضها بينما أهل الجزائر ذهبوا جنوبا الى اقليم الهضاب والى الجنوب الصحراوى ومن بقى منهم فى الشمال انما كان عاملا وأجيرا لدى الفرنسيين ·

وكان من نتائج احتلال فرنسا للجزائر أن صبغت التعليم فيها فى جميع مراحله بالصبغة الفرنسية وكذلك الصحافة وأسماء القرى والمدن والشوارع والاحياء جميعها فرنسية ·

ومع ذلك فقد تغلبت التقاليد والعادات العربية وصمدت لكل ماهو فرنسى حتى تم استقلالها وأخذت تعمل على تعريب التعليم واحلال اللغة العربية محل اللغة الفرنسية بقدر الامكان ·

وقد ساعدتها الدول العربية وبخاصة الجمهورية العربية المتحدة فى هذا الاتجاه القومى العربى الذى يتمشى مع دين البلاد الرسمى وعادات أهلها وتقاليدها العربية ·

الاسلام فى بلاد المغرب :

يعتبر عقبة بن نافع صاحب الفضل الاكبر فى فتح بلاد المغرب وانتصار المسلمين على القوات البيزنطية وذلك فى القرن السابع الميلادى سنة ٦٨٢ م فقد فكر هذا القائد فى انشاء مدينة تكون بمثابة قاعدة للجيوش الاسلامية بحيث تبعد عن البحر الذى يعسكر الاسطول البيزنطى على سواحله · وبذلك أسس عقبة بن نافع مدينة القيروان لتؤدى هذه المهمة وسرعان ما تحولت هذه المدينة الى مركز اشعاع هام ولعبت دورا حاسما فى تثبيت أقدام العرب المسلمين فى بلاد المغرب (تونس والجزائر ومراكش) وذلك حينما ثارت جماعات البربر ووقفت القوات البيزنطية من خلفهم تشد من أزرهم حتى تنتقم لنفسها من العرب الذين أوقعوا بهم الهزيمة فكان لمدينة القيروان الفضل فى رد غارات هؤلاء البربر وصد هجومهم المباشر ·

ثم يظهر بعد ذلك قائد عربى شجاع هو حسان بن النعمان الذى ينازل الاسطول البيزنطى وينتزع منه النصر فى موقعة قرطاجنة ثم ينشىء مدينة تونس لتكون قاعدة الاسطول الاسلامى الجديد ·

ثم يجيء موسى بن نصير وذلك أثناء حكم عبد الملك بن مروان فوصل بفتوحه الى أقصى جنوب المغرب وكان موسى بن نصير يمتاز بسماحته وكياسته فى معاملته للبربر ، الذين أخذوا يدخلون فى دين الله أفواجا وعمل موسى من ناحيته على نشر الثقافة الاسلامية على أوسع نطاق فشيد المساجد للعبادة والتعليم ثم دعم علاقة العرب الفاتحين بأهل البلاد فولى قادة للجيوش من أبناء البربر أنفسهم لكى يقوموا بغزو المناطق الجنوبية فى بلاد غرب افريقيا ومن بينهم طارق بن زياد وغيره ·

وقد كان للمعاملة الطيبة التى سلكها الفاتحون المسلمون مع البربر أيضا أثر واضح فى اقبالهم على الاسلام هذا بالاضافة الى أن الجيوش الاسلامية كان يصاحبها فى نفس الوقت عدد من الدعاة الذين انتشروا بين الأهالى واتصلوا بهم اتصالا مباشرا وأخذوا يقنعون الناس بالحجة والبرهان ولم يمض الا وقت قليل حتى كانت بلاد البربر قد أصبحت جزءا من الامبراطورية الاسلامية الكبرى وأصبح المغرب باقسامه الثلاثة تونس والجزائر ومراكش القاعدة الأمامية لنشر العروبة والاسلام فى غربى افريقيا وفى الاجزاء الجنوبية من الصحراء الكبرى ·

كفاح الجزائر المجيد ضد الاستعمار الفرنسى حتى نالت استقلالها

كافحت الجزائر الاستعمار الفرسى منذ دخلها سنه ١٨٣٠ م فقد سجل الأمير عبد القادر الجزائرى انتصارا باهرا فى معركة المقاومه التى بدأت فى مدينة قسطنطينة واستمرت الحرب سبعة أعوام متتاليه دون هوادة استعمل فيها الفرنسيون أساليب الاجرام والقتل واحتلوا مدينة قسطنطينة سنة ١٨٣٨ م وظل الامير عبد القادر يقاوم الفرسيين سبعة عشر عاما مواجها أكبر قوة استعمارية شهدتها افريقيا وانتهى الامر بغلبة الدخيل وأخذ الامير عبدالقادر أسيرا ونكل الفرنسيون بالعرب

واعتبرت فرنسا الأرض الجزائرية قطعة من أرضها عبر البحار وهدا أمر لم يحدث له فى التاريخ نظير فقد صارت الجزائر مقاطعة فرنسية ترسل عنها نوابا الى المجلس الوطنى فى باريس بصرف النظر عن الاختلافات الدينيه والجنسية والتقاليد الاجتماعية • وأحل الفرسيون العنصر الاوربى مكان العنصر العربى وانتزعوا الارض من أهلها وغيروا أسماء القرى والمدن وبلغ جملة ما استحوذ عليه الفرنسيون من الارض حوالى أربعة ملايين فدان من أجود الاراضى وأخصبها •

ثم قامت ثورة العرب فى الجنوب الغربى الجزائرى عام ١٨٦٤ م بزعامة الشهيد سليمان بن أبى بكر الذى جمع ما يلزم من سلاح وانضم اليه العرب الذين جندتهم فرنسا ودامت الحرب قاسية خمسة أعوام هلك فى أثنائها عددضخم من المواطنين ودمرت خلالها قرى عديدة واستقدمت فرنسا قوات عظيمة أخضعت بها أهل الجنوب •

واستمرت المقاومة وحشدت فرنسا حوالى نصف مليون جندى فى الجزائر ومع ذلك لم يستطع الاستعمار القضاء على المقاومة وكلما اشتد بطش الفرنسيين زادت قوة التحرير الجزائرى شدة وعزما حتى كانت سنة ١٩٤٥م حيث وقعت مذبحة من أبشع المذابح الاستعمارية اشترك فيها الاسطول البحرى الى جانب قاذفات القنابل من الجو والمصفحات والدبابات فى البر وقد استشهد فى هذه المذبحة الكبرى حوالى خمسة وأربعون ألفا من الرجال والنساء والاطفال •

وفى أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ م دخلت الحركه الوطنيه الجزائرية فى تنظيم سرى جديد وأعلنت الثوره الكبرى فى كل جهات القطر الجزائرى واستولى المجاهدون على كميات من سلاح الجند الفرنسى وقد قسمت الثورة القطر الجزائرى الى ست مناطق تخضع كل منطقة لزعيم سياسى وزعيم حربى • وقد استطاعت فرنسا بخدعة آثمة القبض على زعماء الثورة فى الجزائر فى أكتوبر سنة ١٩٥٦ م وهم مسافرون من تونس الى مراكش ومع ذلك استمرت الثورة الجزائرية على الرغم من المذابح الفرنسية حتى وصل عدد الشهداء الى أكثر من مليون شهيد جزائرى • فقد كانت الثورة غير متكافئة من حيث القوة المادية الكبيرة فى جانب فرنسا ثم القوة الروحية والعزم القوى والتضحية العظيمة من جانب الجزائر وكان النصر أخيرا للقوة الروحية التى تمتعت بها الجزائر وتألفت حكومة مؤقتة جزائرية سنة ١٩٥٨ م فى القاهرة

وأخيرا أرغمت فرنسا على الاعتراف بحق الجزائريين فى الاستقلال نظرا لمعاداة الشعوب العربية كلها لها ولجهاد الشعب الجزائرى المجيد الذى لم يتوقف •

وأعلن استقلال الجزائر فى يوليو سنة ١٩٦٢م وصارت جمهورية اشتراكية ديمقراطية سنة ١٩٦٣ م •

قصة العدد

اخضرت الأشجار

الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

لم تكن الشمس قد أشرقت على الريف فى ذلك اليوم . كان الوقت مبكرا والشهر «ابريل» ونداوة النسيم تعبر من خلال النوافذ المقفلة عطرا بكرا صنعته يد الله .

ولم يكن فى الحجرة الكبيرة احد سواه . والباب مقفل عليه من الخارج وميعاد الفطور لم يحن بعد . لكنه كان فى حاجة قصوى الى ان يتحرك فقد احس ان هذا الفراش الذى لزمه شهرا هنا ومنذ خمسة اشهر فى المدينة احس انه منجد بالشوك . وان هذا الحجرة ذات الطراز الريفى العريق ضيقة . جدا .. مع انها ذات جدران مرتفعة ومساحة لاتقل عن ثلاثين مترا .

وجلس فى فراشه وحمل ذقنه على كفيه ثم أخذ يفكر .. انه كان حزينا قبل ان يأتى الى الريف كان يائسا من دنياه .. يرقب صباح كل يوم من نافذته وهو جالس على كرسيه ذات العجلات فلا يرى ابتسامة البشر على وجه احد ويخيل اليه ان الناس الذين يتسابقون امام عينيه الى اماكن الرزق لايفهمون من حقيقة الدنيا شيئا . اما المساء فقد كان ينزل على المدينة فى نظره كما ينزل الكابوس .. بليل لا نور فيه ولا نوم ولا حلم سعيدا . لكنه فى هذا الصباح يحس ان شيئا فى داخله يبتسم وان كانت ابتسامته تخلو من ذكريات مرة

وهاهى ذى الخادمة الكبيرة التى تقوم على شئونه لم تعد حتى الساعة من عند بنتها التى وضعت غلاما كان أعز بشرى تلقتها طول عمرها انها لم تنجب الا بنات وهى لذلك تبدو أنها مشغولة وانها تحمل طفل نبتها فى اللفائف وتتفرس ملامحه ثم تكبره عشرين مرة على الأقل . بعين خيالها المشتاق لترى على شفته شاربا رقيقا عظيم الشهامة وتقبله .. وتضحك .. كانت هذه هى أفكاره وهو جالس فى الفراش . ورفع ذقنه من على كفيه وقلب بصره فى المكان . وأخذ يعد النوافذ والكراسى بطريقة لا تغنى شيئا . ثم تذكر وحدته وأخذ يفحص تفاصيلها فنظر الى السرير المطوى فى الركن البعيد من الحجرة وتذكر الايام التى كان فيها منصوبا منذ عهد غير بعيد منذ سنوات خمس .. كانت زوجته ترقد هناك ويأتيه حديثها من بعيد .. ثم .. ماتت ، ودفنت فى القاهرة وكان هو يحترف تجارة الاقمشة فاستطاع أيام الحرب الماضية أن يقتنى أشياء كثيرة وكانت هذه المزرعة الصغيرة من الاشياء التى اقتناها ..

ثم سكنت أفكاره .. قطعها عليه وقع خطوات على السلم ظنها خطوات خادمته الكبيرة .. انها زوجة أحد الفلاحين كانت تطارد دجاجة فرت من حظيرتها وأخطأت طريقها الى

السلم . وأخذ ينصت الى المعركة حتى اختفت آخر معالمها . ثم عاد يقلب بصره فى الحجرة الواسعة ويحصى الأشياء بطريقة لا تعنى شيئا . حتى وقع بصره ثانيا على السرير المطوى فتذكر زوجته وأولاده ..

تذكر ابنه الأكبر الذى يشغل الآن وظيفة فى احدى المراكب التجارية يقطع الدنيا طولا سنوات دراسته بأن يكون بدينة فى التجارة لكنه قال : « اننى يا أبى أفعل ما أصلح له ، ولا أفعل ما تحبه أنت ، ولا ما يحبه الناس »

وابنه الأوسط الذى يشتغل مهندسا بحريا فى احدى المراكب التجارية يقر الدنيا طولا وعرضا ويحمل اليه كلما عاد هدية طريفة أو حادثة عجيبة وقعت له أو لأحد الناس ..

ثم ابنه الأصغر الطالب بكلية الشرطة .. البعيد القريب والذى لن يكون الى جواره حتى بعد أن يتم دراسته لانه سيكون فى خدمة الأمن فى اقليم ما من أرض بلده ..

وعادت خطوات أخرى وضجة تسمع على السلم . والشمس لم تشرق بعد . ونداوة النسيم تملأ أرجاء المكان عطرا بكرا كأنما رشته « بخاخة » . ثم تبين له أن دجاجة أخرى تجرى على السلم وأن أحدا يطاردها ..

ونقلته أصوات المعركة الناشبة بين المرأة والدجاج الى جو من الامانى والأحلام فحسد كل شىء يمشى على رجلين حتى ولو من دجاجة .. مصيرها هكذا .. تحبس فى حظيرة حتى تدركها السكين .. نعم .. لانه مشلول منذ ستة أشهر ، احدى ساقيه لاتقوى على حمله وهو بطبيعة احساسه مثقل باليأس . يحس بالخلاء والوحشة منذ وقع له هذا الحادث .. ولم يصدق لحظة واحدة ما أكدته الوقائع وأقوال الاطباء من أن المرضى بمثل مرضه يبرأون . وكان يضيق بالطبيب حين يقول له « ساعد نفسك » حتى صرخ فى وجهه ذات ليلة قائلا له : « أذن فما مهمة اطواق النجاة،

ونظر الى الكرسى ذى العجلات الواقف الى جوار الفراش نظرة صديق لصديق ... أحس فى هذه اللحظة أنه انفع شىء فى الدنيا

فهل يستطيع أحد ابنائه الآن أن يحمله الى هذا الركن القصى فى حجرة النوم . !

ورأى أول شعاع من أشعة شمس اليوم يدخل من خلال النوافذ والخادمة الكبيرة لم تعد بعد . وكان محتاجا اليها . ومن الغريب أنه لم يشعر بحنق ولا غضب بل حنا عليها . كان يتصورها جالسة فى القاعة الصغيرة على الفراش الأرضى بجوار بنتها وهى تقبل ابنها الرضيع فهل خطر على بال هذه الخادمة أن طفلا كبيرا جدا ينتظرها على بعد ثلاث كيلو مترات ؟ ولم يتألم ولم يشعر بحنق بل نظر الى الكرسى ذى العجلات وتقلقل فى مكانه معتمدا على كوعه مدليا رجله السليمة محاولا أن ينزل الى الكرسى وما كاد يفعل حتى فوجىء باحدى عجلاته تسقط على الأرض .

فتحامل فى هدوء راجعا الى الفراش . وجلس ، واخذ ينظر الى أسفل الى حيث يربض الكرسى . وحمد الله على أنه لم يستقر عليه بكل ثقله اذن لاصابة مكروه .

لكنه عاد من جديد يستمع الى يقظة الدنيا حوله .. كانت هناك أصوات تغنى وسط الحقول يحمل الصباح صداها طربا عذبا كأنما غسله الندى . وناس يصيحون .. ينادى بعضهم على بعض كى يسرعوا الى العمل . وطيور تغنى وحيوانات تتناغم .

وسحرته الأصوات . وأحس بقلق يسرى فى أعضائه يشبه الى حد ما قلق الساقين حيث يعزف الموسيقى فدلى رجليه من الفراش ووضعهما على الأرض بشجاعة لم تسبق له من قبل على الرغم من اغراء الطبيب وحانت منه التفاتة الى الكرسى الذى سقطت احدى عجلاته فرأى نفسه أقوى منه . وأحست احدى قدمه بالأرض ولم تحس بها القدم الأخرى لكنه تحامل على الاثنتين معا ودار مع الفراش ، وفرض سينة وبين نفسه أنه جريح ووحيد حتمت عليه الظروف أن يزحف حتى يصل الى أقرب انسان

ووجد نفسه جنب النافذة فظل واقفا وعالجها حتى انفتحت وفجأة بدت له الحقول والمزارع والأفق فى بهاء لم تقهره عيناه .. وتبسم واستنشق هواء كأنه لم يذقه من قبل مثلما

يشرب الظمآن . ونسى نفسه فى وقفته لأنه أخذ يتأمل كل شىء أمامه . كانت هناك شجرة من اللبخ تقوم على الطريق العام كأنه يعرفها وهو صغير وكم صاد العصافير من بين فروعها والسمك من الترعة القريبة منها وكان يشعر أن رابطة ما تربط بينهما . ومنذ خمس سنين جاء الربيع واخضرت كل الأشجار على الطرق وفى الحدائق وحول الدور وفى المزارع . لكن هذه الشجرة لم تخضر كلها . كل نصفها أخضر ونصفها يابسا . وجاء أحد الفلاحين فى ذلك الحين ووقف أمامه وحياه ثم وضع فأسه على الأرض واتكأ بيده على يد الفأس وسأله :

لماذا لا تقطع هذه الشجرة ؟ فأجابه صاحب الأرض : ولماذا تقطعها ؟ دعها .. فاننى أحبها . فأبتسم الفلاح .وحمل الفأس ومشى ودعا للشجرة أن تعود اليها الخضرة .

وها هو ذا اليوم ينظر نحوها .. كل الأشجار قد اخضرت .. وقوة الانبات فى الأرض ملأت القرية بالحياة وشجرة المشمش .. نعم .. وكأن حركة بعث الهيه لمست كل حى ..

وتذكر فى وقفته ناسا كثيرين .. ابنه الكبير الذى تلقى منه رسالة تعبر عن شوقه وتعد بأنه سيكون عنده قريبا ..

وابنه الأوسط .. وابتسم ومصمص بشفتيه .. أنه أحب أولاده اليه .. آه لو كان يراه .. ورأى عصفورا ينقر عصفورا فأحس كأنه يقبل ابنه البعيد . انه الآن فى البحر . وربما كان على أرض أحد الموانى يفتش عن شىء طريف يحمله هدية لأبيه

وعادت عيناه تفتشان عن شجرة اللبخ .. يا الهى .. اليست هى هى القائمة عند هذا المرتفع . ان الساقية والترعة ومفترق الطرق وشجرة اللبخ أشياء ومعالم لا يمكن أن ينساها . لكن .. لماذا هى خضراء كلها ... كيف عادت اليها الحياة بأكملها ؟ وفرك عينيه وعاد يحملق أنه ليس مخدوعا .. انها حقيقة وشعر بسرور كأنما عاد اليه صديق كان مفقودا فى معركة - ورأى الفلاح الذى انذر يوما بقطع هذه الشجرة يعبر على الطريق من بعيد بلا فأس وهو يترنم بأغنية . وسأل نفسه : هل من الممكن أن يكون لى نفسى المصير الطيب الذى لقيته هذه الشجرة ؟

فأتته الاجابة متمثلة فى صوت الطبيب الذى طالما همس له :

« ممكن .. لكن يجب عليك ان تساعد نفسك » وما لبث سمعه أن امتلا بصوت يهتف بتحية الصباح وكان صوت الخادمة الكبيرة . لم يشعر بها حين دخلت عليه لانه كان غارقا فى تأملاته وطلب منها كرسيا وجلس الى النافذة ولم يدر لماذا كان يحس أنه ولد من جديد مع الطفل .. ابن بنتها ، ومع الطبيعة .. ومع الخضرة البهيجة التى غطيت شجرة اللبخ بعد غيبة طويلة .

كانت هذه اللحظة مولد أمل كبير فى قلبه فتناول فطورا شهيا وقرأ الصحف ونادى على الفلاحين فناقشهم فى كثير من مشاكلهم وكأنه لم يغب عن أرضه يوما واحدا .

ولم يطلب من أحد أن يصلح له عجلة الكرسى . كان مصمما على أن يسير وواثقا انه سينجح .

وفى الصباح الثانى تكرر الموقف ، وفى الصباح الثالث حدث نفس الشىء وفى الصباح الرابع بينما كان واقفا فى الشباك ينقل بصره من الشجرة الى الطريق لاح له شبح شاب يعبر الساحة أمام البيت بخفة وعجلة وهو يحمل لفة صغيرة . وفحصه بقلق ..انه يشبه ابنة البحار .. لعله هو .. ان له نفس القامة والمشية . ها هو ذا يقترب وتأوه فى شوق .أو انه ابنى .. وتأوه مرة أخرى وكاد يسقط على الأرض لكنه تماسك انه على وشك ان يطير بجناحين .. انه الآن عند باب الشقة وقد قطع طول الحجرة الى الباب دون أن يشعر .. مشى على رجليه ..

وتساقطت من عينيه الدموع وهو يحتضن ابنه الذى عاد مع الربيع وظل طول شهر كامل هناك فى الريف يمنح السعادة لسكان المكان الذى منحه الحياة من جديد ويرقب شجرة اللبخ من النافذة مع كل صبح ببشاشة من يحدث صديقا .

يا أيها الملعون

للشاعر عبدالله شمس الدين

الى المدرس البعثى الفاجر الذى مزق المصحف الشريف أمام تلاميذه باحدى مدارس حمص «بسوريا»

شُلَّتْ يمينُكِ أيها الرعديد   وخسئْتَ ما لعن «الوليدَ» وليدُ
مزقْتَ قرآن السماءِ . صحائفًا   عمدًا . وأنت الملحد المجحودُ
يا أيها الملعون : ويلكِ فارتقبْ   بطشَ السماءِ . وإنه لشديدُ
أَجرمت إجرام «الوليد» مجاهرا   سفهًا . وأَنت الحاقد المكمود
ستُمَزَّقَنَّ وحزبكِ الباغى كما   مزَّقته . حتما وأَنت طريد

* * *

ربّاه : قد شَمخَ الضلالُ برأسه   وتجبَّر الصعلوكُ والرعديدُ
واجتاح سوريةَ الحبيبةَ عاصفٌ   عاتٍ وقد خلع القلوب وعيدُ
بالحقد قد حكموا . وياويل الورى   إن راح يحكم كاشح وحقودُ
وتنكَّروا للدين وهو مبادئ   علويَّةٌ وأمانة وعهودُ
وَصَمُوا العروبةَ . ويلْهمْ . قد أَلحقوا
بالعُرْبِ ما لم يستطعه يهودُ
إنّى لأَعجب : هل همو عَربٌ كما
يحكى هناك (لواؤهم) ويعيد

وهل العروبةُ عندهم همجيَّةٌ
ومشانق وتمرُّدٌ وجحودُ ! !

* * *

لهفى على قَوْمى تشتَّتَ شملُهم
وتخاذلوا . وهُم الأُباةُ الصيدُ
المارق الخوَّانُ دسَّ سمومَهُ
فيهم . ففرَّقهم وجاءَ يسودُ
باسم الرقِّ وباسم (بعث) فاشلٍ
وافى يمزِّق (وحدة) ويُبيدُ
وعلى الضفاف هناكَ (إسرائيل) فى
جذل . توطَّد حصنها وتشيد
وتمدّ فى سلطانها وعُتوّها
وتضمّ كلَّ صُفُوفِهَا وتكيد

* * *

ربَّاه : هذى صيحة من شاعرٍ
يرجو سناك وقلبه معمود
قد غاض صَبْر الصابرين . ولم يعد
جلد هناكَ على الأَذى مشدود
الذِّكْرُ مزَّقه الطغاة تحدّياً
لسناك يا ربى وأَنت شهيد
ربَّاه . هذى صرخة لكِ من دمى
أَين القصاص وعدلك المنشود ؟ !

ثورة الأحرار

الشاعر موسى جلال أحمد موسى

يا ثورة الأَحرار أَنت هُتافى ... أَنت المنى والنبض بين شغافى
أَنت الخواطر والمشاعر فى دمى ... أَنت الخيال الحلو فى أَطيافى
أَنت الملاحن والأَغانى فى فمى ... أَنت التى رقصت لها أَعطافى
أَنت الرؤى والصحو بين عرائسى ... أَنت الهوى والسحر فى أفوافى
أَنت التى رنَّت بداخل مسمعى ... وتعمقت بكيانى الشَّفاف
أَنت الملاحة فى جبين مواطنى ... وجمالك اللماح ليس بخاف
أَنت الحديث العذب فى ثغرالورى ... والبسمة الكبرى بكل ضفافى
أَنت اليراع الحر يخطر فى يدى ... أَنت البيان الخصب فى أَوصافى
أَنت النشيد وأَنت وحى قصائدى ... أَنت الجمال وأَنت زين قواف
أَنت المعانى البكر فى دنيا الحجا ... أَنت الوجود لأَنبل الأَهداف
أَنت الظلال الوارفات بدوحتى ... أَنت الثمار وأَنت خير قطاف
أَنت الربيع على المدى بثقافة ... عربية وحضارة الأَسلاف
أَنت الشباب وأَنت مصدر قوتى ... أَنت التى مالنت للرجَّاف
أَنت الحياة لكل شعب ميت ... أَنت الصباح لكل ليل غاف
أَنت الصراحة والعدالة والتقى ... أَنت الهدى فى حالك الأَسلاف

أنت السماحة والمروءة والندى .. أنت الصفاء وأنت فجر ضاف
أنت الفخار لأُمتى وعروبتى ... أنت السنا فى شرقى الرفّاف
قد عشت فيك وفى رحابك فانتشى ... قلمى وفاض بشعره الهفهاف
وانساب فى طرب وغنّى لحنه ... ومشى يغرد بالغناء الصافى
وانسال منه مداده فى صفحة ... بيضاء فى صدق وفى إنصاف
وسرى يدوِّن كل مجد خالد ... ومضى يؤكد بالبيان الشافى
كم صاغ فيك من القصيد ملاحما ... كالدر لم تظهر من الأصداف
واليوم يحكى للزمان مُفاخرا ... أمجادك الكبرى بلا أفواف
أنت التى حطّمت عرشا ماجنا ... وهدمت كل معاقل الاسفاف
وخلعت ألقاب الرياء بصيحة ... فانداح كل منافق هتّاف
وأزلت وكر الخادعين فجرعوا ... كأس المرارة بالقنا الرعّاف
وطعنت الاستعمار طعنة ناصر ... وأطحت بالقيد العتى السافى
وأصبت إسرائيل فى أكبادها ... وسقيت كل الغرب سم زعاف
وتخذت فى دنيا السياسة مبدأ ... حرا يهفهف بالحياد الضافى
وحرقت كل وثيقة هدّامةَ ... ونبذت كل سياسة الأحلاف
وحطمت كل تجمع وتحزب ... ونظمت كل الشعب بعد تجاف
وجمعت شمل العرب فى قومية ... وأزلت كل تناحر وخلاف
وأعدت للشرق العظيم مهابة ... وأقمت ميل الدهر بالإنصاف
وبنيت كل ثقافة وحضارة ... وبنيت سدًّا من قناة ضفافى
وغدوت فى فُلكِ الصناعة ماردا ... ومحوت بُؤسا فى سنين عجاف
وغدت فعالك فى الحياة شريعة ... وغدت بلادك قبلة الألاف
وغدا جمالكِ قدوة بين الورى ... بجهاده الخلاق والرفراف

مختارات من شعر ابن عربي في التصوف

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

من قافية الدال :

قصور العقل

يقول ابن عربى فى قصور العقـــل عن ادراك ذاته المقدسة سبحانه :

العقـــل يحـــكم والأوهام تحكمه
فيه فتضبطه ولا تحـــــدده
وكيف يحـــكم عقل قاصر حدث
على مكونه والعجز مشـــــهده
العقل بالنظر الفكرى يمســـكه
والكشف يرســـله ولا يقيـده
لو كان للعقـــل حكم فى مكونه
لمـا أتى شرعه وقتـــا يفنـده

يوضح ابن عربى فى هذا الكلام أن العقل حين يتعرض لادراك الذات يضل عن ادراكها لان العجز من صفاته . ويرى الصوفى أن المعـــرفة الصحيحة تكون بالكشف والالهام ، اذ العقل لا يدرى غير كنـه التجديد الذى تتنزه عنـه الذات المقدســة أما الكشف فيستطيع ان يعرف بلا تحديد .

والحجة يسوقها ابن عربى فى البيت الاخير اذ يقول انه لو كان للعقل قدرة فى ادراك ذات الخالق لما جاء الشرع فى كثير من الاوقات بتفنيد العقل وتخطئته . والامر فى الكشف دعوى من الصوفية لا دليل عليها الا من كلامهم ، وأفضل من هذا وذاك أن تتلقى النفوس من الشريعة وحدها العلم بصفات الذات دون اعتماد على مطارح العقل ومطامح الكشف وهما كلاهما عاجزان .

شدة الحيرة

ويقول ابن عربى فى قصور أى وصف عن ادراك الذات العلية :

نعت المهيمن بالاطلاق تقييـــــد
وكل ما قيـل فيـه فهو تحـديد
وان ســـكت على عجز أفوز به
فذلك العجز أيضا فيه تفنيـــد
فليس يخـــرج فى ظنى ومعرفتى
شىء عن القيد لا شرك وتوحيـد
تنزيهك الحق حـــد أنت تعلمـــه
ان التنزيه بنفى الحـد محـدود

وهذا من أبدع ما قاله ابن عربى ، ومعناه أن كل وصف للذات وكل فكر فيها وكل كلام من هذا الفكر لذلك الوصف انما ينتهى بحد ، والذات العلية تتنزه عن كل ما يحدها لانه لا يحيط بها بل لا يدركها .

وكأن ابن عربى يرى العجز عن تصور الاطلاق ويرى أن الفكر حين ينفى حدا يتصور حدا آخر أوسع منه وهكذا الى أوسع والى ما لا نهاية ثم يدرك اللانهائية أو يدركها ذات نهاية فكأنه لم يدرك الا الحدود ولم يتصور غيرها . وهو كلام دقيق يحتاج الى فهم عميق .

تبارك الله

وقال فى الوحدانية :

تبـارك رب لم يزل عالى الجد
نزيها عن الفصل المقوم والحـد
تعـالى فلا كون يقـاوم كونه
يعبر عنـه الكشف العلم الفرد
تميز فى خاق جـديد مميز
وبأسمائه الحسنى وبالاخذ للعهد
فقلت له من أنت يا من جهلتـه
فقال المنادى : ذوالثناء وذو الحمد

وابن عربى يستمر فى وصف الذات بتنزيهها عن أن تدرك أو تحد ، ويقول ان وجوده سبحانه هو الوجود الحق وحده ولا يســاويه وجود مؤقت أو متخيل . والكشف وحده هو الذى يدرك ما جاءت به الشريعة لا ما جاء به العقل ، والكشف يعبر عنه بالعلم الفرد ، وهو على كل حال اقتصار على التعبير دون التحرير .

وقد عرف الله سبحانه عن نفسه بخلقه الجـديد ـ يعنى الاخير فى المخلوقات ـ وليس أجد فى الخلق من آدم الذى أسبغ الله عليه آلاءه مفاضة من أسمائه الحسنى ، وكل اسم بحسب ما يفيض من قوته ومعناه ـ وقد سبق أن أشرنا الى ذلك ـ كما عرف سبحانه عن نفسه منذ أن أخذ العهد على ذرية آدم بطاعة الله وهى فى ظهر آدم وفى عالم من الذر .

وهذا العهد الذى يراه الصوفية والفقهاء مأخوذا على ذرية آدم وهى فى صلب لا يراه بعض الفقهاء كذلك ، بل يرون العهد لم يؤخذ الا بعد رسالات الانبياء وعلى المكلفين ، اذ لا يصح التـكليف الا بالوجود والبلوغ وارسال الرسل ـ وهو كلام له قيمته فى نظر العقل ـ ومن القائلين به الشريف المرتضى فى أماليه .

ويقول ابن عربى فى البيت الاخير انه دعا الله ليعرفه فرد المنادي الذي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم

بأن الذى تدعوه لتعرفه انما هو المستحق للثناء والحمد وحده . وكأن ابن عربى يشير فى هذا الكلام الى أن الانسان من فطرته وطبعه أن يبحث عن الاله ثم لا يعرفه مهما بحث وانما تأتى الشرائع بالتعريف وذلك فضل من الله ورحمة وتخفيف .

الاسماء الحسنى

وقال فى فضل الاسماء الحسنى :

لله قوم غـزاة ما لهم عـدد
وان أسماءه الحسنى هى العـدد
مقـدم العسـكر الجرار سـيدهم
وهم كثير ولا يحصى لهم عـدد
ان ينصروا الله ينصرهم بهمتـه
ومن خواطرهم يأتيهم المـدد
تاه الزمان فلم يظفر بحصرهمـو
وما حواهم فلم تقطعهم المـدد
لما تعرض لى من كنت أحسـبه
معى ومستندى لم يبق لى سند
من كان أسماؤه الحسنى له سندا
معنعنا فى ترقيه علا السـند

كأنما يتمدح ابن عربى بهذه الابيـات أولئك الذين صدقوا الطاعة والعبادة فاقتربوا من الحضرة العليـة وقد سماهم لجهادهم غزاة وذلك من قوله تعـالى « وجاهدوا فى الله حق جهاده » وهم وان كان لايحصيهم عد فانما كانت عدتهم أقوى وأكثر ولم تكن هذه العدة الا الاسماء الحسنى التى يذكرون الله ويدعونه بها .

ومقدم العسكر الجرار هو السيد القائد رسول الله ، والجيش الجرار هم أتباعه الى يوم القيامة من الذين ينصرون الله بأيديهم فى الجهاد وبخواطرهم فى الاستمداد ونفوسهم فى الاستشهاد .

وان الزمان ليضل دون حصرهم أو احتوائهم فى خاطره . ولن ينقضى زمن أبدا دون أن يوجد منهم أقطاب وأولياء ، ولن تخلو جهة أبدا فى شرق أو غرب وفى شمال أو جنوب آلا وهم قائمون يتوارثون الطاعة والتقوى .

وينتقل ابن عربى الى وصف من تعرض له بالخصومة من أصحابه الذين كان يظنهم معه يناصرونه ويؤازرونه ، ويصف لجوءه الى أسماء الله الحسنى ينتصر بهـا ويستعديها ، أما أسماء النصرة فما دل منها عليها وأما أسماء الاستعداء فما دل على القهر والانتقام .

ثم يكنى ابن عربى عن اعتزازه بهـا بما عرف فى اصطلاح الحديث من علو السند والثقة به لمكان أصحاب الحديث الثقات فى النقل والرواية . وفى الكلام اشارة الى معنى صوفى وهو الضياع مع الاغيار وتعلق القلب بغير الله ، ثم النجـاة بتعلق القلب به وحده دون العباد .

بيضة البلد

وقال يفتخر بمعرفته وطاعته وقبول المقادير التى لا يدرك سرها الا قليل من الناس :

انى وليت أمور الخلق أجمعها
شرقا وغربا وانى بيضة البـلد
وما أنفـذ أمرا فى الوجود فما
يبدو مقامى فمـا يدريه من أحد
وما أغالط نفسى حين أسمع ما
ادعى به من امام سـيد سند
أتابع الحق فيمـا شاءه وقضى
قبل الوقوع باذن السـيد الصمد
فينفـذ الامر بى فى كل آونة
ولا ترى الخلاق الا صورة الجسد

يقول انه خبر أمور الناس فى كل مكان حتى صار أوحدهم وبيضة بلدهم فى هذه الخبرة — وبيضة البلد مثل يضرب لكل منفرد عن الناس بما يميزه وحده — ويقول ابن عربى انه فى سياحته وأعماله انما ينفذ ما قدره الله عليه وليس عليه الا أن يجيب دعوة الرسول حين يسمعها ولا يغالط نفسه فى صدقها وتمـام الخضوع لها .

وليست الاعمال الظاهرة الا متابعة لمشيئة الله التى شاءها وقضائه الذى قضى به وكان ذلك فى كتاب منذ الازل معلوم لدى الله مقدور الوقوع قبل أن يقع ، والوجود قبل أن يوجد .

وما يمر زمن بعد زمن بحوادث وأقوال وأعمال الا وهى مقدورة من قبل . وهذه هى حقائق الغيب ، ولكن الناس لا يرونها ولا يتحققون من وجودها الا اذا وقعت فصارت أجسادا محسوسة وحقائق ملموسة .

سنة الله

وقال متصرفا فى معنى التحميد :

الحمد لله حمـدا لا يقاومه
تحميـد حمـد ولا تحميـد حمـاد
لاحمد يعلو كحمد الحمد فاحظ به
ان كنت تحمده فصـدقه باد
فهو الثنـاء الذى لامين يصحبه
ولا يجوز عليـه خرق معتـاد

ملخص ما يراه ابن عربى فى هذا الكلام أن كل حمد يصوغه الانسان ويحاول أن يبلغ فيه أقصى المدى لا بد أن يقصر عن الحمد الذى ساقه الله لنفسه فى القرآن والصلاة وعلم الناس أن يحمدوه به فهو وحده الثناء الحق الصادق لانه صادر عن قائله العليم به .

وكما جرت سنة الله فى الامور التى لا تتبدل نتائجها اذا سيقت اليها مقدماتها فتجرى على الثبات والقياس فان مقالة الحمد التى صاغها الله وأمر بها هى أصح العقائد وأرسخ القواعد وأنجح المقاصد .

الناجى السعيد

وقال فى السعيد الناجى باتباع الرسول :

ان خيـر الانـــام من
عجل الخيـر ان قصـد
هـو عـز لديـــن من
شرع الخير واجتهـد
النبى الذى بهمـــــ
ـــته حلت العقـــد
كيف تحصى مـــآثر
ما لهـا عندنـا عـدد
فاحمـد الله يا أخى
فالسـعيد الذى حمد
فبـه دهره نجـا
وبه اليوم قد سـعد

يعدد ابن عربى صفات السعيد ويقول انه من يعجل فعل الخير قاصدا اليه اذ لا تصح الاعمال الا بالنيات ، وانه من يحمد الله فى السراء والضراء ، ومن يتصف بذلك فانه ينجو فى يومه وغده بل يكون نجاة لغيره وعزا لهم .

وليس من عز فى الحياة أعظم من اتباع الشريعة الاسلامية التى جاء بها المعصوم فحل عقد الحياة بمآثر لا تنسى ومحاسن لا تحصى .

وحى صلاة

وقال فى وحى غروب الشمس ودعوة المسلمين عند هذا الغروب لصلاة المغرب — بعد كلام طويل — فبينا

أنا أنظر فى جمالها وأهيم بين دلها ودلالها اذ أقيمت صلاة المغرب فقالت : قم نشاهد الامر المغرب فقمت وقد رويت أبياتا من الشعر فى أنزه ما يكون فى المغرب من الامر فى غيابات السر . ومنها هذه الابيات :

أفلت شمسنا بمغـــرب ذاتى
فدعانى الى الصـلاة الشـهيد
فتوضــــأت ثم جئت اليـــه
من قـريب وانه لبعيـــــد
قلت ربى فقال لبيك عبـــدى
أين حمدى ؟فقلت أنت الحميد
فافتتحنا به فـــرد علينـــا
مثـله واكتفى وكان المزيــد

الصوفى يرى فيما يسمع ويرى أساليب لمعانيه وطرقا لمقاصده ، فهو يرى فى غروب الشمس أفول ذاته ، وأفول الذات موجب للآخرة وهى منزلة الثواب أو العقاب . وكان من سبيل الثواب دعوة الله على لسان الرسول المؤمنين الى الصلاة . والشهيد فى البيت الاول هو الله أو رسوله كما جاء بهذه التسمية لهما القرآن .

وحين أذن المغرب أخبر ابن عربى — وهو يرمز الى كل المصلين — أنه توضأ ثم سعى مسرعا الى الله . وهذا السعى الذى هو قريب من المطيع بعيد على العاصى شاق عليه . فاذا كانت صلاة المغرب هى الصـلاة الوسطى — كما جاء فى بعض الاقوال — فقد ظفر الساعى اليها وفاز بثوابها .

ثم نادى المصلى ربه بالحمد والدعاء فأجابه الله بسماع حمده الذى يقدمه فى كل صلاة ودعاء ، فى الرفع من الركوع ، قائلا : سمع الله لمن حمده .

طيران الارواح

وقال فى الموت وعروج الارواح :

ان الاله دعانا أن نلاقيـــــه
بالموت عند فـراق الروح للجسد
لذاك أسرعت الارواح طـــائرة
ولم تعـرج على أهـل ولا واد
ليس التعجب من تعجيل رحلتهـا
ان التعجب من نوح ومن لبــد

يقول ان الموت لا يقع الا بدعوة الله الروح أن تنفصل عن البدن حتى تلقاه سبحانه . وما يشاهد من اسراع الارواح فى خروجها من الابدان انما هو من ضرورة السرعة فى تلبية النداء الذى نوديت به — وهو ان كان حقيقة عند أهل الدين والمتصوفة فهو حسن تعليل عند أهل اللغة والبلاغة .

وعدم تلبث الروح وتشبثها بالبقاء بين الاهل والواد انما هو لامرين : اما الفرح باللقـاء وذلك فى أرواح المؤمنين ، واما مجرد الطاعة مهمـا كانت ماضية الى العذاب وذلك فى أرواح الكفار .

وقد ذكر ابن عربى الولد بعد ذكر الاهل وكان ذكرهم يغنى اذ الولد منهم ، ولكنه خصه لقربه لنفس أبيه وأمه من كل أحد من الاهلين ، وكان أولى بالتلبث عنده والتشبث بجواره لو كان هناك فرار من اجـابة الدعاء .

ولا يرى ابن عربى تعجبا فى طيران الروح للاجابة وقصر العمر بها ، ولكنه يتعجب من المعمرين عمرا يعد بالمئات من السنين كنوح الذى عاش ألفا ولبد الذى هو أبو النسور ويقولون انه يعيش الدهور .

فى عـكاظ

وقال فى النبى صلى الله عليه وسلم يتخيله ناشئا مرموقا وهو يسمع قس بن ساعدة الايادى فى سـوق عكاظ ، وقد كان ذلك فى رحلته الى الحجاز ونزوله تلك الاراضى المقدسة :

مطوت متون الصـافنات جيادى
بقيد أجيـاد ومهبـط واد
أزاحم فيـه كل ملك متــوج
وأنفق فيــه طارفى وتـلادى
وأظهر فيه كل يوم بصـــورة
الى أن نزلت الارض أرض اياد
فعاينت قسـا فى عكاظ وعنده
بمجلسه المهـدى وهو ينادى
أظلكمو وقت عليـــه مهـابة
باظهار مهدى شريعـة هاد

يا ترى ، هل كان قس بن ساعدة وهو ينبىء الناس بأن هذا الوقت — الذى كانوا فيه — وقت رسـالة وهداية — هل كان يا ترى يدرى أن من بين سـامعيه الناشىء العظيم محمد بن عبد الله ، وأنه هو النبى الذى أظل زمانه وحان أوانه ؟

انه لم يكن يدرى بأن المهدى الذى أوشك أن يدعو بشريعة الهادى كان من بين من شرفوا قوله من سامعيه .

هذا الغيب العجيب الذى ما كان يدريه أحد حتى محمد ذاته هو الذى ساق ابن عربى الى أن يحث جياده وينزل بتلك البقاع المقدسة منفقا فى رحلته اليها كل ما يملك ، حتى اذا بلغ أماكن القبائل من اياد فى عكاظ تمثل له ما كان يقوله قس ويصغى اليه أشرف مبعوث . وكان القدر يصوغ الكلام على لسان قس وكان — وهو لا يدرى — يشير الى الغيب الماثل والغد الحاصل .

حـكم النوى

وقال فى خلقة الانسان فى كبد :

أنا على حـــكم النـــوى
فليس شىء بيـــدى
مقيـــد فى وقتنـــا
ما بين أمس وغـــد
جســمى لجين خالص
حقيقتى من عســـجد
يقـول ربى انـــــه
خلقنى فى كبـــد
فكيف أرجـــو راحـة
ما دمت فى ذا البـــلد
لولاه ما كنت أنـــا
ذا والد وولـــد

هذه بعض مقطعة لابن عربى أمليت عليه من النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فلما أصبح كتبها ، وهو يقول فى ذلك : فكان يملى وأنا ، أكتب عنه بيدى ، وهو فى كلامه هذا مستسلم لا يستطيع أن يجمع نفسه اذ هو مخلوق من معدنين متباينين : جسد وروح . وقد أشار اليهما بالفضة والذهب . وهى اشارة دقيقة اذ مع غلو الروح كالذهب فان الجسم غال أيضـا لان به تؤدى العبادة ، فلم يجعله كالتراب كما حال أكثر القائلين .

وكيف لا يكون الانسان شقيا غير قادر على أن يجتمع ، والله سبحانه قد قرر ذلك فى قوله سبحانه « لقد خلقنا الانسان فى كبد » ولفظ خلقنى فى البيت الرابع مشدد اللام حتى يستقيم الميزان ، ولفظ البلد فى البيت الخامس يريد به الجسم الذى تقيم فيه الروح ، ولن تصيبها السعادة أو تجد طعم الراحة الا اذا هجرته الى المكان البعيد والشاطىء السعيد .

وكذلك خلق الله العبد محتاجا مزدوج الاحتياج فى أوله وآخره ، فهو بين أب هو سبب امتداده لاصل ، وبين ابن هو سبب امتداده لفرع . وهكذا كل مخلوق حائر قلق محتاج .

القومية فى شعر المرأة

الأستاذة روحية القلينى

مما يسعدنى ويشرفنى حين اذكر الشعر والشعراء بل الفن بصورة عامة أن ألمح بين نجوم الشعراءشاعرات مجيدات تغنين بالوطنية وشاركن الرجال فى التعبير عن الاحداث ولم يقفن بمعزل عنه فى قضاياه القومية ، بل ثرن وانفعلن وعبرن تعبيرا صادقا ســواء كانت فى مصر أم الشام أم فى العراق أم فى الاردن وغيرها من البلاد العربية فالآلام واحدة والآمال مشتركة وشبح الاستعمار يلوح برايته السوداء لخطر محدق بالبلاد العربية جميعا والمرأة العربية لا تقل وطنية عن أخيها العربى فهىالتى صنعته وأعدته لحياة الكفاح . فكيف لا ترضعه رحيق الوطنية وهى التى ورثت البطولة عن أجدادها .

والتقت الشاعرات العربيات فى الاقطار العربيةالمختلفة فى مهرجانات أدبية تضمهن وتبارين فيه كل تعبير عما يجيش بصدرها من أحاسيس وكان أبرز هذه المشاعر الشعور الوطنى وارادة التخلص من الاستعمار فكان لنا باقات من الشعر مختلف الوانها .

فهذه الشاعرة الاردنيــة المبدعة فدوى طوقان تحس مأساة فلسطين احساسا يفوق كل احساس وهى التى شهدت قصة الاغتصاب الدنيئة قصة السلب والعدوان ، قصة أرضها المسلوبة فذابت الابتسامة الحلوة عــلى شفتيها وابت أن تبستم حتى تعود فلسطين العربية وحتى يعود أهلها العرب لوطنهم الحبيب .

تقول فى قصيدة لها بعنــوان « نداء الارض » من ديوانها « وجدتها » .

سأرجع لابد من عودتى
سأرجع مهما بدت محنتى
وقصة عارى بغير نهاية
سأنهى بنفسى هذى الرواية
فلابد لابد من عودتى
وظل المشرد عن أرضه
يتمتم لابد من عودتى
وقد أطرق الرأس فى خيمة
وأقفل روحا على ظلمته
وأغلق صدرا على نقمته

وقصة وطنها السليب تظل تؤرق عيــونها وتلهب شعرها ثورة عارمة فتقول بعنوان « مع لاجئة فى العيد » من ديوانها وحدى مع الايام .

أختاه هذا العيد رف سناه فى روح الوجود
وأشاع فى قلب الحياة بشاشة الفجر السعيد
وأراك ما بين الخيام قبعت تمثــالا سقيا
متهالكا يطــوى وراء همــوده ألما عتيــا
يرنو الى اللا شىء منسرحا مع الافق البعيد
أترى ذكرت مباهج الاعياد فى « يافا » الجميلة
أهفت بقلبك ذكريات العيد أيام الطفــولة
اذ انت كالحسون تنطلقين فى زهو غــرير
والعقيدة الحمراء قد رفت على الرأس الصغير
والشعر منسدل على الكتفين محلول الجديلة

وهكذا تمضى فدوى الشاعرة الاصيلة فى نغمها الحزين وصورة وطنها الحبيب لا تفارقها لحظة واحدة.وهــذا هو السر الــكامن وراء دموعهــا الهــادرة وهذا هــو سر من أسرار ألمها الدفين والشاعرة السورية الدكتورة « طلعت الرفاعى » التى ترى ألم البلاد العربية كــله ألما واحدا وآمالها جميعا مشتركة فتقول :

لا تسقنى فالــكأس بعد مليئة
فاض الرحيق بها ندى وخــزاما
لا تسقنى فاليــوم لى سكب السنا
من كل صــفو للمنــاهل جاما
لو كنت تعلم ما رأيت عــذرتنى
وكففت عنى يا صــديق مــلاما
انى رأيت الشمس قد تخذت على أر
ض لها بدل الســماء مقــاما
ورأيت أشــجار النخيــل تمايلت
وحنت عــلى بردة تمد خياما
والنيـــل بين الفــوطنين رأيته
يجــرى فيمــلا قلبها أنفــاما
ومــواكب الشــهداء قد أبصرتها
فى المهــرجان ترقص الاعــلاما
انى رأيت الشـــام مصر فضمنى
بين الجنى ورأيت مصر الشـــاما
لــكننى والنــور يخطف مقلتى
والارض أجت بالشـــروق ضراما
روعت لما « قاســيون » بطــوده
ترك الســهول وعانق الاهــراما
أنا لم أنم هى يقظة عـــلوية
فيها كشفت عن الغمـــام غماما

الى أن تقول :

لما أفقت عــلى النــداء مدويا
قم يا جمــال وحطم الاصــناما

ولجليلة رضا الشاعرة المصرية قصائد وطنية تقولهافى كل مناسبة بل تكاد لا تنسى أية مناسبة وطنية تتسم

بشعرها الوطنى بالتعبير عنها .

تقول فى قصيدة لها ((من بورسعيد))

الى اخر جندى هارب

لا تنظر خلفك يا احمق لا تنظر نحو الانوار
يا اخر جندى يهرب من بلدى كاللص الفار
لاتنظر خلفك فالخيبة تتبع ظلك فى اصرار
ووراءك تاريخ يكتب ((النصر)) على كل جدار
والشعب الاسمر قد عانق شلال ضياء زخار
وشهيد حملت صورته أم وتزغرد بفخار
ورئيسك ((ايدن)) تمثال مشنوق فى كف صغار
و((موليهك)) فى الشارع يجرى منساقا فى شكل حمار

وككل عربية تحس أن الوطن العربى لا يتجزأ تقول فى قصيدة لها ((الى مجاهدة جزائرية))

أختاه يا فخر النساء ومنبع الروح النقية
ياكنز ايمان ونبل وانتفاضات حيية
يا من بعثت من الرؤى والوهم روح الواقعية
أشعلت باللهب المقدس بالمنى بالشاعرية
وبكل معنى للحياة مسارب النفس الخفية
فاليك يا عربية الاخلاق من قلبى التحية
لا تحسبى هذا النشيد اليك اغراء الحياة
انا شدوناه هنا والليل يسبح فى دجاه
وسرى الصدى من قلبنا الباكى مهيبا كالصلاة
فاذا القيود على الثرى واذا الضياء على الجباه
والثورة الكبرى تؤج لظى وتقتلع الطغاة
واذا النشيد هناك فوق الشط يحتضن القناة

ومقبولة الحلبى الشاعرة العراقية تقول فى قصيدة لها أيضا بعنوان ((الى الجزائر المناضلة))

قومى معفرة الجراح
فالليل أسفر عن صباح
والنار حولك لم تزل
تنساب كالماء القراح
وبنوك فوق أنوفها
يتراقصون بدون راح

أما الشاعرة العراقية عاتكة الخزرجى فلم تنس بدورها الجزائر الحبيبة بلد المليون شهيد البلد الذى لم يؤثر الاستعمار على عروبته ، ولا على اسلامه فخرج من المعركة عربى القلب والشعور . وتقول فى قصيدة عنوانها ((من وحى الجزائر)) :

بوركت يا يوم الجزائر يوم البطولة والمآثر
يوم المكارم والمحامد والمحاسن والمفاخر
نفديك يا أرض الجزائر مفتونة بين النواعر
أفدى الجباه السمر والغرر المكللة الظوافر
أفدى الرءوس الشم تعليها على الدهر المفاخر
أفدى النفوس العاصفات حفرن للظلم المقابر
ورفعن خفاقا أغر منورا ، علم الجزائر
بوركت ياشعب الجزائر وبقيت رمزا للمآثر
فيك العروبة كلها سبقت أوائلها الاواخر

ثم تغنى فى قصيدة رائعة بعنوان : ((وحدوا الصف من ديوانها أنفاسها السحر))

وضح الصبح لدنيا العرب
وتجلى كسنى من لهب
يا بناه المجد يا اسد الحمى
يا كرام الجند من كل أب
علموا الايام أنا أمة
تنقل الخطو على وحى نبى
تستمد الهدى ومن قرآنه
سورا مكتوبة بالذهب
وترى الموت لذيذ المجتنى
ان دعا داعى القنا والغضب
وحدوا الصف ولا تنقسموا
وانحروا يا قوم كيد الاجنبى
هذه صهيون من حول الحمى
نصبت اشراكها من كثب

وتتغنى الشاعرة المصرية ((روحية القلينى)) فى قصيدة بعنوان ((قسم))

قسما بربك يا جمال سنفتدى
أرض الحمى ونسير نحو السؤدد
أقسمت بالقرآن هدى حياتنا
بالقانتين العابدين السجد
يدعون ربهمو بان يحمى الحمى
من كل محتل لنا ومقيد
بمنازل الشهداء باعوا أنفسا
قدسية من أجل أسمى مقصد
بكفاحنا الدامى بوحدة أرضنا
بوثيقة الاحرار بالدم واليد
بالامهات الدافعات الى الوغى
أبناءهن ونعم بذل المفتدى
سنحيل أسرائيل اشلاء
فما بعد الذى ذقناه صبر للغد
وعلى ربا القدس الحبيبة نلتقى
بجنودنا الاحرار حسب الموعد
سنزيل تلك الشوكة النكراء من
قلب الحمى بعزيمة المتوقد
عرب وتبقى أرضنا عربية
لا شبر فيها للخصوم الحسد
ونضم بين محيطنا وخليجنا
أرض العروبة بالهوى المتجدد
ولنا يحج الناس اسرابا كما
يسعى الحجيج بلهفة للمسجد
هذى مواثيقى وكفى فوقه قلبى
يضحى بالدماء ويفتدى

وفى قصيدة اخرى بعنوان ((حنين الى العراق))

قولى لهم سنقيم المهرجان غدا
فى القدس قولى سنمحوا كل صهيونى
سنقتصر الكرم فى أرض الخليل وفى
يافا سآكل من تينى وزيتونى
والبرتقال سأهديه على كرم
فى سلة الحب للعرب الميامين
الخير فى بلدى للاهل وحدهمو
لا للدخيل ولا اثراء مفتون

وهكذا تمضى الشاعرات العربيات المعاصرات فى موكب الشعر القومى مع الشعراء فالوطن وطن الجميع لا فرق بين رجل وامرأة والآلام والمشاعر الوطنية واحدة اذا ما أن شخص فى العراق احترق له قلب أخيه فى مصر وسوريا والاردن واليمن ولبنان والجزائر بل والبلاد العربية جميعا . واذا ماابتسم سعيد فى مصر ضحكت قلوب الملايين فى البلاد العربية الحبيبة مشاركة له فى فرحه

هذه هى عروبتنا الاصيلة وهذه هى صورة لبعض شاعراتنا العربيات اللاتى يعشن مع الاحداث فيترجمنها شعرا وأغانى جميلة أصيلة رائعة .

المجتمع في شعر المغتربين

الاستاذ على الجمبلاطى

فى عيد ثورتنا العربية المجيدة التى صنعت للشرق تاريخا مضيئا بأسمى المثل وأعظم القيم وسجلت للانسانية حضارة هى أخلد الحضارات فى هذا العيد الخالد وفد الى الجمهورية العربية المتحدة اخوان لنا ليشاركونا مباهج الاحتفاء بعيد الثورة الثالث عشر .. هؤلاء الاخوة الاعزاء يعيشون فيما وراء البحار نقتسم واياهم تراثا واحدا وننتمى الى ماض واحد وتجمعنا مقومات الحاضر المشترك . هم وفود المهجريين من أعضاء الجاليات والاندية السورية واللبنانية فى الولايات المتحدة والارجنتين وكان اللقاء بيننا لحظة مقدسة من لحظات التاريخ فتحت فيها القاهرة ذراعيها لهم واحتضنتهم فى لهفة الشوق لاننا جميعا نملك عروبتنا التى تهزم الاعداء وتحقق الامال .

ولقد رأى هؤلاء الاخوة الاحباء فى جمهوريتنا الفتية مايملا نفوسهم عزة وفخارا. رأوا مجتمعا جديدا يزحف فى مسيرته من التحول الى الانطلاق ليكون مبعث العزة والكرامة لكل عربى . ورأوا أمة جديدة تتحرك لتعيد كتابة التاريخ ولتكون قوتها دعامة للعرب جميعا وللاحرار فى كل مكان ولتكون لنضالهم قاعدة ولسلامتهم حصنا ولتكون قوتها المنيعة قلعة تحمى السلام العالى .

ومن بين هؤلاء المغتربين فى المهاجر من حملوا ألوية الشعر العربى المبين فكانت آثارهم هى أناشيد الامة ومصدرا من مصادر يقظتها وحيويتها وبعثها المرجى فان هذا الشعر كان ولا يزال ينبعث من صدور وحناجر استطاعت بايمانها واخلاصها أن تربط الماضى بالحاضر والشرق بالغرب وتحقق أندلس جديدة . وقد غنى هذا الشعر آمال الامة منذ مطلع هذا القرن وما زال يغنيها حتى اليوم . وهم الذين نزحوا عن ديارهم اما فرارا من جور أو طلبا لرزق ولكنهم سرعان ما تجاوبت فى صدورهم آلام أمتهم فنظموا أحاسيسها وخلجات وجدانها شعرا فكانت هذه الطليعة فى عصرنا رصيدا ضخما لوعى هذه الامة وفكرها وأدبها وتراثها العظيم فما تكاد « الرابطة القلمية » فى شمال أمريكا تهتف بدعوتها حتى تجيبها « العصبة الاندلسية » فى جنوبها فيتجاوب الصوتان وتندفع العربية فى زحفها وبنيانها . ولقد أفاء هذا التجاوب على احياء العرب فى أرض الوطن آيات بينات من انسانية شاملة الى قومية صادقة الى استيعاب لنواحى الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية ويقول (نعيمة) فى ذلك (ان الشعر المهجرى ادى رسالته للشرق كاملة) فاذا كانت رسالة الادب الصحيح تقوم على انارة العقول بالمعرفة وترقيق القلوب بالمحبة وترويض الاخلاق بالفضيلة ، ورسالة الادب السامى تقوم على انكار الذات حتى تتوافر لابناء الوطن الحرية والكرامة والسعادة ، ورسالة الادب الاسمى تقوم على التجنيد لخدمة المثل العليا والسعى لخير الانسانية حتى يعيش البشر فى عالم أفضل فقد اضطلع الادباء المغتربون بواحدة من هذه الرسالات : فريق اتسم بالطابع الانسانى المثالى وفريق اتسم بالطابع القومى الخالص ولكنهم جميعا بدون استثناء أدوا رسالة الادب الى المجتمع وقد اشترك فى أداء الرسالة الاجتماعية وهى رسالة الاصلاح كل شاعر وكاتب فى المهجر على نسبة مكنته وأهليته فمنذ أطلق الريحانى الصرخة الاولى علم ١٨٩٨ الى يومنا هذا لم يتغير الهدف : ثورة على التعصب الدينى وحرب على العلل التى تنخر جسم الشرق العربى .

ودار الشعر الاجتماعى والاخلاقى عندهم قدر ما تدور الحياة بما فيها من وجهى الخير والشر والجمال والقبح فمشكلات الزواج والفدر وعبادة المال وغرور الانسان وطمعه ومفاسد المدنية ورحمة الراحمين وجمال الانسانية وغير ذلك مما يهدف الى خلق مجتمع انسانى أفضل وأكثر انسانية وتآلفا ومحبة والى خلق مجتمع عربى أقوى وأكثر حرية ورقيا . كل ذلك فى صور اجتماعية ثمينة لامعة تومى الى غيرة اجتماعية مخلصة . وقد تناول الشعراء فى المهجر كل هذه القيم تناولا يختلف باختلاف أذواقهم وفنهم وطاقاتهم الشعرية وذلك لان الادباء ظلوا على اتصال وثيق وتجاوب عاطفى متبادل مع أبناء وطنهم طوال سنى هجرتهم وعندما لمسوا فى المهجر مظاهر الرخاء والطمانينة وبراءة الشعب من أدواء الجهل والفقر وغيرهما عمدوا الى دعوة الاصلاح متمنين لو انتقلت تلك النعم الاجتماعية الى الاوساط العربية فى الوطن الاصلى فكان الادباء كما يقول « أحمد زكى أبو شادى » (ان تفكير الاديب المهجرى مزدوج فبينما يستوعب مسائل محيطه الراقى يتفاعل معه تفاعلا واقعيا وعاطفيا نراه يحن الى وطنه ويسهم فى معالجة مشكلاته) .

ويقول أبو ما ضى فى هذا :

أنا فى نيويورك بالجسم وبالروح فى الشرق على تلك الهضاب .

(وأمين الريحانى) كان أدبه كله اجتماعيا وكان كله يستهدف خلق المجتمع القوى الحر ونشر الاخاء والمساواة والعدالة الاجتماعية وكذلك كان (جبران) فقد عالج الكثير من عيوب المجتمع ونقائصه فى كثير من مؤلفاته معالجة المفكر المصلح الراغب فى السعادة والخير للانسانية ولقد سار (نعيمه) على درب جبران نفسه وعالج شئون المجتمع الانسانى على طريقته ونجد ذلك فى العديد من مؤلفاته .

وقد خرج العرب النازحون الى أمريكا من بلاد تلفها الروحانية فى أثوابها الى عالم جديد كل شىء فيه يدعو الى المادة والتهافت عليها عالم حياته كلها عمل وكفاح والا ضاع المرء فى الزحام بين عجلات الالات وقد صور (الشاعر القروى) هذا الصراع الرهيب فى قوله :

واذا بالفتى من الهم شيخ
تعتريه الاوجاع والآلام
وكأن الورى وحوش بآجا
م وتلك الشوارع الآجام
منكب حك منكبا وجبين
شج رأسا . علام هذا الزحام ؟

وقد خرج العرب من أوطانهم طلبا للحرية والتماسا للمال ولكنهم وجدوا أن الناس أقاموا لهم صنما من الذهب ليعبدوه فسخر منهم (الشاعر فرحات) فى قصيدته (عجل الذهب) ومنها :

وسرحت فى الكون طرف الخبير
فشاهدت فيه صنوف العجب
أناسا تدوس اله الضمير
وتحنى الرءوس لعجل الذهب
ويذهلها المال كل الذهول
فتدنى الجهول وتقصى اللبيب
فرحمة ربى على من يقول
بأن النضار يغطى العيوب

وهكذا يقول فى قصيدته (الدينار) الذى تباع به الضمائر وتشرى . ولقد بلغ عنف الصراع على الرزق عند أكثرهم أنهم ملوا الصراع أو كادوا بل ملوا هذه الحياة الشاقة ونظموا فى ذلك ذوب قلوبهم المضناة .

والحق أن العرب المهاجرين بهروا بمعانى الحرية والمساواة التى تتردد فى مهاجرهم فرأينا منهم من يرجع أنغام الحرية والمساواة والعدالة وهذا (مسعود سماحة) ينظم قصيدة عنوانها (ألا فلتعش المساواة) يقول فيها :

ألا فلتعش بين القلوب عزيزة
وتحيا بأفكار الشعوب المساواة
فما هى الا سلم للاولى سعوا
تؤدى الى المجد الرفيع ومرقاة

والشاعر ((رشيد أيوب)) يناجى الحرية ويرى أنها منى الدنيا وغاية سؤلها فيقول :

وحقك يا حرية قد عشقتها
وأنفقت عمرى فى هواها محاربا
وسر جمال فيك هام بحبه
بنو الشرق اجلالا فحلوا المغاربا
لانت منى الدنيا وغاية سؤلها
وأفضل شىء قد رأته مناسبا

وهذا (فرحات) يتحدث عن (العدالة) فى رباعياته التى عالج فيها شئون اجتماعية مختلفة :

معنى العدالة روح طار مبتعدا
واللفظ جسم طواه الناس فى الكتب
يشكو الضعيف القوى المستبد وان
يقو استبد وما فى الامر من عجب
فالخير فى البعض بالتهذيب مكتسب
والشر فى الكل طبع غير مكتسب
لم يخلق الله أنيابا محددة
للمرء فاعتاض عنها أنصل القضب

أما الشاعر ((أبو ماضى)) فانه يدعو الى الاشتراكية السمحة ويناهض التفرقة بين الطبقات ويدعو الى المساواة بين الغنى والفقير فيقول :

يا أخى لا تمل بوجهك عنى
ما أنا فحمة ولا أنت فرقد
أنت فى البردة الموشاة مثلى
فى كسائى الرديم تشقى وتسعد
انت مثلى من الثرى واليه
فلماذا يا صاحبى التيه والصد
سدت أو لم تسد فما أنت الا
حيوان مسير مستعبد

وهكذا يقول (الشاعر القروى) فى قصيدته (المتكبرون) :

أليس قوامهم ماء وطينا
كما خلق الاله لنا قواما
فان كانوا كغيرهم أناما
علام اذن قد احتقروا الاناما ؟

وقلنا ان هؤلاء الشعراء قد ثاروا على الادواء الاجتماعية التى تنخر جسم الوطنيين القديم أو الجديد فهذا هو ((الشاعر فرحات)) يدعو الى العزوف عن اكراه الفتيات على الزواج ممن لا يحببنه فتكون الصفقة الخاسرة بهذا العرس التجارى فيقول :

تم المبيع وسجل الصك
هذا رباط ليس ينفك
دنيا كما علم الجميع بها
الاطماع بالاطماع تحتك
لكن أخسر صفقة عرفت
بيع الفتاة وقلبها يشكو
يا بائعى نفس منزهة
ان النفوس اربها مالك

ويرى الشاعر (شفيق المعلوف) فى الفلاح رمزا عاليا للوفاء والجهاد البانى فيقول :

وفى الحياة ديونها
كرما وما وفت ديونه
ومضى تشق الارض قبضته بعزم لا يخونه
عرق الجهاد همى على
عينيه فانطبقت جفونه
هلا نظرت جبينه
كم فيه لؤلؤة تزينه
ضنت عليه بالدموع
عيونه فبكى جبينه

ويندد الشاعر أبو الفضل الوليد بهذا الداء الوبيل وهو القمار ويعدد مثالبه فى نفسه ليباعد بيننا وبينه فيقول :

ألا رب ليل بالقمار قطعته
فأصبحت منه فاقدا متفقدا
بديباجة خضراء بعث سعادتى
ونمت على السوداء حيران موجدا
كتبت على قبر المقامر آيتى
لقد عاش ملحودا وقد مات ماجدا

ويرى ((أبو ماضى)) ما تعانيه المرأة فى المحيط الامريكى من مناشط ترهقها فيرثى لها ويحدد رسالتها فيقول :

جشموها كل أمر معضل
وهى لم تخلق لغير المنزل

ويأتى الشاعر (فرحات) فيعطى المرأة حقها من الاحترام ويجعلها هبة السماء بل خير ما وهبنا الله فيقول فى قصيدته (هن) :

قل هن والتزم الادب
وابعد بهن عن الريب
هن الرجاء لكل من
بحر الحياة به اضطرب
هبة السماء لعالم
ضرب الشقاء به الطنب
وهبات ربك لا تحد
وهن أحسن ما وهب

ويعود فيحذر فتياتنا من الخلاعة المتمثلة فى الرقص والمجون الذى زحف الينا من الغرب كما يحذر الاباء

وذوى الضمائر مخاطر هذه العادة المقبوحة فيقول :

للغرب فى الشرق عادات مقدمة
كانت وما برحت أولى بتـأخير
لا تتبعوها فكم من زهرة حسنت
فى الناظرين وساءت فى المناخير
يأيها الناس ان كانت ضمائركم
تأبى الخداع وما ترضى بتسخير
قولوا لكل أب فى الشرق محترم
ان المراقص أبواب المواخيـــر

ويأتى ((الشاعر القروى)) فيوجه أقسى ضروب النقد الى ما اتخذه النساء من (موضة) الفساتين القصيرة فيقول :

لحـد الركبتين تشمرينا
بربك أى نهر تعبرينـا
كأن الثوب ظل فى صباح
يزيد تقاصـرا حينـا فحينا
فياليت الحجاب هوى فأمسى
يرد الساق عنا لا الجبينا
فان الساق أجدر أن تغطى
وان الوجه أولى أن يبينـا

وينقلنا هذا النقد لمقابح المجتمع الى ما قاله الشاعر ((الياس قنصل)) فى رباعياته التى كانت له فيها نظرات اجتماعية صادقة من ذم التخلع فى الشباب المائع وتصويره بأقبح المشابه فيقول :

خاب الرجا فيكم وكان شبابكم
أمل البلاد تحوطه الدعوات
يا ذائبين من الميوعة انكم
فى دربنا نحو العلا عثرات
ايامكم تحت الفجور يسوقها
سوط البلى وعتادكم مرآة
يتبختر الطاووس فى أثوابكم
ونفوسكم فى ذاتها حشرات

وقلنا ان شعراء المهجر يصورون الحياة بما فيها من شر وخير وهذا أبو ماضى يدعونا الى السخاء فيصف لنا الرجل الكريم فى صورة فاتنة تحبب الينا الكرام فيقول :

ان الكريم لكالربيـ
ـيع تحبـه للحسن فيه
لا يرتقى أبـدا لمـا
حبـه الذى لا يرتقيه
واذا الليالى ساعفته
فلا يدل ولا يتيـه
واذا تحـرق حاسدوه
بكى ورق لحاسديه
كالورد ينفـح بالشذى
حتى أنوف السارقيه

ويحدثنا عن (البخيل) الشاعر ((حسنى غراب)) فيعزله على لومه اياه لسخائه مخافة العوز ويرده بانصع برهان هو أنه يذوب حسرة لضحايا البؤس فهل كان العاذل يلومه لو كان أحدهم ؟ فيقول :

يقـول لى البخيـل وقد رآنى
أجـود ببعض ما ملكت يدايا
ألم تحسب ليوم غير حسـابا
ويوم غـد محـاط بالرزايا
أتنهـانى عن المعروف خوفا
على مال تبـدده العطـايا
وحولى من ضحايا البؤس ناس
تذوب لفرط شقوتهم حشايا
أكنت تلج فى عـذلى ولومى
لو أنك بعض هاتيك الضحايا

وهذا هو الشاعر (رشيد أيوب) يصور لنا الحب بمعناه الرحيب فى شعر المغتربين وهو الذى يسع الكون ويعطف على المحروم ويمسح دمعة المحزون وينفح بالشذى حتى أنوف الحاسدين فيقول :

واذا عينى رأت أعمى فقيـر
فى طريق باسـطا احدى يديه
دق قلبى دقة العطف الكثير
لضرير ضاقت الدنيـا لديه
ثم نادى الله كالطفـل الصغير
ضع الهى نظـرا فى مقلتيـه
ان قلبـا ملؤه الحب الصحيح
دق حتى رق من فرط الشعور
هو حى ولئـن زار الضريح
دق يا قلبى الى يوم النشور

ويرى الشاعر ((نعيمه)) أن الطمأنينة سر السعادة فى الوجود فهو لا يبـالى بعصف الرياح ولا بقصف الرعود لان بيته من طمأنينة النفس وسلام الروح ذو ركن شديد فيقول :

سـقف بيتى حـديد
ركن بيتى حجـر
فاعصفى يا ريـاح
وانتحب يا شجر
واقصفى يا رعود
لست أخشى الخطر
باب قلبى حصين
من صنوف الكدر

وأخيرا نختتم هذا المقال بما افتتح به (أبو ماضى) ديوانه من الدعوة الى الاخاء البشرى وأنه لا يحيا بما فيه وحده من حياة بل بما فيه وفى أخيه فى الحياة فيقول :

يا رفيقى أنـا لولا أ
نت ما وقعت لحنـا
هـذه أصداء روحى
فلتكن روحك أذنا
ربمـا كنت غنيـا
غيـر أنى بك أغنى
يا رفيقى أنت ان راعيـ
ـت فجرى صار أسنى
واذا طفت بكرمى
زدتـه خصبا وأمنا

وهكذا نرى أن الشعراء المغتربين قد صوروا لنا المجتمع الانسانى والمجتمع العربى ولم يهربوا من معالجة الواقع بل عملوا جهدهم ليسهموا فى خدمة الانسان والانسانية عن طريق محاربة الرذائل والظلم الاجتماعى والتبشير بالخير والحرية والسعادة وسائر الفضائل الاجتماعية وقد اختاروا لرسالتهم المذهب الواقعى وهو أنسب المذاهب لرسالة الاصلاح كما عنوا بالناحية الفنية عنايتهم بتجارب الحياة العامة والاديب الذى يوفق بين الواقع والفن ويحمل أعباء المسئولية الاجتماعية هو الاديب العظيم .

باب الرياضة
اعداد : ناصيف سليم
12

نحن بين دورتين رياضيتين إفريقية ... و .. عربية

.. وبعد ستة وثلاثين عاما خرجت الدورة الافريقية الرياضيةالاولى الى الوجود وقدر لها النجـاح رغم أنف الاستعمار الذى دبر لها المكائد والمؤامرات لتبوء بالفشل . نجحت الدورة فى أرض الكونجو برازافيل . واشترك فيها ٢٨ دولة افريقية تحرر معظمها وتخلص من براثن الاستعمار ، وما زال البعض الاخر يكافح ، ويدفع التسلط الذى فرض عليه ، وكان النصر فى هذه الدورة حليف الجمهورية العربية المتحدة ، ففـازت فرقها بالنصيب الأكبر من الميداليات الذهبية ، وحققت دعاية طيبة ، تتفق مع التوقيت الذى جاء اتفاقا ، حيث كنا هناك نحقق الانتصار ، والشعب هنا يحتفل بعيد الثورة الثالث عشر .

على أن الفوز بالدورة ، لم يكن الهـدف الرئيسى للبعثة العربية ، ولـكن الهدف الأصيل ، هو أن تنجح الدورة وليفز بها من يفز .

كانت مهمتنا أصلا ان نرفع يد المستعمر عن افريقيا ، وان نظهر الكيان الافريقى ، ونظهر شعوبها معتمدة على نفسها فى هذا المجال ، خاصة وقد أحرز بعض أبطال أفريقيا انتصارات كبيرة فى الدورة الأولمبية الأخيرة فى طوكيو .

ولم يكن ينقص شباب افريقيا الا ان يتعـارف ، ويعرف طريقه نحو المستقبل ، بعد ان عرف طـريق الحرية ، وشعر بها ، وتذوق طعمها . وهـذا الشباب الذى مثل بلاده فى أول دورة أفريقية هو قادة هذه البلاد بعد سنوات قليلة ، وقد أتاحت له الـدورة أن يعرف شباب الدول الافريقية المختلفة ، ويتبادل معهم الخبرات والثقافات .

وقد عرف كل أفريقى أن الاستعمار لم يكن يمد يده الى افريقيا ليخـرجها خاوية ، بل كان فى كل محاولاته وتدخلاته يستنزف خير البـلاد ، ولعله كان يدرك أن تجمع الشباب الافريقى فى صعيد واحد خطر عليه . لذلك حال دون اقامة هذه الدورة عام ١٩٢٩ عنـدما عزمت مصر على اقامتها ، ولـكن ما كان باليـد حيلة .. قال الاستعمار : لا ، فلم تقم الدورة الا بعد أن تخلصنا منه .. بعد ٣٦ سنة .

حديث عن الفرق

لقد وصلت بعثتنا العـربية الى أرض الكونجو برازافيل قبل كل البعثات .. ووصلنا على فوجين ، قوام كل فوج ٨٥ شخصا ، كنا هنـاك قبل بدء الدورة باسبوع .. لم تكن مهمة بعثتنا كمـا قلت ان تلعب وتجيد وتفوز فقط .. بل كانت مهمتها المساهمة اداريا وفنيا فى الدورة ، لتنجح ، بعد ان رفعنا يد فرنسا عنهـا وكانت فرنسـا قد تبنت فى الماضى تنظيم دورات أفريقية صغيرة ، تدعو اليها من تشـاء من الدول ، وترفض من تشاء ، وتشـترك هى ببعض فرقهـا ، لتستعرض عضلاتها ، وتعلن للافريقيين أنهـا متقدمة فى هذا المضمار .

ولـكنها لم تتمكن فى هـذه الدورة من تنفيذ ما كانت تستطيع تنفيذه فى الماضى ، وان كانت قد تبرعت بخمسة ملايين فرنك مساهمة منهـا فى الدورة ، وأحضرت بعض حكامها فى العاب القوى ، الا أن هذا لم يمنحها الثقـة التى تريدها ، ولا النفوذ الذى تبغيه . كان حكامنـا العرب ، يقومون متطوعين بالتحكيم فى مختلف المباريات واذا كانوا قد تعرضوا لأكثـر من مؤامرة فى تحكيم العاب القوى ، فان ذلك لم يؤثر على تحقيق الهدف .. كنا محايدين ، وكنا ثقة ، والتفت حـولنا البعثات

تستشير ، وتتعلم ، ووقف بعضها مشجعا لنا ، لانهم تاكدوا أننا لا نتباهى بنصر نحرزه فى المجال الافريقى ، بل كنا فخورين بعمالقة أفريقيا فى كل لعبة ، وخاصة فى الملاكمة والعاب القوى وكرة القدم ، وهى اللعبات الثلاثة التى ستغزو بها أفريقيا دول العالم فى الدورات الاولمبية القادمة .

وكان لكل بعثة طابعها الخاص ، فالبعثة السنغالية لها اناشيدها الوطنية ، ومعظم لاعبيها يحفظون القرآن الكريم ، ويتلونه فى كل مناسبة بترتيل سليم .. وابدى بعضهم وفى مقدمتهم اللاعب الدولى محمد بشير رغبة ملحة فى التعليم فى الأزهر الشريف .. كان يقول لافراد البعثة العربية ، اطلبوا منى ما شئتم فى سبيل العلم فى رحاب الأزهر ، وقد وعدنا بتبليغ رغبته السيد محمد توفيق عويضـــة سكرتير المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

كذلك كانت البعثات المسلمة نظيفة فى مظهرهـا .. فلاعبوا مالى وتشاد وداهومى ونيجيريا وساحل العاج المسلمون ، لا ياكلون ما يذبح بطريقة غيـر شرعية ، ويانفون عندما يرون غيرهم ياكل لحم القرود ، أو يلتهم الديدان الزاحفة .

وهناك فى الكونجو برازافيل مسجد صغير ، لا يرتاده غير أبناء الجاليات المسلمة من تشاد والجزائر ، اما أهل برازافيل انفسهم فهـم مسيحيون ، أو وثنيون ولم يحاول الاستعمار ان يعرفهم بتعاليم الدين المسيحى الأصيلة ، بل حاول أن يقرب اليهم هذا الدين بالتحريف فيه .. فقد شهدت هناك حفل عرس ، رايت فيـــه العروس تحمل وليدها من زوجها الذى اقيم الحفـــل لزواجه ، ولما استفسرت عن ذلك ، قال لى بعض الزملاء المقيمين هناك :

ان هنا لا يعقد القران الا بعد الانجاب ، ولدان أو اكثر ، فاذا اعجبتـــه زوجتـــه ذهب الى الكنيسة واتم الزواج ، واذا لم تعجبه تركها واولادها للضياع .

استعمار مستبد

كذلك يحاول الاستعمار أن يفرض سيطرته من الناحية الاقتصادية ، ولك أن تتصور بلدا لم يعرف الحرية الا منذ ثلاث سنوات ، كيف يعيش ، والفرنسيون يمسكون بزمام التجارة ، انه يفرض الغلاء البشع ، ليستنزف اموال البلاد ويحولها الى باريس ، ولكن الذى تأكدنا منه ان هذه الحياة لن تدوم طويلا ، بعد أن امتدت الأيدى المتحررة الى الكونجو برازافيل . وبدأت ملامح الانتعاش تتضح ، وأصبح الشباب المـــدرب عسكريا يمسك بمقاليد الامور مع الجيش ، وأبدى المسئولون هناك رغبة اكيدة فى الاستفادة من خبرات الـــدول الافريقية المتحررة . لذلك لم يكن غريبــا ان نجـــد الفرنسيين هناك فى منتهى الحنق والغيظ من البعثة العربية بالذات . ولقـــد حاولوا أن يثيروا النفوس نحونا بعد ان احرزنا معظم الميداليات الذهبية ، فكانوا يقولون : « لقد جاءوا ليكتسحوكم .. ويلاعبوا انفسهم » ولكن المسئولين فى البعثة العربية ضيعوا عليهم هـــذه الفرصة ، فكانت التعليمات مشددة فى كل مباراة بعدم الزهو بالانتصار ، وعدم الاعتراض على التحكيم ، وعدم الاستجابة الى المشاكل التى تثار لأى مناسبة .

وقد نفذ لاعبونا هذا بكل دقة ، حتى ان بعض لاعبينا كان يصاب فى المباراة عمدا ، فلا يملك الا أن يصافح اللاعب المعتدى ، ومن يدرى ؟ فقـــد يكون هنـــاك للاستعمار عملاء ، دسهم فى كثير من الفـــرق لخلق المشاكل ، واثارة الشغب ، حتى تفشـــل الدورة ، ثم يأخذ من فشلها دليلا على أن تعاون الشباب الافريقى غير مستطاع .

دورة أخرى

واذا كانت بعثتنا قد وعت هذه التعليمات ، ونفذتها دون تحريف ، حتى عادت منتصرة ظافرة ، تحمـــل الميداليات بعد أن تركت هناك ذكـــرى طيبة وسمعة حسنة ، فانها ما زالت ملزمة بالتمسك بهذه المبادىء خلال هذه الأيام ، ونحن نستقبل وفود ١٣ دولة عربية أتت لتشترك فى الدورة الرياضية العربية الرابعة . ان مبارياتها التى ستجرى خلال هذا الاسبوع ، دليل واضح على اهتمام الامة العربية بشبابها ، لأنه عمادها فى الحاضر والمستقبل .. فى السلم والحرب ، وهـــو الذى يستطيع أن يعلن عن قوة الانسان العربى .

لذلك كان لابد أن تخلو هـــذه المباريات ممـــا يعكر صفوها ، أو يخرجها عن المألوف ، والروح الرياضية ، ويجب ان يسودها التســـامح ، فلا يطلب لاعب نصرا لا يستحقه ، ولا يحث ادارى لاعبه على تعمـــد ايذاء خصمه فى سبيل كسب زائل ، ولا يفقد مدرب اعصابه ، ولا تتحكم العاطفة فى حكم مهما كان الأمر .

لأننا ما زلنا نعلم أن الهدف من هذه الدورة الرياضية العربية ليس هدفها الفوز ، أو تحقيق النصر فحسب ، بل هى وسيلة للتعارف ، والتآلف ، والمحبة والاخاء . ثم ان الدورة العربية مجال للتزود بالثقافات الرياضية المختلفة ، حيث تعقد خلالها حلقـــات الدرس ومؤتمرات التوعية للمحافظة على حقوق العـــرب فى مجـــال الرياضة .

كذلك ليست الدورة ، عبارة عن شباب يلعب ويتنافس بل هناك الشعب العربى الذى ستزدحم به المدرجات تقع عليه ايضا مسئوليات وواجبات ، بحيث لا يخرج تشجيعه عن الاسس التربوية ، فلا يثبط همة مهـــزوم ولا يغالى فى تشجيع الفائز ، ولا يتعصب لفريق ضـــد فريق .

ويجب أن يكون دستور الجميع فى هذا المجال ، قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

« ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » .

كما أن النصر والتفوق لا يكونان ابدا بقوة العضـلات وصلابة البنيان ، بل لابد من معان سليمة الخلاقيـــة تتحقق فى البطل ، ليكون رياضيا صحيحا ، جـــديرا بالبطولة .. ولنا فى دستورنا خير مثل ، الى أن القوة وحدها لا تكسب الانسان فضلا على غيره .. فالقرآن الكريم عندما يحكى قصة موسى وشعيب يقول على لسان بنت شعيب :

« يا أبت استأجره .. ان خير من استأجرت القوى الأمين » صدق الله العظيم .

أرجو أن نكون جميعا أقوياء ، امناء موفقين فى هـــذه المجالات وغيرها . والله الموفق .

باب العلم

هو الذى يريكم البرق خوفاً وطمعاً ويُنشئ السحاب الثقال ، ويسبح الرعد بحمده

سورة الرعد

بدكتور جمال الدين الفندى

من أظهر مزايا آيات الذكر الحكيم تنبيه الأذهان وتوجيه الأنظار والعقول الراجحة الى ما بث الله فى هذا الكون من حكم أخاذة ونظم رائعة وظواهر خلابة تبهر العقول وتحث على العلم وطلبه ليلمس الناس قدرة الخالق .

ففى غلاف الأرض الجوى الذى لانراه ، والذى جعله الله تعالى بمثابة السقف المحفوظ الذى يحجبنا عن الفضاء الكونى المترامى الأطراف ويدرأ عنا أهواله وأخطاره ، تثار السحب التى فيها ينهمر المطر وفيها تحدث عواصف البرق والرعد . وتعتبر هذه الظواهر من أعجب الأمور التى طالما حيرت الانسان منذ القدم ، فراح يفكر فى أمرها ، ويقدم لها القرابين حتى فى أوج حضارة الفراعنة وحضارة الاغريق !

وتتكون عواصف الرعد فى جميع أرجاء الأرض ماعدا المناطق القطبية ، ولكن يكثر حدوثها فى المناطق الاستوائية الرطبة ، وغالبا ما يسبقها سكون الجو والثابت علميا الآن أنها تلازم النمو السريع لمكونات السحب الركامية الثقيلة ، خصوصا المكونات الثلجية التى تتولد تحت تأثير نشاط تيارات الحمل

ويتسبب الرعد عن تولد شحنات كهربائية هائلة داخل السحب ، تنفصل بسبب نمو بلورات الثلج أو ذوبانها ، ثم تفريغ هذه الشحنات المتراكمة تحت ظروف معينة ، ولقد وجد بالاحصاء أن عدد عواصف الرعد التى تحدث فى جو الأرض فى اليوم الواحد تبلغ أكثر من ٤٠ ألفا ، أى بمتوسط قدره نحو ١٨٠٠ عاصفة فى الساعة وتستهلك العاصفة فى المتوسط - نحو ٢ر٥ مليون كيلووات ساعة أى طاقة كهربائية لايقل ثمنها عن سبعة آلاف ونصف جنيه ! وتحدث التفريغات الكهربائية بين السحب أو بين اجزاء السحابة الواحدة ، أو حتى بين السحب والأرض ، وعندها تسمى بالصاعقة . ويصحب هذه التفريغات كلها انبعاث شرارات هى البرق . ويسبب البرق تسخينا شديدا فجائيا فى مناطق الهواء التى ينبعث فيها ، فيتمدد فجأة مولدا سلسلة من أمواج التضاغط والتخلخل فى الجو

المحلي هو الرعد . وتعزى جلجلة الرعد المعروفة ، أو هديره الى ما يعترى سلسلة الامواج الصوتية هذه من عدة انعكاسات من قواعد السحب ومن المرتفعات ونحوها .

وانتشار الصوت في الهواء ثم انعكاسه بين الأجسام المختلفة هو من الظواهر التي لا تحدث في الفضاء الكوني ، أي أنها تلازم سماء الأرض فقط ممثلا في الغلاف الهوائي المحيط بها .

ومعنى الآية الكريمة يتلخص في كونها اشارة الى أن الرعد من سنن الخالق العليم ، وهو يحدث وفق حكمته ونظامه الذى خص به جو الأرض ، كما يدل على عظيم قدرته تعالى اذ ينشأ فى الاصل داخل السحب الركامية الغنية بنقط الماء وبلورات الثلج النامية ، والتى يعبر عنها القرآن الكريم بكلمة(ثقال)

ونحن عندما نناقش هذا الموضوع من الناحية العلمية البحتة نجد أن من آيات الخالق ونعمه فى سماء الدنيا ظاهرة البرق والرعد التى تصحب اثارة السحب الركامية الممطرة ، والمطر كما نعلم هو مصدر الماء العذب على الأرض . ومنذ القدم عرف الانسان قيمة المطر لحياته وحياة ماشيته ونجاح محاصيله ، فهو ينبوع الرخاء المستفيض ومورد الثروة الدائمة . وقد يمتحن الله تعالى عباده لعلة من العلل أو ينتقم منهم بشحة المطر وقلته بحيث يعم القحط وتنتشر المجاعات ، أو هو قد يصيبهم بوابل منهمر فتحدث السيول والفيضانات التى تهلك الحرث والنسل . ومن هنا كان البرق الذى هو مصدر الرعد وعلامة السحاب الممطر مصدرا للخوف والطمع ، على أنه قد يصيب الناس بالشرر عندما يحدث على هيئة الصواعق كما قدمنا . ويسرد القرآن الكريم هذه الحقائق كلها فى مواضع عديدة نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى :

١ - « وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا . وجنات ألفافا » - النبأ

٢ - « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا »

٣ « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر » - القمر -

٤ - « انا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فانبتنا فيها حبا » - عبس -

٥ - « يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت »

والسحاب هو الجسم الذى سخره الله تعالى لأعطاء المطر . والأصل فيه تكاثف ابخرة المياه العالقة فى الهواء بسبب التبريد المستمر تحت عامل الصعود الى أعلى ، فتتكون مجموعات عظمى من نقط الماء المختلفة الحجم والصفات أو من بلورات الثلج ، أو منهما معا. ومن السحب ماهو قابل للنمو والتراكم رأسيا مع تيارات الهواء الصاعد حتى تصل قممها الى علو ١٥ أو ٢٠ كيلو مترا فوق سطح الأرض .

وهذه هى السحب الثقال التى تعطى المطر الغزير وتولد الرعد الرهيب . وقد تظهر قممها الثلجية الناصعة البياض على هيئة سندان الحداد . ولهذا تعرف علميا باسم سحب « السندات » ، وهى التى تدر الرعد ، ومنها يهطل البرد . ومن الآيات التى جمعت هذه الحقائق مع توضيح الكيفية التى تتولد بها السحب الركامية الكبرى قوله تعالى فى سورة النور :

« ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار »

والحق ان وميض البرق يحدث من الاضاءة المحلية مايجعل الناظر يفقد بصره خلال فترة وجيزة . وفى عصرنا هذا تشكل عواصف البرق والرعد خطرا مباشرا على الطيران ، خصوصا فى المناطق الاستوائية التى قد يحدث التفريغ الكهربائى فى سحبها بمعدل ٤٠ مرة فى الدقيقة الواحدة ، مما يجعل الطيران متعسرا الى حد كبير . ولهذا السبب تهتم مكاتب الارصاد الجوية بهذه العواصف ورصدها والتنبؤ بها لفائدة الطيارين

ندوة الشهر

سؤال وجواب

إعداد : عبد الرحمن الشربيني

على سؤال وجواب قامت ندوة الشهر ...

هل يمكن أن يتزوج شخص من رضعت مع شقيقه ..؟

وما الرأى بالنسبة للتلقيح الصناعى ..؟

وما أثر الايمان فى حياة الفرد ..؟

ماذا عن المزاح !! أحلال أم حرام ..؟

واخيرا ما الحكم بالنسبة لطلاء أظافر النساء ..؟

تحدث فى الندوة :

١ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ محمد محمد المدنى

٢ ـ فضيلة الدكتور محمد بن فتح الله بدران

١ ـ هل يمكن أن يتزوج شخص ابنة عمه اذا كان هذا الشخص له شقيق كان أخا لها فى الرضاعة ؟

فضيلة الشيخ محمد المدنى :

ـ الأخ الذى لم يرضع مع الفتاة يمكن ان يتزوجها لأن الحرمة انما تتعلق بمن رضع مع الفتاة فلا يجوز له أن يتزوج بنت العم .. أما الأخ فيمكنه أن يتزوج بها لأنه لم يرضع ..

٢ ـ ما هو الرأى فى التلقيح الصناعى .. هل هوحرام أم حلال ؟

الأستاذ محمد المدنى :

ـ التلقيح الصناعى حرام .. لأنه يتنافى مع الحكمة التى شرعت من الزواج وهى سكن الرجل الى امرأته .. ولا يصح مطلقا التفكير فى التلقيح الصناعى .

٣ ـ ما هو تأثير الايمان بالله على نواحى الحياة الفردية ؟

ـ الايمان بالله له كل التأثير على الحياة الفردية .. لأن الانسان لا يكون انسانا أبدا الا بامتلاء أجزائه الروحية ، وكما أن للاجزاء المادية غذاء ووقاية وشفاء .. كذلك فان لاجزاء الانسان الروحية غذاء ووقاية وشفاء وذلك فى الايمان .

ومن ناحية أخرى فان الايمان هو الذى يبعد القلق والشك وعدم الاستقرار لأنه يؤدى الى الأمن والأمان والاستقرار والاطمئنان .. وهذه كلها مفاتيح لسعادة الانسان .

ومن ناحية ثالثة فان المؤمن بالله يرى انه لا كبير الا الله وأن الناس جميعا اخوة من أب واحد وأم واحدة يتعاون معهم على حب واخلاص بدون تباغض ولا تنافس الا فى الخير

ومن ناحية رابعة فان درجة الايمان هى التى توقظ الضمير الحق فى الانسان الحق .. هى التى تجعل من ضمير الانسان ما يخطط له ويتابعه فى تنفيذ ما أراد الخير له وللبشر .

واذا ما عرف المؤمن أن الله سيحاسبه فلابد انه سيتحرى أن يعمل الخير ويقدم الانسان ما ينفع ومايدخل به الجنة ويبتعد به عن النار وعن غضب الرحمن .

٤ ـ ما هو الحلال وما هو الحرام ؟.. هل اى نوع من أنواع الترفيه يعتبر حراما حتى لو كان ذلك بعد اداء الواجب الدينى .. وعلى الأخص المزاح المعقول ؟

فضيلة الشيخ محمد المدنى :

ـ مسألة الحلال والحرام فيما وراء الفواحش الكبرى مثل أن تاكل شيئا مما حرمه الله فان هذا حرام .. الغيبة من الكبائر .. ولكن فى بعض الأحيان يمكن أن يتلفظ الانسان بالغيبة للدفاع عن نفسه وهذا يعتبر مشتبها فيه .. والنبى صلى الله عليه وسلم يقول « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات » وينصح المؤمن بأن يترك مافيه من الشبهة ليسلمله ضميره وفعله ..

أما مايتعلق بالترفيه كالمزاح وما الى ذلك فانه لا مانع أبدا من أن يرفه الانسان عن نفسه .. والنبى صلى الله عليه وسلم يقول « ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد » وعلى الانسان أن يكون له ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يترك فيها نفسه تاتى بلذاتها بدون خروج على الشريعة أو الآداب أو ما يليق بالانسان.

والمزاح اذا كان فى شىء من التعقل والهدوء فانه لا يمنع .. شأن كل شىء يخرج عن الاسراف وحدود الوقاروالأدب فربما جر الى مشكلات خصوصا اذا كان الذى تمزح معه لا يطيق هذا المزاح .. بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره .. العاقل هو الذى يعرف متى يمزح وكيف يمزح ويلتزم الحدود .. ولا يرتكب بنفسه محرما .. لا يكذب .. وكان النبى عليه الصلاة والسلام يمزح ولا يقول الا حقا .. هذه هى السنة فيما يتعلق بالمزاح والترفيه .

روى أن حنظلة كان فى مجلس لرسول الله ففاضت عيناه بالدمع لما أثارته فيه موعظة من رسول الله . وبعد انتهاء جلسته مع رسول الله توجه الى بيته وأتى شيئا مع أهل بيته تنافى فى نظره مع ما أثرت فيه موعظة رسول الله .. فخرج من بيته وهو يقول .. لقد نافق حنظلة.. لقد نافق حنظلة .. فلقيه أبو بكر فى الطريق وعلم أمره فقال والله ما نافق حنظلة .. ثم لقيه عمر فى الطريق وعلم أمره فقال والله ما نافق حنظله .. حتى وصل الى رسول الله وعلم أمره فقال له « يا حنظلة .. انكم لو كنتم فى جميع أحوالكم كما تكونون معى لصافحتكم الملائكة.. ولكن يا حنظلة ساعة .. وساعة .. » يعنى ساعة تتأمل فيها العظات وتقرأ القرآن لله .. وساعة تفرج فيها عن نفسك فلا يمكن أن يعد هذا نفاقا .

٥ ـ ما هو الحكم فى طلاء الاظافر .. وهل هو مبطل للوضوء والصلاة .. واذا كان على وضوء فهل لا بأس به؟ وما نوع الطلاء ؟

الدكتور محمد بن بدران :

ـ ليس فى الدين الاسلامى عنت ولا ارهاق .. والدين الاسلامى دين واقعى .. يقود كل مجتمع وكل فرد لكل خير بلا ارهاق ولا عنت ولا حرج .. وقد قرر الفقهاء أنه اذا وضعت جبيرة مثلا على طهارة ثم مسح عليه لاشىء فيه .. فيمكن أن يكون طلاء الأظافر على هذا النحو .. اذا وضع على وضوء وطهارة ثم توضأت السيدة من فوقه فلا بأس .

فضيلة الشيخ محمد المدنى :

لى ملاحظة على ما قيل .. فان طلاء الأظافر نوعان .. لون فقط .. وطلاء له جسم رقيق فوق الاظافر .. وهذا الذى تضعه النساء للزينة فى هذه الايام من هذا النوع الأخير ..

وأرى أن هذا النوع يمنع الوضوء ويبطله .. وهو فى الواقع يختلف عن الجبيرة .. لان الجبيرة انما وضعت على جسم مريض لعذر قائم فيأذن الله بأن يتوضأ الانسان ثم يمسح على الجبيرة لان هناك عذرا .

أما ما تضعه المرأة بدون عذر على أظافرها فلا يمكن الا أنه يبطل الوضوء ولا يمكن أن يقوم وضوء معه .

الدكتور حسن الباشا

بظهور الاسلام على يد النبى صلى الله عليه وسلم ظهر على مسرح التاريخ فن جديد هو الفن الاسلامى . ويقصد بالفن الاسلامى الفن الذى ابتكرته الشعوب والدول الاسلامية بعامة والامة العربية بخاصة .

والفن الاسلامى من أوسع فنون العالم انتشارا ، واطولها زمنا .

ونحن لا نعرف شيئا كثيرا عن الحالة الفنية فى مكة والمدينة عند ظهور الاسلام ، وان كان ما وصلنا من التراث الادبى يدل على أن العرب فى ذلك الوقت كانوا قد وصلوا مستوى رفيعا جدا فى الذوق والاحساس الفنى بصفة عامة بحيث تسنى لهم ان يتذوقوا بلاغة القرآن الكريم ، وأن يقروا باعجازه .

ومن المعروف أن العرب قبل الاسلام كانوا يعبدون الاصنام : أى أنهم ولا شك قد وجد بينهم من اشتغل بصناعة التماثيل الدينية التى كان يتعبد اليها العرب فى الجاهلية . ولقد اشارت الاحاديث النبوية الشريفة الى طبقة المصورين الذين كانوا يصنعون الاصنام ، ونهتهم عن هذا العمل ، وحذرتهم من مزاولة صناعة الاصنام من تماثيل وصور .

من ذلك ما أورده البخارى فى باب التصاوير من كتاب اللباس فى صحيحه عن مسلم أنه قال : « كنا مع مسروق فى دار يسار بن نمير فرأى فى صفته تماثيل ، فقال : سمعت عبد الله قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون »

وروى فى باب « بيع التصاوير التى ليس فيها روح وما يكره من ذلك » من كتاب البيوع عن سعيد بن أبى الحسن أنه قال : « كنت عند ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ اذ أتاه رجل فقال : يا أبا عباس انى انسان انما معيشتى من صنعة يدى ، وانى أصنع هذه التصاوير فقال ابن عباس : لا أحدثك الا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من صور صورة فان الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها ابدا . فربا الرجل ربوة شديدة واصفر وجهه . فقال : ويحك ان أبيت الا ان تصنع فعليك بهذا الشجر : كل شىء ليس فيه روح »

ويتضح من هذه الاحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالمصورين وبالاصنام أن العرب كانت لهم خبرة بالفن التشكيلى بصرف النظر عن الاهداف التى كانوا يرمون اليها .

ومن جهة أخرى لا شك وان العرب كانوا يعرفون أنواع الفنون التطبيقية : اذ ليس من المتصور انهم كانوا يستوردون كل ما يحتاجون اليه من الخارج ، كما أنه ليس من المعقول انهم كانوا يستدعون الصناع الاجانب من نجارين وحدادين ونساجين وغيرهم لصناعة ما يلزمهم . هذا وقد وصلنا أحاديث نبوية شريفة تشير الى اتخاذ العرب لبعض التحف الفنية مثل المنسوجات المزوقة بالصور . أورد البخارى مثلا فى باب « من كره القعود على الصور من كتاب اللباس فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها : انها اشترت غرفة فيها تصاوير ، فقام النبى صلى الله عليه وسلم بالباب فلم يدخل ، فقلت : أتوب الى الله مما أذنبت ، قال : ما هذه النمرقة ؟ قلت لتجلس عليها وتوسدها ؟ قال : ان أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة : يقال لهم أحيوا ما خلقتم ، وان الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصور » .

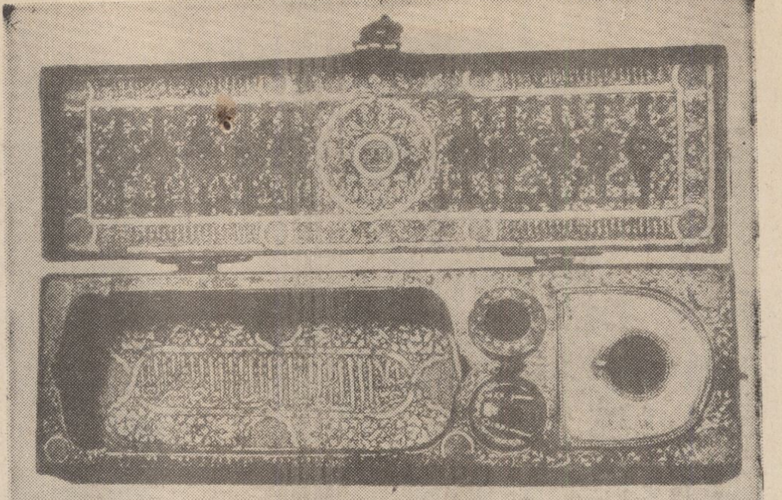

مقلمة ومحبرة ومقلمة من النحاس المكفت بالذهب والفضة ، وعليها كتابة باسم « ... الملك المنصور محمد » من مصر فى القرن الرابع عشر .

واورد البخارى كذلك فى باب « ماوطىء من التصاوير » من كتاب اللباس أن عائشة رضى الله عنها قالت : « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر وقد سترت سهوة « رفا أو طاقا » لى بقرام « ستر » فيه تماثيل فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلون وجهه وقال : يا عائشة أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله . قالت : فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين » .

وجاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وعليه مرط « أى كساء من الصوف أو الخز كان يؤتزر به » مرحل أو مرجل « أى عليه صور الرحال أو الرجال » من شعر أسود ، كما جاء فى حديث السيدة عائشة « وذكرت الانصار فقامت كل واحدة الى مرطها المرحل أو المرجل » .

كما ورد ذكر الخاتم الحديد فى أحاديث نبوية كريمة .
وبالاضافة الى الفنون التشكيلية والفنون التطبيقية كان للعرب قبل الاسلام فن معمارى ، وذلك على عكس ما يزعمه البعض . ولقد ازدهر فرع من هذا الفن المعمارى حتى انتشر خارج شبه الجزيرة العربية ، ونعنى بذلك عمارة الحصون . ذلك أنه فى أوائل العصر الميلادى ازدهر فى جنوب شبه جزيرة العرب نوع من الحصون صممت بحيث تلائم الجيوش العربية التى كانت تتالف أساسا من الفرسان . وكانت هذه الحصون تمتاز بمتانتها ، وكانت تشيد بالصخور الضخمة التى كان يشد بعضها الى بعض بواسطة المعدن المنصهر ، وكانت ذات تخطيط مربع ، وزوايا قائمة ، وكانت أركانها الاربعة تحميها أبراج اربعة ملساء ، وكانت مداخلها تقع فى الجوانب بين أبراج صغيرة .

وقد أقيمت هذه الحصون فى الصحراء لتاوى اليها القبائل أثناء الحروب بابلها وماشيتها . ومنذ القرن الرابع الميلادى أخذت هذه الحصون تنتشر خارج بلاد أنحاء شبه الجزيرة العربية ، ثم أخذت تنتشر خارج بلاد العرب حتى وصلت بيزنطة . ومن الواضح جدا أن القصور التى بناها الامويون فيما بعد فى صحراء الشام قد شيدت على نمط هذه الحصون .

نخرج من ذلك كله بان العرب كانت لهم تقاليد فنية عند ظهور الاسلام ، ولذلك لم يكونوا عالة على الحضارات الاخرى فى المجال الفنى . والحق أن تفوقهم السياسى والحربى والخلقى فى ذلك الوقت قد ساعد على سيادة الطابع العربى الاسلامى .

والحق أنه ما أن دخل العرب المسلمون الاقاليم التى كانت خاضعة للفرس الساسانيين وللرومان البيزنطيين ، والتى شملت مابين المحيط الاطلسى غربا وحدود الهند شرقا حتى سارع أهلها الى الانضواء تحت راية النظام الجديد والعمل فى ظله .

ولقد كان العرب المسلمون على قسط وافر من سعة الافق السياسى والحضارى بحيث حافظوا على التقاليد الفنية والصناعية النافعة فى البلاد التى فتحوها ، بل وعملوا على تقدمها وتطورها فى الطريق السليم .

ولقد استطاعت الدولة الاسلامية الجديدة بفضل الروح الاسلامى الجديد ، والخبرات الفنية والصناعية المتنوعة التى يتمتع بها شعوبها من عرب وفرس وروم وقبط وغير ذلك أن تبتكر فنا جديدا يمتاز بامتزاج التقاليد الصناعية المختلفة وسيادة الطابع العربى الاسلامى .

شمعدان من البرونز من ايران فى برلين

ولقد ضاع الانتاج الفنى الاسلامى الذى تم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين ،ولم يصلنا من ذلك العصر غير نماذج قليلة تتمثل فى الحرم النبوى الشريف بالمدينة ، وفى جامع البصرة وجامع الكوفة وجامع عمرو ، ولو أن جميع هذه الآثار قد جرى عليها كثير من التغيير والتعديل أفقدها معالمها الاصلية.

غير أن المنتجات الفنية الاسلامية التى وصلتنا منعهد الامويين « سنة ٤١ هـ - ١٣٢ - ٦٦١ م - ٧٥٠ » تدل على أن الفن الاسلامى قد أخذ فى هذا العصر طابعا خاصا مميزا ، وان الاسلام قد أنتج فنا لا يقل قيمة وعظمة عن انتصاراته الحربية والسياسية .

ويتضح من الآثار والتحف الاسلامية التى وصلتنا من هذا العصر ان الفن الاسلامى نشأ فى كل اقليم من أقاليم الدولة الاسلامية على أساس الفنون السابقة بها ، ومستمدا فى الوقت نفسه من التقاليد الفنية فى الاقاليم الاخرى الخاضعة للاسلام التى أتاح لها الحكم الواحد فرصة الامتزاج ، ومتمشيا أيضا مع تعاليم الدين الجديد وروحه وشعائره .

ولقد اصطلح على هذا الفن الاسلامى الجديد باسم الطراز الاموى ويعتبر هذا الطراز أقدم الطرز الفنية الاسلامية .

وقد اتخذهذا الطراز طابعا دوليا اذ انتشر فى الاقاليم الاسلامية الكثيرة التى كانت خاضعة للخليفة الأموى . وساعد على انتشاره الصناع ذوو الجنسيات المختلفة الذين كانوا كثيرا ما يسهمون فى العمل معا فى انتاج واحد .

وبعد أن استولى العباسيون على الخلافة فى سنة ١٣٢ هـ - ٧٥٠ م نقلوا مركز حكمهم الى بغداد التى تم تأسيسها سنة ٧٦٦ م بالقرب من حدود فارس ، وذلك ليكونوا على مقربة من الفرس الذين اعتمدوا عليهمفى اقامة حكمهم . وكان من نتيجة ذلك أن استفحل الأثر الايرانى فى الانتاج الفنى الاسلامى مما أدى الى ظهور طراز فنى اسلامى جديد هو الطراز العباسى . ويمثل الانتاج الفنى الذى كشفت عنه الحفائر الاثرية التى أجريت فى مدينة سامرا نضج هذا الطراز العباسى ويرجع فن سامرا الى ما بين سنة ٢٢١ هـ - ٨٣٦ م وسنة ٢٧٦ هـ -٨٨٩ م وهى الفترة التى كانت فيها سامرا مركزا للخلافة العباسية .

ولقد اتخذ فن سامرا أيضا طابعا دوليا : اذ انتشر فى سائر أنحاء العالم الاسلامى ، وذلك بحكم سيطرة الخلافة العباسية فى بداية العصر العباسى على سائر الاقاليم الاسلامية .

ولكن لم تلبث الخلافة العباسية أن انتابها الضعف : فاخذت الولايات المختلفة تستقل عن الخلافة . وقد أدى هذا الاستقلال السياسى الى أن صار لكل دولة من هذه الدول طراز فنى اسلامى مستقل ، وبذلك انقسم الفن الاسلامى الى عدة فنون اسلامية لكل منها مميزاتهالخاصة وان كان يجمع بينها جميعا طابع واحد وروحالفن الفاطمى الروح الاسلامى العربى ، فمثلا وجد فى مصر الفنالفاطمى

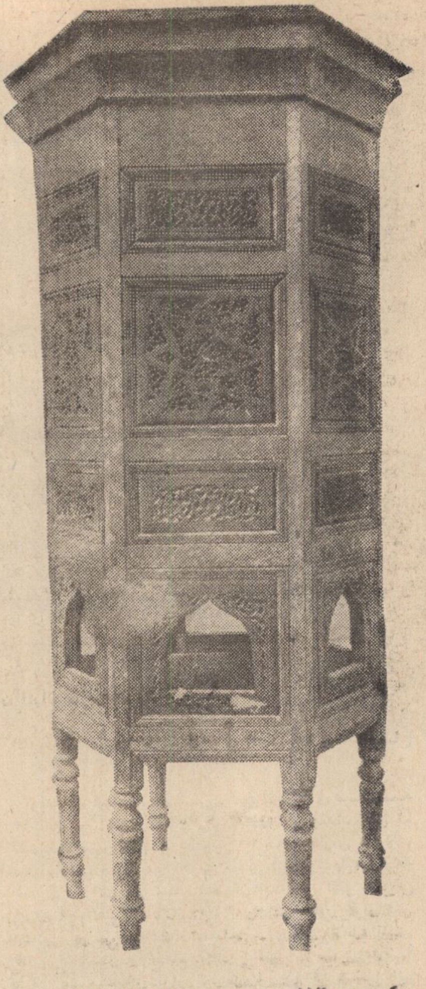

كرسى من الخشب « من مصر بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة « القرن العاشر الهجرى ١٦ ميلادية »

أثناء حكم الخلفاء الفاطميين « ٣٥٨ – ٥٦٧هـ – ٩٦٩ – ١١٧١ م » ثم الايوبى فى عصر الايوبيين « ٥٦٧ – ٦٤٨هـ – ١١٧١ – ١٢٥٠ م » ثم المملوكى فى عصر السلاطين المماليك « ٦٤٨ – ٩٢٣ هـ – ١٢٥٠ – ١٥١٧ م ».

ووجد فى الاندلس فن أندلسى اصطلح على تسميته بالطراز الاموى الغربى نسبة الى الخلفاء الامويين الذين استقلوا بحكم الاندلس فى الغرب ، وقد استمر هذا الطراز الى القرن الخامس الهجرى « ١١ م » ، ثم قام فى أعقابه الطراز الاسبانى المغربى فى القرن السادس الهجرى « ١٢ م » ، وبلغ أوج عظمته فى غرناطة فى القرن الثامن الهجرى « ١٤ م » ولا يزال المغرب يحتفظ حتى العصر الحاضر بكثير من الاساليب الفنية المتصلة بهذا الطراز .

أما فى شرق العالم الاسلامى فقد حل محل طراز سامرا فن جديد كان أيضا له طابع الدولية : هو الفن السلجوقى ، وذلك نسبة الى السلاجقة الذين قدموا من آسيا الوسطى ، وتمكنوا هم ومن خلفهم من الاتابكة ان يحكموا أفغانستان وايران والعراق والشام وآسيا الصغرى الى أن قضى عليهم المغول فى القرن السابع الهجرى « ١٣ م » .

وقام فى ايران بعد الطراز السلجوقى طرز ايرانية : أولها الطراز المغولى الذى ازدهر أثناء حكم أسرالايلخانيين من المغول والاسرة التيمورية من القرن السابع الهجرى الى القرن التاسع « ١٣ – ١٥ » ، ثم الطراز الصفوى الذى ازدهر أثناء حكم الاسرة الصفوية حتى القرن الثانى عشر الهجرى « ١٨ م » ووجد فى الهند طراز هندى اسلامى متأثر الى حد كبير بالفن الايرانى .

وفى آسيا الصغرى أعقب الطراز السلجوقى طراز فنى آخر قام فى عهد الاتراك العثمانيين . وقد انتشر هذا الطراز التركى العثمانى فى الولايات التى خضعت لحكم الاتراك العثمانيين فى مصر والشام والعراق وشمال افريقيا وبعد استقلال هذه الاقاليم عن الاتراك العثمانيين أخذت تعمل على ابتكار فنون خاصة بها .

ولا تزال هذه الطرز الاسلامية المختلفة باقية فى العالم الاسلامى رغم أنه منذ القرن الثانى عشر الهجرى «١٨م» قد أخذت التأثيرات الاوروبية تتوغل بشكل خطير فى هذه البلاد .

أما وقد استعرضنا باختصار نشأة الفن الاسلامى وانتشاره ومدى تطوره فانه يجدر بنا أن نلم بايجاز بطبيعة هذا الفن ، وأهم خصائص ، وميادين تفوقه ، والروح التى استوحاها فى ظهوره وتطوره .

والحق أن الفن الاسلامى – رغم نسبته الى الاسلام لم يكن فنا دينيا بمعنى أنه لم يستخدم فى الارشاد والتعليم الدينى ، ولم يقم باى دور فى تجسيم العقيدة الدينية اذ أن ذلك محرم فى الاسلام . ولكن الفن الاسلامى فن وجد لخدمة حاجات المسلمين ومن يلتحق بهم ، والترفيه عنهم ، وتجميل حياتهم .

ولقد استوحى الفن الاسلامى فى نشأته وتطوره روح الاسلام وتعاليمه . فمن جهة يلاحظ أن الفن الاسلامى قد نشأ بدافع الرغبة فى الاجادة والاتقان ، وهذه الرغبة مستمدة من الاسلام نفسه . ولقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

والحق أن هذا الدافع يفسر لنا الدرجة العظيمة من الاتقان التى بلغتها الفنون الاسلامية . ومن المعروف ان المبالغة فى الاتقان والاجادة تؤدى بطبيعتها الى التنميق والتزويق ، ومن ثم يتضح فى الانتاج الفنى الاسلامى طابع التنميق والتزويق .

ومن جهة أخرى تأثر الفن الاسلامى بدافع آخر هو الرغبة فى تجميل الحياة والاستمتاع بزينتها ، وهذه الرغبة أيضا مستوحاة من العقيدة الاسلامية . قال الله تعالى : « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » كما نسب الله سبحانه

صورة تمثل بناء مسجد من عمل المصور الايرانى بهزارا بالمتحف البريطانى بلندن

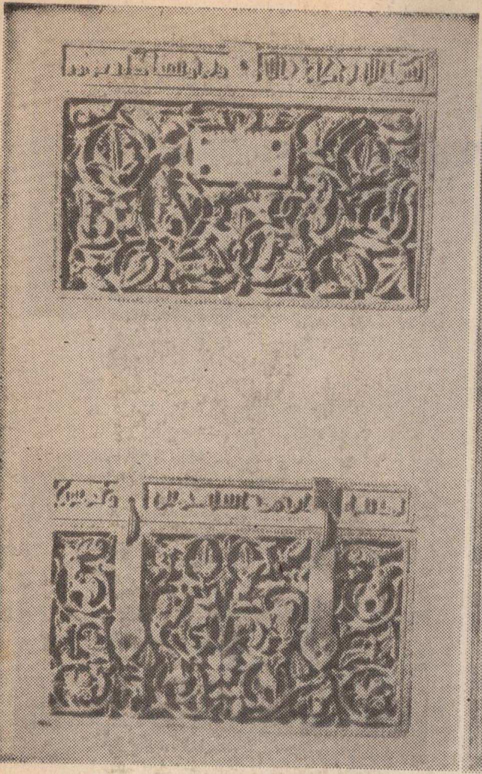

تحفة عاجية من الاندلس

وتعالى الى نفسه أنه زين السماء بالكواكب : « ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين » .

ولقد تفوق المسلمون فى كثير من المجالات الفنية وربما كان أهم هذه المجالات فن العمارة . ولقد زاول المهندسون فى الاسلام بناء جميع أنواع العمائر تقريبا ، فخلفوا لنا أنواعا كثيرة من العمائر الاسلامية : من مساجد ومدارس وأضرحة وقبور وقلاع وقصور وأبواب مدن ومداخل أسواق وأسوار وحمامات ووكالات وخانق وخانقاوات وأربطة ومطابخ وبيمارستانات ومساكن وغير ذلك من المؤسسات الدينية والمدنية والعسكرية . كما خططوا المدن ، وعبدوا الطرق وشقوا القنوات وشيدوا القناطر. وقد وصلنا أمثلة كثيرة من العمائر فى مختلف الاقطار الاسلامية .

وتتميز العمارة الاسلامية بوحدات معمارية خاصة بها كالمآذن والقباب والمداخل والعقود والاعمدة والتيجان والمحاريب . ومن أهم الوحدات المعمارية الاسلامية المقرنصات . وهى عبارة عن كسوة خطوط الاتصال بين الاسطح الافقية والرأسية والزوايا باشكال زخرفية على هيئة صفوف من الحنيات أو المحاريب الصغيرة بعضها فوق بعض ، وقد تتدلى من أعلاها فى بعض الاحيان دلايات. وقد تصنع هذه المقرنصات من الحجر أو الجص أو الطوب أو الخشب أو الخزف أو الزجاج . وتعتبر المقرنصات من الوحدات المعمارية الاسلامية المميزة الاصيلة .

وعلى عكس العمارة لم يصلنا من منتجات النحت والتصوير على الجدران غير امثلة قليلة . وربما يرجع ذلك من جهة الى ما شاع بين المسلمين فى العصور الوسطى عن تحريم الاسلام لتمثيل الكائنات الحية ، ومن جهة أخرى الى أن النحت والتصوير لم يستخدما فى الاسلام لتجسيم المعتقدات الدينية ، لاسيما وانه من الملاحظ أن ما وصلنا من انتاج فى مجال النحت والتصوير من الفنون الاخرى غير الاسلامية ينتسب معظمه الى الدين ، وربما كان ذلك هو السبب فى الحرص على المحافظة عليه .

تمثال عقاب من البرونز ذى الزخارف المحفورة
من مصر فى العصر الفاطمى فى مدينة بيزا

ومع ذلك فقد خلف لنا الفنانون المسلمون صـورا حائطية ومنحوتات حجرية وجصية ومعدنية تمتاز ـ رغم قلتها ـ بجمالها الفنى ومستواها الرفيع .

وبالاضافة الى العمارة والفنون التشكيلية تميز الفن الاسلامى بالعناية بالفنون التطبيقية بحيث احتلت هـذه الفنون مركزا أساسيا بين أفرعه المختلفة . وقد اشتهر الفن الاسلامى بانواع خاصة من الفنون التطبيقية كفنون الكتاب من تجليد وتذهيب وخط وتصوير ، وكالسجاد والنسيج والخزف والزجاج والمعادن وخرط الاخشـاب وحفر العاج .

واذا كانت الفنون تختلف فيما بينها من حيث موقفها من تقليد الطبيعة والقرب من الواقع والميل نحو الزخرفة فانه من الممكن أن نقول أن الفن الاسلامى كان بطبيعته فنا زخرفيا فى الدرجة الاولى ويتجلى الطابع الزخرفى فى الفن الاسلامى فى حرص الفنانين المسلمين على زخرفة منتجاتهم الفنية بشتى انواع الزخارف من كائنات حية ومن زخارف هندسية أو نباتية أو كتابية .

ومن الملاحظ أنه فى مجال استخدام الكائنات الحية كعنصر زخرفى استعمل الفنان المسلم كافة أشكال الكائنات الحية من انسان وحيوان وطير واسماك ، كما انه استخدم ايضا الكائنات الخرافية وقد ساعده خياله الخصب على ابتكار أشكال كثيرة فى هذا المجال .

وبلغ الفن الاسلامى فى مجال الزخارف الهندسية مرتبة لا يدانيه فيها أى فن آخر ، ولقد طور الفنانون المسلمون الزخارف الهندسية على أسس مدروسة ، وابتكروا انواعا من هذه الزخارف لم تعرف فى الفنون الاخـرى ، ومن امثلة ذلك الزخرفة التى يصطلح على تسميتها بالاطباق النجمية .

ومن حيث استخدام الزخارف النباتيـة يلاحظ أن الفنانين الاسلاميين استخدموا عناصر زخرفية كثيـرة مستمدة من النبات . كما طوروا بصفة خاصة نوعا من هذه الزخارف النباتية قلده الاوروبيون وأطلقوا عليـه اسم « أرابك » نسبة الى العرب . وقـد كانت هـذه الزخرفة النباتية من الزخارف الاسلامية الاصيلة التـى انفرد بها الفن الاسلامى . وتتالف هذه الزخـرفة من وحدات زخرفية مكونة من أفرع نباتية محورة وأوراق نباتية ذات فصين تتداخل وتتشابك معا بطريقة زخرفية متسقة تدعو الى الاغراق فى التخيل والتامل .

هذا وقد اعتمد الفنان المسلم بشكل واضح عـلى الكتابة العربية كعنصر زخرفى استخدمه فى تزويق منتجاته الفنية . وقد تطورت الكتابة العـربية بطريقة زخرفية منسوبة بحيث وصلت درجة عالية من الجمال وليس من شك فى أن كان للاسلام الفضل الاول فى انتشار الكتابة العربية انتشارا واسعا ، كما حظى الخط العربى منـذ ظهور الاسلام بالعناية بتجويده وتطويره نحو الجمـال والكمال مما أدى الى المبالغة فى تزويقه والتطور به تطورا زخرفيا . وقد ساعدت طبيعة الخط العـربى واشكال حروفه وما تمتاز به من الموافقة والطواعية والمرونة على ابتكار أشكال جديدة جميلة استخدمها فى تزويق منتجاته الفنية المختلفة .

ولم يكن الفن الاسلامى فى أية فترة من تاريخه فنا راكدا أو جامدا أو منعزلا ، بل كان دائم الاحتكاك بالفنون الاخرى فى الشرق وفى الغرب مما ساعد عـلى احتفاظه بحيويته وأدى الى تطوره .

وبفضل العلاقات المختلفة التى قامت بين العـالم الاسلامى والشرق الاقصى نجد أن الفن الاسلامى قدتبادل التاثير مع فنون الشرق الاقصى بعامة وفنـون الصين والتركستان بخاصة .

ومن جهة أخرى ساعدت ظروف كثيرة على انتقـال التاثيرات الفنية الاسلامية الى أوروبا . ويرجع الىالفن الاسلامى الفضل فى نشأة فن أوروبى عظيم هـو الفن القوطى . ولقد انتقلت التاثيرات الفنية الاسلامية الى أوروبا عن طريق اسبانيا وصقلية ودولة الترك فى البلقان وبحر الارخبيل ، كما كان للحروب الصليبية والتجارة بين الجمهوريات الايطالية ومدن الشرق الادنى ونفوذه فى العصور الوسطى أثر كبير فى تبادل العناصر الفنية بين الاسلام وأوربا .

سكينة بنت الحسين

إعداد عائشة حسن

وهذه سيدة جليلة ذات نبل ومقام رفيع كانت تجالس الاجلة من قريش ويجتمع اليها الشعراء والادباء والمفنون فيحتكمون اليها فيما انتجته قرائحهم فتبين لهم الضعيف من القوى وتناقش المخطىء مناقشة علمية فيقتنع بخطئه ويقر لها بالفضل وقوة الحجة وسعة الاطلاع .

وهى :

السيدة سكينة بنت الحسين بن على بن ابى طالب وامها الرباب بنت امرىء القيس بن عدى بن أوس الكلبى وكان نصرانيا . ولقبتها امها باسم سكينة أميمة وقيل أمينة ، أمية ، آمنة .

قال هيثم بن الكلبى كانت الرباب من خيار النساء وافضلهن كما كانت القدوة الحسنة لابنها فيما بعد . وخطبت الرباب بعد مقتل الحسين فقالت : ما كنت لاتخذ حما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ارثته (أى الحسين) بأبيات منها :

ان الذى كان نورا يستضاء به
بكربلاء قتيـــل غير مدفـــون

سبط النبى جزاك الله صالحه
عنـــا وجنبت خسران الموازين

قد كنت لى جبلا صعبا الوذ به
وكنت تصـحبنا بالرحم والدين

من لليتامى ومن للسـائلين ومن
يعنى ويأوى اليه كل مســـكين

والله لا ابتغى صـــهرا بصهركم
حتى أغيب بين الرمـــل والطين

زواجها :

تزوجت سكينة من عبد الله بن الحسين السبط بن على كرم الله وجهه كما تزوجت من عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام فانجبت منه ولدا وتزوجت من الاصبغ بن عبد العز بن مروان وفارقها قبل الدخول ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فامره سليمان ابن عبد الملك بطلاقها ففعل .

صفاتها :

كانت سكينة سيدة نساء عصرها ومن اجمل النساء واحسنهن اخلاقا . كما كانت احسن الناس شعرا فكانت تصفف جمتها تصفيفا لم ير احسن منه فى ذلك العصر. وكان عمر بن عبد العزيز اذا وجد رجلا يصفف جمته السكينية جلده وحلقه . (كانت الجمـــة تسمى السكينية) .

وفى درر الاصداف كانت سكينة رضى الله عنها لها من الجمال والادب والفصاحة منزلة عظيمة كما كان منزلها مجمعا للادباء والشعراء .

سكينة الشاعرة :

وفى رواية انه اجتمع فى ضيافة سكينة بنت الحسين جرير والفرزدق وجميل ونصيب فمكثوا اياما ثم اذنت لهم فدخلوا فقعدت حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم واخرجت اليهم جارية لها قد روت الاشعار والاحاديث فقالت :

ايكم الفرزدق فقال هاأنذا فقالت له انت القائل
هما دلياني من ثمـــانين قامه
كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا
احى فيرجى ام قتيل نحـــاذره

قال نعم

قالت : فما دعاك الى افشاء سرك وسرهما هلا سترتهما وسترت نفسك خذ هذه الالف درهم والحق باهلك ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت : أيكم جرير
فقال لها : هاأنذا .
فقالت : أنت القائل :
طرقتك صـائدة الفؤاد وليس ذا
وقت الزيارة فارجعى بســـلام
قال : نعم
قالت : فهلا رحبت بها خذ هذه الالف درهم وانصرف ثم دخلت وخرجت .
فقالت : أيكم كثير ؟
فقال : ها انذا
قالت : أنت القائل
واعجبنى يا عز منـــك خلائق
كـــرام اذا عد الخـــلائق اربع
دنوك حتى يطمع الطـالب الصبا
ورفعك انسان الهوى حين يطمع
فوالله ما يدرى كريـــم مماطل
اينســـاك اذ باعدت او يتضرع
قال : نعم
قالت : ملحت وشكلت خذ هذه الالف والحق باهلك ثم دخلت وخرجت
فقالت : ايكم نصيب ؟
فقال : ها أنا ذا
قالت : أنت القائل
ولولا أن يقـــال صبا نصيب
لقلت بنفسى النشـــا الصـــغار
بنفسى كل مهضــــوم خشـــاها
اذا ظلمت فليس لهـــا انتصار
قال : نعم
قالت : ربيتنا صغارا ومدحتنا كبار خذ هذه الاربعة آلاف درهم والحق باهلك ثم دخلت وخرجت فقالت : يا جميل مولاتى تقرئك السلام وتقول والله ما زلت مشتاقة الى رؤيتك منذ سمعت
قولك :
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليـلة
بوادى القـــرى انى اذا لسعيد
فكل حـديث بينهن بشاشـــة
وكل قتيل بينهن شـــــــهيد

جعلت حديثنا بشاشة وقتلانا شهداء خذ هذه الالف دينار والحق بأهلك .

وقيل اجتمع جرير والفرزدق وكثير وجميل وافتخر كل واحد منهم بصاحبه وحكموا بينهم ســـكينة بنت الحسين رضى الله عنها لما يعرفونه من عقلها وبصرهـا بالشعر فاستأذنوا عليها فأذنت لهم وذكروا لها أمرهم فحكمت بينهم ورضوا بحكمها .

وبذلك نستطيع أن نقول بأنها كانت سيدة النساء حقا فى عصرها لما امتازت به .

وقال عمر بن أبى ربيعة فى سكينة :
اســـكين ما ماء الفرات وبرده
منى على ظمـــــاء وحب شراب
بأحب منك وان نأيت وقـــل ما
ترعى النســـاء أمانة الغيـــاب
شهدت سكينة مع مصعب حرب عبد الملك بن مروان فدخل عليها يوم قتل .

ولما قتل مصعب قالت فيه :
فان تقتـــلوه تقتلوا الماجد الذى
يرى الموت الا بالسيوف حـــراما

وقبلك ما خاض الحسين منيـــه
الى القوم حتى أوردوه حمـــاما

وحينما أرادت الخروج الى المدينة طاف بها أهـل العراق وقالوا : أحسن الله صحابتك يا ابنة رسول الله فقالت : لا جزاكم الله عنى خيرا ولا اخلف عليكم بخير من أهل بلد قتلتم أبى وجدى وعمى وزوجى يتمتمونى صغيرة وارحلتمونى كبيرة فلا عفاكم الله من أهل بلد ولا أحسن عليكم الخلافة .

وكانت سكينة عفيفة سلمة برزه من النساء ظريفة مزاحة قيل لها :

أمك فاطمة يا سكينة وأنت تمزحين كثيرا واختـك لا تمزح . فقالت لانكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة فاطمة وسميتمونى باسم جدتى التى لم تدرك الاسلام تعنى آمنـــة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفاتها :

وفى تاريخ بن خلكان انها توفيت سنة ١١٧ بالمدينة وفى صفحات الشعرانى أنها مدفونة بالمراغة بقرب السيدة نفيسة رضى الله عنها أى بمصر القاهرة .

المرأة في تانزانيا ...
ومنظمة شرق افريقيا الإسلامية

إعداد : نجاة الزنيري

المراة فى تانزانيا ـ ومنظمة شرق افريقيا الاسلامية

لأن تاريخ المراة وتطورها مرتبط بتاريخ البلد الذى تنتمى اليه .. فلابد من نبذة صغيرة عن تانزانيا تاريخيا وسياسيا واجتماعيا قبل الحديث عن المراة هناك ..

تعتبر جمهورية تانزانيا احدى التجارب الرائدة فى القارة الافريقية ، فقد تمت فى ابريل ١٩٦٤ ـ الوحدة بين تنجانيقا التى يبلغ تعدادها نحو تسعة ملايين نسمة ، وزنزبار التى لا يزيد تعدادها عن ٣٥٠ الف نسمة ـ وقد باركت الشعوب الافريقية هذه الوحدة الاولى فى شرق افريقيا واعترفت بها حكومات العالم .

وتقع تنجانيقا فى شرق أفريقيا تحدها أوغندا شمالا والكونغو غربا وموزمبيق جنوبا وقد نالت استقلالها فى ٩ ديسمبر ١٩٦١ .

اما زنزبار فهى جزيرة بجوار الساحل الشرقى . اعلن استقلالها فى ديسمبر ١٩٦٣ . وقد اطلق على الجمهورية المتحدة لتنجانيقا وزنزبار اسم « تانزانيا » والعاصمة هى « دار السلام » ويعرب المسئولون عن أملهم فى ان تكون تانزانيا نواة صالحة لوحدة شعوب شرق أفريقيا ووحدة الشعوب الافريقية المنشودة .

اشتركت جمهورية تانزانيا فى مؤتمر عدم الانحياز الذى عقدبالقاهرة فى أكتوبر ١٩٦٤ لتساهم فى تدعيم سياسة عدم الانحياز وفى تأكيد فعاليتها وخلق عالم جديد تسوده علاقات التعاون الدولى والسلام والحرية . ورأس وفد تانزانيا السيد « رشيد كواوا » نائب رئيس الجمهورية .

ودار السلام العاصمة ـ هى مقر لجنة تحرير افريقيا المعروفة باسم « لجنة التسعة » المنبثقة عن منظمة الوحدة الافريقية لمساندة الشعوب المكافحة فى افريقيا للقضاء على الحكم الاستعمارى البغيض وسياسةالتفرقة العنصرية وهذه اللجنة مكونة من تسعة دول هى اثيوبيا . غينيا . السنغال . اوغندا . الكونغو . تنجانيقا . نيجيريا . الجمهورية العربية المتحدة . الجزائر . ومهمتها . تنسيق المساعدات التى ستقدم الى الحركات الوطنية فى افريقيا على أن تكون « دار السلام » قاعدة لعملها . وتبحث اللجنة الاعتمادات الخاصة بمناهضة الاستعمار وللجنة الحق فى ان تطلب من اىدولة مرور المتطوعين والمقاتلين الافريقيين فى أراضيها وتسهيل دخولهم الأراضى المستعمرة التى لم تتحرر بعد وجمع التبرعات لصندوق التحرير لمساعدة المناضلين من اجل حرية افريقيا وانشاء وحدات للمتطوعين فى كل دولة من الدول لمد حركات التحرير المختلفة فى القارة بشتى المساعدات التى يحتاجون اليها .

معركة البناء فى تانزانيا :

وتواجه جمهورية تنزانيا نفس المشكلة التى تواجهها جميع الدول الحديثة الاستقلال ـ مشكلة التنمية ـ اى مشكلة رفع مستوى المعيشة للشعب . وقد بدأ تنفيذ مشروع الخطة الخمسية الأولى فى تنجانيقا وخطة السنوات الثلاث فى زنزبار .

وفى نفس الوقت تقوم جمهورية تنزانيا بتنمية علاقاتها التجارية مع جميع دول العالم ويعتمد اقتصاد تنجانيقا على الزراعة واهم محصولاتها القطن والبن والفول السودانى والمواد الزيتية والشاى وتصدر الجلود والعاج . وهى غنية بالمعادن كالذهب والفحم والحديد والماس . اما زنزبار فهى جزيرة القرنفل الذى هو عماد اقتصاد الدولة بالاضافة الى زيت القرنفل والاصداف والأسماك

المراة ومنظمة شرق افريقيا الاسلامية :

كان الاستعمار هو السبب فى تاخر المراة وتخلفها حتى يبقى نصف المجتمع مشلولا .

ولكن منذ عهد الاستقلال بدات المراة تشق طريقها بالعلم والعمل ولن تهدأ حتى تصل الى المركز الاجتماعى والثقافى الذى يليق بها كانسانة مكافحة ويجعلها فى مستوى القدرة على وضع الأسس الصحيحة لاصلاح الأسرة وحل مشكلاتها . وحمل مسئولية بناء المجتمع الجديد والمشاركة فى ارتقائه اجتماعيا . واقتصاديا .

وتوجد « منظمة شرق افريقيا الاسلامية » وتتكون من كينيا واوغندا وتنزانيا ، ولها عدة فروع فى البلاد ولها نشاط اجتماعى وثقافى للنهوض بالمراة فى شتى نواحى الحياة لاعداد المراة للحياة الجديدة اعدادا صالحا بالاضافة الى الدراسات الاسلامية وتثقيف المراة دينيا والعمل على محو الأمية ونشر التعليم .

والمراة الآن تقف جنبا الى جنب مع الرجل فى كل الميادين وتعمل فى عدة وظائف فهى مدرسة وطبيبة وممرضة وكاتبة فى المصالح والهيئات الحكومية . والسيدة « بيبى تيتى محمد » تعمل سكرتيرة البرلمان فى وزارة الثقافة والارشاد ..

وقد تدربت الفتيات فى الجيش .. وفى الحفلات الوطنية الرسمية يقام استعراض للجيش وتظهر فيه الفتيات فى الزى العسكرى وكلهن حماسة ووطنية وعزم على المضى دوما الى الامام ..

التعليم ومنظمة تنزانيا الاسلامية :

اما عن التعليم فيوجد فى زنزبار مدارس قليلة ابتدائية وثانوية ولكن لا يوجد بها تعليم عالى ولا جامعات .. اما فى تنجانيقا ففيها جامعة واحدة ..

وتهدف خطة التنمية الى زيادة عدد المدارس وانشاء الجامعات فى زنزبار ومعاهد عليا لتخريج المدرسين - والتعليم مجانى فى جميع مراحله . ومشترك تجلس الفتاة بجانب الفتى فى مقاعد الدراسة وتسافر الفتيات فى بعثات علمية للخارج لاستكمال دراستهن مثل الفتيان تماما وفى الجمهورية العربية المتحدة حوالى ١٦٠ طالبا وطالبة مبعوثين من تنزانيا . وتوجد منظمة تنزانيا الاسلامية وهى تشرف على نشر الثقافة الاسلامية والتعليم الدينى واعداد مدرسين للغة العربية .

اللغــة :

اللغة الرسمية فى تانزانيا هى الانجليزية .. واللغة السواحيلية هى اللغة القومية او الشعبية وهى ايضا لغة رسمية .. وهى تشبه كثيرا اللغة العربية .. واللغة العربية معروفة هناك لوجود قبائل عربية منذ القدم .. عدا هذا يوجد ١٢ لهجة محلية ذلك لأن فى تانزانيا ١٢٠ قبيلة .. كل قبيلة لها لغة خاصة بها هذا عدى اختلافهم فى بعض العادات .

الزى الوطنى للمراة :

يتكون الزى الوطنى للمراة هناك من ثلاث قطع : جونلة طويلة تغطى القدمين وبلوزة وغطاء للراس مثل الشال .

الطعام الرئيسى :

هو الأرز والسمك .. وتختلف الأطعمة الرئيسية من قبيلة لأخرى وفق العادات والتقاليد التى يخضعون لها على مر العصور ومن اهم هذه الاطعمة هى الطعام المصنوع من الذرة .. والطعام المصنوع من اللحم . وعند البعض يكون الموز هو الطعام الرئيسى على المائدة .. وعند قبائل أخرى تكون الخضروات وهكذا يختلف الطعام الرئيسى من قبيلة لأخرى ..

بعض التقاليد :

السيدات فى تانزانيا لهن تقاليد خاصة واماكن خاصة فى المساجد ويواظبن على اقامة شعائر الدين والصلاة وقراءة القرآن الكريم منذ صغرهن فكل سيدة وفتاة تقرأ القرآن صباح كل يوم قبل البدء فى العمل او الدراسة والفتاة تؤدى الصلاة فى سن صغيرة تنشأ نشأة دينية سليمة ولكنهن للاسف يقرأن القرآن باللغة العربية ولا يستطعن أن يتكلمن بها بل منهن من يحفظ القرآن دون فهم معناه - وفى شهر رمضان تجتمع العائلات وتزول المشاكل والخلافات العائلية وتتبادل الزيارات ويسهرن حتى السحور وتقدم الحلوى والمرطبات وبعض السيدات يذهبن الى المساجد لاداء صلاة التراويح وسماع الدرس الدينى - وفى يوم ٢٧ رمضان هو أشبه بالعيد هناك فيخرج الاطفال الى الطرقات يرتلون القصائد الدينية فى ملابس جديدة وأفراح سعيدة . وفى عيد المولد النبوى تقام الاحتفالات الرسمية فى الشوارع الرئيسية وتوزع الحلوى على الاطفال والفقراء وتتلى آيات القرآن الكريم وتحتفل الاسر فى منازلهم بالاعياد الدينية وتهتم بها كثيرا وتعد لها من أيام سابقة .

وبعد أن المراة فى تانزانيا قد آن لها أن تحمل مسئولية بناء المجتمع والارتقاء به فى ركب الحضارة والتقدم وان تثبت فعاليتها كقوة منتجة لكل مجتمع يجتاز مرحلة البناء والتنمية .

مواقيت الصلاة

الأيام	جمادى الأولى ١٣٨٥	أغسطس ١٩٦٥	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س
السبت	١	٢٨	٤	٥	٣٥	٦	١	١	٣٦	٤	٢٨	٧	٤٩	٨
الأحد	٢	٢٩	٤		٣٥		٠	١	٣٦		٢٦		٤٨	
الاثنين	٣	٣٠	٥		٣٦		٠٠	١	٣٦		٢٤		٤٧	
الثلاثاء	٤	٣١	٥		٣٦		٠٠	١	٣٥		٢٣		٤٥	
الأربعاء	٥	١	٦		٣٧		٠٠	١	٣٤		٢٣		٤٣	
الخميس	٦	٢	٧		٣٧		٠	١	٣٣		٢٢		٤٢	
الجمعة	٧	٣	٨		٣٨		٥٩	١٢	٣٣		٢١		٤١	
السبت	٨	٤	٨		٣٨		٥٩		٣٢		١٩		٣٩	
الأحد	٩	٥	٩		٣٩		٥٩		٣١		١٨		٣٨	
الاثنين	١٠	٦	١٠		٣٩		٥٨		٣١		١٧		٣٦	
الثلاثاء	١١	٧	١١		٤٠		٥٨		٣١		١٦		٣٥	
الأربعاء	١٢	٨	١١		٤٠		٥٨		٣١		١٦		٣٥	
الخميس	١٣	٩	١٢		٤١		٥٧		٢٩		١٣		٣٢	
الجمعة	١٤	١٠	١٣		٤٢		٥٧		٢٨		١٢		٣١	
السبت	١٥	١١	١٣		٤٢		٥٧		٢٨		١١		٣٠	
الأحد	١٦	١٢	١٣		٤٢		٥٧		٢٨		١٠		٣٠	
الاثنين	١٧	١٣	١٤		٤٣		٥٦		٢٦		٨		٢٩	
الثلاثاء	١٨	١٤	١٥		٤٤		٥٦		٢٦		٧		٢٩	
الأربعاء	١٩	١٥	١٦		٤٤		٥٥		٢٥		٦		٢٨	
الخميس	٢٠	١٦	١٧		٤٥		٥٥		٢٥		٦		٢٨	
الجمعة	٢١	١٧	١٧		٤٥		٥٤		٢٤		٦		٢٦	
السبت	٢٢	١٨	١٨		٤٦		٥٤		٢٣		٦		٢٤	
الأحد	٢٣	١٩	١٩		٤٧		٥٤		٢٢		٥		٢٢	
الاثنين	٢٤	٢٠	١٩		٤٧		٥٣		٢١		٣		٢٠	
الثلاثاء	٢٥	٢١	٢٠		٤٨		٥٣		٢١		٠٠	٧	١٧	
الأربعاء	٢٦	٢٢	٢٠		٤٩		٥٣		٢٠		٥٨	٦	١٥	
الخميس	٢٧	٢٣	٢١		٤٩		٥٢		١٩		٥٦		١٣	
الجمعة	٢٨	٢٤	٢١		٤٩		٥٢		١٨		٥٥		١٢	
السبت	٢٩	٢٥	٢٣		٥٠		٥٢		١٨		٥٣		١١	

ماذا يجرى
فى
الجنوب العربى المحتل ؟

تحقيق من اعداد :
عبد الودود طه - عبد القادر فيوض

السيد عبد القوى مكاوى رئيس وزراء عدن يقول :

* لن نتفق مع بريطانيا مالم تغير من عقليتها القديمة وسياستها الخرقاء .

* اعتراف بريطانيا بالجمهورية اليمنية خطوة فى طريق العلاقات الطيبة .

* أحطنا الجامعة العربية بتطورات قضية الجنوب ..!

++++++++++++

السيد عبد الله الاصنج رئيس حزب الشعب الاشتراكى يقول :

* تأييد الجمهورية العربية لثوار الجنوب رصيد من الثقة يرسم معالم مستقبل مشرق .

* الهجرة الاجنبية للجنوب مخطط استعمارى خبيث .

* يهمنا أن تتوحد جهود العاملين فى النضال من أجل استقلال الجنوب .

++++++++++++

السلطان جعبل بن حسين العوذلى يقول :

* المعاهدات البريطانية ليست شرعية ولا وزن لها .

* النضال السياسى والنضال المسلح وسيلة الاستقلال .

تضامنا من مجلة منبر الاسلام مع أجهزة الاعلام الاخرى .. وايمانا برسالتها تجاه العالم العربى والاسلامى يسرها أن تقدم على صفحاتها صورة كاملة لما يجرى فى جنوبنا العربى المحتل ، على لسان احرار الجنوب العائدين من اللجنة التحضيرية لمؤتمر لندن وهم السادة : عبد القوى مكاوى رئيس وزراء عدن والسيد عبد الله الأصنج رئيس حزب الشعب الاشتراكى ومنظمة تحرير الجنوب والسلطان حعبل بن حسين العوذلى من قواد النضال المسلح ضد الاستعمار البريطانى .

وقد أثرنا عدة موضوعات هامة هى : اللجنة التحضيرية لمؤتمر لندن - الهجرة - النضال السياسى والمسلح توحيد الجهود

اللجنة التحضيرية

لقد شغل مؤتمر لندن الأخير الرأى العام العالمى والعربى وقد وجهنا الحديث للسيد/ عبد القوى مكاوى رئيس وزراء عدن وهو :

تحاول بريطانيا أن تجعل من وجودها فى الجنوب المحتل وجودا دستوريا ، وذلك بعقد ما يسمى بالمؤتمرات الدستورية . فما رأيكم فى هذه المؤتمرات . ولماذا فشلت اللجنة التحضيرية لمؤتمر لندن الأخير .

فقال سيادته :

اننا نعتقد أنه ما لم تتراجع بريطانيا عن عقليتها القديمة وسياستها الخرقاء . وتنتهج سياسة تقدمية فاننا لا نتفق معها على الحل المناسب الشريف لقضية بلادنا ؛ وان فكرة هذه المؤتمرات فكرة عتيقة ، ونحن فى رأينا لن نوافق على حضور اى مؤتمر دستورى فى المستقبل الا بعد أن يتم الاتفاق على جدول أعمال يتمشى مع السياسة الشعبية فى المنطقة ، ولم يكن وجودنا فى بريطانيا فى أوائل هذا الشهر الا محاولة للاتفاق على جدول أعمال مناسب بعد أن أكد لنا مستر جرينوود وزير المستعمرات البريطانى . « وقال : انه لا يمانع فى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة اذا ما اتفقت الأطراف جميعا عليها » .

السيد عبد القوى مكاوى
رئيس وزراء عدن

لم نذهب للتفاوض

اننا لم نذهب للتفاوض . ولم نذهب بعقد هذه الصفقة ، لأن التفاوض معناه المساومة وأنصاف الحلول ، فان لم يكن هناك جدول أعمال سابق متفق عليه فلن نذهب لبريطانيا مرة أخرى . وذلك سيكون مبدؤنا اذا قررنا حضور اى مؤتمر دستورى آخر .

وتحدث الينا السيد عبد الله الأصنج رئيس حزب الشعب الاشتراكى فقال : ان بريطانيا تحاول بشتى الصور أن تجد منفذا بعد ان ضيقت الحركات الوطنية عليها الخناق فكانت اللجنة التحضيرية لمؤتمر لندن . ونحن ذهبنا الى هناك لكى لا ندع فرصة لبريطانيا لعقد اتفاقيات مع بعض السلاطين الذين يعتبرون عملاء وركائز للاستعمار فذهبنا الى هناك . وفى الواقع أننا لم نتفق مع جرينوود لأننا اشترطنا المبادىء الآتية وهى: اسقاط الأوضاع القائمة واجراء

آلت على نفسها مساندة حركات التحرر ومقاومة الاستعمار فما أثار ذلك فى نصرة قضية الجنوب ؟»

فقال : لا يمكن لانسان يحترم نفسه ويحترم الحق والحقيقة أن يغفل أو يتجاهل الدور الفعال للجمهورية العربية المتحدة حكومة وشعبا . والتأييد والعطف اللذين حصلت عليهما قضية التحرر فى الجنوب المحتل وأثار هذا العمل العربى قد رسخت فى أذهان وقلوب المواطنين الأحرار فى الجنوب ، وهى رصيد غنى بالخير والثقة يرسم معالم المستقبل المشرق لأمة العرب الموحدة باذن الله ..»

وقال السلطان جعبل بن حسين العوذلى نائب سلطان العوازل وأحد الذين يقودون النضال المسلح فى سلطنة العوازل .

ان الجمهورية العربية المتحدة بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر . هى أمل شعب الجنوب كله فى اخراجه من ربقة الاستعمار وتحريره تحريرا حقيقيا وهى الدولة الوحيدة التى وضعت كل امكانياتها فى مساندة الثوار فى الجنوب والاعتماد على الله وعليها .

مشكلة الهجرة الأجنبية

وقد طرحنا موضوعا آخر وهو : أن هناك مخططا بريطانيا لخلق فلسطين أخرى بواسطة الهجرة الأجنبية فما أخطار هذه الهجرة وما الوسيلة لمقاومتها ؟

فقال السيد عبد القوى مكاوى : ان الوضع فى عدن وضع شاذ فمنذ عشرات السنين سمحت بريطانيا للمهاجرين الأجانب بالدخول الى منطقتنا دون أى وادع أو تقييد فتسبب من جراء ذلك وجود أعداد كبيرة من المهاجرين .

ولمكافحة هذه الهجرة . أعدت حكومتى مشروع قانون يلغى جميع شهادات الاعفاء والتصريحات التى تعطى للأجانب ، وبعد أن يتم الغاء جميع الترخيصات القديمة يعاد التسجيل من جديد بالنسبة للذين ربطوا مصيرهم بنا وقطعوا علاقاتهم مع بلادهم الأصلية ، أما الأخرون فسيضطرون حسب

السيد عبد الله الأصنج
رئيس حزب الشعب الاشتراكى العدنى

أنظمة ديمقراطية واجراء انتخابات عامة فى كل المناطق باشراف فعال للأمم المتحدة فى جو حر نزيه ورفع حالة الطوارىء . واطلاق سراح المعتقلين . واعادة المنفيين ، اطلاق الحريات العامة . وأننا لن نحضر أى مؤتمر دستورى الا بعد الاتفاق التام على جدول أعمال معين .

الاعتراف بالجمهورية اليمنية

واستطرد السيد رئيس وزراء عدن عبد القوى مكاوى قائلا وختاما لموضوع مؤتمر لندن أحب أن أنوه بأننى طلبت بل وأؤكد انه لابد من تحسين العلاقات بين بريطانيا والجمهورية العربية المتحدة قاعدة النضال . اذا أرادت بريطانيا أن تفتح صفحة جديدة . كما أنى أؤمن ايمانا مطلقا بضرورة اعتراف بريطانيا بالجمهورية العربية اليمنية ، ويجب على بريطانيا أن تتخذ هذا القرار بسرعة اذا ارادت أن تكون العلاقات بيننا وبينها طيبة وانا أؤمن كذلك أن الاساءة للجمهورية اليمنية هى اساءة لنا .

وتوجهنا بهذا السؤال للسيد عبد الله الأصنج . بأن الجمهورية العربية المتحدة قد

هذا القانون لمغادرة البلاد والعودة لوطنهم ؟ وهذا المشروع سيناقش قريبا فى المجلس التشريعى ونحن نتوقع أنه حتى يتم هذا القرار فسيساعد على تخفيف الهجرة وتخفيض حدة البطالة .

وقال السيد عبد الله الأصنج :

عدن هى المدينة الوحيدة فى الجنوب المحتل التى فتح الاستعمار البريطانى أبواب الهجرة اليها من أوربا وبلاد الهند . ونعتبر عدن مركز الثقل فى الحياة السياسية والاقتصادية فى الجنوب المحتل ، وسيطرة الجاليات الأجنبية على عدن يعنى امتداد نفوذ الأجانب الى مناطق الجنوب الأخرى واخضاعها للمصالح الاستعمارية الخبيثة .

الحل

ولا حل لهذه المشكلة سوى الاستقلال الكامل والعاجل حتى يصنع الشعب مستقبله بنفسه ويتخذ من التشريعات والقوانين ما يكفى لحماية الأرض العربية فى الجنوب من أخطار الهجرة الأجنبية .

وقال السلطان جعبل بن حسين العوذلى :

الهجرة لا شك مخطط استعمارى وبما أن حكم ولاية عدن فى يد المندوب السامى البريطانى فان الحل الوحيد لمنع الهجرة هو حمل السلاح ضد الاستعمار ومخططاته ويوقف الهجرة ويسرح الأجانب الغير مرغوب فيهم .

وهناك نقطة هامة بل هى على جانب كبير من الأهمية . وهو موضوع المنظمات المختلفة التى تعمل ضد الاستعمار فان الصالح العام يقضى بتوحيد الجهود .

وفى هذه النقطة حدثنا السيد عبد الله الأصنج رئيس حزب الشعب الاشتراكى فقال :

نحن دعاة وحدة حقيقية فى النضال ويهمنا أن تتوحد جهود العاملين من أجل تحقيق الاستقلال والحرية فى الجنوب ، كما يهمنا عدم اللجوء الى التهاتر والمجادلات التى تعمق الخلافات ، والعقبات القائمة ليست صعبة وهى تتلخص فى الحماس المبالغ فيه لصالح التنظيمات أكثر من القضية نفسها .

السلطان جعبل بن حسين العوذلى

ويقول السلطان جعبل بن حسين العوذلى :

ان سبب تفرق المكافحين فى الجنوب هو الطمع فى المناصب وحب النفس ، وانا شخصيا أؤيد فكرة تكتل القوى المناضلة فى منظمة واحدة وأتنازل عن جميع الامتيازات وأكون جنديا مخلصا محاربا ضد الاستعمار ، ومن حسن الطالع اليوم يوجد تقارب كبير بين أحزاب وشخصيات مستقلة بتوحيد صف المكافحين ، وهذا التجميع سيساعد على حل مشكلة الجنوب ، وقامت فعلا منظمة تحرير الجنوب التى تشمل كثيرا من الهيئات والشخصيات المستقلة .

النضال السياسى والنضال المسلح

ونقطة أخرى ناقشنا فيها السيد رئيس وزراء عدن عبد القوى مكاوى وهى : هل يوجد خلاف جوهرى بين النضال المسلح والنضال السياسى فى الجنوب العربى وهل يمكن التوفيق بين الجبهات الشعبية والحكومية لتحرير الجنوب ؟

فقال سيادته :

اننا كحكومة نتفق مع جميع الهيئات الشعبية فى الأهداف والغايات ، وقد برهنت مواقفنا منذ أن تولينا السلطة على ذلك ،

وان الحقل الوطنى ليس محصورا ولا محتكرا لنا وحدنا ، بل ان هناك جبهات مختلفة ، تجاهد لتحقيق نفس الغايات ، بل اننا متفقون على ضرورة النضال فى شتى وسائله الممكنة . حتى يستطيع الشعب تحقيق حريته ويختار حكومته بواسطة انتخابات حرة نزيهة تحت اشراف الامم المتحدة .

الامم المتحدة

وهناك نقطة هامة وخطيرة . وهى هل استطاع أبناء الجنوب طرح قضيتهم أمام الرأى العام العالمى بواسطة الجامعة العربية او بدونها .

وتناول هذه النقطة الهامة السيد رئيس الوزراء عبد القوى مكاوى فقال :

لقد زرت مصر فى السنة الماضية وعرضت موضوع الجنوب المحتل على لجنة تصفية الاستعمار التى كانت موجودة فى مصر فى هذا الوقت وذلك عندما كنت فى الصف المعارض فى المجلس التشريعى ولهذا فان اصرارى بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة ينبع من ايمانى الصادق بهذه القرارت التى أعتبرها الحد الادنى لمطالب شعب الجنوب ،

دور الجامعة العربية

وبعد فشل اللجنة التحضيرية لمؤتمر لندن تحدثت طويلا مع السيد الدكتور سيد نوفل للتأكد من عرض قضيتنا على رؤساء الدول العربية ووزراء خارجيتها الذين سوف يزورون القاهرة فى أوائل الشهر القادم ، وقد أكد لى الأمين المساعد للجامعة العربية اهتمام الجامعة بقضيتنا اهتماما جديا ومساندتها لنا مساندة فعالة ، وسأقدم تقريرا وافيا للجامعة العربية للخوض فيه عند انعقاد المؤتمر القادم ، وقد آن الأوان أن تتبنى الجامعة العربية قضيتنا وتهتم بها اهتماما بارزا يأتى بنتائج ايجابية .

المؤتمر الافريقى الآسيوى

كما أننا نناشد الكتلة الأسيوية الأفريقية فى مؤتمرها الذى سيعقد فى الجزائر فى نوفمبر القادم أن تنظر فى قضيتنا ، ولا شك أن وفدا سيحضر هذا المؤتمر لتوعية الأعضاء عن الوضع فى الجنوب ، وقد سبق أن عرضنا قضيتنا منذ شهر على دول الكومنولث لشرح قضيتنا والحصول على مساندتها .

ويقول السيد عبد الله الأصنج :

لقد سمع العالم بأثره عن قضية الجنوب واقتنعت سبعةوسبعون دولة بعدالة قضيتنا والأهم الان هو مزاولة النشاط الوطنى والمقاومة الشعبية ضدالمخططات الاستعمارية حتى يستمر التايد العالمى لقضيتنا مما يساعد على التعجيل بالاستقلال ، وقال **السلطان جعبل بن حسين العوذلى :**

ان معركتنا ضد الاستعمار ليستمقتصرة على الكفاحالمسلح . بل أن معركتنا السياسية لا تقل حدة عنها ، وقد عارضت بريطانيا اكثر من مرة عرض القضية على الأمم المتحدة ولجنة تصفية الاستعمار ، ولكننا بمساندة الجامعة العربية كسبنا المعركة . وأملنا الان أن تعمل الجامعة العربية أكثر وتتخذ خطوات اكثر فعالية وحيوية لنصرة قضيتنا .

المعاهدات البريطانية

اما الجانب الآخر من القضية وهو :

المعاهدات التى عقدتها بريطانيا فى غفلة من اليقظة العربية مع السلاطين و لاتزال توقعها، فقد حملت الأنباء به دفشل مؤتمر لندن عقد مثل هذه المعاهدات مع بعض السلاطين .

فيقول السيد عبد الله الأصنج : أن هذه المعاهدات ليست سوى مغالطات مكشوفة وتسترات على الاطماع لاستعمارية فى أرضنا العربية ومعاهدات من هذا النوع لا تملك وسائل الدفاع عن نفسها ولم يعد لها وزن قانونى أمام المحافل الدولية وبالتالى لا نعتبرها ملزمة لشعبنا بأى حال من الأحوال .

وقال السلطان جعبل بن حسين العوذلى :

المعاهدات التى وقعتها بريطانيا وتوقعها مع الحكام المزعومين نعتبرها غير ملزمة لأن الذين يوقعونها غير ممثلين شرعيين لشعوبهم وشعبالجنوب لا يعترف بمثل هذهالمعاهدات ولا بمفعولها .

وبعد ... يا أخى القارىء لعلنا قد نقلنا لك صورة صادقة لما يجرى فى الجنوب العربى المحتل

أنت تسأل ..؟

والمفتى يجيب ...

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون

س١ : من الأخت علا اكيود : من نيجيريا تقول هل يبيح الاسلام للنساء حضور صلاة الجمعة بالمسجد ؟

الجواب : نعم يبيح الاسلام للنساء حضور صلاة الجمعة فى المسجد وتسقط عنهن بذلك فريضة الظهر ، ولهن ثواب الجماعة ، وذلك اذا لم يكن فى خروجهن الى المسجد فتنة ، أو يعرضهن ذلك للنظرات الآثمة من ذوى القلوب المريضة .

هذا وقد راعى الاسلام ما يجب للمرأة من حماية وصيانة وجعل فى الاعتبار ما هيئت له المرأة بحكم فطرتها من رعاية المنزل وقيامها على شئون زوجها وتربية أولادها فأسقط عنها فريضة الجمعة وصلاة الجماعة ، فالفريضة بالنسبة لها هى صلاة الظهر وليست صلاة الجمعة وصلاتها فى بيتها أفضل من صلاتها فى المسجد حتى لا تتعرض هى أو غيرها لما يغضب الله سبحانه وتعالى — والله أعلم

س ٢ : ومن نفس السائلة ما هى فوائد صلاة التهجد ؟ وهل هى اجبارية ؟ وأى جزء من القرآن يرتل ؟ وما أفضل طريقة لاقامة صلاة التهجد وما وقتها وعدد ركعاتها ؟

الجواب : التهجد هى الصلاة ليلا تقربا الى الله سبحانه واقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم وهذا اللون من عبادة الله يكسب العبد طهارة قلب وتزكية نفس وقربا من الله ، وهو أمارة الحب الخالص لله فان العبد الخاشع القانت يهجر مضجعه والناس من حوله نيام ليخلو الى ربه يناجيه فى سكون الليل ضارعا اليه راكعا وساجدا ليكون عند الله من الذين أمتدحهم الله تعالى فى قوله « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون »

وصلاة التهجد نافلة لا اجبار فيها وهى سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض العلماء انها فريضة

خاصة بالنبى صلى الله عليه وسلم قال تعالى « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا »

وصلاة الليل أفضل من صلاة النهار لما فيها من مجاهدة للنفس ومجالدة للنوم وسهر فى عبادة الله وطاعته ، وقد ورد فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل اى الصلاة أفضل بعد المكتوبة قال « صلاة الليل »

وصلاة الليل كغيرها من الصلاة يجزىء فيها مايجزىء فى غيرها من تلاوة الفاتحة وبعض آى القرآن الكريم وليس لصلاة الليل عدد معين من الركعات فليصل المتهجد ما شاء . وقد روى عن عائشة رضى الله عنها : كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بالليل ثلاث عشرة ركعة ثم يصلى اذا سمع النداء بالصبح ركعتين خفيفتين فتبقى العشرة نفلا أى والثلاث وترا وللمجتهد أن يصلى كل اربع بتسليمة واحدة وهو الأفضل عند الامام أبى حنيفة رحمه الله تعالى لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى بالليل اربع ركعات لا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى اربعا لا تسل عن حسنهن وطولهن - ويرى ابو يوسف ومحمد أن الأفضل فى صلاة الليل مثنى مثنى أى بتسليمة بعد كل ركعتين وبه يفتى اتباعا للحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى »

وافضل الأوقات للتهجد ما كان فى الثلث الأخير من الليل لقربه من الفجر وعبادة الفجر تحضرها الملائكة - فقال تعالى « أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا »

س ٣ : من نفس السائلة :

لماذا ندعوا نحن المسلمين بصلوات الله وسلامه على النبى الكريم محمد أو غيره من الأنبياء أو الأولياء ؟ الا يصل ذلك الى درجة العبادة للانسان؟

الجواب : رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الله على الاطلاق ، وقد اصطفاه ربه واختاره لأشرف رسالة فى الدنيا وهى رسالة الاسلام ، واختصه الله سبحانه بكثير مما ليس لغيره من الأنبياء والرسل فى الدنيا والآخرة فقد كرمه الله فى الدنيا - اذ أسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى - ثم عرج به صلوات الله عليه الى السماوات العلى الى سدرة المنتهى الى الفيوضات الربانية والأنوار الآلهية ، وهو فى الآخرة صاحب الشفاعة العظمى وسيبعثه الله يوم القيامة مقاما محمودا قال تعالى « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » وقد اخبرنا القرآن الكريم بان الله سبحانه وتعالى هو وملائكته يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أمرنا الله سبحانه بأن نصلى ونسلم عليه صلوات الله وسلامه عليه - قال تعالى « ان الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما »

فنحن حينما ندعو بصلاة الله وسلامه على النبى صلى الله عليه وسلم انما ندعو له بالدرجة الرفيعة عند ربه جزاء له صلوات الله عليه وسلامه على ماجاهد فى سبيل الدعوة الاسلامية حتى مكن لها فى مدى ثلاث وعشرين سنة وتحمل الكثير من المصاعب وعانى الكثير من الآلام حتى بلغ الرسالة وادى الأمانة فجزاه الله عن أمته خير الجزاء - ودعاؤنا بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لله تعالى وامتثالا

لأمره ، وليس فى ذلك ولا فى الصلاة على الانبياء أو الأولياء عبادة لهم انما هو دعاء لهم بالرحمة من الله ، كما يدعو المؤمن لنفسه او لأخيه من المؤمنين ، والدعاء نوع من العبادة بل هو مخ العبادة لأنه اظهار الخشوع والخضوع لله سبحانه ، وبه تظهر حاجة العبد وافتقاره الى الله واستعانته بالله قال تعالى « ادعونى أستجب لكم » وقال سبحانه « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون »

س ٤ : من خلف فهمى — من قلندول مركز ملوى — محافظة المنيا .

يقول ان له بنت خال يريد الزواج منها ، ولكنه علم انه رضع من جدته ام والدته ما يقرب من أسبوع وبهذا صار أخا لخاله من الرضاع ويسأل عن حكم زواجه بابنة خاله وهل هذا الرضاع يحرمها عليه أولا؟

الجواب : يقول الله تعالى « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة » ويقول صلى الله عليه وسلم « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » وقد علم من السؤال ان السائل صار اخا لخاله من الرضاعة برضاعته من جدته لامه ومادام قد رضع خمس رضعات متفرقات فأكثر وهو المعلوم من قوله انه رضع ما يقرب من أسبوع فقد ثبت الأخوة من الرضاع فان ابنته تكون بنت أخ السائل من الرضاع فيحرم الزواج منها كما يحرم الزواج من بنت الأخ نسبا للحديث المذكور والله اعلم

س ٥ : من حسن فراج راشد — طالب بمدرسة اسنا الاعدادية .

يقول ما حكم الدين فى رجل مؤمن يصلى ويصوم ويقوم بتأدية جميع الفرائض الدينية ولكنه يذهب الى السينما للترفيه فهل هذا حرام ؟

الجواب : ان السينما وسيلة هادفة من وسائل الاعلام وتؤدى وظيفة خطيرة فى المجتمع واذا أحسن استخدامها فانها تؤدى لمجتمعنا اجل الخدمات واذا انحرفت عن رسالتها بعرض ما يسىء الى الدين أو الخلق فانها تكون اداة هدم وتخريب لتقاليد المجتمع ومثله العليا فدخول السينما للترفيه أو التعليم أو التثقيف الدينى والاجتماعى والخلقى والتاريخى مباح لا حرمة فيه مالم تعرض فى الافلام المباذل والمساخر التى درجت عليها كثير من الافلام العربية والغربية فانه والأمر كذلك يكون دخول السينما حراما — والله اعلم

س ٦ : من احمد مختار سالم — من شبين الكوم منوفية

يسأل عن حكم زواج الرجل بفتاة سبق أن زنا بامها ولكنها لم تحمل منه ؟

الجواب : سبق أن عرض مثل هذا السؤال وقد اجبنا عليه فى عدد قريب من اعداد مجلة منبر الاسلام وبينا ان مذهب الامام ابى حنيفة هو ان الزنا يحرم من المصاهرة ما يحرم الزواج الصحيح فمن زنا بامرأة حرمت عليه اصولها وفروعها وحرمت هى — كذلك على أصوله وفروعه لأن للزنا عند الحنفية حكم الزواج وان لم يحدث حمل ويرى الشافعية ان ماء الزنا

هدر لا أثر ولا حرمة له ولا يترتب عليه ما يترتب على الزواج من التحريم وعلى ذلك لا يحل لمن زنا بامرأة ان يتزوج بابنتها عند الامام أبى حنيفة سواء حملت أم لم تحمل ويجوز ذلك عند الشافعى غير ان العمل جار على مذهب الامام أبى حنيفة وهو ما نرتضيه ونفتى به فى مثل هذه الحالة حفظا للاخلاق وصيانة للاعراض وحتى يعلم من تسول له نفسه ارتكاب هذه الجريمة البشعة مدى اثرها ومقدار ضررها وحرمانه من الزواج بأصوله وفروعه لمن يفكر فى ارتكاب هذه المعصية معها ٠

س ٧ : من ابراهيم محمد جاد الله ـ بقال بدسوق

يسأل عن توزيع تركة شخص اسمه مصطفى توفى عن أخ وثلاث اخوات من الأب ـ وأخوين واختين لأم وابن اخ وبنت اخ ـ ويريد السائل ان يعرف من يرث ومن لايرث فى هذه التركة ؟

الجواب : ان تركة المتوفى مصطفى الوارد فى السؤال توزع بين ورثته على الوجه الآتى : للاخوين والاختين من الأم ثلث التركة فرضا يقسم بالتساوى بينهم والباقى لأخيه واخواته الثلاثة لأب تعصيبا للذكر ضعف الأنثى ولا شىء لمن عدا ذلك ممن ورد ذكرهم فى السؤال والله اعلم ٠

س ٨ : من أ٠ع٠ من شبراخيت

يقول توفيت سيدة وتركت بنتا وولدين لبنت فما نصيب كل ؟

الجواب : اذا كانت الوفاة قبل اغسطس سنة ١٩٤٦ تاريخ العمل بقانون الوصية الواجبة رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ فان التركة كلها للبنت فرضا وردا ـ ولا شىء لولدى البنت لانهما من ذوى الارحام ـ أما اذا كانت الوفاة بعد التاريخ المذكور فان لولدى البنت المتوفاة قبل وفاة والدتها ثلث التركة التركة وصية واجبة تطبيقا لقانون الوصية الواجبة المشار اليه يقسم بينهما للذكر ضعف الانثى وما يبقى بعد ذلك فهو للبنت فرضا وردا والله أعلم ٠

س ٩ : من نفس السائل

يقول توفيت سيدة وتركت بنتا وثلاثة ابناء ذكور ـ فما نصيب كل من التركة ؟

الجواب : ان تركة هذه المتوفاة تقسم بين البنت والابناء الثلاثة للذكر ضعف الأنثى والله أعلم ٠

س ١٠ : من عبد الرحمن ابراهيم خليفة ـ من روض الفرج ٠

يقول توفى والده عام ١٩٤٥ وترك بنتين واربعة ابناء وابن ابن توفى قبل وفاة والده ـ وكتب له نصف فدان من تركته خاصة ويسأل عن كيفية توزيع التركة وقد كانت حين الوفاة خمسة أفدنة وهى اليوم خمسة عشر فدانا ؟

الجواب : اذا كان الامر كما ورد فى السؤال وكانت وفاة المتوفى عام ١٩٤٥ فأن التركة كلها تقسم بين ابنائه الاربعة وبنتيه فقط للذكر مثل حظ الانثيين ولا شىء لابن الابن غير ما كتبه له جده لا بطريق الميراث لأن ابن الأبن لايرث مع الابناء ولا بطريق الوصية الواجبة لأن المورث كانت قبل أول اغسطس سنة ١٩٤٦ تاريخ العمل بقانون

الوصيه الواجبة وهذا التقسيم بالنسبة لما تركه المتوفى وما زاد على التركة التى تركها المتوفى لا يعتبر جزءا منها ولا يوزع على الورثة بنسبة حصصهم الارثية انما تكون الزيادة للعامل منهم الذى تسبب بعمله فى زيادة التركة ـ واذا لم يعرف هذا العامل بالذات فان الأقرب ان تكون هذه الزيادة للاولاد العاملين فى الزراعة فقد دون من لم يعمل كالنساء والأشخاص البعيدين عن ميدان الزراعة ـ وهذا كله اذا لم يتم الاتفاق بين الورثة جميعا على توزيع هذه الزيادة فان اتفقوا نفذ اتفاقهم

س ١١ : من و٠م٠ا٠ من الجمهورية العربية المتحدة ٠

يقول انه تزوج فتاة من الطبقات الارستقراطية ، وكلف مبالغ كثيرة وارهق ارهاقا تاما وتم الزفاف ـ فوجدها غير عذراء ٠ ويسال ان كان يطلقها أم يعيش معها بنفس نعم راضية ولها مؤخر صداق كبير ٠

الجواب : على صاحب السؤال ان يتحرى عن ماضى هذه الفتاة فقد تكون قد حدث لها حادث ازال بكارتها ـ ولكنه لايمس خلقها ولا يخدش كرامتها كقفزة من مكان مرتفع أو غير ذلك وقد تكون بكارتها من النوع الذى يخيل للزوج انها ازيلت مع انها فى الواقع موجودة واذا تبين من ماضيها انها قد اخطات وزلت فلا ينبغى ان تؤاخذ بجريمة ارتكبتها قبل زواجها وعليك ياأخى ان تطلب منها التوبة من خطيئتها وتراقبها وتراقب سلوكها فاذا استقامت فى حياتها الزوجية فابق عليها ولاتطلقها وعش بنفس راضية مرضية ـ والله يوفقكما لما فيه الخير والسعادة دنيا وآخرة ٠

مع القراء

اعداد : فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

حقا .. انه الايمان الحق .. الايمان بالله والرسول .. الايمان بالوطن والقائد .. الايمان بالمبادىء والأهداف .. هو الدافع الأصيل للعمل من أجل زيادة الانتاج فى ظل تكافؤ الفرص وعدالة التوزيع وهو الباعث المكين على الكفاح والتضحية اعلاء للعزة القومية والكرامة الانسانية فى رحاب الاستشهاد وانكار الذات وهو الوازع الروحى لنشر المحبة والاخاء تمكينا للمساواة واعزازا للسلام والرخاء .

الخلق الكريم .. والمواطن الصالح

السيد / فتوح سليمان النجار ـ منشاة السلطان منوف منوفية

نعم ياأخى .. ان الاخلاق هى الغذاء الروحى الكريم الذى يربى عليه المواطن الصالح ، ومن هنا كانت موطن امتداح الله لرسوله الكريم ، كما ان النصيحة هى دليل التعاون الوثيق بين أفراد الأمة الناهضة والمجلة تشكر لك هذه الروح الكريمة والخلق القويم والمبادىء السامية .

حياة الدنيا .. وجزاء الآخرة .

السيد/حسن قلانه ـ واعظ البدرشين

ان ماتوضحه فى رسالتك لصورة « تذوق الموت » على الرغم من ملازمتها البشرية منذ الخلق حتى قيام الساعة فضلا عما تحمله فى طياتها من قوة رادعة تطيح بكل جبار عنيد ورحمة واسعة تحيط بكل متق منيب الا أن البشرية فى غالبيتها قد اصابتها نوبة من الغفلة والسفة ودهمتها موجة مادية عاتية فأحالت حضارتها جاهلية فى ظل عبودية

التفرقة العنصرية والمأساة الفلسطينية والمشاكل الدولية وما تعالج به من وسائل وحشية يندى لها جبين الانسانية فى عصر المدنية والطفرة العلمية .. وأمل النجاة معقود على نضال الدول النامية ..

ناصر الحريه .. وحكومة بون

السيد/محمود محمد عبد العزيز مبروك ـ معهد المعلمين بدمنهور

انها بداية طيبة تعورها سعة الاطلاع حتى لاتجعل للقافية عليك سلطانا مما يورث التكلف ويجافى الطبع فضلا عن الاضطراب الذى يصيب المعنى فيذهب بطلاوة الموسيقى الشعرية التى هى من أهم عوامل التأثير ، وأحيى فيك تكريس الانتاج الأدبى لخدمة القضايا الوطنية والمشاكل العالمية

يا شرق بل يا غرب قف مترينا
واجعل لمصر زعامة الزعماء
ما لحرب غايتنا ولكن اننا
نحمى البلاد نسير للعلياء
مر ياجمال فنحن جندك يقظ
عفنا الكرى لنطيح بالنزلاء
وجه نداءك نحو بون انها
كفرت بكل مبادىء علياء

رعونة الشباب .. وحكمة المشيب :

السيد/ابراهيم حلمى الشواء ـ بغداد

يحكى لنا فى قصيدة بعنوان ((توبة)) رحلة مخطىء عبر شهوات الحياة الزائفة ويصور لنا مدى عبث هذه الحياة الجوفاء . وكيف استيقظ ضميره بعد أن سلبه الزمان شبابه ومنحه المشيب وجرده من ماله وألبسه الحاجة والبؤس فاعترف بذنبه وناب الى ربه راجيا عفوه وآملا كرمه .

غررت بعهد الشباب فيا
لعهد الشباب جنون الغرور
الى أن كبرت وبان المشيب
وولى الشباب وراح السرور
ندمت لعمر مضى وانقضى
فضيعت نفسى بدنيا الشرور
رجعت الهى اليك رجعت
طريدا ألوذ برب غيور

بريد التعارف

الاسم : احمد سمير عثمان عبد العزيز .
البلد : الجمهورية العربية المتحدة .
السن : ١٨ سنة .
المهنة : طالب بكلية الاداب جامعة القاهرة .
الهواية : مراسلة شباب العالم الاسلامى والاطلاع على الكتب الاجتماعية والدينية ..
العنوان : ملوى – منشاة المغالقة .

الاسم : محمد احمد العروسى
البلد : المغرب الاقصى .
السن : ٢١ سنة .
المهنة : معلم .
الهواية تبادل المجلات والاراء مراسلة الشباب العربي والمسلم – الرحلات .
العنوان : شارع مصطفى الدورى درب الدعنون رقم ٨ – تطوان المغرب الاقصى .

الاسم : أبو بكر سالم البكرى
البلد : حضرموت
السن : ٢٣ سنة .
المهنة : صائغ الحلى الذهبية .
الهواية المراسلة والاطلاع وجمع الصور.
العنوان : المكلا – حضرموت ص.ب ١٢٢ .

الاسم : قاسم محمد جواد
البلد : الجمهورية العربية المتحدة .
السن : ٢٠ سنة .
المهنة : طالب اعدادى علمي
الهواية جمع الطوابع والمراسلة والسياحة .
العنوان : العراق بغداد . الصراخية جامع عادلة خاتون –رقم الدار ١٣ب – ١٣ – ٢٠٥

الاسم : احمد عبد الرحيم السايح .
البلد : الجمهورية العربية المتحدة .
السن : ٢٦ سنة .
المهنة : طالب اصول الدين
الهواية : تبادل الاراء والتاليف والخطابة .
العنوان : قرشوط – عزبة السايح بالقارة

الاسم : مرسى عبد الستار مرسى نويش
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة .
المهنة : طالب بالثانوية الجديدة – شبين الكوم .
الهواية : تبادل الافكار والاراء حول مشاكل الساعة
العنوان : شبين الكوم – بريد الراهب .

اقرأ فى هذا العدد :

		صفحة
معالم الطريق		٣
زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة		١٠
حديث عن الاخلاص	السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية	١٤
لقاء مع اول سفير لجمهورية موريتانيا الاسلامية بالقاهرة		١٧
مجالات النشاط الدينى فى المدرسة	الاستاذ محمد على حافظ	٢١
الخطة الراشدة	فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى	٢٩
خبر	الاستاذ محمود كمال	٣٢
رسول الله ادريس	فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى	٤٠
من حضارة الاسلام	الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل	٤٤
خواطر مستشار	المستشار على على منصور	٥١
الصوفية فى الهامهم	الاستاذ حسن كامل الملطاوى	٥٥
مالا يجوز الخلاف فيه	فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى	٥٩
مع الذكريات	فضيلة الشيخ عبد الله المشد	٦٢
دعوة الميثاق الوطنى	الاستاذ حسنى عبد المجيد	٦٥
مقارنة الاديان	الدكتور أحمد شلبى	٦٨
المعانى الانسانية والاجتماعية	فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى	٧٢
من قادة الاندلس	الدكتور محمد كمال شبانه	٧٤
الشورى روح الديمقراطية الاسلامية	الاستاذ محمد عطية الابراشى	٧٦
اشتراكيتنا	الدكتور عبد الغنى الراجحى	٧٨
موقف الاسلام	الدكتور على عبد الواحد وافى	٨١
أمة قدسها القرآن	الاستاذ معوض عوض ابراهيم	٨٥
اعجاز القرآن	الدكتور حفنى شرف	٨٨
الاسلام بين العقل والنقل	الاستاذ محمود ابو الفيض المنوفى	٩١
القومية فى شعر شوقى	الدكتور أحمد الحوفى	٩٢
الشريعة الاسلامية	المستشار عبد الستار آدم	٩٦
التكافل الاجتماعى فى الاسلام	الدكتور محمد سلام مدكور	٩٧
عبد الناصر صانع السلام	الاستاذ كامل عبد المجيد	١٠١
الشجر الاخضر والنار	الدكتور عبد الحليم كامل	١٠٢
المخدومون	الاستاذ على الجندى	١٠٧
مع الخليفة الثانى	الاستاذ عبد العال شعيب	١٠٩
من التراث الطيب	الاستاذ حسن الشيخة	١١١
سياسة الهدم	الدكتور ابراهيم شعوط	١١٢
الادخار واجب وطنى	الاستاذ ابراهيم مصباح	١١٦
خير سنى العمر	الدكتور جمال الدين الرماوى	١١٨
حول قانون الاحوال الشخصية	الاستاذ عزت القاضى	١٢٠
أثر الدين والقرآن	الاستاذ محمد محمد السباعى	١٢٢
صحابى فى مصر	الدكتور حسين نصار	١٢٦
حياة المقر الشهابى	الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى	١٢٩
الاسلام فى الادب العربى	الاستاذ ابراهيم عوضين	١٣٦
نعمة الحب فى الاسلام	الاستاذ منصور نسيم	١٣٩

السفارات الاسلامية ... الاستاذ حسن فتح الباب ... ١٤٠
حل الازمات فى الاسلام ... الدكتور فؤاد فخر الدين ... ١٤٣
دراسات فى التاريخ الاسلامى ... الدكتور أحمد ابراهيم الشريف ... ١٤٦
المنابع القرانية ... الاستاذ محيى الدين الالوائى ... ١٤٨
المخلفون واسرائيل ... الدكتور الحسينى هاشم ... ١٥١
دولة الجزائر ... الدكتورة عنايات الطحاوى ... ١٥٢
اخضرت الاشجار « قصة » ... الاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله ١٦١
يا أيها الملعون « شعر » ... الشاعر عبد الله شمس الدين ... ١٦٤
ثورة الاحرار « شعر » ... الشاعر موسى جلال أحمد موسى ١٦٦
الشعر الدينى ... الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ١٦٨
القومية فى شعر المرأة ... الاستاذة روحية القلينى ... ١٧١
المجتمع فى شعر المغتربين ... الاستاذ على الجمبلاطى ... ١٧٢
باب الرياضة ... الاستاذ ناصف سليم ... ١٧٧
باب العلم ... الدكتور جمال الدين الغندى ... ١٧٩
ندوة الشهر ... الاستاذ عبد الرحمن الشربينى ... ١٨١
باب الفن ... الدكتور حسن الباشا ... ١٨٢
سكينة بنت الحسين ... اعداد عائشة حسنى ... ١٨٩
المرأة فى تانزانيا ... اعداد نجاة الزنيرى ... ١٩١
ماذا يجرى فى الجنوب العربى المحتل تحقيق من اعداد عبد الودود طه ـ
عبد القادر فيوض ... ١٩٢
انت تسال والمفتى يجيب ... فضيلة الامام الاكبر ... ١٩٨
لماذا اسلمت ... ٢٠٢
مع القراء ... الاستاذ فؤاد هيبه ... ٢٠٥
بريد التعارف ... ٢٠٥

مجموعة اسطوانات

الصلاة

تحتوى على ٧ اسطوانات شاملة
الآذان * الوضوء
الصلوات الخمس

اسطوانات

المصحف المرتل

فى ٤٤ اسطوانة

ترقبوا فى منتصف كل شهر عربي

سلسلتى

كتب إسلامية

و

دراسات فى الإسلام

تضمن الحصول على
مكتبة اسلامية جامعة
باقلام كتاب متخصصين

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية